الإمام الباقر عليه السلام

وأثره في التفسير

تأليف

الدكتور حكمت عبيد الخفاجي

دار سلوني

مؤسسة البلاغ



الإمام الباقر عليه السلام

وأثره في التفسير



الإمام الباقر عليه السلام

وأثره في التفسير



تأليف

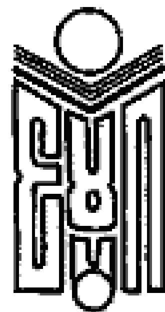
الدكتور حكمت عبيد الخفاجي

مؤسسة البلاغ

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م





مؤسسة البلاغ

للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب بئر العبد سنتر الإنماء ١ - ط ٣ - المستودع، حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - مقابل نادي السلطان
ص.ب: ١١-٧٩٥٦ بيروت ٢٢٥٠-١١٠٧ - هاتف: (٠١/٥٤١٨٨٤) - (٠٣/٥١٤٩٠٥) - فاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ - لبنان
التوزيع في سوريا: دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار الحسنين (ع) - هاتف: ٦٤٧٠٦٥٤
الموقع الإلكتروني: www.albalagh-est.com

بسم الله الرحمن

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾



صدق الله العلي العظيم

آل عمران/ ٣٣-٣٤

❖ ❖ ❖ ❖ ❖


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين حبيب الله وحبيب قلوب المؤمنين رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فان من عناية الله تعالى ولطفه أن يقيض للقرآن الكريم من يخدمه ، لما في ذلك من استمرارية نشر النور الإسلامي الساطع والأجر الرائع ، ولما ينطوي عليه من نفع للمسلمين.

ولهذا هبَّ علماء الأمة الإسلامية من أول نزول القرآن يحاولون فهمه ، والوصول إلى مراد الله تعالى من خلاله ، فكان الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) يعقدون مجالسهم لمدارسته والعمل به ، فإن أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم تركيب ، لجؤوا إلى معلمهم الأكرم ومفسرهم الأقدم رسول الله(ﷺ) يسألونه ويستوضحونه لسابق علمهم بأن هذا النبي الكريم كان من إحدى أهم وظائفه بيان كتاب الله ، قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] فيجدون عنده ضالتهم ويروون من سلسبيله ظمأهم ، فما التحق رسول الله(ﷺ) بالرفيق الأعلى حيث المقامات السامية وجنة الخلد العالية حتى شمّر صحابته الكرام (رضي الله عنهم) عن ساعد السعي الحثيث والجد الدؤوب في تعليم القرآن الكريم

(١) النحل/ ٤٤.

درساً وقراءة وحفظاً وعملاً وسار على نهجهم جهد الميامين من التابعين وتابعي التابعين يأخذون عنهم وينقلون ما أخذوه إلى الناس وذلك للحاجة الشديدة إلى هذا الأخذ والنقل، بعد أن اتسعت الرقعة الإسلامية بما مَنَّ الله تعالى على المسلمين بفتح البلدان والأمصار ليستضيؤوا بنور الإسلام ويستنيروا بهديه، فاختلطت ثقافات أجنبية بالثقافة الإسلامية وظهرت مشاكل فكرية ما كانت لتظهر لولا هذا الاختلاط وذاك الاتساع.

فانبرى التابعون يذودون عن حياض الإسلام ويحمون بيضته من أن تتسلل إليه أفكار خارجة عن حدوده وأطره الفكرية، والاجتماعية، والسياسية، والعلمية.

وأحس التابعون أنهم لا يستطيعون الوقوف بوجه التيارات المضادة إلا بمعرفة معاني القرآن والغوص في تفسيره للتوصل إلى فهم مراد الله تعالى، مدركين بأن في القرآن الكريم جميع الحلول وكل عُرى المنظومة الفكرية الإسلامية بما ينظِّم كل مجالات الحياة دنيوية أو أخروية، فأقبلوا عليه موصلين الليل بالنهار تعلماً، ودراسة، وقراءة، وحفظاً، وتدبراً، فكان لهم ما يريدون.

وكان الإمام الباقر (عليه السلام) من جملتهم، بيد أن صفة الفقيه ظلت تلازمه، حتى أن علماء الرجال والتراجم والطبقات عَدُّوهُ من فقهاء المدينة المنورة البارزين، فأردت التحقق من ذلك فبحثت في ثنايا المصادر من كتب حديث وتفسير ففوجئت بأن الإمام مفسر بارز للقرآن الكريم، ومن الطراز الأول، من خلال ما عرض أمامي وتجمع لدي من روايات له في التفسير هذا من جهة، ومن خلال ما تلمست من أثر له في معاصريه وفي من جاء بعده من جهة أخرى.

ومن هذا المنطلق رأيت أن يكون موضوع دراستي هو (الإمام الباقر (عليه السلام) وأثره في التفسير) لما عرف عنه من دور كبير في علم التفسير والعلوم الأخرى التي خدمت القرآن الكريم، ولما له من مقام معروف بين

التابعين وأثر واضح في غيره من المفسرين، فقد عُرِفَ الإمام الباقر (عليه السلام) بشخصيته المتميزة بين الناس وبين الأوساط العلمية في عصره، فكما عرفناه حفيداً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، مترعرعاً ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[1] عرفناه قارئاً للقرآن، وإماماً مفتياً، وناصحاً أميناً، ومفسراً بارعاً، وعالماً كبيراً، حتى غدا قرين العلم، لا يذكر العلم في مناسبة أو مكان إلا وذكر معه، فكان باقر علوم الأولين والآخرين بلا منازع، فتوجهت أنظار المسلمين إليه، ليأخذوا منه العلم كما يأخذون منه تفسير القرآن الكريم، كاشفاً لهم عن معضلات العلم وموضحاً لهم غامض المسائل، فصار مرجع الخاصة والعامة على السواء.

ولقد استهدفت من دراستي هذه أموراً منها: الكشف عن الخطوة الثانية -بعد الصحابة- التي خطاها علم التفسير وتشخيص تطوره وإبراز ما تميز به فيها وبيان مصادره وأهدافه، ومدى مشاركة وإسهام الإمام الباقر (عليه السلام) في إرساء بعض دعائمه وتأصيل بعض قواعده، ليكون ذلك الكشف نوراً يستهدي به فيما بعد المفسرون لكتاب الله تعالى.

ومنها: معرفة الثابت الصحيح عن الإمام الباقر (عليه السلام) في التفسير لأهميته وضرورته لكل من يريد الفهم السليم لكتاب الله وذلك بالتحري في أقوال المفسرين -صحابة وتابعين- وبيان الصحيحة منها والتثبت فيها، ومعرفة الضعيف والموضوع منها.

ومن المعلوم أن أقوال أئمة آل البيت عامة والإمام الباقر (عليه السلام) خاصة قد خالطها الكثير من المنسوب إليه مما لا يصح ثبوته عنه، فعزف بعض المفسرين عن الاعتماد على تلك الأقوال، خشية عدم ثبوت بعض منها، وتمادى آخرون في عزوفهم حتى أنهم ضعفوا كلَّ ما ورد عنه جملة وتفصيلاً، غير ناظرين إلى سند تلك الأقوال، واشتط آخرون في الجانب المقابل وعدوا كل

---

(١) النور/٣٦.

ما وصل سنده إلى الإمام صحيحاً وثابتاً وإن كان في السند ما يضعفه أو يشين به، فكان لنا موقف إزاء الموقفين، فتحرينا عن سند تلك الأقوال وتثبتنا من رجالها، وفرزنا ما كان صحيحاً منها أو ضعيفاً أو مكذوباً عليه، فكان نتيجة ذلك أن الروايات التفسيرية المنقولة عنه لم تكن كلها خالية من الكذب ولا معصومة كما يجب، بل فيها ما يرد وفيها ما يعتمد في الإطار العام للفهم الشمولي للإسلام.

وأظن أن الباحثين لم يسبقوني لمثل هذه الدراسة -في حدود ما اطلعت عليه- بحثاً أكاديمياً كان أو تأليفاً سوى أحد الباحثين المعاصرين وهو الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه «حياة الإمام الباقر (عليه السلام)» غير أن هذا لم يكن دراسة وافية ولا فيه تحليل علمي دقيق بقدر ما كان تعريفاً بالإمام وعصره والظروف التي نشأ وعاش فيها، ولم يكن هذا قصوراً من المؤلف -حاشا لله- ولكنها طريقة لإيصال المعلومات إلى أكثر عدد من الناس، وتبقى له فضيلة السبق فقد أفدت منه إفادات كثيرة جداً فجزاه الله عني خير الجزاء.

ومنهجنا في هذه الرسالة قائم على سلوك البحث العلمي المتجرد عن التعصب والهوى استقراء واستقصاء، مبرزاً بشكل خاص ما للإمام الباقر (عليه السلام) من جهد واضح في علوم القرآن والتفسير دون التجني على جهود الآخرين لعلمنا بأنهم جميعاً كانوا يشتركون ويجتمعون على هدف واحد، هو خدمة كتاب الله تعالى وبيان مراميه بإخلاص وتفان قل نظيرهما في التراث الإنساني.

وقد اقتضت طبيعة الرسالة أن تقسم على: مقدمة وبابين وخاتمة.

أما الباب الأول: فخصصته لدراسة حياة الإمام الباقر (عليه السلام) وما يتعلق بها وجعلته على أربعة فصول:

الفصل الأول: عقدته لحياته الشخصية، فعرفت باسمه ونسبه وولادته ووفاته وبينت الراجح في الأخيرتين، وذكرت مكان دفنه وكنيته

ورجحت رأياً في ألقابه، كما تكلمت على أسرته، وسردت نبذة عن أخلاقه وصفاته وعبادته، وختمت الفصل ببعض وصاياه ومواعظه وأقواله الخالدة.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن شيء من سيرته العلمية، فبينت فيه حثه على طلب العلم مسجلاً بعض أقواله في العلم والعلماء، وتحدثت بشيء من الاقتضاب عن علومه ومعارفه وما برع فيه من حديث وفقه وأصول فقه وعلم بالسيرة الشريفة، ثم كشفت النقاب عن مشاركته الفعالة في تعريب العملة في دار الإسلام بعد أن ذكرت الأقوال في ذلك فرجحت أحدها، ثم عرجت على ذكر مناظراته مع الخوارج والمعتزلة وغلاة الشيعة وبعض الفقهاء والمفسرين وبينت هناك تسليم العلماء له بالمكانة الرفيعة، وكان ختام هذا الفصل مخصصاً للحديث عن مكانته وأقوال العلماء فيه.

الفصل الثالث: ترجمت فيه للذين روى عنهم الإمام الباقر(عليه السلام) وقسمتهم قسمين: الأول: آباؤه الكرام، والثاني: الصحابة العظام (رضي الله عنهم)، وبعد ذلك ترجمت لتلامذته ورواة علمه وعرضت كل واحد منهم على معايير نقد الرجال، مستوضحاً آراء علماء الجرح والتعديل من الفريقين.

الفصل الرابع: عرفت فيه بمصادر الإمام الباقر(عليه السلام) في التفسير، وتنوع هذه المصادر من كتاب وسنة واجتهاد صحيح، أسهم من خلالها في إغناء هذا العلم وترصين بعض قواعده، وعرضت فيه لكل واحد من تلك المصادر المعتمدة عند الإمام ببعض النماذج لتؤيد ما اختاره من مصادره.

وأما الباب الثاني: فقد درست فيه أثر الإمام الباقر(عليه السلام) في التفسير من خلال عرض جهوده، وقسمته خمسة فصول:

الفصل الأول: خصصته للكلام على آرائه وأثرها في علوم القرآن مبيناً آراءه في الناسخ والمنسوخ وموضحاً موقفه منه، كما وضحت جهوده في علم أسباب النزول وتوجيهه لها، قبل أن أعرج على إسهاماته

في القراءات القرآنية وموقفه من حديث الأحرف السبعة، مختتماً ذلك ببعض التطبيقات لقراءاته. ثم بينت جهوده في فضائل القرآن الكريم فوجدت أن معظمها قد استلهم فيها أحاديث جده رسول الله (ﷺ) وأقوال الصحابة (رضي الله عنهم)، وختمت هذا الفصل في إبراز جهده المتعلق بتنقية تفسير القصص القرآني التي لا تكاد رواياته التفسيرية أن تخلو من الأفكار الإسرائيلية.

وقبل أن أعرج على الفصل الثاني قسمت المضامين القرآنية على ثلاثة: الأول: عقائدي والثاني: تشريعي والثالث: تربوي أخلاقي، وبعدها تكلمت في الفصل الثاني على آرائه وأثرها في تفسير آيات العقائد فكانت مباحثه متمثلة بالتوحيد ونفي الصفات والنبوة والوحي والإمامة والمعاد والشفاعة، وعرضت لآرائه في ذلك كله ثم عرضت ما يوافقها أو يخالفها من أقوال الصحابة أو التابعين مقارناً ومرجحاً في أغلب الأحيان.

والفصل الثالث: اتسعت صفحاته للحديث عن جهود الإمام الباقر (عليه السلام) وأثرها في تفسير آيات الأحكام وقد قدمت له بتمهيد، ثم قسمت تلك الجهود على أبواب الفقه فكانت هناك أقوال له في تفسير بعض آيات العبادات: من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك، وبعضها الآخر انتظم تحت مبحث المعاملات من المكاسب والنكاح والطلاق والرهن والدين وغير ذلك، وبعضها الثالث كان من حصة الحدود والجنايات والقضاء. فكان منهجي فيه أن أستعرض أقوال المفسرين إلى جانب قول الإمام، وأحياناً أعرض أقوال أئمة المذاهب الإسلامية الأخرى، غير أني رجحت في بعض الأحيان بعض ما أراه راجحاً حتى تبقى هذه الرسالة في حدود ما قدر لها أن تكون أي محصورة (في علوم القرآن والتفسير).

والفصل الرابع: عقدناه لإبراز الجانب التربوي والأخلاقي في فكر الإمام الباقر (عليه السلام) بصورة عامة، وفي تفسيره بصورة خاصة، وتحدثنا فيه

عن تفسير الإمام للآيات المتعلقة بالحلم وكظم الغيظ، والحث على الصدقة والترهيب عن منع الزكاة والرياء، والأمانة والقناعة وغير ذلك من التفريعات الجزئية للمباحث التربوية والأخلاقية.

وكان منهج الدراسة في الفصل الخامس، رصداً لقيمة أقواله وتقصياً لإبراز خصائص وسمات تفسيره غير غافلين عن توضيح مكانة ذلك التفسير، مبينين أثره في معاصريه وفي الذين جاؤوا بعده.

وما كان لهذه الرسالة أن تبلغ نهاية مطافها دون خاتمة موجزة أذكر فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج مستحصلة من الدراسة، وهو ما فعلناه، مردفين إياها بقائمة لمصادر البحث ومراجعه.

هذا وما لقيته من صعوبات في أيام إعداد هذه الرسالة قد ذللها الله تبارك وتعالى -والحمد لله- إذ ألهمني صبراً فائقاً على تحملها لإنجاز هذا البحث، فله الحمد أولاً وأخيراً.

أما المصادر التي عدت إليها فقد زادت على (أربعمائة كتاب) كانت في التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه وأصول الفقه والفلسفة وعلم الكلام والأخلاق والتصوف والتاريخ والتراجم والرجال وكتب اللغة والأدب وأمثال ذلك ما بين مخطوط ومطبوع.

وأخيراً، فإن كان بحثي هذا لم يَرْقَ إلى مستوى ما يتطلع إليه الباحثون، فلعل عذري أني بحثت وثابرت، وواصلت الليل بالنهار في سبيل استقصاء وتتبع جل أقوال الإمام وآرائه في التفسير وفي العلوم الأخرى على حد سواء، فهذا جهدي أقدمه بين يدي القارئ فإن رأى فيه نقصاً أو تقصيراً فلا يبخل علي بإرشاد أو توجيه فتلك طبيعة البشر وذاك الكمال الإلهي المطلق.

وبعد... فأقدم جزيل شكري وامتناني إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور خالد رشيد الجميلي لما منحني من ثقته ما دفعني إلى أن

أسعى لأكون عند حسن ظنه وظن الآخرين بالبحث وصاحبه، ولما أولانيه من رعاية أبوية، وعناية بالغة ومتابعته هذا البحث حرفاً حرفاً وكلمة كلمة، ناصحاً ومرشداً وموجهاً، حتى خرج هذا البحث بهذه الصورة، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم، ضارعاً إليه أن يدخلني في زمرة خدمة كلامه العزيز ليكون شفيعاً يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



الدكتور حكمت عبيد حسين الخفاجي

العراق – الحلة الفيحاء

عشر بقين من ذي الحجة ١٤١٧هـ

الباب الأول

حياة الإمام الباقر

(عليه السلام)



ويتضمن

الفصل الأول

سيرة الإمام الباقر (عليه السلام) الشخصية

الفصل الثاني

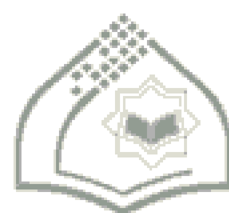
من سيرته العلمية

الفصل الثالث

رواته ومن روى عنهم

الفصل الرابع

مصادر الإمام الباقر (عليه السلام) في التفسير


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

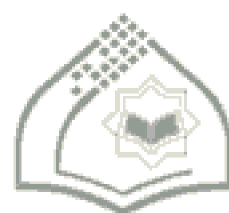
سيرة الإمام الباقر [عليه السلام]

الشخصية



ويتضمن:

* المبحث الأول : اسمه ، ونسبه ، وولادته ، ووفاته ، ومدفنه .
* المبحث الثاني : كنيته ، وألقابه ، ونقش خاتمه .
* المبحث الثالث : أسرته ، جده ، أبوه ، أمه ، أخوته ، أبناءه وبناته .
* المبحث الرابع : صفاته وتكامل شخصيته .
* المبحث الخامس : وصاياه ومواعظه وبعض أقواله الخالدة .



المبحث الأول

اسمه ونسبه وولادته ووفاته ومدفنه

اسمه: هو محمد بن علي[1] بن الحسين[2] بن علي[3] بن أبي طالب، القرشي، الهاشمي[4]، العلوي[5]، المدني[6].

نسبه: جده الرابع هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد... ويستمر نسبه حتى إسماعيل بن إبراهيم[7] (عليه السلام)، فهو يلتقي إذن مع جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند جده عبد المطلب.

وأما من جهة أمهات الآباء، فأم جده الحسين الشهيد هي فاطمة الزهراء بنت المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وأمه بنت عم أبيه فاطمة بنت الحسن التي سنتكلم على بعض شؤونها في الصفحات الآتية ولهذا امتاز نسب الإمام الباقر (عليه السلام) بخير الناس

---

(١) ستأتي ترجمته في ص ٨١ من الرسالة وانظر مصادرها.

(٢) ستأتي ترجمته في ص ٨٠ من الرسالة وانظر مصادرها.

(٣) ستأتي ترجمته في ص٨٠ من الرسالة وانظر مصادرها.

(٤) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١ رقم الورقة ٣٧ + تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١٢٤/١ + تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٩/ ٣٥٠ + الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصفهاني، ابن القيسراني، ٤٤٦/٢.

(٥) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ١٢٤ + تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ٨٧/١ + تاريخ الإسلام، الذهبي، ٢٩٩/٤ + البداية والنهاية، بن كثير الدمشقي، ٣٠٩/٩.

(٦) التاريخ الكبير، البخاري، ق ١/ ١/ ١٨٣ + الوافي بالوفيات، الصفدي، ١٠٢/٤ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٣ + مخطوطة الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، ابن حاتم الشامي، رقم الورقة ١٨٥.

(٧) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٢/ ١٧٢ـ ١٩١ - دلائل النبوة، البيهقي، ١/ ١١٨ + زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ١٥/١ + السيرة النبوية، ابن هشام، ١/ ١٠٢ + الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٢/ ٩-٢١ + بحر الأنساب، ركن الدين الموصلي، ٦٣.

على امتداد العصور، فآباؤه الكرام كلهم سادات ما منهم إلا من هو سيد قومه في عصره، فيحق لمفتخر أن يفتخر بهذا النسب الشريف.

ولادته: كانت ولادته بالمدينة المنورة[(١)] ونشأ بين ربوعها، وفي آل بيت النبي(ﷺ) في كنف والده الإمام زين العابدين علي بن الحسين[(٢)] ورعايته، ومن البديهي أن يؤثر المحيط الذي نشأ فيه في بناء شخصيته كثيراً مما يجعله يتربى -كما سنرى- تلك التربية الإسلامية ويتسم بسمات أهل البيت الطاهرين من العقل الثاقب والعلم الزاخر والخلق الباهر وقد تجلت هذه الآثار الروحية على مسيرة حياته كلها، وامتاز بالزهد والورع والعلم والتعمق في كثير من علوم الإسلام وصلابة في الحق وجهاد في سبيله.

وقد اختلف العلماء في سنة ولادته، اختلافاً شديداً وتباينت أقوالهم تبايناً كبيراً ولم يجمعوا فيها على وجه التدقيق، وأذهلني شدَّة ذلك الاختلاف لأنني لم أجد اثنين منهم قد اتفقا على قول واحد من خلال عملية البحث والاستقصاء في كتب التاريخ والتراجم والسير على كل شيء، فإنه مثلاً إذا وجدنا اثنين قد اتفقا على سَنة الولادة نجدهما قد اختلفا في اليوم والشهر -إلا أننا لا نعير إلى معرفة اليوم والشهر اهتماماً- فهو خلاف لا يؤثر على معرفتنا بسيرته الشخصية والعلمية[(٣)] بل ما يهمنا هو سنة الولادة، وبعد إمعان النظر والتدبر أمكننا الوصول إلى بعض النتائج المتعدِّدة للولادة وسنة الوفاة من خلال جمع الأقوال وتقسيمها إلى الفقرات الآتية:

أولاً: قال بعض العلماء: إن ولادته كانت سنة ست وخمسين من الهجرة[(٤)].

---

(١) أعلام الورى لأعلام الهدى، الطبرسي، ٢٦٤ + عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة الأصغر، ١٨٤ + صفوة ابن الجوزي، ٢/ ٦٠.

(٢) لقد عاش الإمام الباقر في كنف أبيه تسع وثلاثين سنة. انظر: أعلام الورى، الطبرسي، ٦٥ + كشف الغمة، ابن أبي الفتح الأربلي، ٢/ ٣٢٩.

(٣) إن ما عليه أكثر أقوال العلماء إنه توفي في يوم ٧ ذي الحجة، بينما كانت ولادته ٣ صفر.

(٤) غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ٢/ ٢٠٢ + التاريخ الكبير، البخاري، ق ١/ ١/ ١٨٣ + تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٩/ ٣٥١ + الوافي بالوفيات، الصفدي، ٤/ ١٠٢ + شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ١/ ١٤٩ + دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ٣/ ٥٦٣.

ثانياً: وقال بعضهم: إنها كانت سنة سبع وخمسين من الهجرة[١].

ثالثاً: ومنهم من قال: كانت ولادته (عليه السلام) سنة تسع وخمسين من الهجرة[٢].

ولا نستطيع أن نحدد أو نرجح قولاً ما، دون أن نذكر أقوالهم في سنة وفاته وعمره الشريف للترابط الكبير بينهما والتلازم الحاصل في جمع الأدلة للوصول إلى رأي راجح في المسألة.

وفاته: توفي الإمام الباقر (عليه السلام) بالحميمة[٣]، ونقل جثمانه الطاهر إلى المدينة المنورة بإجماع العلماء[٤]، أما بالنسبة لسنة وفاته فقد كان اختلاف العلماء في هذه المسألة أشد وتضارب نصوصهم أكثر، فاتبعنا نفس المنهج في حصر أقوالهم فتراوحت سنيهم بين ثلاث عشرة ومائة وبين ثماني عشرة ومائة للهجرة الشريفة على وفق النتائج الآتية:

أولاً: قال بعض العلماء: إنه توفي سنة ثلاث عشرة ومائة للهجرة[٥].

ثانياً: وقال بعضهم: إنه توفي سنة أربع عشرة ومائة للهجرة[٦].

ثالثاً: وقال بعضهم: إنه توفي سنة خمس عشرة ومائة للهجرة[٧].

---

(١) اعلام الورى، الطبرسي، ٢٦٥ + المشرع الروي، ابن أبي بكر الشلي، ١/٣٦ + غاية الاختصار، ابن زهرة الحسيني، ١٠٣ + جامع كرامات الأولياء، النبهاني، ١/٩٧ + نزهة الجليس، العباس بن علي المكي، ٢/٣٥.

(٢) سر السلسلة العلوية، أبي نصر البخاري، ٣٢ + عمدة الطالب، ابن عنبة الأصغر، ١٨٤ + تهذيب الأسماء، النووي، ١/٨٧.

(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣/٥٤.

(٤) المعارف، ابن قتيبة، ٢١٥ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٤ + الكواكب الدرية، عبد الرؤوف المناوي، ١/ ١٦٤ + مروج الذهب، المسعودي، ٣/ ٢٣٢.

(٥) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/٣١٤ + الشذرات الذهبية، ابن طولون، ٨١ + نزهة الجليس، العباس بن علي المكي، ٢/ ٣٦ + دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ٣/٥٦٢.

(٦) الطبقات الكبرى ابن سعد، ٥/٣٢٤ + التاريخ الكبير، البخاري، ق ١/١/١٨٣ + تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ١٢٤-١٢٥ + مشاهير علماء الأمصار، البستي، ٦٣ + الإكمال في رفع الارتياب، ابن ما كولا، ١٧٣ + أعلام الورى، الطبرسي، ٢٦٤ + عمدة الطالب، ابن عنبة الأصغر، ١٨٤ + غاية الاختصار، ابن زهرة الحسيني، ١٠٥ + كفاية الطالب، الكنجي الشافعي، ٤٥٥.

(٧) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤/ ٢١٧.

رابعاً: وقال بعضهم: إنه توفي سنة ست عشرة ومائة للهجرة[(١)].

خامساً: ومنهم من قال: إنه توفي سنة سبع عشرة ومائة للهجرة[(٢)].

وأما بالنسبة لعمره الشريف فقد اختلفوا فيه أيضاً لاختلافهم في سنة ولادته وسنة وفاته، فكان عمره يتراوح بين ست وخمسين سنة وثلاث وسبعين على أبعد قول، وإليك تلك الأقوال:

أولاً: قال بعض العلماء: إن عمره كان ستاً وخمسين سنة[(٣)].

ثانياً: قال بعض العلماء: إن عمره كان سبعاً وخمسين سنة[(٤)].

ثالثاً: وقال أكثرهم: إن عمره كان ثمانياً وخمسين سنة[(٥)].

رابعاً: وقال بعض العلماء: إن عمره كان ثلاثاً وستين سنة[(٦)].

خامساً: ومنهم من قال: إن عمره كان ثلاثاً وسبعين سنة[(٧)].

القول الراجح: يجدر بنا قبل أن نرجح أحد هذه الأقوال أن ننبه على المنهج الذي اتبعناه في تحصيلها ثم في ترتيبها على تلك المحصلات الثلاث، وهو إننا قمنا بترتيب أقوالهم حسب أقدمية العالم صاحب القول معتمدين في ذلك على سنة

---

(١) تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ١/ ٢٤٨.

(٢) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٣ + الطبقات الكبرى الشعراني، ١/ ٢٨ + جامع كرامات الأولياء،النبهاني، ١/ ٩٧ + ينابيع المودة القندوزي الحنفي، ٤٣٣ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٢٩ + تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٢/ ٣٢٠ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ٢٠٢.

(٣) تاريخ الأئمة، ابن أبي الثلج البغدادي، ٥ + تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ١٩٢ + مرآة الجنان، اليافعي، ١/ ٢٤٧.

(٤) سر السلسلة العلوية، أبي نصر البخاري، ٣٢ + كفاية الطالب، الكنج الحنفي، ٤٥٠ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٤ + مروج الذهب، المسعودي، ٣/ ٢٣٢ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٣.

(٥) الإكمال، ابن ما كولا، ١٧٣ + الجمع، ابن القيسراني، ٢/ ٤٤٦ + تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٩/ ٢٥١ + التاريخ الكبير، البخاري، ق ١/ ١/ ١٨٣ + تهذيب الأسماء، النووي، ١/ ٨٧ + ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، ٤٣٢ + تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٢/ ٣٢٠ + الفصول المهمة ابن الصباغ المالكي، ٢٠٢ + الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي، ١٢٣.

(٦) مشاهير علماء الأمصار، البستي، ٦٢ + طبقات الفقهاء، الشيرازي، ٣٦ + نور الأبصار، الشبلنجي الشافعي، ٢١٣.

(٧) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٣ + الطبقات الكبرى الشعراني، ١/ ٢٨ + تاريخ ابن الوردي، ١/ ٢٤٨+ تذكرة الخواص سبط ابن الجوزي، ١٩٢ + الكواكب الدرية، المناوي، ١/ ١٦٥ + الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤/ ٢١٧.

وفاته، فكان الترتيب الأقدم فالأقدم وهكذا، مما سهل علينا مهمة ترجيح أحد تلك الأقوال، وقمنا بعد ذلك في البحث عن الأدلة التي تدعم الراجح عندنا – والحمد لله– أن نمسك ببعضها، ومن البديهي إننا إذا استدللنا على الراجح فستكون الحاجة منتفية إلى تفنيد بقية الأقوال لتداعي حججها وانتفائها في موضوع المناقشة مقابل قوة الأدلة التي سنوردها.

فالذي يترجح عندنا –والله اعلم– إن ولادة الإمام الباقر (عليه السلام) كانت سنة ست وخمسين للهجرة، وسنة وفاته سنة أربع عشرة ومائة لها[1]. فيكون بذلك عمره هو ثمان وخمسون سنة، وإليك الأدلة على ذلك:

١ – روى البخاري ونقل عنه ابن القيسراني والنووي والعسقلاني: عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد الصادق قال: مات أبي وهو ابن ثمان وخمسون[2].

٢ – نقل ابن حجر العسقلاني عن البخاري قوله: حدثنا عبد الله بن محمد عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد قال: مات أبي سنة أربع عشرة ومائة[3]، وفي رواية ابن عساكر بسنده عن هارون بن محمد عن علي بن جعفر بن محمد قال: توفي أبو جعفر محمد سنة أربع عشرة ومائة في أمر هشام[4].

٣– روى اليعقوبي وغيره: أن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: قتل جدي الحسين ولي أربع سنين وإني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت[5].

٤ _ روى ابن سعد وغيره قال: أخبرنا عبد الرحمن بن يونس عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد قال: سمعت محمد بن علي يذاكر

---

(١) ظ: التاريخ الكبير، البخاري، ق ١٨٣/١/١ + تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٣٥١/٩ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٣ + مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٥١ رقم الورقة ٤٠.

(٢) التاريخ الكبير، البخاري، ق ١٨٣/١/١ + الجمع، ابن القيسراني، ٤٤٦/٢ + تهذيب الأسماء، النووي، ٨٧/١ + تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٣٥١/٩.

(٣) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٣٥١/٩.

(٤) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج٥١ رقم الورقة ٤٦.

(٥) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٣٢٠/٢ + تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ١٩٢ + عيون الأخبار، ابن قتيبة، ٢١٢/١ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٥.

فاطمة بنت الحسين شيئاً من صدقة النبي (ﷺ) فقال: هذه توفي لي ثمانياً وخمسين. . . . ومات لها[1].

٥- ما رواه أبو نعيم في الحلية عن سفيان بن عيينة أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قتل علي (عليه السلام) وهو ابن ثمان وخمسين سنة وقتل الحسين وهو ابن ثمان وخمسين سنة ومات علي بن الحسين وهو ابن ثمان وخمسين وأنا اليوم ابن ثمان وخمسين سنة، فتوفي لها[2].

وإذا ما أردنا أن نناقش هذه الأدلة فلا تقوم الحجة إلى الطعن بها لأن أجلة العلماء قد دونوها في كتبهم، أولهم الإمام البخاري والحافظ ابن حجر وابن سعد واليعقوبي والحافظ أبو نعيم وغيرهم من العلماء المحققين، فنكون في هذا الترجيح قد أيدنا ما رجحه هؤلاء العلماء والمحدثين بأدلة مرجحة لذلك، ولا تحتاج هذه الأدلة إلى مزيد توضيح وتبيين بقدر أن أي عملية حسابية بسيطة ستبين صحة ما ذهبنا إليه في هذه الدراسة، وتبقى مسألة تحويل سنة ولادة الإمام إلى التاريخ الميلادي وكذلك وفاته من المسائل التي يكتمل فيها هذا المطلب وقمنا بذلك من خلال الحاسبة الإلكترونية فاستطعنا أن نتوصل إليهما فكانت سنة ولادته هي ثلاث وسبعين وستمائة للميلاد، وأما وفاته فكانت في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة للميلاد.

مدفنه: وأما بالنسبة لمدفنه فلم يختلف العلماء في تعيينه فقد دفن في البقيع مع أبيه وعم أبيه الحسن بن علي في قبة العباس (رضي الله عنهم جميعاً)[3].

قال المسعودي: وجدت رخامة فيها إشارة إلى قبر محمد الباقر (عليه السلام) مكتوب عليها ما نصه (الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/٣٢٤ + البداية والنهاية، ابن كثير، ٩/٣٠٩ + تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٩/٣٥١.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، ٣/١٨٩ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/٣٣٢-٣٣٣.

(٣) عمدة الطالب، ابن عنبة الأصغر، ١٨٣+غاية الاختصار، ابن زهرة الحسيني، ١٠٥ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/٦٣ + وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/٣١٤ + مرآة الحرمين، إبراهيم رفعت، ١/٢٦ وغيرها.

رسول الله(ﷺ)، سيدة نساء العالمين، والحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين بن علي، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد (رضوان الله عليهم أجمعين)[١].

وأخيراً فقد أوصى الإمام الباقر(عليه السلام) عند موته بوصايا كثيرة منها أن يدفن في قميصه الذي كان يصلي فيه[٢].

المبحث الثاني

كنيته وألقابه ونقش خاتمه

كنيته: وكنيته (أبو جعفر)[٣] ولا كنية له غيرها، وأحياناً يكنى بأبي جعفر الأول[٤]، وقد كني بولده الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) الذي ملأ الخافقين علماً وفقهاً وورعاً وزهداً.

ألقابه: وأما ألقاب الإمام أبي جعفر(عليه السلام) فقد دلت على ملامح شخصيته العظيمة وسماته الرفيعة، لأن الأمة الإسلامية آنذاك لا تطلق الألقاب جزافاً بل تطلقها وهي تحمل في طياتها بعض الجوانب من شخصية الملقب بها، وتمثل انعكاسات اجتماعية ودينية تركزت في تمثيله(عليه السلام) للزعامة الروحية، وكانت ألقابه كثيرة وهي:

١- الشبيه: لأنه كان يشبه جده رسول الله(ﷺ) في شمائله وصفاته[٥].

---

(١) الأشراف والتنبيه، المسعودي، ٢٦٠.

(٢) الطبقات الكبرى، الشعراني، ٢٨/١ + المشرع الروي، الشلي،٣٧/١ + تاريخ ابن الوردي، ٤٨/١ + الوافي بالوفيات، الصفدي، ٤٠٣/١.

(٣) تاريخ الإسلام، الذهبي، ٢٦٤/٢ + تذكرة الخواص، سبط إبن الجوزي، ١٨٩ - الفصول المهمة، ابن الصباغ، ١٩٣ + تاريخ الأئمة، ابن ابي الثلج، ٥ + شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ١٤٩/١ ... وغيرها.

(٤) الأمالي، الشيخ الصدوق، ٣٢ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٥ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٣ + إثبات الهداة، الحر العاملي، ٢٧٧/٥ + سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني،٢٠١/٢ + الإمام الصادق والمذاهب الاربعة، أسد حيدر، ٤٣٣/٢ + أعيان الشيعة، محسن الأمين، ق ٤/٤/٢.

(٥) مخطوطة الدر النظيم، ابن حاتم الشامي، ورقة ١٨٥ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٤.

٢- الشاكر: لأن مترجميه وواصفيه قالوا: بأنه كان يكثر من شكره لله تبارك وتعالى وحمده في السراء والضراء حتى تميز بذلك على الناس[١].

٣- الهادي: لأنه كثيراً ما كان يهتدي على يديه الكثير من الناس للدخول إلى الإسلام أو لتثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين والمسلمين ويتبين ذلك من خلال مناظراته مع بعض النصارى وغيرهم مما ستقف عليه قريباً[٢].

٤- الصابر: لصبره وتحمله للنوائب والشدائد التي أحاطت به وشاهدها عياناً منذ نعومة أظافره وأبان مرحلة الصبا وظلت لوعتها مرافقة له طيلة حياته[٣].

٥- الباقر: وهذا اللقب من أكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً، ولم يعرف غيره في رجال الأمة من تابعين وأتباعهم وعلماء من لقب بهذا اللقب، ولم يطلقه العلماء على غيره لاختصاصه به من دون سائر الناس[٤].

سبب اشتهاره بالباقر:

اختلف العلماء في سبب شهرته بهذا اللقب، ويمكن حصر هذا الاختلاف في ثلاثة أقوال وهي:

القول الأول: إنما لقب بالباقر، لأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه، نظر أولئك العلماء إلى ما أثر عنه من علوم ومعارف في شتى المجالات تناقلتها الناس في الآفاق الإسلامية وسجلها العلماء في مصنفاتهم كل حسب تخصصه.

---

(١) مخطوطة مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج٥/ الورقة ٧٨ + حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨٠ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٢٩ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٣ + نور الأبصار الشبلنجي الشافعي، ١٣٠.

(٢) مخطوطة الدر النظيم، ابن حاتم الشامي، ورقة ١٨٥ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٤ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٢٩ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٣ + تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ١٩٠ + نور الأبصار، الشبلنجي الشافعي، ١٩٣.

(٣) حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨٠ + جامع كرامات الأولياء، النبهاني، ١/ ٩٧.

(٤) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥، الورقة ٣٧ + تقريب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ١٩٢ + التاريخ الكبير، البخاري، ق ١/١/ ١٨ + طبقات الحفاظ، السيوطي، ٥٦ + الكاشف، الذهبي، ٣/ ٧٩ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ١٠٨-١١٢ + سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢/ ١٠٠، ٣/١٢٦ وغيرها.

دليلهم: واستدلوا على ما ذهبوا إليه بكثرة ما ورد عنه من علوم إسلامية تمثلت في الفقه والحديث والكلام والتفسير وغير ذلك، وعزز بعض العلماء رأيهم هذا بجملة من الروايات أثبتوها عن جده رسول الله(ﷺ) تؤيد ما ذهبوا إليه، وإليك تلك الروايات:

أولاً: ما رواه محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨ هـ) والشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ) بأسانيد صحيحة عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد(عليه السلام) قال: إن جابر عبد الله الأنصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله(ﷺ) وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعد في مجلس رسول الله(ﷺ) وهو معتجر بعمامة سوداء، وكان ينادي: يا باقر العلم، يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: والله ما أهجر، ولكني سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: إنك ستدرك رجلاً مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول، قال: فبينما جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مر بطريق وفي ذاك الطريق كتّاب فيه محمد بن علي فلما نظر إليه قال: يا غلام أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال: شمائل رسول الله(ﷺ) والذي نفسي بيده، يا غلام ما اسمك؟ قال: محمد بن علي بن الحسين، فجعل يقبل رأسه ويقول: بأبي أنت وأمي، أبوك رسول الله(ﷺ) يقرؤك السلام... قال: فرجع محمد بن علي إلى أبيه وهو ذعر فأخبره الخبر، فقال له: يا بني قد فعلها جابر؟! قال: نعم، قال: ألزم بيتك يا بني...[1].

ويمكن أن نستشف من هذه الرواية عدة أمور منها:

١ - أن شمائل الإمام الباقر(عليه السلام) وملامحه وصفاته تشبه شمائل وملامح جده رسول الله(ﷺ).

٢ - أن النبي(ﷺ) هو الذي سمى سبطه بمحمد، وأضفى عليه لقب الباقر، وأنه يبقر العلم بقراً.

---

(١) أصول الكافي، الكليني، ١/ ٤٦٩-٤٧٠؛ الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٤.

٣- أن والده زين العابدين علي بن الحسين قد خاف على ولده بما أخبر به جابر (رضي الله عنه) عن النبي(ﷺ) وأمره بلزوم بيته[1].

ثانياً: روى أبو نصر البخاري (كان حياً في سنة ٣٤١هـ) عن سبب تسميته بالباقر(عليه السلام) قال: سماه رسول الله(ﷺ) الباقر(عليه السلام) وأهدى إليه سلامه على لسان جابر بن عبد الله الأنصاري قال: يا جابر إنك ستعيش حتى تدرك رجلاً من أولادي اسمه اسمي يبقر العلم بقراً فإذا رأيته فاقرأه مني السلام، ففعل ذلك جابر (رضي الله عنه)[2].

ثالثاً: روى اليعقوبي في تاريخه قال: قال جابر بن عبد الله الأنصاري قال لي رسول الله(ﷺ) إنك ستبقى حتى ترى رجلاً من ولدي أشبه الناس بي اسمه على اسمي، إذا رأيته لم يخل عليك، فاقرأه مني السلام، فلما كبرت سن جابر وخاف الموت جعل يقول: يا باقر، يا باقر أين أنت؟ حتى رآه فوقع عليه يقبل يديه ورجليه ويقول: بأبي وأمي شبيه أبيه رسول الله! إن أباك يقرؤك السلام[3].

وقد ذكر ابن تيمية هذه الرواية بعينها، ولكنه فندها وعدّها من مبتدعات الشيعة، ولم يصححها[4].

رابعاً: روى تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة الحسيني (ت: ٧٥٣ هـ) بسنده إلى يحيى بن الحسن قال: أخبرني ابن أبي بزة أخبرنا عبد الله بن ميمون عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلت على جابر بن عبد الله الأنصاري، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام ثم قال لي: من أنت؟ -وذلك بعدما كف بصره- فقلت: محمد بن علي بن الحسين، فقال لي: بأبي أنت وأمي، ادْنُ مني فدنوت منه فقبل يدي ثم أهوى إلى رجلي فاجتذبتها منه ثم قال: إن رسول الله يقرؤك السلام، فقلت: وعلى رسول الله(ﷺ) السلام ورحمة الله وبركاته، وكيف ذلك يا جابر؟ قال: كنت معه ذات يوم فقال لي: يا جابر لعلك تبقى حتى تلقى

---

(١) ظ: حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ٢٤.

(٢) سر السلسلة العلوية، ابو نصر البخاري، ٣٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٢/ ٣٢٠.

(٤) منهاج السنة، ابن تيمية، ٧٢٨.

رجلاً من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين يهب الله له النور والحكمة فاقرأه مني السلام[1].

خامساً: ما ذكره صلاح الدين الصفدي قال: وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة وقد عمي آخر عمره، فكان يمشي بالمدينة ويقول: يا باقر، يا باقر، متى ألقاك؟ فمر يوماً في بعض سكك المدينة فناولته جارية صبياً في حجرها فقال لها: من هذا؟ فقالت: محمد بن علي بن الحسين؟ فضمه إلى صدره وقبل رأسه ويديه وقال: يا بني جدك رسول الله(ﷺ) يقرؤك السلام[2].

سادساً: وروى ابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ): أن النبي(ﷺ) قال لجابر: يا جابر إنك مستعمر بعدي حتى يولد مولود اسمه اسمي يبقر العلم بقراً فإذا لقيته فاقرأه عني السلام[3].

سابعاً: وروى ابن عنبة الأصغر (ت: ٨٢٨ هـ) وابن الصباغ المالكي (ت: ٨٥٥ هـ) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: روى جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله(ﷺ) قال: يا جابر يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين اسمه كاسمي يبقر العلم بقراً فإذا رأيته فاقرأه مني السلام، قال جابر: فأخر الله تعالى مدتي حتى رأيت الباقر(عليه السلام) فأقرأته السلام عن جده رسول الله(ﷺ)[4].

وقد ذكر العلماء محاورة جرت بين زيد الشهيد وبين هشام بن عبد الملك عندما وفد عليه الأول إلى الشام فيها تصريح من الإمام زيد (رضي الله عنه) بأنَّ لقب الباقر(عليه السلام) إنما أطلق على أخيه الإمام محمد بن علي بن الحسين برواية عن رسول الله(ﷺ)[5].

---

(١) غاية الاختصار، ابن زهرة الحسيني، ١٠٤.

(٢) الوافي بالوفيات، الصفدي، ٤/ ٢+ حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ٢٥.

(٣) عيون الأخبار، ابن قتيبة، ١/ ٢١٢.

(٤) عمدة الطالب، ابن عنبة الأصغر، ١٨٣ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٣.

(٥) تقول الرواية: وفد زيد بن علي (رضي الله عنه) على هشام بن عبد الملك، فقال له هشام: ما فعل اخوك البقرة؟ فقال زيد لشد ما خالفت رسول الله(ﷺ) سماه رسول الله الباقر وتسميه البقرة، لتخالفنه في يوم القيامة. انظر: سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخاري، ٣٣ + عمدة الطالب، ابن عنبة، ١٨٣.

ثامناً: روى الحافظ نور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ) عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال أتاني جابر بن عبد الله الأنصاري وأنا في الكتّاب فقال: اكشف عن بطنك، فكشفت عن بطني فقبله ثم قال: إن رسول الله (ﷺ) أمرني أن أقرأ عليك السلام. وقد علّق عليها الهيثمي بالقول: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه المفضل بن صالح وهو ضعيف[1].

وهناك روايات أخرى ذكرها العلماء عن المدائني والطبراني عن جابر بن عبد الله الأنصاري ينقل فيها تحيات الرسول الكريم (ﷺ) إلى ابنه الباقر (عليه السلام) ولكنها لم تصرح في ذكر لقبه (عليه السلام) ولهذا السبب لم نذكرها خوفاً من الإطالة وحرصاً على الاختصار في ذكر أدلة أصحاب هذا القول[2].

ويمكننا القول أن هذه الرواية باختلاف ألفاظها قد انفرد علماء الشيعة الإمامية بتصحيحها والله أعلم بمدى صحتها.

وقد أصر أيضاً علماء اللغة على أنه إنما لقب بالباقر (عليه السلام) لتبقره في العلم وشقه له وإليك بعض أقوالهم:

فقد قال الأزهري (ت: ٣٧٠ هـ): وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين: الباقر، لأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه، وأصل البقر: الشق والفتح، وكذلك التوسع والتفتح[3].

وقال ابن منظور (ت: ٧١١ هـ): والتبقر: التوسع في العلم والمال، وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين (رضوان الله عليهم) الباقر، لأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتبقر فيه[4].

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ١٠/ ٢٢. ضعفه النجاشي في رجاله، في ترجمة جابر بن يزيد، وقال ابن الغضائري: ضعيف، كذاب، يضع الحديث وضعفه أيضاً الخوئي في معجمه ظ: ١٨/ ٣٣٠ وانظر مصادره.

(٢) ظ: ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، ٤٣٣ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٣١ + تاريخ الأئمة، ابن أبي الثلج، ٥ + تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ١٩٠ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٥ + نور الأبصار، الشبلنجي الشافعي، ١٣٠ + الكواكب الدرية، المناوي، ١/ ١٦٥ + أعلام الورى، الطبرسي، ٢٦٨ + الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيثمي، ١٢٣.

(٣) تهذيب اللغة/ الأزهري، ٩/ ١٣٦.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ٥/ ١٤٠.

وقال الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ) بقره: شقه ووسعه، والباقر محمد بن علي بن الحسين (رضي الله تعالى عنهم) لتبحره في العلم[1].

وقال الدميري (ت: ٨٠٨ هـ) بقر مأخوذة من الشق، ومنه قيل لمحمد بن علي الباقر، لأنه بقر العلم أي شقه ودخل فيه مدخلاً عظيماً[2].

وكذلك بالنسبة لعلماء من صنوف شتى، رواة ومؤرخين وعلماء رجال وإليك بعض الأمثلة:

١- روى الطالقاني عن الجلودي عن المغيرة بن محمد عن رجاء بن سلمة عن عمرو بن شمر قال: سألت جابراً الجعفي فقلت له: ولم سمي باقراً؟ قال: لأنه بقر العلم بقراً أي شقه وأظهره إظهاراً[3].

٢- وقال الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ): وكان سيد بني هاشم في زمانه اشتهر بالباقر (عليه السلام) من قولهم بقر العلم يعني شقه فعلم أصله وخفيه[4].

٣- وقال الحافظ أبو الفداء الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ): وقيل له الباقر (عليه السلام) لتبقره في العلم أي توسعه فيه[5].

القول الثاني: إنما سمي بالباقر، لأن السجود بقر جبهته وشقها، وهؤلاء العلماء نظروا إلى كثرة عبادته وصلاته.

دليلهم: ما روي عن غير واحد من العلماء: أن الإمام الباقر (عليه السلام) كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة[6].

القول الثالث: إنما لقب بالباقر، لأنه بقر الباطل وشقه وأظهر منه الحق وعمل به.

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ١/ ٣٧٥-٣٧٦.

(٢) حياة الحيوان، الدميري، ١/١٤٧.

(٣) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ٦٥ + بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ٤٦/ ٢٢١ + الميراث عند الجعفرية، محمد أبو زهرة، ٣٥.

(٤) تذكرة الحفاظ، الذهبي ١/١٢٤ + تاريخ الإسلام، ٢/٢٦٤، ٨/٢٢٨.

(٥) البداية والنهاية، أبو الفداء الدمشقي، ٩/ ٣٠٩.

(٦) مخطوطة مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج ٥/ الورقة ٧٨ + تذكرة الحافظ الذهبي، ١/ ١٢٥ + تاريخ ابن الوردي، ١/ ٢٤٨ + تذكرة الخواص، ابن الجوزي، ١٩٠.

دليلهم: ما روي عن الإمام الباقر(عليه السلام) أنه قال: استصرخني الحق وقد حواه الباطل في جوفه فبقرت عن خاصرته واطلعت الحق من جنبه حتى ظهر وانتشر بعدما خفي واستتر[1].

القول الراجح: إن الراجح في سبب تلقيب الإمام محمد بن علي بن الحسين بالباقر هو القول الأول، أي إنه بقر العلم فعرف أصله واستنبط فرعه حتى غدا قريناً له، لا يذكر في مناسبة أو مكان إلا ذكر معه وما رجحناه إلا لوجود أدلة كثيرة أوجبت ترجيحه والتسليم به منها:

١- لقول أغلب العلماء في ترجيح هذا القول حتى أنه هناك شبه إجماع بينهم.

٢- الروايات الصحيحة الواردة عن الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) بما رواه الثقاة - ولو عن طريق الإمامية فقط- عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) وجعفر بن محمد الصادق، وإن اختلفت ألفاظ تلك الروايات باختلاف المناسبات إلا أنها اتفقت على أن النبي (صلى الله عليه وآله) وهو الذي أطلق عليه هذا اللقب قائلاً: سيبقر العلم بقراً.

٣- من المعروف في التاريخ العربي الإسلامي أن كثيراً من الصحابة والتابعين قد انقطعوا لعبادة الله تبارك وتعالى وانشغلوا بالصلاة دون سواها حتى وصل الأمر ببعضهم أن يصلي أكثر من ثلاثمائة ركعة في اليوم والليلة ولم يذكر أن أحداً منهم قد شق السجود جبهته ووسعها، هذا إذا ما علمنا أن صلاة الإمام الباقر(عليه السلام) بنوافلها وتطوعها لم تصل إلى أكثر من مائة وخمسين ركعة في اليوم والليلة هذا من جهة، وإن واصفيه لم يذكروا عنه أنه كان هناك شق ظاهر في جبهته ولو كان شيئاً موجوداً من هذا القبيل ما أغفلوه من جهة أخرى.

٤- أما بالنسبة لبقره خاصرة الباطل الذي حوى الحق واستخراجه منه، فإن هذه الرواية قد نسبها سبط ابن الجوزي إلى القيل، وإذا سلمنا بصحة نسبتها إلى الإمام الباقر(عليه السلام) لا نسلم بأن المسلمين إذا رأوا من هو شديد في الحق حريص

---

(١) مخطوطة مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج ٥/ الورقة ٧٨ + تذكرة الخواص، ابن الجوزي، ١٩٠.

عليه يلقب بالباقر (عليه السلام) والدليل على ذاك واضح جداً من خلال الاستقراء التاريخي لرجال الأمة وقادتها من صحابة وتابعين وعلماء.

ولهذه الأسباب مجتمعة قد رجحنا القول الأول لتميز الإمام الباقر (عليه السلام) بين التابعين بغزارة علمه وسعة معارفه وانتشار ذلك عنه في الآفاق الإسلامية وهجرة طلاب العلم إليه لتلقي العلوم والمعارف على يديه، وعلى الرغم من ذلك فلا يمنع هذا من الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة فلا خير أن يكون سبب شهرة الإمام محمد بن علي بن الحسين بلقب الباقر (عليه السلام) أن تكون تلك الأقوال وأدلتها مجتمعة فيه، فلا شرف يدانيه شرف العلم والعبادة وإظهار الحق للترابط الحاصل بين هذه الحيثيات في شخص الإمام أبي جعفر الباقر، فأيها كان كانت معه المنزلة الرفيعة والمكان المميز لشخصيته الفريدة، وصدق الشاعر فيه حين قال:

يا باقرَ العلم لأهل التقى ... وخير من لبّى على الأجبل[1]

نقش خاتمه:

وردت روايات و أقوال عديدة في الكلمات التي كانت منقوشة على خاتم الإمام أبي جعفر الباقر، دلّت على شدّة انقطاعه لله تعالى وتعلّقه به، لأن نقش الخاتم عادة يكشف لنا بعض الجوانب من شخصية حامله، وإليك تلك الأقوال والروايات في نقش خاتمه:

١ - روى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام علي بن موسى الرضا قال: كان نقش خاتم الحسين ﴿إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ﴾ وكان علي بن الحسين يتختم بخاتم أبيه الحسين وكان محمد بن علي يتختم بخاتم الحسين[2].

إذن نقش خاتم الإمام الباقر (عليه السلام) في هذه الرواية هو ﴿إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ﴾.

---

(١) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/ ٣١٤ بدون نسبة + الشذرات الذهبية، ابن طولون، ٨١ أيضاً + مرآة الجنان، اليافعي، ١/ ٢٤٨ أيضاً + عمدة الطالب، ابن عنبة الأصغر، ١٨٣ أيضاً + امل الأمل، ابن ابي الفتح، ١٩٦/٢ أيضاً + المشرع الروي الشلي، ١/ ١٣٦ أيضاً + دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ٥٦٣/٣ أيضاً + غاية الاختصار، ابن زهرة الحسيني، ١٠٥ نسبه إلى القرطبي + سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخاري، ١٣٣ أيضاً + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٣٦ أيضاً + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٣ نسبه إلى القرطبي.

(٢) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ١٢٤.

٢- روى ابن الصباغ المالكي والشبلنجي الشافعي : أن نقش خاتم الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) هو ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَـرْداً﴾[١] وروى الشيخ الصدوق عن الإمام الرضا أيضاً عن أبيه عن جعفر بن محمد مثله[٢]، وقالا : ونقل الثعلبي في تفسيره أن الباقر (عليه السلام) كان قد نقش على خاتمه هذه (**ظني بالله حسن وبالنبي المؤتمن وبالوصي ذي المنن وبالحسين والحسن**)[٣].

٣- وروى الحافظ أبو نعيم (ت : ٤٣٠ هـ) بسنده عن جعفر بن محمد قال : كان في خاتم أبي (**القوة لله جميعا**)[٤].

٤- وذكر غير واحد من العلماء بأسانيدهم عن جعفر بن محمد قال : كان نقش خاتم أبي جعفر (**العزة لله**)[٥].

ويتبين من مجموع هذه الروايات أنه كان للإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) عدة خواتيم على كل واحد منها نقش غير ما على الآخر، فكل واحد من هذه الأقوال محتمل الصحة من خلال الجمع بينها.



المبحث الثالث

أسرته، جده، أبوه، أمه، اخوته، أبناؤه وبناته

نشأ الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) في بيت الرسالة ومهبط الوحي ومصدر العلم والإشعاع، في المدينة المنورة وفي البيت الهاشمي، وكان جده الإمام الحسين الشهيد وأبوه الإمام زين العابدين يغذيانه بالأخلاق الكريمة ويفيضان عليه ما استقر في نفسيهما من الصفات الحميدة، ويعلمانه السلوك النير ويأخذان بيده في الاتجاه السليم ليكون بعد حين قدوة لهذه الأمة ونبراساً يُقتدى به للخير والصلاح.

(١) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٣ + نور الأبصار، الشبلنجي الشافعي، ١٣١.

(٢) عيون الأخبار، الشيخ الصدوق، ١١٦.

(٣) ظ: الفصول المهمة، ابن الصباغ، ١٩٤ + نور الأبصار، ١٣١.

(٤) حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨٦.

(٥) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ١٨٠ + كشف الغمة، الأربلي، ٣٣١ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٥.

أولاً: جده

هو الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد اهتم الإمام السبط في تربية حفيده وأولاه من العناية ما كان يفيض معها من روحه الشريفة على روحه وينزع من خلقه الكريم الذي رباه عليه جده رسول الله(ﷺ) ليضعه في سجاياه، فكان الإمام الباقر(ع) مزيجاً كريماً وتفاعلاً فاضلاً بين ما اكتسبه الإمام الحسين وتعلمه من تجاربه وحياته وبين ما كان يحمله من بعض سجايا وأخلاق رسول الله(ﷺ) -وكان فيما يرويه المؤرخون- يجلس الإمام الباقر(ع) في حجره، قال الإمام الباقر: أجلسني جدي الحسين في حجره، وقال لي: رسول الله(ﷺ) يقرئك السلام[1].

وفي هذا العمل كان ينقش الجد في ذهن حفيده الصبي أنه سيكون له دور قيادي ينتظره لتحمل أعبائه عندما يكبر ولكن هذا الدور هو إشاعة العلم في الأمة وإذاعة صنوفه وأنواعه.

وقد شهد الإمام الباقر(ع) معركة الطف (سنة ٦١ هـ) وعاش محنتها الكبرى وهو لم يتجاوز الرابعة من عمره حيث يقول: قتل جدي الحسين ولي أربع سنين، وإني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت[2].

وقد روى الكثير من وقائعها برواية معاوية بن عمارة الدهني عنه[3] وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) بسنده عنه بعض صورها وأحداثها[4].

وعلى أية حال فإن تلك المأساة قد تركت -من دون شك- في نفسه أعظم اللوعة والحزن وظلت مأساتها وأشجانها ملازمة له طوال حياته.

---

(١) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٣٨ + سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/٤٠٤ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/٣١.

(٢) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٢/ ٣٢٠ + عيون الأخبار، ابن قتيبة، ١/ ٢١٢ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٥ + تذكرة الخواص، ابن الجوزي، ١٩٢.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ٥/ ٣٤٧-٣٤٩ــ ٣٨٩-٣٩٠.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

ثانياً: أبوه

عاش الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) في كنف أبيه زين العابدين علي بن الحسين بن علي ما يزيد على تسع وثلاثين عاماً وقد لازمه طوال هذه المدة فلم يفارقه[1]، وقد تأثر الإمام الباقر (عليه السلام) بأخلاق أبيه وسجاياه وما طبع عليه هذا الإمام من تقوى وورع وزهد وشدة انقطاع لله وعبادة له، وانطبع كل ذلك في قرارة نفس الإمام الباقر (عليه السلام) كيف لا، وقد شهد لأبيه رجال الفكر والعلم آنذاك على تعظيمه وإكباره وتقديره، وإليك بعض كلماتهم في حقه لترى مدى تأثر أولئك العلماء بهذا الإمام الجليل ناهيك عن تأثر ابنه الإمام الباقر (عليه السلام) به:

قال سعيد بن المسيب (ت: ٩٤ هـ): ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين، وما رأيته إلا مقت نفسي، ما رأيته يوماً ضاحكاً[2].

وقال محمد بن شهاب الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه[3]، وقال أيضاً: ما رأيت أفقه من علي بن الحسين[4].

وقال زيد بن أسلم (ت: ١٣٠ هـ) ما رأيت مثل علي بن الحسين[5].

وقال الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١ هـ) لما أتاه نعي الإمام: ذهب سراج الدنيا، وجمال الإسلام، وزين العابدين[6].

ما تقدم هو بعض كلمات رجال الفكر والعلم من الأعلام التي عكست انطباعاتهم عن الإمام زين العابدين فقد أقروا جميعاً على تقديمه بالفضل والعلم على غيره من علماء عصره ومصره.

---

(١) كشف الغمة، الأربلي، ٣٣١ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٤ + تاريخ الأئمة، ابن أبي الثلج، ٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٢/ ٤٦ + البداية والنهاية، أبو الفداء الدمشقي، ٩/ ١٠٤ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ٢٣.

(٣) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٧/ ٣٠٥.

(٤) حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ٣٠٩ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ٢٣.

(٥) طبقات الفقهاء، الشيرازي، ٣٤.

(٦) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٢/ ٤٨.

أما سمو أخلاقه وحبه للعلم والعلماء وحثه على طلب العلم وعبادته وتقواه وصدقاته وبره وعلمه وفضله فقد أكثر المؤرخون في الكلام عليها والتمثيل لها بنماذج فريدة من بعض صور حياته اليومية ومفرداتها[١].

مما جعلت لديه خزيناً فكرياً رائعاً تجمعت جزئياته وتفصيلاته من تجاربه وتجارب الآخرين وقد حاول أن يصب ذلك الخزين في فكر ولده الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فجعله على شكل وصايا يوصيه بها بين الحين والآخر مطمئناً بأن أولى الناس بالاقتداء بها والسير على هديها هو ابنه الباقر (عليه السلام) لما رباه عليه من التقى والورع والعمل الصالح لوجه الله تعالى، ومن بعض وصاياه له:

قال الإمام زين العابدين لولده الباقر: افعل الخير إلى كل من طلبه منك فإن كان أهلاً فقد أصبت موضعه وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره[٢].

حفلت هذه الوصية بمكارم الأخلاق التي طبعت عليها نفوس أهل البيت، فإن الحث على فعل الخير، والصفح عن المسيء ومقابلة الإساءة بالإحسان كل ذلك كان من ذاتياتهم ومن أبرز ما عرفوا به.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) كان أبي علي بن الحسين يقول لولده: اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل لأن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير[٣].

لقد ربى الإمام علي بن الحسين ولده على محاسن الأعمال وغرس في نفوسهم معالي الأخلاق، ونهاهم عن كل ما يوجب الانحطاط في سلوكية الإنسان بوضع منهج مميز يسيرون عليه في حياتهم على مرضاة الله سبحانه وتعالى وقربه وإلى مَجْدٍ تليدٍ تشهد به الأجيال جيلاً بعد جيل على مر العصور والأيام.

---

(١) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٥١ + مكارم الأخلاق، الطبرسي، ١٤٣ + بحار الأنوار، المجلسي، ٢/ ٨٣ + حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٣٦ + مناقب الطالبين، ابن شهر آشوب، ٤/ ١٤٨.

(٢) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٢٨٢.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٣/ ٢٣٢ + كفاية الأثر، الخزاز، ٣١٩.

وتسلم الإمام الباقر (عليه السلام) بعد وفاة أبيه القيادة الروحية والمرجعية العامة للأمة الإسلامية وقد انتقلت إليه الإمامة والزعامة الدينية عند -الشيعة الإمامية- فهو الإمام الخامس من اثني عشر إماماً[1]، وقد قام الإمام الباقر (عليه السلام) بأداء مهمته على أحسن وجه فنشر العلم وألقى على طلابه من العلماء والفقهاء الدروس الخاصة في شؤون الشريعة الإسلامية وأحكام الدين.

وقلنا فيما تقدم أن الإمام الباقر (عليه السلام) عاش في كنف أبيه تسعاً وثلاثين على ما ذكره أكثر المؤرخين[2] غير أن بعض المستشرقين ذكر أن إقامته مع أبيه دامت تسع عشرة سنة فقط[3]. وهذا القول غير صحيح لأنه ناشئ من قلة التتبع وعدم التثبت في شؤون التاريخ الإسلامي.

ثالثاً: أمه

وهي السيدة الطاهرة فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب[4]، وذكر بعض العلماء أن اسمها زينب بنت الحسن بن علي[5]، وقال بعضهم هي بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[6]، وهذا غير صحيح إطلاقاً لوضوح الاشتباه في ذلك، وكانت تكنى بأم عبد الله ولدها[7]، وأحياناً بأم الحسن وكانت من سيدات نساء بني هاشم، وكان زوجها الإمام زين العابدين يلقبها

---

(1) ظ: الألفين، العلامة الحلي، ٢٠-٢٢ + الدين والإسلام، محمد حسين آل كاشف الغطاء، ١/ ٣٥ + أصل الشيعة وأصولها، آل كاشف الغطاء، ١٠٢ + الاستنصار، الكراجكي، ١٧ + نظرية الإمامة، د. محمود صبحي، ١٤٧.

(2) دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٤ + كشف الغمة، الأربلي، ٣٣١.

(3) عقيدة الشيعة، روايت. م. رونلدس، ١٢٣.

(4) أعلام الورى، الطبرسي، ٢٦٤ + عمدة الطالب، ابن عنبة، ١٨٣ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٤٩ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٥.

(5) غاية الاختصار، بأن زهرة الحسيني، ١٠٤.

(6) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ١٩٠ + الشذرات الذهبية، ابن طولون، ٨١ + وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/٣١٤ + مخطوطة الدر النظيم، ابن حاتم الشامي، الورقة ١٨٥ + دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ٣/ ٥٦٢.

(7) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٣٩ + تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ١٢٥ + تهذيب الأسماء النووي، ١/ ٨٧ + الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢٠ + المحبر، ابن أمية البغدادي، ٥٧ + نزهة الجليس، ابن مكي، ٢/ ٣٦.

بالصديقة[1] ، ويروى من كراماتها أنها كانت عند جدار فتصدع الجدار فقالت : لا وحق المصطفى ما أذن الله لك في السقوط ، فوقف معلقاً حتى جازت -أي مرت- فتصدق عنها علي بن الحسين بمائة دينار[2] .

ويقول عنها حفيدها الإمام جعفر الصادق : كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن مثلها[3] ، وتربى الإمام الباقر (عليه السلام) في حجرها الطاهر وفاضت عليه من نور أشعة روحها الزكية وغذته بمثلها الكريمة حتى صارت من خصائصه ومميزاته .

ولم تتوفر لدينا أية معلومات في المصادر التي استقريناها في دراسة حياة الإمام الباقر (عليه السلام) عن المدة التي عاشها الإمام مع أمه ، فقد أهملت المصادر ذلك كما لم تتوفر لدينا أية معلومات عن سائر شؤونها سوى رواية واحدة عثرنا عليها في طبقات ابن سعد ولم تكن تلك الرواية بذات بال[4] وبهذا يعدُّ الإمام الباقر (عليه السلام) أول علوي من علويين وأول هاشمي من هاشميين .

رابعاً: إخوته

والبحث عن إخوة الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) هو مما تكتمل فيه جوانب من حياة هذا الإمام العالم ، أو مما يضيء بعض الصور من شخصيته ويكشف عن الجو العائلي الذي كان يعيش فيه والذي طالما راح الباحثون المعاصرون يعنون بهذا الجانب لتستكمل لديهم تفصيلات الموضوع المراد بحثه لاعتقادهم أن للجو الأسري إسهاماً فعالاً في تكوين خزين فكري واعتقادي لدى الفرد والجماعات حتى يظهر ذلك على سلوكهم اليومي وتصرفاتهم الحياتية .

فعلاقة الإمام الباقر (عليه السلام) بإخوته كانت علاقة وثيقة للغاية لا يشوبها شيء من النفرة والصدود وكان إخوته يهابونه ويبجلونه لمعرفتهم بمكانته واعترافهم بفضله وسيادته ، أما هو (عليه السلام) فإنه حدد لنا جوانب تلك العلاقة بإجابته عن

---

(1) مخطوطة الدر النظيم، ابن حاتم الشامي، الورقة ١٨٥ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٥.

(2) المصدر نفسه والصفحة + المصدر نفسه والصفحة.

(3) البداية والنهاية، ابو الفداء الدمشقي: ٩/ ٣٠٩ + أصول الكافي الكليني، ١/ ٤٦٩.

(4) ظ: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٥/ ٣٢١.

سؤال وجه إليه : أي إخوانك أحب إليك؟ فأجاب الإمام بأنه لا يفرق بينهم ، وأنه يكنّ لهم جميعاً أعظم المودة والإخلاص قائلاً : أما عبد الله فيدي التي أبطش بها ، وأما عمر فبصري الذي أبصر به ، وأما زيد فلساني الذي انطق به ، وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما[١] .

فبهذه الإجابة قد حدد الإمام معالم الصورة لعلاقته بإخوانه الأربعة فكانت واضحة جلية ، ناهيك عن أنهم كانوا أئمة في الورع والتقوى والصلاح مما كان عاملاً مساعداً آخر في تقريب الإمام لهم وصلته وحنوه عليهم ، فقد روت سلمى مولاة أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فقالت : كان يدخل إليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام ويكسوهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم ، قالت : فأقول له بعض ما تصنع؟ فيقول : يا سلمى ما يؤمل في الدنيا بعد المعارف والإخوان[٢] .

فهو بهذه المحادثة مع مولاته يقطع الطريق أمام من يريد أن يعكر صفو علاقته بإخوته الكرام ، وسنتكلم عليهم بشيء من الاختصار وهم :

زيد بن علي

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب[٣] ، أبو الحسين ، مدني ، تابعي[٤] ، ولد زيد الشهيد سنة ثمان وسبعين للهجرة[٥] وقيل سنة خمس وسبعين[٦] ، روى عن أبيه وأخيه محمد الباقر (عليه السلام) وروى عنه الزهري والأعمش وإسماعيل السدي وغيرهم[٧] .

---

(١) سفينة البحار، عباس القمي، ٢/ ٢٧٣ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٧/ ٣٥٠ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ٦١/١.

(٢) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٣ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٣ + المشرع الروي، الشلي، ١/ ٣٦

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢٥ + مشاهير علماء الأمصار، البستي، ٣

(٤) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٣/ ٤٢٠ + المحبر، البغدادي، ٤٨٣.

(٥) تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٦/ ١٨.

(٦) مشاهير علماء الأمصار، البستي، ٤.

(٧) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٥/ ٣٢٥.

نشأ زيد الشهيد في بيوت النبوة والإمامة وتعاهده أبوه علي بن الحسين بالرعاية والتربية فتأثر بسلوكه وانطبعت في نفسه خصائص الورع والزهد والتقوى والتحرج في الدين، وبعد وفاة أبيه لازم أخاه الإمام الباقر (عليه السلام) صبياً ثم شاباً يافعاً فكان من البدهي أن يكون لهذه الصحبة أثر عظيم في سلوكه وتكوين شخصيته[1].

وقد أخلص الإمام زيد في العبادة والإنابة إلى الله، فكان من أبرز المتقين في عصره، يقول عاصم بن عبيد العامري: رأيته وهو شاب في المدينة يذكر الله فيغشى عليه، حتى يقول القائل ما يرجع إلى الدنيا[2]

وكان يعرف عند أهل المدينة بحليف القرآن، وقد ترك السجود أثره في وجهه لكثرة صلاته طوال الليل[3].

فكان بذلك من عداد كبار العابدين في التاريخ العربي الإسلامي.

أما علمه فقد كان زيد من علماء عصره البارزين في الحديث والفقه والتفسير، وخير ما نستدل به على قولنا هذا هو ما شهد به الإمام الباقر (عليه السلام) نفسه لزيد بالعلم والإيمان أبان حياته، فقد روي أن جابر بن يزيد الجعفي سأل الإمام الباقر (عليه السلام) عن زيد فأجابه: سألتني عن رجل مليء إيماناً وعلماً من أطراف شعره إلى قدمه[4] وفي رواية أخرى قال: إن زيداً أعطى من العلم بسطة[5] وقد تحدث زيد بن علي عن سعة علومه ومعارفه حينما أعد نفسه للثورة على الحكم الأموي فقال: والله ما خرجت ولا قمت مقامي هذا، حتى قرأت القرآن وأتقنت الفرائض و أحكمت السنة والآداب، وعرفت التأويل كما عرفت التنزيل، وفهمت الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، وما تحتاج إليه الأمة في دينها مما لابد لها منه ولا غنى عنه وإني لعلى بينة من ربي[6].

---

(١) حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ٦٣ وما بعدها.

(٢) مقاتل الطالبيين، أبي الفرج الأصفهاني، ١٢٨.

(٣) الخرايج والجرايح، قطب الدين الراوندي، ٢٢٨ + مقاتل الطالبيين، أبي الفرج الأصفهاني، ١٢٨.

(٤) مقدمة مسند الإمام زيد، ٨.

(٥) المصدر نفسه، ٧.

(٦) الخطط والآثار، المقريزي، ٢/ ٤٤٠ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ٦٤.

وقد كان زيد من أعلام الفقهاء وكبار رواة الحديث وقد أخذ علومه من أبيه الإمام زيد العابدين وأخيه الإمام الباقر(عليه السلام) وغذياه بأنواعها وأخذ عنهما الأصول والفروع، وقد أكد ذلك الشيخ محمد أبو زهرة في معرض ردِّه على من قال بأن زيداً تتلمذ لواصل بن عطاء المعتزلي[1].

وكان الإمام الباقر(عليه السلام) يجل أخاه زيداً ويكبره، ويحمل له في نفسه أعمق الود وخالص الحب لأنه توسم فيه أن يكون من أفذاذ العلماء وكبرائهم، وكان هذا الإكبار يتجلى بصور عديدة حفظها لنا المؤرخون والرواة وإليك بعضاً منها:

- روي أن الإمام الباقر(عليه السلام) قال له: لقد أنجبت أم ولدتك يا زيد، اللهم اشدد أزري بزيد[2].

- روى سدير الصيرفي قال: كنا عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر(عليه السلام) فجاء زيد بن علي وهو عرق فقال له أبو جعفر: اذهب فديتك، فادخل بيتك وانزع ثيابك، وصب عليك الماء ثم تعال فحدثني، ففعل ثم جاء زيد فجعل يقول: قلت كذا، وقال كذا، حتى رؤي البِشْرُ في وجه أبي جعفر(عليه السلام) وضرب على كتف زيد، ثم قال: هذا سيد بني هاشم فإذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه[3].

بينت هذه الرواية مدى اهتمام الإمام الباقر(عليه السلام) بأخيه زيد ورعايته له بكل حنو وعطف واحترام، ومن جهة أخرى تحمل في طياتها دعوة الإمام الباقر(عليه السلام) إلى نصرته والذب عنه والحكم بمشروعية ثورته.

قال الشيخ المفيد: وكان زيد بن علي بن الحسين(عليهما السلام) عين إخوته بعد أبي جعفر(عليه السلام) وأفضلهم وكان عابداً ورعاً فقيهاً سخياً شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين(عليه السلام)... وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وكان عمره يومئذ اثنتين وأربعين سنة[4].

---

(١) ظ: الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ٢٢٥ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ٦٥-٦٦.

(٢) عمدة الطالب، ابن عنبة الأصغر، ٢/ ١٢٧ + غاية الاختصار، ابن زهرة، ٣٠.

(٣) غاية الاختصار، ابن زهرة، ١٢٩-١٣٠.

(٤) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٣٠٠ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٤٠.

ومما يجدر الإشارة إليه أن بعض المؤرخين الكبار ذكر أن زيداً شاور أخاه الإمام أبا جعفر الباقر (عليه السلام) في الخروج إلى العراق لإعلان الثورة على الأمويين، فأشار عليه الإمام بأن لا يركن لأهل الكوفة لسابقة الغدر فيهم فأبى زيد إلا ما عزم عليه من المطالبة بالحق، فقال له الإمام الباقر: أخاف أن تكون غداً المصلوب بكناسة الكوفة، وودعه أبو جعفر وأعلمه أنهما لا يلتقيان[1].

وهذا الكلام غير صحيح تاريخياً لأنه ثبت فيما تقدم أن وفاة الإمام الباقر (عليه السلام) على أرجح الأقوال كانت سنة أربع عشرة ومائة واستشهد زيد على أصح الروايات سنة اثنتين وعشرين ومائة، أما إذا أريد من هذا الكلام أنه كان يحدث نفسه بالثورة أيام حياة الإمام الباقر (عليه السلام) فان هذا لا يستبعد أبداً ومهما يكن من أمر فان تفاصيل تلك الثورة وحيثياتها ليس لها علاقة بموضوع رسالتنا فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها في مظانها.

الحسين الأصغر

هو الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) يكنى أبا عبد الله[2]، تابعي، مدني[3]، أمه أم ولد[4].

كان من مفاخر الأسرة الهاشمية، وكان من العلماء البارزين في عصره، روى حديثاً كثيراً عن أبيه، وعمته فاطمة بنت الحسين وأخيه الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)[5]، وكان حليماً وقوراً تمثلت فيه هيبة المتقين الصالحين.

ووصفه الإمام الباقر (عليه السلام) فيما تقدم بقوله: وأما الحسين فحليم يمشي على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. وكان ورعاً، تقياً شديد الخوف من الله تعالى يقول سعيد صاحب الحسين بن صالح: لم أر أحداً أخوف

---

(١) مروج الذهب، المسعودي: ٣/ ١٣٩ + تاريخ ابن الأثير: ٤/ ٢١٧.

(٢) الرجال، الطوسي، ٥٤ + معجم رجال الحديث، الخوئي: ٤/ ٤٣-٤٤.

(٣) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٩.

(٤) عمدة الطالب، ابن عنبة الأصغر: ٢/ ٢٩.

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢٤ + الإرشاد، الشيخ المفيد: ٣٠٠ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٤٢ + غاية الاختصار، ابن زهرة، ١٥٢.

من الله من الحسين بن صالح حتى قدمت المدينة فرأيت الحسين بن علي بن الحسين فلم أر أشد خوفاً منه كأنما أدخل النار ثم أخرج منها من شدّة خوفه[1].

وروى أحمد بن عيسى عن أبيه قال: كنت أرى الحسين بن علي يدعو فكنت أقول: لا يضع يده حتى يستجاب له في الخلق جميعاً[2].

فكان كأبيه في إقباله على الله، وزهده في الحياة الدنيا، وتحرجه في الدين، توفي (رحمه الله) في المدينة المنورة سنة سبع وخمسين ومائة للهجرة ودفن بالبقيع عن عمر يناهز الرابعة والسبعين مجاوراً لأبيه زين العابدين وأخيه الإمام الباقر[3].

عبد الله الباهر

هو عبد الله بن علي بن الحسين بن أبي طالب[4]، وهو أخو الإمام الباقر (عليه السلام) لأمه وأبيه وهو من مفاخر أبناء الهاشميين في علمه وورعه وتقواه، لقب بالباهر لجماله وحسنه يقول المؤرخون: إنه ما جلس مجلساً إلا بهر جماله، وما رآه أحد إلا هابه وأكبره[5].

كان من العلماء البارزين فقد عنى بتربيته أبوه الإمام زين العابدين فغذاه بعلومه وفضله وتأثر بأخيه الإمام الباقر، يقول الشيخ المفيد: إنه كان من فقهاء أهل البيت وروى عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخباراً كثيرة، وحدث الناس وحملوا عنه الآثار[6].

ويقول ابن حجر العسقلاني: روى مرسلاً عن جده علي بن أبي طالب وعن جده لأمه الحسن بن علي وروى عنه عمارة بن غزية وموسى بن عقبة وعيسى بن دينار ويزيد بن أبي زياد، وذكره ابن حبان في الثقاة وصحح الترمذي حديثه والحاكم[7].

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٣٠٢ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٦/ ٤٤.

(٢) عمدة الطالب، ابن عنبة الأصغر، ٢/ ٢٩.

(٣) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ٦/ ٤٤.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢٤ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٤٠ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٣٠٠.

(٥) عمدة الطالب، ابن عنبة الأصغر، ٢/ ٢٧.

(٦) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٣٠٠.

(٧) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٥/ ٣٢٤.

تولى عبد الله الباهر بالنيابة عن إخوانه صدقات النبي (ﷺ) وصدقات الإمام أمير المؤمنين وتوزيع وارداتهما[١]. توفي وله من العمر سبع وخمسون سنة[٢]. ولم تعين لنا المصادر تاريخ وفاته والمكان الذي دفن فيه.

عمر الاشرف

هو عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٣]، وأمه هي أم ولد أولدت لعلي بن الحسين عمراً وزيداً وعلياً، وكان يكنى أبا علي، وقيل أبا جعفر[٤]، وقال الشيخ الطوسي: يكنى أبا حفص[٥]، لقب بالأشرف تمييزاً له من عم أبيه عمر الأطرف، وذلك لما ناله من شرف وفضيلة بالنسبة لولادة جده الحسين بن علي بن أبي طالب من سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء خلافاً لعمر الأطرف فانه نال الشرف من طرف أبيه الإمام علي، يقول الخوئي: أقول: وهو أشرف من الأطرف بحسبه وفضله وورعه أيضاً[٦].

قال الشيخ المفيد: وكان عمر بن علي بن الحسين فاضلاً، جليلاً وولي صدقات رسول الله (ﷺ) وصدقات أمير المؤمنين وكان ورعاً، سخياً، فعن الحسين بن زيد قال: رأيت عمي عمر بن علي بن الحسين يشترط على من ابتاع صدقات عليّ أن يثلم في الحائط كذا وكذا ثلمة ولا يمنع من دخله ليأكل منه[٧].

علي

هو علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وهو آخر إخوان الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وقد ذكره صاحب عمدة الطالب فقط وذكر إنه توفي

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٣٠٠.

(٢) الرجال، الطوسي، ٤٤٩ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٢/ ٥٣-٥٤.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢٥ + غاية الاختصار، ابن زهرة، ١٣٠.

(٤) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٣٠٠.

(٥) الرجال، الطوسي، ٣٤٢.

(٦) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/٥٤.

(٧) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٣٠٠.

بينبع[1] ودفن بها وله من العمر ثلاثون سنة[2]. غير أنني لم أجد له ترجمة تذكر في حدود ما اطلعت عليه من المصادر. وبه ينتهي البحث عن إخوة الإمام الباقر.

خامساً: أبناؤه

كان أبناء الإمام الباقر (عليه السلام) خير من يجسد تربية الأب ورعايته قولاً وفعلاً، لأن الإمام رباهم على مكارم الأخلاق وغرس في نفوسهم قيمه ومثله العليا المتمثلة بتقوى الله تبارك وتعالى فكانوا امتداداً مشرفاً لذاته التي طبقت الدنيا أخبارها ومآثرها وكانوا من مفاخر أبناء المسلمين في هديهم وصلاحهم وابتعادهم عن دنس الحياة الدنيا وادرانها، وذريته من الذكور هم:

- **إبراهيم وعبيد الله**: وأمهما أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الاخنس الثقفي، توفيا في حياة أبيهما[3]، ولم أعثر على معلومات عنهما.

- **الإمام جعفر بن محمد الصادق** (ت: ١٤٨ هـ)، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[4]، وهو سيد ولد أبيه، ووصيه والإمام القائم من بعده -عند الشيعة الإمامية- لأنه سادس أئمتهم الاثني عشر، والكلام عليه يستدعي التطويل والاستفاضة فقد ألف العلماء المعاصرون مؤلفات خاصة عن حياته وأثره في العلوم فمن أراد الاطلاع فليراجع مصادر ترجمته[5].

---

(١) ينبع: يقع عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر، وهي لبني الحسن فيها عيون عذاب غزيرة، وقال بعضهم: إنه حصن به نخيل، وماء وزروع، وبها وقوف للإمام علي يتولاه ولده. ظ: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٥/ ٤٥٠.

(٢) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ١/ ٢٢٠ + دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، محسن الأمين، ٢١/ ٧٣.

(٣) مخطوطة الدر النظيم، ابن حاتم، رقم الورقة ١٩ + مخطوطة مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج ٥/ الورقة ٧٩ + أعلام الورى، الطبرسي، ٢٧٠ + الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢٠ + الإرشاد، الشيخ المفيد ٣٠٣.

(٤) تهذيب الكمال، المزي، ٧٥ + الكافي، الكليني، ١/ ٤٧٢ + دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، محسن الأمين، ٢١/ ٧١.

(٥) راجع في ترجمته: تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ١٠٣ + شذرات الذهب، ابن العماد، ١/ ٢٢٠ + وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١/ ٢٩١ + اللباب ابن الأثير، ٢/ ٤٤ + النجوم الزاهرة، ابن تغرى بردي، ١/ ٨ + العبر، الذهبي، ١/ ٢٠٩ + العفو والاقتدار، العبدي، ٢/ ٥٦٨ + جعفر بن محمد الصادق، عبد العزيز السيد الأهل، ٤٠ + الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ١/ ٤١٢ - ٤٣٣.

- **عبد الله بن محمد الباقر**، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق وهو أخ الإمام الصادق لأمه وأبيه[1].

قام أبوه بتربيته وعنى في تأديبه فكان من أفاضل العلويين وأنبههم غير إننا لم نقف على ترجمته في المصادر سوى وقوفنا عن كيفية موته فقال المؤرخون: إنه دخل عليه رجل من بني أمية فأوجس منه عبد الله خيفة وقال له: لا تقتلني أكن لله عليك عيناً، وأكن لك على الله عوناً[2]. فلم يأبه بذلك هذا الأموي وأجبره على تناول السم، فلما سقي تقطعت أمعاؤه ولم يلبث إلا قليلاً حتى فارق الحياة[3].

- **علي بن محمد الباقر**: عاش في كنف أبيه، وتربى على هديه وسلوكه فنشأ مثالاً للفضل والعلم، ولم تنقل لنا المصادر التي بأيدينا شيئاً غير أنه لقب بالطاهر لطهارة نفسه وعظيم شأنه وقال العلماء: مشهد الطاهر يقع في قرية من أعمال الخالص قريبة من بغداد وظهر فيها قبر قديم عليه صخرة مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ضريح الطاهر علي بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقد انقطع باقي الصخرة فبنى عليه قبة من لبن ثم عَمَّرَهُ شيخ من الكتّاب يقال له علي بن نعيم كان يتولى كتاب الديوان الخالص، فزوقه وزخرفه، وعلّق فيه قناديل من الصفر، وبنى حوله رحبة واسعة وصار من المشاهد التي تزار[4]. وهو آخر أبناء الإمام الباقر.

وما أهمل أصحاب التراجم والسير ذكر أحوال أبناء الإمام الباقر (عليه السلام) عن عمد وقصد بل لأنهم قد انشغلوا بتسجيل مآثر ولده الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وعلومه لأنهم عَدّوه من حسنات الإمام الباقر (عليه السلام) التي أحسن بها على المسلمين والإنسانية جمعاء.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢٠ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٣٠٣.

(٢) معنى قوله: وأكن لك على الله عوناً: أي أكن لك شفيعاً عند الله. ظ: حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ٩٢.

(٣) غاية الاختصار، ابن زهرة، ٩٤ + سفينة البحار، عباس القمي، ١/ ٣٠٩ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ٢٠٢ + ذخائر العقبى، محب الدين الطبري، ٥٢.

(٤) غاية الاختصار، ابن زهرة، ٩٣ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٣٠٣ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ٩٣.

وأما السيدات من بنات الإمام الباقر (عليه السلام) فهن: السيدة زينب وأمها أم ولد، والسيدة أم سلمة وأمها أم ولد أيضاً[1]، وقيل أن بناته هن زينب الكبرى وزينب الصغرى وأم كلثوم[2]. إلا أن الراجح بين العلماء هو القول الأول لقول أغلب العلماء.

وقد نقل أن ابنته أم سلمة مرض أحد ولدها ففزعت إلى الإمام فزعة فأمرها أن تصعد فوق سطح البيت وتصلي ركعتين وتدعو بهذا الدعاء: اللهم إنك وهبته لي، ولم يكن شيئاً، اللهم وإني استوهبكه فاعرنيه، ففعلت ذلك فعافاه الله[3].

وأخيراً انتهى البحث عن أسرة الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، وكان فيه من الإيجاز ما لم يخل به أو يجعله فاقداً لمعلومة ما والذي دعانا لهذا الإيجاز هو ما قلناه في المقدمة هو أن بعض الباحثين قد استوفوا حياته الشخصية فلا نزيد على ما كتبوه في ذلك بل نكتفي بما تقدم.



المبحث الرابع

صفاته وتكامل شخصيته

❖ المطلب الأول: صفته في خلقه ولباسه:

أولاً: صفته في خلقه

ذكر بعض المترجمين للإمام الباقر (عليه السلام) أوصافه الجسدية والخلقية، غير أنها لم تكن بالكافية في بابها مما اضطرنا إلى ذكر نصوص أخرى عن لباسه من جبة وعمامة وغير ذلك لكي نستطيع أن نقرب صورة الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٢٣٠+ مخطوطة مراة الزمان، سبط ابن الجوزي، ٥/ الورقة ٨٧.

(٢) صفوة الصفوة، ٢/ ٦٢ + الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٢٩٨.

(٣) سفينة البحار، عباس القمي، ١/ ٣٠٩ + بصائر الدرجات، ابن الصفار، ٩٢.

من الأذهان قدر المستطاع لما فيه من فائدة لا تخفى في مجال الحديث عن معظم أو كل الجوانب والتفصيلات في حياة هذا الإمام، والذي ظفرنا به في بطون أمهات المصادر التي استقصيناها بحثاً عن شذرات مضيئة في حياته - هو نصان فقط:

الأول: إنه(عليه السلام) كان ربع القامة، رقيق البشرة، جعد الشعر، أسمر، له خال على خده، وخال آخر على جسده، ضامر الكشح، حسن الصوت، مطرق الرأس[1].

الثاني: إنه كان أسمراً معتدلا[2].

ونستطيع أن نستخرج وصفاً خلقياً آخر للإمام ولكنه إجمالي من خلال المحاورة التي كانت بينه وبين محمد بن المنكدر والتي قال قبلها ابن المنكدر ما نصه (. . . وكان رجلاً بادناً. . .)[3] غير أن هذا كان في أخريات أيامه، وإذا ما ربطنا بين صفته وأحد ألقابه استطعنا أن نضع صورة تقريبية للإمام الباقر(عليه السلام) وهي أنه لقب بالشبيه[4] للشبه الكبير الذي بينه وبين جده رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وقد يرد أنه إنما شبه بصفاته الأخلاقية وليس الخلقية، هذا صحيح، ولكن أياً كان الأمر فإنه يشبه جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) في كلتا الصفتين أو هو قريب من أن يكون يشبهه(صلى الله عليه وآله) وكان على جبهة الإمام الباقر(عليه السلام) وأنفه أثر السجود، وذكر ابن سعد بسنده عن هارون بن عبد الله بن الوليد المعيصي قال: رأيت محمد بن علي على جبهته وأنفه أثر السجود وليس بالكثير[5]. وروي عن ثوير بن فاختة أنه قال: قال أبو جعفر: يا أبا الجهم بما تخضب؟ قلت: بالحناء والكتم قال: هذا خضابنا أهل البيت[6]، وهناك نصوص بمضمونه[7].

---

(١) المناقب: ابن شهر آشوب، ٢/ ٣٦ + أعيان الشيعة، محسن الأمين، ق ١/ ٤/ ٤٧١.

(٢) أخبار الدول، الذهبي، ١١١ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٣ + نور الأبصار، الشبلنجي الشافعي، ١٣١.

(٣) أعلام الورى، الطبرسي، ٢٦٩.

(٤) مخطوطة الدر النظيم، ابن حاتم، ورقة ١٨٥ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ٩٤

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢١.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٧) ظ: المصدر نفسه والصفحة.

ثانياً: صفته في لباسه

كان الإمام الباقر (عليه السلام) يفضل اللون الأصفر في لباسه تيمناً بما ذكره القرآن الكريم عن هذا اللون، فقد روي عنه أنه قال انتعل بنعال أصفر، لأنه سينظر إليك بسرور ما دمت متنعلة لقوله تعالى: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾[1][2]. وروى أبو نعيم الأصفهاني بسنده عن عبد الله بن يحيى قال: رأيت على أبي جعفر محمد بن علي إزاراً أصفر[3].

وكان (عليه السلام) لا يرى بأساً في العلم بالثوب الذي لا يخرجه عن حد التواضع والخشونة فقد روي أنه كان يلبس الخز المعصفر ويقول: لا بأس بالإصبع أو الإصبعين من العلم بالبريسم على الثوب[4]. وسئل يوماً عن ملبسه برواية جابر الجعفي عنه قال: إنا آل محمد نلبس الخز[5] والمعصفر[6] والممصر[7] واليمنة[8]. وفي رواية أخرى عن جابر عنه قال: إنا آل محمد نلبس الخز واليمنة والمعصفرات والممصرات[9] وروي عن إسرائيل عن عبد الأعلى قال: إنه رأى محمد بن علي يرسل عمامته خلفه[10]. هذه بعض أوصاف الإمام الباقر (عليه السلام) حول خلقه ولباسه والتي بحثنا عنها جاهدين في كتب التراجم والسير فكانت اقل مما نتصور ولكنها أفضل بكثير من عدم العثور على شيء في شأن هذه الأوصاف.

---

(١) البقرة/ ٦٩.

(٢) الكافي، الكليني، ٢/ ٢٦ + تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٧٦.

(٣) حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ٢٨١.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢١ + مخطوطة مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، ٥/ الورقة/ ٧٩.

(٥) الخز: معروف من الثياب، مشتق منه، عربي صحيح، وهو من الجواهر الموصوف بها والجمع خزوز. ظ: لسان العرب، ١٥/ ٣٤٥.

(٦) المعصفر: العصفر نبات سلافته الجريال وهي معربة، والعصفر هذا الذي يصبغ به، منه ريفي ومنه بري، وكلاهما نبت بأرض العرب، وقد عصفرت الثوب فتعصفر، ظ: لسان العرب، مادة عصفرة، ١٥/ ٣٤٧.

(٧) الممصر: ثوب ممصر: مصبوغ بالطين الأحمر. لسان العرب، مادة مصر، ١٥/ ٤٠٦.

(٨) اليمنة: ضرب من برود اليمن: قال: واليمنة المعصب. ظ: لسان العرب، مادة يمن.

(٩) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢١ + الكافي، الكليني، ٢/ ٢٠٦ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢/ ٢٦٣.

(١٠) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٢١.

❖ المطلب الثاني: صفاته في عبادته وسماته في أخلاقه :

أولاً: عبادته في صلاته ومناجاته وحجه

كان الإمام الباقر (عليه السلام) من أئمة المتقين وكبار العابدين في زمانه، عرف الله تبارك وتعالى معرفة استوعبت نفسه وسيطرت على أعماق وجدانه فكان من أبرز العارفين، أقبل على ربه بقلب منيب وأخلص في طاعته أعظم ما يكون الإخلاص، متوجهاً في سرائه وضرائه إلى بارئه (عز وجل)، متوكلاً عليه في كل أعماله، شأنه في ذلك شأن كل من أخلص لعبادة ربه وأظهر خالص وده وحبه لله تعالى لا تشوبه شائبة من طمع في جاه أو مال، وكيف لا يكون كذلك وهو ابن علي بن الحسين الذي عُدَّ من أعاظم الزهاد والعباد حتى لقب بزين العابدين، الذي كانت كل ذرة من جسده تنطق بتوحيد الله وتنزيهه وتسبيحه وتقديسه، وقد تربى الإمام الباقر (عليه السلام) في حجر هذا العابد الزاهد فكان نتاجاً من نوع خاص، فقد روى المؤرخون: أن الإمام أبا جعفر الباقر (عليه السلام) كان إذا أقبل على الصلاة أو وقف يصلي ارتعدت فرائصه واصفر لونه[1] من خشيته لله تعالى وتعظيمه له وتلك هي ميزة العارف لما تكشف له من قدرة الباري (عزَّ وجلَّ) وقوته من جانب، ومن جانب آخر إمعاناً منه في إظهار شكره لله تعالى خالق الأكوان ومبدعها ومنظم الحياة وموهبها، فكانت عبادة الإمام الباقر (عليه السلام) هي عبادة المتقين والمنيبين في أروع صورها وأنقاها، وكانت الصلاة هي خير ما يترجم الإمام بها تلك العبادة والإنابة.

فقد روى المؤرخون: أن الإمام أبا جعفر الباقر (عليه السلام) كان يصلي مائة وخمسين ركعة في اليوم والليلة[2] لا تشغله عنها مشاغل الحياة، ولا الشؤون العامة من الاهتمام بأمور المسلمين ومن إلقائه لدروسه في المسجد النبوي الشريف

---

(١) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٤٤ + الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، ١٢٣.

(٢) تذكرة الخواص، ابن الجوزي، ١٩٠ + تاريخ ابن الوردي، ١/ ٥٤٨ + تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ١٢٥ + حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨٢ + تاريخ الإسلام، الذهبي، ٢/ ٣٠٠.

على طلابه وتلامذته ولا الشؤون الخاصة التي كان يديرها الإمام بنفسه، لأنه كان يكد على عياله ويباشر أعماله بيديه وبالرغم من ذلك كله فقد أثر عنه أيضاً أدعية غاية في إظهار العبودية لله سبحانه وتعالى والافتقار إليه وخاصة تلك التي كان يدعو بها الإمام أثناء سجوده، ومن المعروف للجميع أن العبد أقرب ما يكون إلى ربه أثناء سجوده، فكان(عليه السلام) في سجوده ينقطع عن الدنيا وما فيها وينشغل بقلبه وعقله بمناجاته لربه مظهراً له كامل الانقطاع والإخلاص فقد ورد عنه في هذا المجال أدعية كثيرة كلها تظهر مدى انقطاعه لله ومدى خضوعه وتقواه إلا أننا سنختار بعض النماذج منها للاستدلال على ما قلناه:

- روي بسند صحيح عن اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: كنت أُمهد لأبي فراشه فأنتظره حتى يأتي، فإذا أوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي، وقد أبطأ عليَّ ذات ليلة فأتيت المسجد في طلبه وذلك بعد ما هدأ الناس، فإذا هو في المسجد ساجد وليس في المسجد غيره فسمعت حنينه وهو يقول: سبحانك اللهم أنت ربي حقاً حقاً، سجدت لك يا ربي تعبداً ورقاً، اللهم إن عملي ضعيف فضاعفه لي، اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم[1].

- وروي أيضاً بسند صحيح عن أبي عبيده الحذاء في دعاء الإمام الباقر(عليه السلام) أثناء سجوده في إحدى صلواته الرباعية قال: سمعت أبا جعفر يقول وهو ساجد: أسألك بحق حبيبك محمد(صلى الله عليه وآله) إلا بدلت سيئاتي حسنات وحاسبني حساباً يسيراً. في السجدة الأولى، ثم قال في السجدة الثانية: أسألك بحق حبيبك محمد(صلى الله عليه وآله) إلا ما كفيتني مؤنة الدنيا، وكل هول دون الجنة، ثم قال في السجدة الثالثة: أسألك بحق حبيبك محمد(صلى الله عليه وآله) لما أدخلتني الجنة، وجعلتني من سكانها، ولما نجيتني من سفعات النار برحمتك، وصلى الله على محمد وآله[2].

---

(١) الكافي، الكليني، ٣/ ٣٢٣.

(٢) الكافي، الكليني، ٣/ ٣٢٢.

ويمكن أن نستفيد من هذه الأدعية في سجود الإمام الباقر (عليه السلام) أنه يتضرع إلى الله تعالى بشفاعة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وأنه كان لا يقتصر على دعاء واحد بل ينوع بأدعيته وإن كان العمل العبادي واحداً وما ذاك إلا توضيح منه لشدة تعلقه بالله وعظيم إنابته إليه.

وأما الحديث عن أدعيته أثناء قنوته في صلواته فقد كانت تستلهم ما في القرآن الكريم من تعابير بلاغية، فأثرت عنه مجموعة لا بأس بها من هذه الأدعية لعلمه أن أفضل العبادة الدعاء فقد روي عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قوله في شأن الدعاء: . . . ما من شيء أحب إلى الله (عزَّ وجلَّ) من أن يسأل وما يدفع القضاء إلا الدعاء[1].

بهذه العقلية التعبدية كان ينظر الإمام الباقر (عليه السلام) لمفهوم الدعاء وإليك بعض النماذج من أدعيته المباركة:

- يقول الإمام الباقر: اللهم إن عدوي قد استسن في غلوائه واستمر في عدوانه، وأمن بما شمله من الحلم عاقبة جرأته عليك، وتمرد في مباينتك، ولك اللهم لحظات سخط بياتاً وهم نائمون، ونهاراً وهم غافلون، وجهرة وهم يلعبون، وبغتة وهم ساهون، وإن الخناق قد اشتد، والوفاق قد احتد، والقلوب قد محيت والعقول قد تنكرت والصبر قد أودى وكادت تنقطع حبائله، فإنك لبالمرصاد من الظالم ومشاهدة الكاظم، لا يعجلك فوت درك، ولا يعجزك احتجاز محتجز، وإنما مهل استثباتاً، حجتك على الأحوال البالغة الدامغة، وبعيدك ضعف البشرية وعجز الإنسانية ولك سلطان الإلهية وملك البرية، وبطشة الأنات، وعقوبة التأبيد . . .[2].

يتبين من هذا الدعاء أن الإمام الباقر (عليه السلام) قد سلم أمره لله تعالى وشكا إليه قلة حيلته في مضايقة بعض الناس له مع إظهاره للحلم والأناة والصبر على البلاء وقد كان همه ما يشغل المسلمين دون الدعاء لنفسه مبيناً بعض الجوانب السلبية في

---

(١) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٣ + حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨٨ + المشرع الروي، الشلي، ١/ ٣٧ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٢٩.

(٢) مهج الدعوات، ابن طاووس، ٥١.

ابتعاد الناس عن الله وانغماس بعضهم في ملاذ الحياة الدنيا طالباً من الله تعالى هدايتهم، وكذلك وضح الإمام في هذا الدعاء بعض الأمور السياسية آنذاك.

وإليك لوناً آخر من أدعية الإمام يتوجه به إلى الله تعالى خاضعاً، خاشعاً، طالباً لغفرانه، راجياً قبول توبته.

– فيقول: اللهم يا صريخ المكروبين ويا مجيب دعوة المضطرين، يا كشف الكرب العظيم، يا أرحم الراحمين اكشف كربي وهمي فإنه لا يكشف الكرب إلا أنت فقد تعرف حالي وحاجتي وفقري وفاقتي فاكفني ما أهمني وما غمني من أمر الدنيا والآخرة بجودك وكرمك، اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وفي نعمتك أصبحت وأمسيت وذنوبي بين يديك أستغفرك وأتوب إليك، اللهم إني أسألك من حلمك لجهلي ومن فضلك لفاقتي ومن مغفرتك لخطاياي، اللهم إني أسألك الصبر عند البلاء والشكر عند الرجاء، اللهم اجعلني أخشاك إلى يوم ألقاك، حتى كأني أراك، اللهم أوزعني أن أذكرك كي لا أنساك ليلاً ولا نهاراً ولا صباحاً ولا مساءً آمين يا رب العالمين[1].

– ويقول في دعاء آخر: اللهم إني عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، مجزل في فضلك وعطائك، اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني، وذهاب همي، اللهم إني أسألك يا أكبر من كل كبير، يا من لا شريك له ولا وزير، يا خالق الشمس والقمر المنير، يا عصمة الخائفين وجار المستجيرين ويا مغيث المظلوم الحقير ويا رازق الطفل الصغير ويا مغني البائس الفقير، يا جابر العظم الكسير، يا مطلق المكبل الأسير، يا قاصم كل جبار عنيد اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً ويسراً وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب إنك سميع الدعاء ياذا الجلال والإكرام[2].

---

(١) مهج الدعوات، ابن طاووس، ٥٢.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

وكان الإمام الباقر (عليه السلام) يردد بين أصحابه وتلامذته عبارة تنم عن مدى تعلقه بمحبة الله سبحانه وتعالى وانقطاعه إليه ، فقد روي أنه قال : إذا بلغ الرجل أربعين سنة نادى مناد من السماء : دنا الرحيل فأعد زاداً[1] .

وما الزاد الذي أراده الإمام غير تقوى الله والابتعاد عن نواهيه والامتثال لأوامره ، فخير الزاد التقوى .

وكان كثيراً ما يناجي ربه في جوف الليل ويتضرع إليه مظهراً أرقى معاني العبودية لله تعالى ، فقد روى عنه ابنه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال : كان أبي يتضرع لله سبحانه وتعالى في جوف الليل ويقول في تضرعه : أمرتني فلم أأتمر ، وزجرتني فلم أنزجر ، ها أنا ذا عبدك بين يديك ولا أعتذر[2] .

وما هذه المناجاة إلا صورة رفيعة من صور الاعتذار والإنابة لأن الاعتراف بالتقصير إزاء نعم الله سبحانه وتعالى ما هو إلا اعتراف بذنب ثم لتوبة عنده (عز وجل) .

أما عن حجه فإنني لم أظفر -في حدود ما اطلعت عليه- سوى على ثلاثة نصوص ، اثنان منها بينت بعض محاورات الإمام الباقر (عليه السلام) مع هشام بن عبد الملك[3] ، والآخر مع بعض الحجاج الذين يستغلون فرصة وجود الإمام للسؤال والاستفسار[4] ، والنص الثالث هو الوحيد الذي أعطانا بعض الجوانب مع حج الإمام الباقر (عليه السلام) ونراه يكفي ليوضح لنا مدى انقاطعه لله مظهراً آثار الخشوع والطاعة عليه ، فقد روي عن أفلح مولاه قال : خرجت مع محمد بن علي حاجاً فلما دخل المسجد الحرام نظر إلى البيت فبكى حتى علا صوته ، فقلت : بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو رفقت بنفسك قليلاً ، فلم يعن به الإمام وراح

---

(1) ربيع الأبرار، الزمخشري، ٢/ ٤٢٥.

(2) حلية الأولياء، الأصفهاني، ١٨٢/٣ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٣ + نور الأبصار، الشبلنجي الشافعي، ١٣٠.

(3) ظ: مخطوطة الدر النظيم، ابن حاتم، الورقة ١٨٥ + المشرع الروي، الشلي، ٢/ ٣٣٨ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٦.

(4) البداية والنهاية، أبي الفداء الدمشقي، ٩/ ٣١١ + دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري، ١٠٤ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٦.

يقول له: ويحك يا أفلح لم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر إلي برحمة فأفوز بها عنده غداً، قال: ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى ركع عند المقام فرفع رأسه من سجوده فإذا موضع سجوده مبتل من دموع عينيه[1].

بهذا النص توضح لدينا أنه(عليه السلام) كان غاية في الورع والتقوى وشدة الخشية لله تعالى حتى كأن ذنوب العالم -حاشا لله- قد ركبت ظهره وأثقلت كاهله لجرمه وجريرته ولكنه التأدب مع الله سبحانه وتعالى وزيادة الإيمان به والمعرفة له لأن العبد كلما أصبح قريباً منه تبارك وتعالى ازداد وجلاً وخشية وتضرعاً من جهة وإنه أراد أن يؤدب طلابه وتلامذته ومريديه والمسلمين جميعاً ويعلمهم كيفية الوقوف بين يدي الباري (عز وجل) من جهة أخرى، فكان بذلك نبراساً وهاجاً يضيء ظلمة القلوب والجوارح.

أما عن ذكره لله سبحانه وتعالى فيقول مؤرخوا سيرته إنه كان دائم الذكر لله، وكان لسانه يلهج بذكر الله في أكثر أوقاته فكان يمشي ويذكر الله، ويحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكره سبحانه، وكان يجمع ولده ويأمرهم بذكر الله حتى تطلع الشمس كما كان يأمرهم بقراءة القرآن، ومن لا يقرأ منهم أمره بذكر الله[2].

ثانياً: سماته في أخلاقه وسجاياه

تميز الإمام الباقر(عليه السلام) بصفات أهلته بأن يكون موئل العلماء ومقصد الناس جميعاً في كل طبقاتهم وشرائحهم ومعتقداتهم، وهذه الصفات أكثر ما كانت تدور عليه هي تلك الأخلاق الرفيعة التي سَمَتْ به عن كل ما يشوب شخصيته المتميزة فكان يعدُّ بحق من أجل الناس قدراً بشهادة العلماء والفضلاء من أقرانه ومعاصريه وكذلك ممن جاء بعدهم ويمكن أن نحصر تلك الصفات إجمالاً بما يأتي:

---

(١) ظ: مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٤٤ + مخطوطة مراة الزمان، سبط ابن الجوزي، ج ٥/ الورقة ٧٩ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٣ + نور الأبصار، الشبلنجي الشافعي، ١٣٠.

(٢) أعيان الشيعة، محسن الأمين، ق ٤٧١/٤/١.

١- ذكاؤه المبكر:

كان الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) منذ حداثته متميزاً بالنبوغ والذكاء مشهوراً به بين العلماء، فقد روى بعض المؤرخين أن الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري على شيخوخته -كان في بعض الأحيان- يختلف إلى مجلسه ويسمع منه وقد بهر جابر من سعة علوم الإمام ومعارفه وطفق يقول: يا باقر لقد أوتيت الحكم صبياً[١].

وقد عرف بقايا الصحابة ما يتمتع به منذ نعومة أظافره من العلم والفضل من العلم والفضل فكانوا يرشدون المسلمين إليه، على الرغم من صغر سنه ليبينوا لهم فضل أهل البيت، فقد روي أن رجلاً سأل عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) عن مسألة فقال للرجل: اذهب إلى ذلك الغلام -وأشار إلى الإمام الباقر (عليه السلام)- فاسأله، وأعلمني بما يجيبك فبادر نحوه وسأله فأجاب الإمام الباقر (عليه السلام) عن مسألته وخف الرجل إلى ابن عمر فأخبره بجواب الإمام وراح ابن عمر يبدي إعجابه بالإمام قائلا: إنهم أهل بيت مفهمون[٢].

وروى المؤرخون أن الإمام الباقر (عليه السلام) كان عمره تسع سنين، وقد سئل عن بعض أدق المسائل فأجاب عنها بكل تمكن، وإذا يَنُمُّ ذلك عن شيء فإنما يَنمُّ عن ذكائه المبكر الذي تميز به، وقد روى الإمام الباقر (عليه السلام) عن جابر وابن عمر وغيرهما مما ذكر في محله من هذه الرسالة.

٢- هيبته في القلوب ووقاره

وبدت على ملامح الإمام الباقر (عليه السلام) هيبة العلماء والفضلاء ووقارهم، فما جلس معه أحد إلا هابه وأكبره لما كان يتسم به من الصفات التي أهلته لذلك، فقد روي عن أبي حمزة الثمالي في خبر قال فيه: لما كانت السنة التي حج فيها أبو جعفر محمد بن علي ولقيه

---

(١) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ٢٣٤ + حياة الإمام الباقر، باقر القرشي، ١/ ٢٧.

(٢) المناقب، ابن شهر آشوب، ٤/ ١٤٧.

هشام بن عبد الملك، أقبل الناس ينثالون على الإمام ليسألوه عن أمور دينهم، وكان عكرمة البربري[1] من الحجاج فلما رآه قال: من هذا الذي عليه سيماء زهرة العلم، لأجربنه. فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائصه وأسقط، في يده وقال: يا بن رسول الله(ﷺ) لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره فما أدركني ما أدركني آنفاً، فأجابه الإمام بما يطيب خاطره ويخفف من روعه وارتباكه[2].

وكذلك ما جرى بينه وبين قتادة بن دعامة فقيه أهل البصرة عندما تشرف في مقابلته على ما رواه العلماء[3].

وروى عبد الله بن عطاء المكي فقال: ما رأيت العلماء قط أصغر منهم عند أبي جعفر[4].

فهذه الرواية توضح لنا جانباً آخر من جوانب هيبة الإمام ووقاره، ومما رواه أكثر المؤرخين أن الإمام الباقر (عليه السلام) لم يُرَ ضاحكاً وإذا ضحك كان يقول اللهم لا تمقتني[5].

باعتبار أن الضحك وكثرته مما ينافي الوقار وسمو الشخصية فكان الإمام مبتعداً عنه متجنباً له منشغلاً بذكر الله عما سواه.

---

(١) عكرمة بن عبدالله البربري المدني، ابو عبدالله، مولى عبدالله بن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم اكثر من سبعين تابعي، وذهب إلى نجدة الحروري فأقام عنده ستة أشهر ثم كان يحدث برأي نجدة، وخرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي (الصفرية) وعاد إلى المدينة فطلبه أميرها فتغيب عنه حتى مات سنة (١٠٥ هـ) وكانت وفاته بالمدينة هو وكثير عزة في يوم واحد، فقيل، مات أعلم الناس وأشعر الناس، وكانت ولادته سنة (٢٥ هـ)، انظر مصادر ترجمته في: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١/ ٣١٩ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٧/ ٢٦٣ + حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ٣٢٦ + ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٢٥٨ + المعارف، ابن قتيبة، ٢٠١.

(٢) إثبات الهداة، الحر العاملي، ٥/ ١٧٦.

(٣) الكافي، الكليني، ٤/ ١٢٦ + الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ١٧١.

(٤) حلية الأولياء الأصفهاني، ٣/ ١٨٦ + عيون الأخبار، ابن قتيبة، ١٤ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ١٣٣ + شذرات الذهب، ابن العماد، ١/ ١٤٥.

(٥) حلية الأولياء، الأصفهاني، ١٨٩/٣ + صفوة الصفوة، ٦٢/٢.

٣- حلمه وصبره

أما الحلم فقد كان من أهم صفاته التي تميز بها، فقد أجمع المؤرخون أنه لم يسئ إلى من ظلمه واعتدى عليه قط وإنما كان على العكس من ذلك فهو يقابل المسيء بالصفح والإحسان والظالم له بالإغداق عليه من بره ومعروفه، وروى المؤرخون صوراً كثيرة من عظيم حلمه وصبره نذكر منها:

- أن رجلاً كتابياً هاجم الإمام الباقر (عليه السلام) واعتدى عليه، وخاطبه بمر القول وأفحشه قائلاً له: أنت بقر، فلطف به الإمام وقابله ببسمات فياضة بالبشر قائلاً له: لا، أنا باقر، فراح الكتابي يهاجم الإمام قائلاً: أنت ابن الطباخة، فتبسم الإمام ولم يثره هذا الاعتداء وقال له: ذاك حرفتها! ولم ينته الكتابي عن غيه بل تمادى فيه إلى أقصى حد، وراح يهاجم الإمام ثانية قائلا: أنت ابن السوداء، الزنجية، البذية! -وما أفحشه من قول- ولم يغضب الإمام من هذا ولم يستفزه بل قابله باللطف قائلاً: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك. وبهت الكتابي وبهر من معالي أخلاق الإمام التي هي أخلاق الأصفياء والمخلصين لله تعالى فأعلن إسلامه[1] ورجع إلى الحق وترك الباطل.

وأترك هذه الصورة بدون تعليق أو إبداء رأي لتتحدث عن نفسها وترسم في ذهن القارئ المنهج الذي سار عليه الإمام الباقر (عليه السلام) في حياته وفي معاملته لأهل الذمة والمسلمين جميعاً.

- ومن تلك الصور الرائعة المدهشة من حلمه: أن شامياً كان يختلف إلى مجلسه في المسجد النبوي الشريف، ويستمع إلى محاضراته ودروسه وقد أعجب بها أشد الإعجاب، فاقبل يوماً يشتد نحو الإمام الباقر (عليه السلام) وقال له: يا محمد، إنما أغشى مجلسك لا حباً مني إليك ولا أقول إن أحداً أبغض إلي منكم أهل البيت وأعلم أن طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم -هكذا كان يتوهم- ولكني أراك رجلاً فصيحاً، لك أدب وحسن لفظ فإنما أختلف إليك

---

(١) المناقب، ابن شهر اشوب، ٤/ ١٤٢ + اعيان الشيعة، محسن الأمين، ق٤/١/٥٠٤ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ١٢٠-١٢١.

لحسن أدبك، فنظر إليه الإمام بعطف وحنان وأخذ يغدق عليه من برّه ومعروفه حتى استقام الرجل وتبين له الحق فتبدلت حالته من البغض إلى الولاء وظل ملازماً للإمام حتى حضرته الوفاة فأوصى أن يصلي عليه الإمام الباقر (عليه السلام)[1].

حاكى الإمام بهذه الأخلاق الرفيعة جده الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) الذي استطاع بخلقه العظيم أن يؤلف بين القلوب ويوحد بين المشاعر ويجمع الناس على كلمة التوحيد مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

وأما الصبر فقد كان من الصفات الذاتية للإمام الباقر، فقد صبر على مكاره الدهر ونوائب الأيام، وصبر على تجرع الخطوب التي تعجز عنها أمة، فقد رأى جده الحسين الشهيد وما صنع به وبأفراد عائلته يوم كان صبياً صغيراً، فكان الصبر رائده لم تنل من عزيمته خطوب الأيام ومحنها، وقد سجل المؤرخون الصور الكثيرة من صبره وتحمله نذكر منها:

- روى المؤرخون عن عظيم صبره: أنه كان جالساً مع أصحابه إذ سمع صيحة عالية في داره، وأسرع إليه بعض مواليه فأسره فقال الإمام: الحمد لله على ما أعطى وله ما أخذ، انههم عن البكاء، وخذوا في جهازه، واطلبوا السكينة، وقولوا لتلك الجارية لا ضير عليك أنت حرة لوجه الله لما تداخلك من الروع... ورجع إلى حديثه، فتهيب القوم سؤاله، ثم أقبل غلامه فقال له: قد جهزناه، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه، واخبر أصحابه بشأنه فقال لهم: إنه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات[3].

بهذه الأخلاق تشرفت الإنسانية لما تحمله في داخلها من الديمومة والخلود على الرغم من فناء الحضارات وتدهور الأمم، فإن التعامل مع هذه المفردات الخلقية يكسبها قيماً ترتفع بها إلى مصافي الخلود والبقاء.

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ٧٢ + بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ١١/ ٦٦ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ١/ ١٢١.

(٢) آل عمران/ ١٥٩.

(٣) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٥٢ + عيون الأخبار، ابن قتيبة، ٣/ ٥٧.

- ومن صور حلمه وصبره أيضاً، ما نقله المؤرخون: إنه كان للإمام الباقر (عليه السلام) ولد، وكان أثيراً عليه فمرض، فخشي على الإمام لشدة حبه له، وتوفي الولد فسكن صبر الإمام، فقيل له: خشينا عليك يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأجاب بالاطمئنان والرضا بقضاء الله قائلاً: إنا ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما يحب[1].

قد تسلح الإمام الباقر (عليه السلام) بالصبر وواجه نوائب الدنيا ومصائب الدهر بإرادة صلبة، وإيمان راسخ، وتحمل الخطوب في غير ضجر ولا سأم محتسباً في ذلك الأجر عند الله، هذه هي بعض الصور التي حفلت بها حياة الإمام الباقر (عليه السلام) وأمثالها سجلنا بعضاً منها لكي تتوضح ملامح الحلم والصبر المرتسمة في شخصية هذا الإمام الصابر الحليم.

٤- زهده وتسليمه لأمر الله

كان الإمام الباقر (عليه السلام) زاهداً في دنياه، راغباً في آخرته، لا يأبه بزخارف الدنيا ولا يلتفت إليها، بل كان شديد الحذر منها، هارباً من إقبالها، منذراً من خطر الاستشراف إليها، فهو لم يتخذ الرياش في داره وإنما كان يفرش في مجلسه حصيراً[2].

وكان يواسي الفقراء مرة بماله وأخرى بأقواله، مصبراً لنفسه عليه زهداً وتقرباً إلى الله تعالى، ومما يروى عنه بأسانيد صحيحة في تفسيره لقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾[3] قال: على الفقر في دار الدنيا، وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾[4] قال: بما صبروا على الفقر ومصائب الدنيا[5].

---

(١) المصدر نفسه والصفحة + المصدر نفسه والصفحة.

(٢) اعيان الشيعة، محسن الأمين، ق١/ ٤/ ٤٧٢.

(٣) الفرقان/ ٧٥.

(٤) الإنسان/ ١٢.

(٥) حليه الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨٢ + الطبقات الكبرى، الشعراني، ١/ ٢٨ + شرف الأسباط، القاسمي، ٧ + تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٣٣٠ + الدر المنثور، السيوطي، ٥/ ٨١ + الاختصاص، الشيخ المفيد، ١٢٣ + الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٢٠٥.

وفي هذا القول كان يحث الإمام على التعفف والصبر والزهد بما في الحياة الدنيا من مباهج وملاذ واحتساب ذلك عند الله سبحانه وتعالى .

وكان يحذر من الركون إلى القراء الذين يقفون على أبواب الأغنياء وأصحاب السلطان بما رواه عن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأن الوقوف على أمثال هؤلاء ما هو إلا الركون إلى الدنيا وملاذها بأجلى صوره وإن انطوت على بسطاء الناس ، فانظر إليه يطلقها كلمة تكشف القناع عن وجوه أولئك الذين جرفتهم الحياة الدنيا وانغمسوا في ملاذها قائلا : إذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب دنيا وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص[1] .

ودأب الإمام الباقر (عليه السلام) كدأب آبائه الكرام على تصغير الدنيا وتحقيرها حتى جعلها لا تساوي شيئا سوى أنها محل ابتلاء للفرد المسلم والجماعة بصيغ متعددة منها أنه كان يقول : كان لي أخ في عيني عظيم وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه[2] .

حاثاً في هذا على الزهد والتسليم لأمر الله في السراء والضراء ، ومن أحسن الصور التي رسمها الإمام للدنيا بعد أن تعمق وتبصر في جميع شؤونها فزهد فيها وحث المسلمين على ذلك الزهد ، ما رواه جابر الجعفي عنه أنه قال : يا جابر ما الدنيا ، وما عسى أن تكون ، هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أحببتها ، يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ففازوا بثواب الأبرار ، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة إن نسيتَ ذَكَّروكَ ، وإن ذَكَرْتَ أعانوك ، قوالين بحق الله ، قوامين بأمر الله ، يا جابر انزل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت عنه أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت

(١) حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨٣ + البداية والنهاية، ابن الكثير الدمشقي، ٩/ ٣١٠.
(٢) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٢ + حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/١٨٨ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٥.

وليس معك منه شيء إنما هي مع أهل اللب والعالمين بالله تعالى كفيء الظلال[1].

نستطيع أن نسمي هذه الوصية القيمة للإمام الباقر (عليه السلام) -بالوصية الزهدية- لما حملت بين طياتها من التحذير من غرور الدنيا وآثامها، والحث على الزهد لأنه في نظر العارفين بالله تعالى هو أسلم طريق للوصول إلى مرضاته ومحبته لأن فيه كل ما يمكن أن يوصل إلى الفضيلة ومن ثم إلى المجتمع الفاضل الذي ارتضاه الله لعباده الصالحين.

٥- كثرة صدقاته

كان الإمام الباقر (عليه السلام) رحيماً بالفقراء عطوفاً عليهم، فقد كان يرفع من شأنهم لئلا يرى عليهم ذل الحاجة والمسكنة، وأنه عهد إلى أهله إذا قصدهم سائل أن لا يقولوا له يا سائل خذ هذا، وإنما يقولون له: يا عبد الله بورك فيك[2]، وكان يقول سموهم بأحسن أسمائهم[3].

يقصد بذلك الفقراء والمحتاجين لأنه كان يعتبر التصدق عليهم صلة واجبة بين المؤمنين.

وكذلك عدَّ الإمام الباقر (عليه السلام) عتق العبيد وإنقاذهم من رق العبودية نوعاً آخر من أنواع البر والمعروف فقد نقلت عنه المصادر أنه أعتق أحد عشر مملوكاً في يوم واحد كلهم من أسرة واحدة[4] وروي أنه أعتق عند حضور وفاته ثلث عبيده[5]. وكان يكثر البر والمعروف على فقراء المدينة فقد أحصيت صدقاته فبلغت ثمانية آلاف دينار[6]. وهذا المبلغ ضخم جداً وكان يشكل ثروة هائلة فلم

---

(١) مخطوطة مرآة الزمان سبط ابن الجوزي، ج ٥/ الورقة ٧٨ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦١ + حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/١٨٢ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٣٣ + مطالب السؤول، ابن طلحة الشافعي، ٨٠.

(٢) عيون الأخبار، ابن قتيبة، ٣/ ٢٠٨ + مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٥٣.

(٣) اعيان الشيعة، محسن الأمين، ق١/ ٤/ ٤٧٢.

(٤) شرح شافية ابي فراس، ٢/ ١٧٦ + ظ: حياة الإمام الباقر، باقر القرشي، / ١/ ٩٦.

(٥) المصدر نفسه والصفحة + المصدر نفسه والصفحة.

(٦) اعيان الشيعة، محسن الأمين، ق ١/٤/٤٧١.

يعبأ به الإمام الباقر(ع) بل تصدق بجميعه على الفقراء والمحتاجين، وكان كثيراً ما يكتم الصدقة فلا يظهرها لئلا يفسدها الرياء.

وقد روى الشيخ الصدوق بسنده عن أبي عبد الله الصادق(ع) أنه قال: كان أبي أقل أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة، وكان يتصدق كل جمعة بدينار وكان يقول: الصدقة يوم الجمعة تضاعف كفضل يوم الجمعة على غيره من الأيام[1].

٦- جوده وسخاؤه

لقد جبل الإمام الباقر(ع) على الخير ومحبة الناس وصلتهم وإدخال السرور على الذين التقوا به من ذوي الحاجة والمسألة، وكانت تلك الصفة من أهم عناصر شخصيته مضافة إلى العلم والفضل والإمامة وغيرها من الصفات التي تميز بها فكان من طليعة أعلام زمانه الذين ما زال التاريخ يحفظ لهم مواقفهم الكريمة، ولم أجد في حدود ما اطلعت عليه من مصادر ترجمته من لم يصرح باتصاف الإمام بهذه الصفة فقد قال غير واحد منهم كان محمد بن علي بن الحسين مع ما هو عليه من العلم والفضل والرياسة والإمامة، ظاهر الجود في الخاصة والعامة، مشهوراً بالكرم في الكافة، معروفاً بالفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله[2].

وعلى الرغم من أنه كان من أقل أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة إلا أن ذلك لم يكن حائلاً دون كرمه وجوده ولأن من المعروف لدى الجميع أن الكرم لا يقاس بكثرة العطية أو قلتها بل بما يؤثر به الكريم غيره على نفسه وعياله، وكذلك كان الإمام الباقر.

ونقلت إلينا نماذج كثيرة دلت على جوده وكرمه غير أننا سنقتصر على ذكر مختارات منها دون التعرض إلى الكل لعلمنا أن هذه المختارات ستكون وافية للاستدلال على ما قلناه:

---

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ٢٨٢ + أعيان الشيعة، محسن الأمين، ق١/٤/ ٧٢ .

(٢) الوافي بالوفيات، الصفدي، ٤/ ١٠٢ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ٢٢٧ .

١- عن الحسن بن كثير قال: شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي الحاجة وجفاء الإخوان فقال: بئس الأخ أخاً يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم وقال: استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني[١].

٢- وروي عن عمرو بن دينار وعبد الله بن عبيد بن عمير أنهما قالا: ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي إلا حمل إلينا النفقة والصلة والكسوة ويقول: هذه معدة لكم قبل أن تلقوني[٢].

٣- وروي عن سليمان بن دمدم قال: كان أبو جعفر محمد بن علي يجيزنا بالخمسمائة درهم إلى الستمائة إلى الألف درهم، وكان لا يمل من صلة إخوانه وقاصديه ومؤمليه وراجيه[٣].

٤- وروي عن سلمى مولاته قالت كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويلبسهم الثياب الحسنة ويهب لهم الدراهم، فأقول له في بعض ما يصنع فيقول: يا سلمى ما يؤمل في الدنيا بعد المعارف والإخوان[٤].

وفي رواية أخرى: فأقول له في ذلك ليقلل منه فيقول: يا سلمى ما حسنة الدنيا إلاّ صلة الأخوان والمعارف[٥]

وكان الإمام الباقر (عليه السلام) يعد الجود والكرم وصلة الإخوان نوعاً من أنواع التكافل الاجتماعي الذي حث عليه القرآن الكريم في كثير من آياته وأكده الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) في الكثير من أحاديثه، وكذلك كان يعتبره تأسياً بين

(١) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٣+ مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١ الورقة ٥٥ + المشرع الروي، الشلي، ١/ ٣٨.

(٢) عيون الأخبار، ابن قتيبة، ٢١٧ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٩ + الكنى والأسماء، الدولابي، ١/ ١٣٥ في حب عمرو بن دينار.

(٣) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٩ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ٢٢٨.

(٤) مخطوطة الدر النظيم، ابن حاتم، الورقة ١٩٠ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٣ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/٣٣٣.

(٥) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٧ + مطالب السؤول، ابن طلحة الشافعي، ٨١ + نور الأبصار، الشبلنجي الشافعي، ١٣١ + الكواكب الدرية، المناوي، ١/ ١٦٥.

الإخوان المؤمنين، فقد ورد في حلية الأولياء بسنده عن عبيد الله بن الوليد قال: قال لنا أبو جعفر محمد بن علي: أيدخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يريد؟ قلنا: لا. قال: فلستم بإخوان كما تزعمون[1].

وروى غير واحد من العلماء هذا الخبر المتقدم عن الحجاج بن أرطأة قال: قال أبو جعفر محمد بن علي: يا حجاج كيف تواسيكم؟ قلت: صالح يا أبا جعفر، قال: يدخل أحدكم يده في كيس أخيه فيأخذ حاجته إذا احتاج إليه؟ قلت: أما هذا فلا، فقال: أما لو فعلتم ما احتجتم[2].

وكان كثيراً ما يتعوذ من البخل، ومن بوائقه لأنه من حبائل الشيطان ودسائسه، وكان يوصي الناس أيضاً بالتعوذ من هذه الصفة الرذيلة التي تبعد العبد عن ربه وتجعله كالبهيمة أو هو أضل سبيلاً.

المبحث الخامس

وصاياه، ومواعظه، وبعض أقواله الخالدة

لقد كانت للإمام الباقر(عليه السلام) رغبة أكيدة واستعداد نفسي واضح للوعظ والإرشاد وتعليم الناس طرق الهداية، وتحذيرهم من طرق الغواية، فكان دائماً ينذر ويحذر ويدعو ويرشد، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يخاف على الناس مثل ما يخاف على نفسه من الغفلة وترك السنة، فيقف واعظاً الخاصة والعامة، يوصي الناس حاكمين ومحكومين، وإذا ما أزمة ألمت هرع إليه الكثير يريدون رأيه ونصحه ويستطلعون موقفه ويطلبون توجيهه.

وقد كانت وصاياه ومواعظه حافلة بالقيم الكريمة، زاخرة بالمثل العليا، متوفرة على جملة من آداب السلوك والتوجيه الصحيح الذي يحمي الناس من الانحراف والوقوع في مزالق الغواية والضلالة.

---

(١) حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨٧ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٣.

(٢) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٥٤ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٣٣ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٧.

❖ **المطلب الأول: وصاياه :**

نستطيع أن نقسم وصايا الإمام الباقر (عليه السلام) إلى ما أوصى به ابناه، وما أوصى به بعض الخلفاء في عصره، وإلى ما أوصى به بعض العلماء وتلامذته.

أولاً: وصيته للإمام جعفر الصادق

قد زود الإمام الباقر (عليه السلام) ولده جعفر الصادق بجملة من الوصايا القيمة نختار واحدة منها للتمثيل والاستدلال، ولما زخرت به من روائع الحكم وجمعت من مقومات الآداب والسلوك، فقد قال الإمام أبو جعفر لولده: يا بني إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبأ رضاه في طاعته، فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعل رضاءه فيه، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعل سخطه فيه، وخبأ أولياءه في خلقه فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي[1].

حفلت هذه الوصية بجملة من الأمور منها الترغيب في طاعة الله والحث عليها، والتحذير من المعصية والتشديد فيها، والحث على عدم الاستهانة بالناس أياً كان موضعهم ومهما كانت طبقتهم بل فيها أمر بتكريمهم وإظهار معالم الاحترام لهم.

ثانياً: وصيته لبعض ولده

وفي وصية أخرى له يوصي بها بعض ولده فيقول: يا بني إذا أنعم الله عليك نعمة فقل: الحمد لله وإذا أحزنك أمر فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا أبطأ عنك رزقك فقل: أستغفر الله[2].

في هذه الوصية أوجز الإمام الباقر (عليه السلام) كل معالم التقوى وأركان الصبر والإنابة من الذنب في كلمات قليلة كانت خير نبراس لمن أراد الالتزام بها واتخاذها منهجاً حياتياً، وهي صالحة لكل زمان ومكان لتخطيها حدودهما، فكان الإمام الباقر (عليه السلام) يريد أن يقول يجب على العبد أن ينقطع لله تبارك وتعالى مهما كانت حالة ذلك العبد من الشكر على النعمة والصبر على المكروه والتوكل على الله.

---

(١) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٢٩.

(٢) الموفقيات، الزبير بن بكار، ٣٩٩ + البيان والتبيين، الجاحظ، ٣/ ٢٠٨.

ثالثاً: وصيته للخليفة عمر بن عبد العزيز

أما وصاياه المتعلقة بسياسة الملك، فهذه وصيته للخليفة عمر بن العزيز حينما طلب من الإمام أن يوصيه بما ينتفع منه في سياسة دولة الإسلام عندما ولي الخلافة بعد أن أرسل إليه في جملة من أرسل إليهم، فقال له الإمام أبو جعفر الباقر: أوصيك بتقوى الله، وأن تتخذ صغير المسلمين ولداً، وأوسطهم أخاً، وكبيرهم أباً، فارحم ولدك، وصل أخاك، وإذا صنعت معروفاً فربه.

فأعجب الخليفة عمر بن عبد العزيز بهذه الوصية الجامعة وراح يبدي إعجابه قائلاً: جمعت والله ما أن أخذنا به، وأعاننا الله عليه استقام لنا الخير إن شاء الله[1].

احتوت هذه الوصية جملة من الأمور منها: يجب على الخليفة أن لا يغتر بملك ولا يؤخذ بإقبال الدنيا عليه فإن أهم من ذلك كله تقوى الله، وأن يسوس رعيته بسياسة العدل والإنصاف باتخاذ أبناء المسلمين أبناءً له لا ينفكون عنه بل هم من أفراد أسرته، وكذلك صلة الرحم بصلة إخوانه المسلمين فإذا كان الخليفة كذلك يسعد هو ويسعد معه المسلمون، وتكون مدة حكمه خالية من الاضطرابات والفتن، ويكون قد حقق أهم ما نادى به الإسلام للوهلة الأولى من العدالة والمساواة.

رابعاً: وصيته لسفيان الثوري

وقد حكى الإمام الصادق(عليه السلام) إحدى وصايا أبيه لسفيان الثوري عندما أراد منه الأخير أن يوصيه فقال: يا سفيان، أمرني أبي بثلاث، ونهاني عن ثلاث، فكان فيما قال لي: من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم، ثم انشد لي:

عود لسانك قول الخير تحظ به ... أن اللسان لما عودت يعتاد
موكل بتقاضي ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف تعتاد[2]

(١) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٣٨ + تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٥/ ٧٤.
(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ١٥٧.

حدد الإمام في هذه الوصية المحكية عن أبيه زين العابدين الإطار النظري للقيم الأخلاقية بتأسيس قواعد كلية عامة للمناهج السلوكية المرضية عند الله تبارك وتعالى وعند عامة الناس أيضاً وقد وفق أشد التوفيق في ذلك التحديد وهذا العرض ومن خلال التطبيق الفعلي في حياته اليومية لما يوصي به سفيان الثوري وغيره.

خامساً: وصيته لجابر بن يزيد الجعفي

زود الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) تلميذه جابر الجعفي بوصية خالدة، مميزة على كل وصاياه وعلى كل ما أوصى به موصٍ على طول التاريخ العربي الإسلامي، حفلت بجميع القيم الأخلاقية الرفيعة والمثل الإنسانية السامية، التي لو طبقها الإنسان بجزئياتها وجعلها منهجاً حياتياً له بكل تفصيلاتها لسمت به سمواً جعله من الخالدين، وسنورد هذه الوصية الرائعة ليتبين لنا أن هذا الإمام كان يحمل كنوزاً معرفية جلت عن الوصف.

قال الإمام لجابر الجعفي: أوصيك بخمس، إن ظُلمت فلا تَظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كُذبت فلا تغضب، وإن مُدحت فلا تفرح، وإن ذممت فلا تجزع، وفكر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله (عز وجل) عند غضبك من الحق أعظم مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس وإن كنت على خلاف ما قيل فيك فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك.

واعلم بأنك لن تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا: إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا إنك رجل صالح، لم يسرك ذلك، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكاً سبيله، زاهداً في تزهيده، راغباً في ترغيبه، خائفاً من تخويفه، فاثبت وابشر، فإنه لا يضرك ما قيل فيك، وإن كنت مبايناً للقرآن فما ذا الذي يغرك من نفسك، إن المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها فمرة يقيم أودها ويخالف هواها في محبة الله، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواه فينعشه الله فينتعش ويقيل الله عثرته فيتذكر ويفزع إلى

التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة بما زيد فيه من الخوف، وذلك بأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[1].

يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصاً إلى الشكر، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراء على النفس وتعرضاً للعفو، وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل، وتحرز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف، واحذر خفي التزين بحاضر الحياة، وتوق مجازفة الهوى بدلالة العقل وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص، وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس، وسد سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلص إلى راحة النفس بصحة التفويض، واطلب راحة البدن بإجمام القلب، وتخلص إلى إجمام القلب بقلة الخطأ، وتعرض لرقة القلب بكثرة الذكر في الخلوات، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، وتحرز من إبليس بالخوف الصادق، وإياك والرجاء الكاذب فإنه يوقعك بالخوف الصادق، وتزين لله (عز وجل) بالصدق في الأعمال، وتحبب إليه بتعجيل الانتقال، وإياك والتسويف فإنه بحر يغرق فيه الهلكى، وإياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب، وإياك والتواني فيما لا عذر لك فيه فإليه يلجأ النادمون، واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم وكثرة الاستغفار، وتعرض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة، واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء والمناجاة في الظلم، وتخلص إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق واستقلال كثير الطاعة، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، والتوسل إلى عظيم الشكر بخوف زوال النعم، واطلب بقاء العز بإماتة الطمع، وادفع ذل الطمع بعز اليأس، واستجلب عز اليأس ببعد الهمة، وتزود من الدنيا بقصر الأمل، وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة ولا إمكان كالأيام الخالية مع صحة الأبدان، وإياك والثقة بغير المأمون فإن للشر ضراوة كضراوة الغذاء.

---

(١) الأعراف/ ٢٠١.

واعلم أنه لا علم كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا خوف كخوف عاجز، ولا رجاء كرجاء معين، ولا فقر كفقر القلب، ولا غنى كغنى النفس، ولا قوة كغلبة الهوى، ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغارك للدنيا، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك، ولا نعمة كالعافية، ولا عافية كمساعدة التوفيق، ولا شرف كبعد الهمة، ولا زهد كقصر الأمل ولا حرص كالمنافسة في الدرجات، ولا عدل كالإنصاف، ولا تعدي كالجور، ولا جور كموافقة الهوى، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا خوف كالحزن، ولا مصيبة كعدم العقل، ولا عدم العقل كقلة اليقين، ولا قلة يقين كفقد الخوف، ولا فقد خوف كقلة الحزن على فقد الخوف، ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب ورضاك بالحالة التي أنت عليها، ولا فضيلة كالجهاد، ولا جهاد كمجاهدة الهوى، ولا قوة كرد الغضب، ولا معصية كحب البقاء، ولا ذل كذل الطمع، وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة فإنه ميدان يجر لأهله الخسران[1].

حفلت هذه الوصية بجواهر الحكم وأضاءت جوانب كثيرة من مواهب الإمام الباقر (عليه السلام) وعلمه، ويحق لقائل أن يقول: لو لم تكن له غير هذه الوصية لكانت كافية في الاستدلال على ما يملكه الإمام أبو جعفر من طاقات علمية لا توصف، فهو نظر إلى أعماق النفس الإنسانية وسبر أغوارها وحلل أبعادها وعرف ما ابتلي به الإنسان من الأمراض النفسية والأخلاقية من جهل وكبرياء وغرور وطمع وبعد أمل مما يدفعه إلى الإغراق في المعاصي واجتراح الآثام وسلوك طرق الضلالة، ودرس الإمام الباقر (عليه السلام) كل ذلك فوضع لكل واحد من تلك الأمراض والآفات علاجاً مناسباً ووصف لكل منها دواءً فاعلاً يستطيع الإنسان بواسطته القضاء على تلك الأمراض إذا ما أخذ بهذه المجموعة المتراصة والمتكاملة من الوصايا التي صبت في قالب واحد ووصية واحدة وعمل بها فأنه سيعود إنساناً مثالياً مهذباً قد صان نفسه واتصل بخالقه تبارك وتعالى.

---

(١) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٢٨٤ ـ ٢٨٦.

سادساً: وصيته لرجل من المسلمين

ومن وصاياه القصار فقد وفد عليه رجل من المسلمين وطلب منه أن يوصيه بوصية يسير على ضوئها ويهتدي بهديها، فقال له الإمام الباقر: هيء جهازك وقدم زادك، وكن وصي نفسك[1].

صورت هذه الوصية على قصرها ما يحتاجه الإنسان ليسلم على دينه ويكون ضامناً للفوز بآخرته يوم لا ينفع مال ولا بنون، بالقربة من الله زلفى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه بأن يهيئ أعماله الصالحات ليقدمها بين يدي ربه، وأن يحاسب نفسه ويجعلها رقيبة عليه.

❖ المطلب الثاني: مواعظه:

كان الإمام الباقر (عليه السلام) في مواعظه يحذر من الدنيا والركون إليها، وينذر من الاغترار بها والعيش من أجلها، ويدعو الناس إلى التفكر والتبصر فيما يصيرون إليه من مفارقة الدنيا إلى القبور المظلمة واللحود الموحشة التي لا ينفع فيها إلا ما ادخره الإنسان من الباقيات الصالحات.

فمن بعض مواعظه في هذا الباب قوله: أيها الناس إنكم في هذه الدنيا أغراض تنتقل فيكم المنايا، لن يستقبل أحد منكم يوماً جديداً من عمره إلا بانقضاء آخر من أجله، فأية أكلة ليس فيها غصص؟ أم أي شربة ليس فيها شرق؟ استصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه، فإن اليوم غنيمة وغداً لا تدري لمن هو، أهل الدنيا في سفر يحلون عقد رحالهم في غيرها، قد خلت منا أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد أصله.

أين الذين كانوا أطول أعماراً منكم وأبعد آمالاً؟ أتاك يا بن آدم ما لم ترده، وذهب عنك ما لا يعود، فلا تعدن عيشاً منصرفاً عيشاً، ما لك منه إلا لذة تزدلف بها إلى حمامك، وتقربك من أجلك، فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والسواد المخترم، فعليك بذات نفسك ودع ما سواها واستعن بالله يعنك[2].

---

(1) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٣٨ + ربيع الأبرار، الزمخشري، ١/ ٣٨.
(2) تحف العقول، ابن شعبه الحراني، ٢٩٩ + الكامل في الأدب، المبرد، ١/ ١٢٧.

وكان الإمام الباقر (عليه السلام) كثيراً ما ينتهز الفرصة عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية، مستغلاً الموقف في استماع الناس لما سيقوله في تفسير هذه الآية أو تلك فيجعل من تفسيره على شكل موعظة تفيد الناس في حياتهم، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾[1].

قال: ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا وحرم الله وجه صاحبها على النار، فإن سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فإن الله تعالى يكفر بها بحور الخطايا[2].

لقد دعا الإمام الناس إلى البكاء من خشية الله فإنه من علامة الإيمان الصحيح الكاشف عن اتصال العبد بربه وخالقه.

وسئل الإمام يوماً عن أشد الناس زهداً؟ فقال: من لا يبالي الدنيا في يد من كانت، فقيل له: من أخسر الناس صفقة؟ فأجاب: من باع الباقي بالفاني، فقيل له: من أعظم الناس قدراً؟ فقال: من لا يرى الدنيا لنفسه قدراً[3].

ووعظ الإمام يوماً بعض أصحابه فقال لهم: إن الله تعالى يقول: يا بن آدم تطولت عليك بثلاث؛ سترت عليك ما لو يعلم به أهلك ما داروك، وأوسعت عليك فاستقرضت منك فلم تقدم خيراً، وجعلت لك نظرة في ثلثك فلم تقدم خيراً[4].

وهكذا نرى الإمام الباقر (عليه السلام) يستنطق النصوص القرآنية في وصاياه ومواعظه فيجعل تلك الآيات القرآنية رائداً له في كل ما يعظ به الناس، ولو أردنا استعراض كل ما أوصى ووعظ به الإمام لما وسعت هذه الصفحات هذا المطلب فآثرنا ذكر بعض النماذج منها والتي ساقها لمعالجة النفوس وتهذيبها، وكانت هذه الظاهرة التربوية من أبرز القيم في تعاليم هذا الإمام الجليل.

---

(١) يونس/ ٢٦.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٩/ ٣١٢ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ٩٤ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦١ + مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ١٠٤ + بحار الأنوار، المجلسي، ١٩/ ٤٧.

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ، ٣/ ١٦١ = تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٢/ ٣٢١.

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق، ١٣١.

❖ المطلب الثالث: في بعض أقواله الخالدة :

أما بالنسبة لقصار المعاني التي أثرت عن الإمام الباقر (عليه السلام) وتحمل في طياتها من المغزى الأخلاقي والتربوي العظيم ما لا تتسع لها تلك الأقوال لو صبت في قالب آخر عن غير الإمام الباقر، فقد وردت عنه مجموعة كبيرة جداً من تلك المعاني تجاذبها العلماء من الأمة الإسلامية ودونوّها في تصانيفهم.

وسنعرض هنا لجملة من تلك الأقوال المأثورة عنه، والتي أودعها الإمام روائع الحكم القصار الحافلة بالقيم الكبيرة والحكم الصائبة والتجارب النافعة، وإليك بعضها:

١- قال الإمام أبو جعفر الباقر: ما شيب شيء بشيء أحسن من حلم بعلم[(١)].

٢- وقال: من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً[(٢)].

٣- وقال: من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه[(٣)].

٤- وقال: أربع من كنوز البر: كتمان الحاجة، وكتمان الصدقة، وكتمان الوجع، وكتمان المصيبة[(٤)].

٥- وقال: من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت نيته زِيدَ في رزقِهِ، ومن حسن برُّهُ في أهله زيد في عمره[(٥)].

٦- وقال: إن المؤمن أخو المؤمن، لا يشتمه، ولا يحرمه، ولا يسيء الظن به[(٦)].

٧- وقال: أفضل العبادة عفة البطن والفرج[(٧)].

٨- وقال: لكل شيء آفة، وآفة العلم النسيان[(٨)].

---

(١) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٢٩٢ + جامع كرامات الأولياء النبهاني، ١/ ٩٧.

(٢) إثبات الهداة، الحر العاملي، ٥/ ٢٦٦ + تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٢٩٣.

(٣) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٢٩٣.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥) المصدر نفسه والصفحة.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٧) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٢-٦٣ + المشرع الروي، الشلي، ١/ ٣٧.

(٨) حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨٣ + البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٩/ ٣١٠.

٩- وقال: اللهم أعنّي على الدنيا بالغنى، وعلى الآخرة بالتقوى[١].

١٠- وقال: لا يزال الرجل يزداد في رأيه ما نصح لمن استشاره[٢].

١١- وقال: سلاح اللئام قبيح الكلام[٣].

١٢- وقال: الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ولا تصيب الذاكر[٤].

١٣- وقال: أشد الأعمال ثلاثة: ذكر الله على كل حال، وإنصافك من نفسك، ومواساة الأخ في المال[٥].

١٤- وقال: لا يكون المعروف معروفاً إلا باستصغاره وتعجيله وكتمانه[٦].

١٥- وقال: ما أحسن الحسنات بعد السيئات، وما أقبح السيئات بعد الحسنات[٧].

١٦- وقال: من أصاب مالاً من أربع لم يقبل منه في أربع: من أصاب مالاً من غلول أو رِبا أو خيانة أو سرقة، لم يقبل منه في زكاة، ولا في صدقة، ولا في حج، ولا في عمرة[٨].

١٧- وقال: إن الكذب خراب الإيمان[٩].

١٨- وقال: شر الأدباء من دعاه البر إلى الإفراط، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق[١٠].

١٩- وقال: إن الله قضى قضاءً حتماً.. ألاّ ينعم على العبد نعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة[١١].

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، ٣/ ٢٢٢.

(٢) عيون الأخبار، ابن قتيبة، ١/ ٣٠٠.

(٣) طبقات الشعراني، ١/ ٢٨ + ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، ٤٣٣.

(٤) سير اعلام النبلاء، الذهبي، ٤/ ٢٤٢ + حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨١ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٠.

(٥) حلية الأولياء الأصفهاني، ٣/ ١٨٣.

(٦) الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار، ٤٠٠.

(٧) الأمالي، الشيخ الصدوق، ٢٢٤.

(٨) المصدر نفسه، ٢٩٦.

(٩) أصول الكافي، الكليني، ٢/ ٣٣٩.

(١٠) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ٢/ ٥٣ + أصول الكافي، الكليني، ٢/ ٢٧٣.

(١١) المصدر نفسه والصفحة.

٢٠- وقال: لو صُمتُ النهار لا أفطر وصليتُ الليل لا أفتر، وأنفقت مالي في سبيل الله علقاً علقاً، ثم لم تكن في قلبي محبة لأوليائه ولا بغضة لأعدائه ما نفعني ذلك شيئا[١].

٢١- وقال: اصبر للنوائب، ولا تتعرض للحقوق، ولا تعطي أحداً من نفسك ما ضره عليك أكثر من نفعه[٢].

٢٢- وقال بئس الأخ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً[٣].

٢٣- وقال: ليس في الدنيا شيء أعون من الإحسان إلى الإخوان[٤].

٢٤- وقال: من أعطى الخلق والرفق فقد أعطى الخير والراحة، وحسن حاله في دنياه وآخرته، ومن حرمهما كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية إلا من عصمه الله[٥].

٢٥- وقال: ما يضر من عرّفه الله الحق أن يكون على قلة جبل يأكل من نبات الأرض حتى يأتيه الموت[٦].

٢٦- وقال: إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله (عز وجل) ويبغض أهل معصيته ففيك خير، والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب[٧].

٢٧- وقال: ما من شيء أبغض إلى الله من بطن مملوء[٨].

٢٨- وقال: إني لأكره أن يكون مقدار لسان الرجل فاضلاً على مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله[٩].

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) طبقات الشعراني، ١/ ٢٨ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦٣ + المشرع الروي، الشلي، ١/ ٣٨.

(٤) صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/٦٣ + كشف الغمة، الأربلي، ٢/ ٣٣٠.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٩/ ٣١١.

(٦) التحصين، أحمد بن فهد الحلي، ٢٢٥.

(٧) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ١١٧.

(٨) جامع السعادات، النراقي، ٢/ ٥.

(٩) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ٧/ ٩٢.

الفصل الثاني

من سيرته العلمية



ويتضمن:

- المبحث الأول: حثه على طلب العلم وأقواله في العلم والعلماء
- المبحث الثاني: علومه ومعارفه
- المبحث الثالث: مناظراته وأجوبته
- المبحث الرابع: مكانته وأقوال العلماء فيه



المبحث الأول

حثه على طلب العلم وأقواله في العلم والعلماء

كانت حياة الإمام الباقر (عليه السلام) حافلة بأعمال جليلة ومآثر عظيمة، فقد فتحت في عصره معاهد العلم وعقدت فيه مجالس البحث لدراسة الفقه والحديث والفلسفة والتفسير وسائر العلوم الأخرى، وكانت حلقة دراسة تنعقد في المسجد النبوي الشريف وتضم كبار التابعين وأعيان الفقهاء في المدينة المنورة، وكان له فضل لا يستهان به مع جهود العلماء الآخرين في إنارة مجالس البحث وحلقات الدرس.

وقد اهتم الإمام الباقر (عليه السلام) في تبيين ما للعلم والعلماء من فضل، وما في طلب العلم وآداب العلم من فضيلة لأنه بات واضحاً أن العلم هو الدعامة الأولى الذي ترتكز عليه الأمم والشعوب في رقيها وتقدمها الحضاري، وتلك ميزة تضاف إلى مزايا الإمام الباقر (عليه السلام) بوصفه أحد مصادر الوعي والتوجيه للأمة الإسلامية آنذاك.

أولاً: بيانه لفضل العلم ومكانته

نراه أولاً يبين فضل العلم ومكانته السامية عند الله سبحانه وتعالى وعند العقلاء إذ روي عنه أنه قال: تعلموا العلم فإن تعلمه جنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربة، والعلم منار الجنة، وأنس الوحشة، وصاحب في الغربة، ورفيق في الخلوة، ودليل على السراء، وعون على الضراء، وزين عند الأخلاء، وسلاح على الأعداء، يرفع الله به قوماً ليجعلهم في الخير أئمة يقتدى بفعالهم، وتقتص آثارهم، ويصلي عليهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه[1].

---

(١) تذكرة ابن حمدون، ٢٦ + معالم العلماء، ابن الشهيد الثاني، ١٦.

جمعت هذه الكلمة كل ما قد يقال في تمجيد العلم وبيان فضله، وأحاطت بثمراته وفوائده، وبينت قيمة أهله وطالبيه، ورغبت في طلبه أشد ما يكون الترغيب لأنها رفعت العلم إلى أعلى درجات السمو وجعلته هو والعبادة صنوان لا يفترقان، وإذا لم تكن للإمام الباقر (عليه السلام) سوى هذه الكلمة في العلم والعلماء لكانت كافية في أن تؤسس الخطوط العريضة للمنهج العلمي للحركة العلمية والفكرية التي أوجدها الإمام الباقر (عليه السلام) في عصره، والتفاف طلاب العلم ورواد الحقيقة حوله على الرغم من كل الصعوبات والعقبات التي كانت تواجهه وتواجه تلامذته وطلابه.

ثانياً: بيانه لفضل العالم ومكانته

أما ما أثر عنه في الإشادة بفضل العالم وتوضيحه لمكانته الاجتماعية المرموقة والتي يجب أن يتبوأها العلماء وما أعدَّهُ الله (عزَّ وجلَّ) لهم من جزيل الأجر والثواب فهي كلمات كثيرة، والحق لا يخلو واحد من مصادر التراث العربي الإسلامي قد جعل من أبوابه باباً للعلم إلا وذكر كلمة للإمام، ولذلك سنختار بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر وهي:

١- قال الإمام أبو جعفر الباقر: عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد[1]، وفي رواية أفضل من ألف عابد[2].

٢- وقال: والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابداً[3].

٣- وقال: من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً، ومن علم باب ضلالة كان عليه مثل وزر من عمل به ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً[4].

٤- وقال: ما من عبد يغدو في طلب العلم ويروح إلا خاض الرحمة خوضاً[5].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ١/ ٣٢ + جامع السعادات، النراقي، ١/ ١٠٤.

(٢) حلية الأولياء الأصفهاني، ٣/ ١٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ٣/ ٨٢+ البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٩/ ٣١٢.

(٤) أصول الكافي، الكليني، ١/ ٣٤.

(٥) ناسخ التواريخ، محمد تقي الكاشاني، ٢/ ٢٠٥.

يتبين من هذه النصوص أن الإمام الباقر (عليه السلام) كان يستنطق النص القرآني والسنة النبوية، ويستشعر هديهما إذ أن أكثر ما روي عنه كان متضمناً في الغالب لمعنى مباشر من القرآن الكريم أو معنى غير مباشر من السنة الشريفة وذلك دأبه حتى عندما يلقي دروسه في العرفان والأخلاق وهذا ما ستبينه المباحث الآتية من هذه الدراسة.

ثالثاً: آفات العلم وعلاجها

حدد الإمام الباقر (عليه السلام) بنظرة ثاقبة ما يصيب العلم من داء إذا استفحل أضاعه وأنهاه ألا وهو النسيان، فقد روي أنه قال لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان[1].

لم يعين الإمام هذه الآفة من دون أن يضع لها علاجاً، أو عدة أنواع من العلاج يمكن أن يكون في أول الأمر وقاية من هذا الداء الذي يعد في نظر العلماء من أفتك الأمراض التي تصيب العلم.

ومن تلك العلاجات التي وضعها الإمام هي مجالسة العلماء والأتقياء في قوله: لمجلس أجلسه إلى من أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة[2].

وهل يوصي الإمام بغير مجالسة العلماء في هذا النص إذ لا يمكن أن يتصور أنه يثق بغير هذه الشريحة الاجتماعية المرموقة من جهة وتلك المجالسات هي من أنفع العلاجات لمرض النسيان من جهة أخرى.

ودعا الإمام إلى المذاكرة في العلوم بوصفها علاجاً آخر لهذا المرض الخطير لأنها تفتح آفاقاً واسعة في ميدان المعارف والعلوم فتراه يقول: تذاكر العلم دراسة والدارسة صلاة[3].

رابعاً: آداب المتعلم

ولابد للذي يروم تحصيل العلم بالتردد على مجالس العلماء أن يتأدب بآداب علمية خاصة يستطيع من خلالها أن يحصل على أكبر قدر ممكن من المعارف والمعلومات، فوضع الإمام الباقر (عليه السلام) برنامجاً عملياً لآداب المتعلمين

---

(١) حلية الأولياء، ابو نعيم الأصفهاني، ٣/ ١٨٣.

(٢) اصول الكافي، الكليني، ١/ ٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٤١.

في قوله: إذا جلست إلى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ولا تقطع على أحد حديثه[1].

إذن لا بد لطالب العلم من حسن الإنصات لما يسمع من شيخه أو معلمه وإلا فاته الكثير ولم يظفر إلا بالقليل.

ولكن الإمام الباقر (عليه السلام) لم يجعل حسن الاستماع هو كل ما يجب أن يفعله المتعلم إزاء العالم بل حث على السؤال من أهل العلم، ليقينه بأن إثارة الأسئلة في حلقة الدرس يعني الكثير من المناقشة وبالتالي بعني الإفادة للسائل والمسؤول في أن واحد، وهذه المسائل لا تحتاج إلى مزيد توضيح فنراه يقول: العلم خزائن والمفاتيح السؤال، فاسألوا يرحمكم الله، فإنه يؤجر في العلم أربعة: السائل والمتكلم والمستمع والمحب لهما[2].

خامساً: تحذيره من إضاعة العلم

وحذر الإمام الباقر (عليه السلام) من إضاعة العلم بالمعنى المحسوس، وأحد أوجه أضاعته عنده هو كثرة الضحك، وما كثرته إلا مذهبة لوقار العالم وهيبته فإذا سلب العالم وقاره ذهب علمه فقد قال بهذا الصدد: إياكم وكثرة الضحك، فإنه يمج العلم مجاً[3].

سادساً: بذل العلم وإشاعته

إذا اكتملت في طالب العلم آدابه وقطع أشواطاً في تحصيله وجب عليه بذله، فدعا الإمام الباقر (عليه السلام) إلى بذل العلم وأشاعته بين الناس حتى لا يبقى جاهل في المجتمع قدر الإمكان، فيوجههم إلى هذا المعنى في قوله: إن الذي تعلم العلم منكم له أجر مثل الذي يعلمه، وله الفضل عليه، تعلّموا العلم من حملة العلم، وعلموه إخوانكم كما علمكم العلماء[4].

---

(١) ناسخ التواريخ، محمد تقي الكاشاني، ٢/ ٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) الطبقات الكبرى ابن سعد، ٥/ ٣٢٢.

(٤) ناسخ التواريخ، محمد تقي الكاشاني، ٢/ ٢٠٥.

سابعاً: ما يجب تحصيله من العلوم عند الإمام الباقر (عليه السلام)

يحدد الإمام الباقر (عليه السلام) الطريق الذي يجب على طالب العلم أن يسير عليه في حياته العلمية، فيرى الإمام أن التفقه في الدين ومعرفة الحلال والحرام هو العلم المطلوب معرفته وتحصيله، لأن ما من كمال يصل إليه الإنسان إلا به، فنراه يوجه أنظار طلابه إليه فيقول: الكمال كل الكمال، التفقه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة[1].

وذلك لأن التفقه في الدين مما يحفظ توازن الإنسان ويقوم سلوكه ويبعده عن اقتراف أي انحراف عن الدين، ولأن المحصلة النهائية لكل ما يتعلمه الإنسان أن يربطه بحياته العملية لئلا يكون مذموماً بين الناس إذا خالف سلوكه علمه أو العكس، فنجد الإمام الباقر (عليه السلام) يوجه أنظار المتعلمين إلى وجوب تطبيق ما تعلموه وعلموا على واقع حياتهم العملية فيقول: إذا سمعتم العلم فاستعملوه، ولتتسع قلوبكم، فان العلم إذا كثر في قلب رجل لا يحتمله قدر الشيطان عليه، فإذا خاصمكم الشيطان فاقبلوا عليه بما تعرفون، فان كيد الشيطان كان ضعيفاً، فقال له ابن أبي ليلى: وما الذي نعرفه؟ فقال الإمام خاصموه بما ظهر لكم من قدرة الله (عزَّ وجلَّ)[2].

ويقترن دائماً قبول العمل بالمعرفة، فمن يعمل من دون معرفة الله والتسليم لأمره ولا للواجب الذي يؤديه فلا أثر أو نفع لعمله، فقد قال الإمام الباقر (عليه السلام) في هذا الصدد: لا يقبل عمل إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل ومن عرف دلته معرفته على العمل، ومن لا يعرف فلا عمل له[3].

ثامناً: تحذيره من المباهاة في طلب العلم

يطالعنا الإمام الباقر (عليه السلام) في نص آخر محذراً أشد ما يكون التحذير من المباهاة في طلب العلم، يحث فيه أهل العلم أن يجهدوا أنفسهم على التقرب به إلى الله تعالى، وأن يلتمسوا به الدار الآخرة. فطلب العلم عنده ليس للتباهي

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ٢٢٣.

(٢) جامع السعادات، النراقي، ١/ ١٠٦ ؛ أصول الكافي، الكليني، ١/ ٤٥.

(٣) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٢٩٤.

ولا للمماراة ولا ليعرف به الطبقات العليا في المجتمع فالعلم من الله تبارك وتعالى وإليه، فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال في هذا المجال: من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يعرف به وجوه الناس، فليتبوأ مقعده من النار، إن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها[1].

إذن درجة العلماء عند الإمام الباقر (عليه السلام) هي رياسة على الناس، فإن كانت كذلك، فيجب على الرئيس أن يتحلى بأخلاق وصفات يبز بها باقي الناس وبها يتفوق عليهم فتكون له فيهم الكلمة المسموعة والأمر المطاع والقدرة الحسنة، ولهذا السبب وغيره أثرت عن الإمام مجموعة من الروايات تنهي عن الفتيا بغير علم، منع فيها من دخول الدخلاء في زمر العلماء لتنصيب بعض الناس أنفسهم بدراية منهم أو لجهل في منصب الافتاء وتلك درجة خطيرة حذر الإمام الباقر (عليه السلام) من استغلالها من قبل غير المستحقين لها، وإليك بعض ما أثر عنه من نصوص:

١- قال الإمام أبو جعفر الباقر: من أفتى الناس بغير علم ولا هدى، لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه[2].

٢- وقال: ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا الله أعلم، إن الرجل ينتزع آية من القرآن يخر فيها أبعد ما بين السماء والأرض[3].

٣- وقال: للعالم إذا سئل عن شيء وهو لا يعلمه أن يقول: الله أعلم، وليس لغير العالم أن يقول ذلك[4].

تاسعا: صفات العالم عند الإمام الباقر (عليه السلام)

يصف الإمام الباقر (عليه السلام) العلماء ويحدد أبرز ما يميز شخصية العالم عن غيره، موضحاً الأطر العامة لتلك الصفات والشمائل التي يجب أن يتحلى بها العلماء، في مجموعة من النصوص منها:

---

(١) جامع السعادات، النراقي، ١/ ١٠٦ + أصول الكافي، الكليني، ١/ ٤٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) جامع السعادات، النراقي، ١/ ١٠٧.

(٤) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٢٩٧.

١ - قال الإمام أبو جعفر الباقر: لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لما فوقه، ولا محقراً لما دونه[١].

وتلك لعمري من أعظم الآفات وأفتك الأمراض، فما أن يكون الإنسان حاسداً حتى يلقى الناس منه شروراً وآثاماً، فكيف بالعالم العارف فيجب عليه إذاً أن يتواضع للناس محتقراً لنفسه بجنب عظمة الله سبحانه وتعالى.

٢- روى الإمام الباقر (عليه السلام) عن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قوله: إذا رأيتم القارئ -أي العالم- يحب الأغنياء فهو صاحب دنيا، وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص[٢].

إن حب العالم للأغنياء إنما هو الطمع في أموالهم وما يستفيد منهم، وهذا ليس من أخلاق العلماء الذين أمروا أن يرجو ما عند الله ويتقربوا إليه، ولا يتقربون أو يرجون غيره. أما ملازمة السلطان أو الوقوف على أبوابهم من غير حاجة فينم عن تملق ذلك العالم فيجر على نفسه الويلات وهو في غنى عنها، وخير ما قيل في هذا الصدد: إذا وقف العلماء على أبواب السلاطين فبئس العلماء وبئس السلاطين، وإذا وقف السلاطين على أبواب العلماء فنعم العلماء ونعم السلاطين.

ومن هذه الطائفة المتقدمة من أقوال الإمام الباقر (عليه السلام) يتضح لنا ما كان يكنه لهم من التبجيل والاحترام على اختلاف مقاصدهم وتباين فروعهم، فهم عنده سواسية لا يميز واحداً منهم على الآخر، لا لتشيعه ولا لأي مقصد آخر، فنراه مثلاً يقول لأبان بن تغلب: اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فإني أحب أن أرى في شيعتي مثلك[٣].

ونراه في الوقت نفسه يقول: يزيدني حباً لقدومي مكة لقاء عمرو بن دينار[٤][٥].

---

(١) الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار، ٤٠٠ + تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ٢٩٨.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٩/ ٣١٠ + الإمام الصادق، الشيخ محمد أبو زهرة، ٢٤.

(٣) ظ: ص١٣٦ من الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الرسالة.

(٤) الكنى والأسماء، الدولابي، ١/ ١٣٥.

(٥) هو عمرو بن دينار، أبو محمد الجمحي، مولاهم، اليمني، صنعاني، المكي، احد الأعلام ومن الرواة الستة، وقد وثقه جمهور العلماء مات أول سنة (١٢٦هـ). انظر: بعض مصادر ترجمته: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ٣٥٣ + التاريخ الكبير، البخاري، ق ٨/٢/٣ + شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ١/ ١٧١.

فتلك هي إمامة العلم ورياسته، فاستحق بهذا الإمام الباقر (عليه السلام) أن يكون مقصد أئمة الفقه والحديث، فما زار أحد منهم المدينة إلا عرج على بيت محمد الباقر (عليه السلام) يأخذ عنه[1].

منهم سفيان الثوري وسفيان بن عيينة محدث مكة وأبو حنيفة فقيه العراق.

وكان الإمام الباقر (عليه السلام) يرشد كل من يجيء إليه ويبين له الحق الذي لا عوج فيه، فمثلاً جرت مناقشة بينه وبين أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة قد اشتهر بالقياس في الفقه حتى تناولته الألسن في الملام وإليك بعض ما جرى بينهم:

قال الإمام الباقر: أنت الذي حولت دين جدي وأحاديثه بالقياس؟

قال أبو حنيفة: اجلس مكانك كما يحق لي، فإن لك عندي حرمة كحرمة جدك (صلى الله عليه وآله) في حياته على أصحابه. فجلس، ثم جثا أبو حنيفة بين يديه ثم قال: إني سائلك عن ثلاث كلمات فأجبني الرجل أضعف أم المرأة؟

قال الإمام الباقر: المرأة أضعف.

قال أبو حنيفة: كم سهم المرأة في الميراث؟

قال الإمام الباقر: للرجل سهمان وللمرأة سهم.

قال أبو حنيفة: هذا علم جدك، ولو حولت دين جدك لكان ينبغي في القياس أن يكون للرجل سهم وللمرأة سهمان، لأن المرأة أضعف من الرجل، ثم الصلاة أفضل أم الصوم؟

قال الإمام الباقر: الصلاة أفضل.

قال أبو حنيفة: هذا قول جدك، ولو حولت قول جدك لكان أن المرأة إذا طهرت من الحيض أمرتها أن تقضي الصلاة ولا تقضي الصوم، ثم البول أنجس أم النطفة؟

قال الإمام الباقر: البول أنجس.

---

(١) الإمام الصادق، محمد أبو زهرة، ٢٢.

قال أبو حنيفة : لو كنت حولت دين جدك بالقياس لكنت أمرت أن يغتسل من البول ، ويتوضأ من النطفة ، ولكن معاذ الله أن أحول دين جدك بالقياس .

فقام الإمام الباقر (عليه السلام) وعانقه وقبل وجهه[1] .

وعلّق الشيخ أبو زهرة على هذه المناقشة بالقول من هذا الخبر تتبين إمامة الباقر (عليه السلام) للعلماء ، يحضرهم إليه ويحاسبهم على ما يبلغه عنهم أو يبدر منهم ، وكأنه الرئيس يحاكم مرؤوسيه ليحملهم على الجادة ، وهم يقبلون طائعين تلك الرياسة[2] .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عما أثر عن الإمام الباقر (عليه السلام) في فضل العلم وتكريم حملته وما ينبغي أن يتصفوا به من معالي الأخلاق ليكونوا قدوة للأمة ، وعن احترامه وحبه الشديد للعلم والعلماء دون سواهم .

المبحث الثاني

علومه ومعارفه

اتجه الإمام الباقر (عليه السلام) لخدمة الإسلام في نشر تعاليمه وأحكامه وبسط علومه وما يتفرع منها ، وتكلم على جميع معارفه ، وألقى دروسه على تلاميذه ورواته في كل جزئيات العلوم الإسلامية فلا يكاد يعرف علماً من العلوم إلا وللإمام الباقر (عليه السلام) فيه رأي أو قول أو رواية .

وانهال عليه رجال العلم من التابعين يغترفون من علومه ومعارفه ، فحفظ أولئك العلماء للإمام الباقر (عليه السلام) منزلته وعرفوا مقامه وما وهبه الله تعالى من علوم هم أحوج ما يكونون إليها .

ويمكننا أن ندرك مدى سعة علوم هذا الإمام الجليل من خلال معرفة جملة ممن تتلمذ عليه أو أخذ عنه أو روى له ، فقد أحصينا في الفصل الثالث من هذا الباب من روى عنه في علوم القرآن والتفسير فقط يقارب عددهم الستين بين من

---

(١) الإمام الصادق، محمد ابو زهرة، ٢٣.

(٢) المصدر نفسه الصفحة.

روى بالواسطة أو مباشرة، وأكثرهم من أئمة العلماء وكبار التابعين أمثال: أبان بن تغلب وزراره وحمران ابني أعين ومحمد بن مسلم الطائفي وغيرهم.

وهنا نذكر جملة أخرى من الأعلام الذين أخذوا عنه، لما ذكره العلماء الذين ترجموا للإمام الباقر، ومنهم:

١- عمرو بن دينار.. الجمحي، مولاهم، أبو محمد الكوفي الأثرم[١].

٢- عبد الرحمن.. ابن عمرو الاوزاعي المتوفى سنة (١٥٧ هـ)، أحد رؤساء المذاهب البائدة، وممن احتج به أصحاب الكتب الستة[٢].

٣- عبد الملك.. ابن عبد العزيز بن جريج الأموي، مولاهم، أبو الوليد، المتوفى سنة (١٥٠هـ)، روى عنه ابن سعيد الأنصاري والسفيانان، وهو أحد الأعلام، واحتج بحديثه أصحاب الكتب الستة، وقال عنه أحمد: كان من أوعية العلم[٣].

٤- يحيى بن كثير.. أبو نصر الطائي، مولاهم، اليمامي، المتوفى سنة (١٢٩هـ)، قال شعبة: هو أحسن من الزهري، وقال أبو حاتم: ثقة لا يروي إلا عن ثقة[٤]، وهو من رجال الكتب الستة، ومن الأعلام المشهورين.

٥- ربيعه الرأي.. أبو عثمان، ربيعه بن عبد الرحمن بن فروخ التيمي، المتوفى سنة (١٣٦ هـ)، احتج به أصحاب الصحاح، وهو من كبار شيوخ مالك بن أنس، ومن تلامذة الإمام الباقر (عليه السلام)[٥].

وروى عنه الأوزاعي والثوري وسليمان بن بلال وغيرهم.

٦- عبد الله بن أبي بكر.. ابن عمر بن حزم الأنصاري، المدني، المتوفى سنة (١٣٥هـ) من رجال الكتب الستة، ومن شيوخ مالك، وهشام بن عروة

---

(١) راجع ترجمته ومصادره في ص ٤٩ في هذا الفصل.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٧/ ١٧٥ + الكنى والأسماء، الدولابي، ٤٣/٢ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢٣٨/٦ + الأعلام، الزركلي، ٩٤/٤.

(٣) التاريخ الكبير، البخاري، ق ١/٣/ ٤٢٢ + معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، ٢٤١ + تهذيب الأسماء، النووي، ٧٨٧.

(٤) طبقات الحفاظ، الذهبي، ١٣١/١.

(٥) تاريخ الإسلام، الذهبي، ٢٩٩/٤.

والسفيانيين وغيرهم. قال النسائي: ثقة، ثبت، وقال مالك بن أنس: إنه رجل صدق، كثير الحديث. وقال ابن سعد: ثقة، كثير الحديث[1].

٧- حجاج. . ابن ارطاة شراحيل، النخعي، الكوفي، القاضي، المتوفى سنة (١٤٥هـ)، روى عنه شعبة وهشيم والحمادان والثوري ويزيد بن هارون، وأخرج له مسلم في صحيحه، والبخاري في الأدب المفرد، والأربعة.

قال ابن عينة: سمعت ابن أبي نجيح يقول: ما جاءنا منكم مثله. وقال الثوري: عليكم به فإنه ما بقي أحد أعرف بما يخرج من رأسه منه. وقال العجلي: كان فقيهاً وكان أحد مفتي الكوفي[2].

وغيرهم كثير أمثال: أبي حنيفة النعمان المتوفى (١٥٠هـ) وقد جاءت رواياته عن الإمام الباقر (عليه السلام) وولده الإمام الصادق في كتب مناقبه وجامع مسانيده، ومنهم أسلم المنقري المتوفى سنة (١٤٢هـ) ومحمد بن إسحاق بن يسار المتوفى سنة (١٥١هـ) صاحب المغازي[3].

وما أخذ هذه الثلة المباركة من العلماء عن الإمام الباقر (عليه السلام) الأخير دليل على اعترافهم بفضله وسعة علومه من جهة وإن الإمام كان معتزلاً عن المعترك السياسي لا يخوض فيه من قريب أو بعيد من جهة أخرى، فوجه كل طاقاته وجهوده نحو العلم وحده متفرغاً له، فرفع مناره وأقام صرحه و (عاش مكرماً متفرغا للعلم في عزلته بالمدينة وكان الناس يأتونه فيسألونه عما يشاؤون)[4].

وقد تناول الإمام الباقر (عليه السلام) عدة علوم في بحوثه التي ألقاها على تلامذته والعلماء الذين يقصدونه من الأمصار الإسلامية الأخرى في المسجد النبوي الشريف غالباً أو فناء داره نادراً، ومن تلك العلوم التي اهتم بها الإمام الباقر (عليه السلام).

---

(١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٥/١٦٤ + تاريخ الإسلام، الذهبي، ٥/٣٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ٢/ ١٩٦.

(٣) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ١٦٣.

(٤) عقيدة الشيعة: روايت م. رونلدس، ١٢٣.

أولاً: الحديث الشريف

أولى الإمام الباقر (عليه السلام) المزيد من اهتمامه في الحديث الوارد عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعن آبائه الطاهرين، فهو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم وله من الأهمية البالغة في الشريعة الإسلامية فهو يتولى تخصيص عمومات الكتاب أو تقييد مطلقاته وبيان ناسخه من منسوخه، كما يعرض لأحكام فقهية في العبادات والمعاملات وإعطاء القواعد الكلية التي يتمسك بها الفقهاء لاستنباطهم للحكم الشرعي، فلذلك عنى به الإمام الباقر (عليه السلام) وتبناه بصورة إيجابية، وقد حمل عنه الرواة تلك الأحاديث.

واهتم الإمام الباقر (عليه السلام) بفهم الحديث الشريف والوقوف على معطياته، وجعل المقياس في فضل الراوي هو فهمه ومعرفته لمضامينه، فقد روى عنه الإمام الصادق (عليه السلام) إنه قال: اعرف منازل الشيعة على قدر رواياتهم ومعرفتهم، فإن المعرفة هي الدراية للحديث، وبالدراية للرواية يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان[1].

ويكاد لا يخلو مصدر من المصادر الحديثية عند الفريقين من روايات للإمام الباقر (عليه السلام)، فقد احتج به وصحح حديثه البخاري[2]، ومسلم[3]، وأصحاب السنن، والبيهقي[4] والطبراني[5]، ناهيك عن المصادر الحديثية عند الإمامية فقد زخرت بمروياته.

وقد عرضنا في الفصل الثالث من هذا الباب بشيء من التفصيل لموقف العلماء من روايات الإمام الباقر (عليه السلام) المرسلة عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكذلك بالنسبة لرواياته عن بعض الصحابة، وقدمنا ما رأيناه معالجة -والله أعلم- لتلك المواقف والتقريب بينها في شأن تلك المرويات.

---

(١) ناسخ التواريخ، محمد تقي الكاشاني، ٢/ ٢١٩.

(٢) ظ: للتفاصيل: الصحيح، البخاري، ١/ ٥٥، ١/ ٧٢ باب الغسل بالصاع ونحوه، ١/ ٧٣، ٣/ ١٣٧، ٣/ ٢١٣، ٥/ ١٧٣ وغيرها كنماذج.

(٣) ظ: للتفاصيل: الصحيح، الإمام مسلم، ١/ ٢، ٥/ ٢٣٣، ٦/ ١٤٧، ١٥٣، ١٦٦، ٨/ ١٣٣، ٨/ ١٩٤، ٩/ ٩ وغيرها كنماذج.

(٤) ظ: للتفاصيل: السنن الكبرى، البيهقي، ٣/ ٤١٠، ٤١١ كتاب الجنائز، ٦/ ٣٧، ٨٩، ٩٠، ١٤٠، ١٨٣، ٧/ ١٣٩ باب الوكالة في النكاح، ٧/ ٣٤٦، ٣٥١، ٨/ ٢٦، ٩/ ٣٠٢، ٣٠٤ وغيرها كنماذج.

(٥) ظ: للتفاصيل: المعجم الكبير، الطبراني، ١٠/ ٣٧١، ٣٢٢، ٢٣/ ٤٠٩ وغيرها كنماذج.

ثانياً: علم الفقه

يمثل فقه الإمام الباقر (عليه السلام) امتداداً طبيعياً لفقه جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكل الذي أخذ عن الإمام الباقر (عليه السلام) وابنه الإمام الصادق من بعده كونه في محصلته النهائية فقهاً أثرى عالم التشريع الإسلامي سمي فيما بعد بفقه آل البيت.

ولقد تهيأت الظروف للإمام الباقر (عليه السلام) بما لم تتهيأ لغيره من أئمة آل البيت وذلك ما رافق في سنيه من بوادر النقمة على الحكم الأموي وظهور النواة لثورة العباسيين عليهم مما جعل أولئك الحكام لم يعيروا اهتماماً لما يقوم به الإمام الباقر (عليه السلام) من نشر فقه أهل البيت بعد أن مضى على المسلمين أكثر من قرن من الزمن لا عهد لهم بفقه يختص بآل البيت.

ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن مميزات هذا الفقه أو نشوئه وبداياته أو مقارنته مع فقه باقي العلماء بقدر حديثنا عن جهود الإمام الباقر (عليه السلام) في هذا الباب.

فقد جهد الإمام الباقر (عليه السلام) وولده الصادق على نشر الفقه الإسلامي كغيرهم من أعلام هذه الأمة في وقت كان المجتمع الإسلامي غارقاً في الأحداث السياسية، فقام الإمام الباقر (عليه السلام) بالدور البناء في نشر الفقه الإسلامي وبيان أحكام الشريعة التي قدم من خلالها هذا الإمام الجليل خدمة عظيمة للإسلام والمسلمين، فحفلت موسوعات الفقه الإمامي خاصة مثل الحدائق الناظرة وجواهر الكلام ومستمسك العروة الوثقى وغيرها بالروايات الكثيرة التي أثرت عنه، وإليها يرجع فقهاء الإمامية في استنباطهم للأحكام الشرعية وفي إصدارهم للفتوى.

وليس من المستطاع لي أو لغيري تدوين كل ما أثر عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) من المسائل الفقهية، فإن ذلك يتطلب كتابة بحث أكاديمي منفرد، فلذلك آثرت أن أعقد مبحثاً مستقلاً عن تفسيره لآيات الأحكام ما دام تفسيرها يتعلق ببعض ما سجل للإمام الباقر (عليه السلام) من فقه امتاز به عن غيره من الفقهاء في عصره والعصور التي تلته، وكذلك بالنسبة لعلم الكلام وجهود الإمام فيه بتوجيه أنظار الأمة الإسلامية إلى خطر الخوض بهذه القضايا على الرغم من أنه لم يترك مبحثاً من مباحثه إلا وخاض فيه كما بيناه في مبحث مستقل أيضاً.

ثالثاً: علم أصول الفقه

إن علماء الإسلام عنوا عناية خاصة بعلم أصول الفقه، وخاضوا غمار أبحاثه وأجهدوا قرائحهم في فسيح مجالاته إلى أن حددوا معالمه، وسوروه بما يميزه من غيره، وجعلوه أمراً قائماً بذاته، وغرضهم في ذلك الوصول إلى مقاصد المشرع الحكيم، ومرامي شريعته الغراء، وأوجه دلالة ألفاظ الكتاب الكريم وسنة النبي (ﷺ) على المعاني المقصودة[1]. لأن الاجتهاد عندهم يتوقف عليه فإنه لا يكون المجتهد قد حصل على ملكة الاجتهاد حتى يجتهد في بحوث هذا العلم[2].

وكان أول من ألف في هذا العلم -ووصلنا تأليفه- هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى (٢٠٤هـ) حيث ألف رسالته فيه[3]، وذلك استجابة لطلب الحافظ عبد الرحمن بن المهدي البصري المتوفى سنة (١٩٨هـ)[4].

وعن بدايات هذا العلم يقول عبد الوهاب خلاف: بدأ صغيراً كما يوجد كل مولود أول نشأته ثم تدرج في النمو... بدأ منثوراً مفرقاً في خلال أحكام الفقه، لأن كل مجتهد من الأئمة الأربعة وغيرهم كان يشير إلى دليل حكمه ووجه استدلاله به[5].

ونحن نتكلم هنا على مشاركة الإمام الباقر (عليه السلام) فيمن شارك من العلماء آنذاك في جعل ولادة هذا العلم ولادة طبيعية ناجحة، فقد أرسى الإمام بعض قواعده من خلال الأحكام الفقهية التي أفتى بها وتنطوي على كثير من الأحكام الأصولية التي عرفت فيما بعد بالقواعد، يقول أحد الباحثين المحدثين: إن أول من فتح بابه -أي باب علم الأصول- وفتق مسائله هو باقر العلوم الإمام أبو

---

(١) ظ: التعارض والترجيح، عبد اللطيف البرزنجي، ٦.

(٢) كفاية الأصول، الخراساني، ٢/ ١٢٦.

(٣) أصول الفقه، محمد الخضري بك، ٤٦ + مقدمة الرسالة، الشافعي، ٥- ١٤.

(٤) هو الحافظ، الإمام، العلم، المقدم في الحديث والفقه، قال الشافعي: ما رأيت له نظيراً في الدنيا، ولد سنة (١٣٥ هـ) ومات سنة (١٩٨ هـ). ظ: الأعلام، الزركلي، ٤/١١٥ + مقدمتي الرسالة والأحكام، الإمام الشافعي، ٥- ١٤.

(٥) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ١٧.

جعفر محمد بن علي وبعده ابنه أبو عبد الله الصادق وقد أمليا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعده ومسائله[1].

والحق أن تلك الاملاءات لم تصل إلينا ولكن المتأخرين من علماء الإمامية لملموا أشتاتها ورتبوها على مباحثه على شكل روايات موثقة، مسندة متصلة الإسناد بأئمة آل البيت.

وفيما يلي بعض القواعد الأصولية التي أثرت عن الإمام الباقر (عليه السلام) وشارك في تأسيسها أو نقلها عن آبائه الطاهرين والتي يرجع إليه الفقهاء عند عدم النص على الحكم الشرعي، وإن كان الكثير منها قواعد فقهية غير أن علماء الأصول ذكروها في مؤلفاتهم توضيحاً لبعض قواعد هذا العلم.

أولاً: الاستصحاب

يعد الاستصحاب أحد الأصول الأربعة التي يرجع إليها الشاك في مقام، وهو في اللغة بمعنى طلب الصحبة، والصحبة بمعنى المعاشرة يقال: استصحبه، أي دعاه إلى الصحبة، وهو يفيد أيضاً معنى الملازمة يقال: استصحبه أي لازمه[2]، ويقال: استصحبت في سفر الكتاب أو الرفيق، أي جعلته مصاحباً لي[3].

وفي مصطلح الأصوليين عرف الاستصحاب بتعريفات كثيرة، نشأت كثرتها من محاولة بعضهم تعريف الاستصحاب وفق مبناه في اعتباره أمارة كاشفة عن الواقع، أو اعتباره أصلاً عملياً، دون أن يكون له دور الكشف عن الواقع[4]. ولذلك كله فقد عرف بتعريفات كثيرة[5]، أهمها -نسبياً- هو الحكم ببقاء حكم أو موضوع ذي حكم شك في بقائه[6].

---

(١) الشيعة وفنون الإسلام، حسن الصدر، ٩٥.

(٢) ظ: القاموس المحيط، الفيروز آبادي،١/ ٩١ + لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٨.

(٣) مصادر التشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلاف، ١٢٧.

(٤) مصباح الأصول، محمد سرور البهبودي، ٥ ـ ٦.

(٥) ظ: إرشاد الفحول، الشوكاني، ٢٠ + كشف الأسرار، عبد العزيز البخاري،٣/ ٣٧٧ + أصول الفقه، الشيخ المظفر، ٣/ ٢٧٧-٢٧٨ + مفتاح الوصول، أحمد البهادلي، ١/ ٢١٧.

(٦) كفاية الأصول، الخراساني، ٢/ ٢٧٣.

وقد اختلف العلماء في حجيته على أقوال، هي عند -الإمامية- فقط بلغت حداً يصعب حصره، فكيف لو أضفنا إليها أقوال غيرهم[1]، ولذلك سأقتصر على ذكر ثلاثة أقوال فقط:

١- وهو القول بحجية الاستصحاب مطلقاً، أي التمسك في حالة الشك ببقاء ما يتعلق به اليقين، وقد ذهب إلى هذا الرأي -كما يقول ابن الحاجب- أكثر العلماء، ومنهم المالكية والحنابلة والشافعية[2].

كما ذهب إليه -كما يقول صاحب المعالم- أكثر الإمامية[3].

وذهب إليه أيضاً -فيما يقول أبو الحسين البصري- قوم من أهل الظاهر وغيرهم[4]، وقد صرح بذلك منهم ابن حزم الأندلسي[5].

٢- عدم حجية الاستصحاب مطلقاً، وينسب هذا الرأي إلى أكثر الحنفية والمتكلمين[6]، وقد صرح به أبو الحسين البصري[7]، كما نسب إلى السيد المرتضى من الإمامية[8].

٣- إن الاستصحاب حجة دافعة لا حجة ثابتة، أي إنه حجة لدفع ما يخالف الأمر الثابت بالاستصحاب، وليس هو حجة على إثبات أمر لم يقم دليل على ثبوته، وهذا التفصيل منسوب لأكثر المتأخرين من علماء الحنفية[9].

وقد استدل أصحاب كل قول إلى ما ذهبوا إليه بأدلة يرى كل منهم بأنها وجيهة في معناها صحيحة في مبناها، غير إننا لا نذكرها، بل الذي يهمنا أن نذكر مشاركة الإمام الباقر (عليه السلام) فيما ورد عنهم في تدعيم أدلة أصحاب القول الأول

---

(١) ظ: أصول الفقه، الشيخ المظفر، ٣/٤.

(٢) ظ: شرح المختصر، القاضي العضد الإيجي، ٢/٢٨٤ + إرشاد الفحول، الشوكاني، ٢٢.

(٣) معالم الدين، ابن الشهيد الثاني، ١٨

(٤) المعتمد، أبو الحسين المعتزلي، ١/ ٨٨٤.

(٥) الأحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ٥/٢.

(٦) الأحكام في أصول الأحكام، الآمدي، ٣/١٨١ + إرشاد الفحول، الشوكاني، ٢٣٧.

(٧) المعتمد، أبو الحسين البصري، ١/ ٨٨٤-٨٨٥.

(٨) معالم الدين، ابن الشهيد الثاني، ٢١٨.

(٩) ظ: سلم الوصول، الشيخ عمر عبد الله، ٣٠٧ + كشف الأسرار، عبد العزيز البخاري، ٣/٣٧٨ + التلويح على التوضيح، التفتازاني، ٢/١٠٢.

وهو حجية الاستصحاب مطلقاً، بعد ما استدلوا بأدلة من العقل والإجماع ووجوب العمل بالظن وبتلك الأخبار التي وردت عن الإمام الباقر (عليه السلام)، وإليك بعضاً منها:

١- ما رواه زرارة بن أعين في الصحيح[١] أنه قال: قلت له -أي للإمام الباقر (عليه السلام)- الرجل ينام وهو على وضوء، أتوجب الخفقة والخفقتان عليه الوضوء؟ فقال: يا زرارة قد تنام العين ولا ينام القلب والأذن، فإذا نامت العين والأذن والقلب وجب الوضوء. قلت: فإن حرك في (على) جنبه شيء وهو لا (لم) يعلم به؟ قال: لا، حتى يستيقن أنه قد نام، حتى يجيء من ذلك أثر بين، وإلا فإنه على يقين من وضوئه، ولا ينقض (تنقض) اليقين أبداً بالشك، ولكن (وإنما) ينقضه (تنقضه) بيقين آخر[٢].

٢- رواية زراره أيضاً المتضمنة أحكام شكوك الصلاة قال: سألت الإمام أبا جعفر الباقر (عليه السلام): من لم يدر في أربع هو أو في اثنتين وقد أحرز الاثنتين؟ قال: يركع بركعتين وأربع سجدات -وهو قائم- بفاتحة الكتاب ويتشهد، ولا شيء عليه، وإذا لم يدر في ثلاث هو أو في أربع وقد أحرز الثلاث، قام فأضاف إليها أخرى ولا شيء عليه، ولا ينقض اليقين بالشك، ولا يدخل الشك باليقين، ولا يخلط أحدهما بالآخر، ولكنه ينقض الشك باليقين، ويتم على القين فيبني عليه ولا يعتد بالشك في حال من الحالات[٣].

وهناك أخبار كثيرة عن الإمام الباقر (عليه السلام) ذكرت في أبواب الشك في الصلاة، مذكورة في الموسوعات الفقهية الإمامية تلتقي مع هذين الخبرين في أعلاه بمجموعها على مدلول هو (عدم نقض اليقين بالشك)، فإن عدم دلالة

---

(١) كفاية الأصول، الخراساني، ٢/ ٢٨٢ + أصول الفقه، الشيخ المظفر، ٣/ ٢٩٦ + فرائد الأصول، الشيخ مرتضى الأنصاري، ٣٢٩.

(٢) التهذيب، الشيخ الطوسي، ١/ ١١٧ + الاستبصار، الشيخ الطوسي، ١/ ١٦ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١/ ١٧٤.

(٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ١/ ١٦٠ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١/ ١٧٥-١٧٦ + أصول الفقه، الشيخ المظفر، ٣/ ٣٠٧-٣٠٨.

بعضها بصراحة على الاستصحاب غير ضائرة بعد أن كان البعض الآخر صريحاً بالدلالة عليه لتعاضد هذه الأخبار المروية عن الإمام الباقر (عليه السلام)، فيكون بهذا قد أرسى قواعد هذا الأصل العملي وكانت الروايات المنقولة عنه أدلة استفادها بعض القائلين بحجية الاستصحاب مطلقاً.

ثانياً: علاج التعارض

التعارض لغة: كالتجاذب والتقاتل والتشاور وأمثالها من صيغ التفاعل التي لا تتحقق بطرف واحد[1].

ومن المعاني الاستعمالية للتعارض: التمانع بين شيئين أو أكثر، أصله الاعتراض بمعنى المنع، يقال: اعترض البناء في الطريق، إذا منع السابلة من سلوكه[2].

أما عند الأصوليين فقد عرف بـ: التمانع بين الأدلة الشرعية مطلقاً، بحيث يقتضي أحدهما عدم ما يقتضيه الآخر[3].

ووضع الأصوليون عند جميع المذاهب الإسلامية شروطاً للتعارض وأركاناً، والمجال الذي يمكن جعله من المتعارض وكيفية رفعه إن وجد مما هو مفصل في محله من مؤلفاتهم. وقد درس الأستاذ عبد اللطيف البرزنجي (رحمه الله) التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية برسالة مستقلة استوفى فيها جميع جوانب الموضوع، موضحاً موقف العلماء جميعاً من هذا المبحث الأصولي المهم[4].

وما تطرقنا لهذا الموضوع الأصولي إلا بالقدر الذي نستوضح فيه جهود الإمام الباقر (عليه السلام) ومدى مشاركته بل تأسيسه للمفهوم الأصولي مدار

(١) مفتاح الوصول، أحمد البهادلي، ٢/ ٢٩٦.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٢/ ٣٣٥، وقلت: من معانيه الاستعمالية، لأن هذا المعنى مما لحق بالأصل كما يبدو من تتبع موارد هذه الكلمة، انظرها في القاموس، ٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٦.

(٣) ظ: التقرير والتحبير، محمد بن محمد أمير الحاج، ٣/ ٢٧٦ + التلويح على التوضيح التفتازاني، ٢/ ١٠٢ + المعتمد، أبو الحسين البصري، ٢/ ٨٥٦ + القوانين المحكمة، الميرزا أبو القاسم القمي، ٢/ ٢٧٦.

(٤) التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، عبد اللطيف عبد العزيز البرزنجي، ط ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

البحث، وأيّاً كان فقد وردت كثير من الروايات والنصوص التي توهم التعارض سواء كانت عن رسول الله (ﷺ) أو عن أئمة آل البيت (عليهم السلام)، فوضع الإمام الباقر (عليه السلام) بعض المرجحات مما يعد برنامجاً عملياً للأصوليين في هذا المجال، وهي:

١- الترجيح بسند الرواية

أي كثرة رواة أحد المتعارضين دون الآخر، بحيث يحصل من كثرتهم اشتهار الرواية بينهم، فمع اشتهار أحد المتعارضين يرجح على فاقد الشهرة، إذ العدد الأكثر أبعد عن الخطأ من الأقل[(١)]، فيؤخذ بالمشهور ويطرح الشاذ النادر.

فقد روى زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام): فقلت: جعلت فداك، يأتي عنكم الخبران والحديثان المتعارضان فبأيهما آخذ؟ فقال الإمام أبو جعفر: يا زرارة خذ بما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر[(٢)].

ويعضد هذه الرواية ما روي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: ينظر إلى ما كان من روايتهم عنا في ذلك الذي حكما به، المجمع عليه من أصحابك، فيؤخذ به من حكمهما، ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك، فإن المجمع عليه لا ريب فيه دائماً[(٣)].

ولهذا فإن الشهرة في الرواية -والتي أرسى قواعدها الإمام الباقر (عليه السلام)- قد قام الإجماع على الترجيح بها[(٤)].

٢- رجحان صفات رواة أحد المتعارضين على صفات رواة الآخر

قد عمم بعض الأصوليين الترجيح بصفات الرواة ليشمل كل وصف يغلب معه ظن الصدق (كالثقة والفطنة والورع والعلم والضبط) بل رجح بعضهم

---

(١) معالم الدين، ابن الشهيد الثاني، ٢٤٣ + المستصفى، أبو حامد الغزالي، ٢/ ٣٩٢ + فرائد الأصول، الشيخ الأنصاري، ٤٤٣.

(٢) غوالي اللئالي، أبو جمهور الاحسائي ٢٦٣.

(٣) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٢/٣٠١ + من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ٣/ ٥+ الاحتجاج، الطبرسي، ٢/ ١٩٤ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٨/ ٧٥-٧٦.

(٤) أصول الفقه، الشيخ المظفر، ٤/ ٢٥٥.

بالضابط والأضبط والعالم والأعلم[1] وناقش بعضهم الترجيح بالأعلمية والأفقهية، وخص الترجيح بهما بالقضاء والفتيا[2] ويبدو أن الترجيح بصفات الرواة -في الجملة- مما اتفقت عليه أقوال الأصوليين[3] وأثر في الترجيح بصفات الراوي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) ما رواه زرارة بن أعين أيضاً بعد افتراض تساوي الخبرين بالشهرة أن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: خذ بما يقول أعدلهما عندك وأوثقهما في نفسك[4].

دلّت هذه الرواية على أن عدالة الراوي ووثاقته من موجبات الترجيح لأحد الخبرين المتعارضين على الآخر.

٣- الترجيح بموافقة الكتاب والسنة الشريفة

ويقصد بهذا موافقة دلالة أحد المتعارضين لدلالة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة دون الآخر[5]، وقد وردت عدة روايات عن الإمام الباقر (عليه السلام) جعل المقياس فيها لعلاج التعارض هو عرض الخبرين المتعارضين على الكتاب والسنة فإن اتفق أحدهما مع منطوقهما يؤخذ به ويطرح الآخر، وإليك بعضاً من تلك الروايات:

١- قال الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) لبعض أصحابه: لا تُصَدِّقَنَّ علينا إلا ما وافق كتاب الله وسنة نبيه[6].

٢- وقال أيضاً: إذا جاءكم عنا حديث فوجدتم عليه شاهداً من كتاب الله فخذوا به، وإلا فقفوا عنده، ثم ردّوه إلينا حتى يستبين لكم[7].

---

(١) معالم الدين، ابن الشهيد الثاني، ٢٤٣.

(٢) علم أصول الفقه، محمد جواد مغنية، ٤٤٣ + أصول الأحكام، حمد عبيد الكبيسي، ٣٥١ + مسلم الثبوت، البهاري، ٢/ ٢٠٤.

(٣) علم أصول الفقه، محمد جواد مغنية، ٤٤٣ + أصول الأحكام، حمد عبيد الكبيسي، ٣٥١ + مسلم الثبوت، البهاري، ٢/ ٢٠٤.

(٤) تهذيب التهذيب، الطوسي، ٢/ ٣٠١ + من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ٣/ ٥ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٨/ ٧٦ + أصول الفقه، الشيخ المظفر، ٤/ ٢٤١.

(٥) مفتاح الأصول، أحمد البهادلي، ٢/ ٣١٦.

(٦) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٩ + الكافي الكليني، ١/ ٨٩.

(٧) الكافي، الكليني، ٢/ ٢٢٢ + وسائل الشيعة الحر العاملي، ١٨/ ٨٠.

ونكتفي بهذا القدر للاستدلال على ما قدمناه من أن الإمام الباقر (عليه السلام) قد شارك مشاركة فاعلة في تأسيس علم أصول الفقه وإرساء بعض قواعده ليتبين مدى سعة العلوم التي اضطلع بحملها ونشرها هذا الإمام الجليل.

رابعاً: علم السيرة:

لم يكن الإمام الباقر (عليه السلام) ليترك هذا العلم وهو البحث في سيرة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدون أن يخوض غماره ويدلو بدلوه فيه، ويكفيه مشاركة أن محمد بن إسحاق بن يسار الذي كتب عنه ابن هشام السيرة النبوية كان من تلامذة الإمام الباقر (عليه السلام) ورواته، يقول ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ): كان محمد -يعني ابن إسحاق- أتى أبا جعفر محمد بن علي فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة ذلك[١].

ويكفي من أراد أن يكشف عن مدى اهتمام الإمام الباقر (عليه السلام) بالسيرة أن يطلع على كتاب السيرة النبوية لابن هشام[٢]، وكتاب السير والمغازي للواقدي[٣]، ليطلع على ما كان للإمام الباقر (عليه السلام) من أثر في تدوين السيرة النبوية وروايتها.

خامساً: مشاركة الإمام الباقر (عليه السلام) في تعريب العملة في دار الإسلام

من المفاخر العربية الإسلامية التي اضطلع بها رجال هذه الأمة تحريرهم للنقد العربي الإسلامي من التبعية الأجنبية، ولعلها أكبر مفخرة سجلها لهم التاريخ، فقد كان العرب يتعاملون بالنقود الرومية والفارسية حتى ظهر الإسلام، وافتتحوا البلدان وأسسوا الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، ففطن بعض الخلفاء إلى وجوب التمدن الحضاري وكان من أولى موجباته وأسسه التحرر بالعملة الإسلامية من التبعية، وجعلها مستقلة بذاتها تماماً وكانت هناك محاولات لعل أقدمها محاولة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في سنة

---

(١) المعارف، ابن قتيبة، ٢١٥.

(٢) ظ: للتفاصيل: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢٣٨/١، ٣٣٢/٢، ١٤٠/٤، ١٩٠، ٣١٣ وغيرها كنماذج.

(٣) ظ: للتفاصيل: السير والمغازي، الواقدي، ١٠٨/٢، ١٠٩، ٢٤٥/٥، ٢٤٩ وغيرها كنماذج.

(١٨هـ) فقد زاد على نقش الكسروية للدراهم (الحمد لله، محمد رسول الله) وفي بعضها (لا إله إلا هو) وتلتها محاولات أخرى ذكرت في كتب التاريخ[١].

غير أن هذه المسكوكات لم تكن تعتبر رسمية في الدولة الإسلامية، أي باعتبار منع التداول بغيرها منعاً باتاً بل ظل الأمر هكذا، جرياً في التعامل بالمسكوكات والعملات الرومية والفارسية، وبعد مجيء الدولة الأموية واتساع الرقعة الإسلامية اتساعاً مطرداً وظهور ثقافات واقتصاديات غير إسلامية حاولت التغلغل في الحياة الإسلامية، انتبه لذلك الخلفاء الأمويون وخاصة عبد الملك بن مروان (ت: ٨٦هـ) فقاد حركة تعريبية واسعة، ساعده فيها خالد بن يزيد بن معاوية (ت: ٩٠ هـ)[٢] واكتشفنا ذلك من خلال ترجمة حياته، فأراد عبد الملك تغيير طراز القراطيس من الرومية إلى العربية ومن ثم تحرير النقد العربي الإسلامي فتم له ذلك سنة (٧٦هـ).

وقد اختلفت أقوال العلماء فيمن أشار عليه على ثلاث روايات وهي:

الرواية الأولى:

روى الكسائي (ت: ١٨٩ هـ)[٣] ما ملخصه: أن هارون الرشيد حدثه: أن عبد الملك بن مروان أراد تغيير الطراز من الرومية إلى العربية فشق ذلك

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، ١/ ١١١.

(٢) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، كان صغيراً حين توفي أخوه معاوية بن يزيد فتولى الخلافة مروان بن الحكم، وتزوج أم خالد ليخمله، ويقال: إنه أحب صنعة الكيمياء فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مصر، وقد تفصح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب من اللسان القبطي واليوناني إلى العربي، قال الجاحظ: خالد بن يزيد خطيب، شاعر، وفصيح جامع، جيد الرأي، وهو أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء، (ت: ٩٠هـ). انظر مصادر ترجمته: الفهرست، ابن النديم، ٢٤٢ + البيان والتبيين، الجاحظ، ١/ ١٧٨ + وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١/ ١٦٨ + تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٥/ ١٦ + تاريخ ابن الوردي، ١/ ١٧٩.

(٣) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بن الولاء الكوفي، أبو الحسن الكسائي، ولد في إحدى قرى الكوفة، وتعلم في الكوفة وتنقل في البادية ثم سكن بغداد واتصل بالرشيد وكان يؤدب ولديه الأمين والمأمون، وكان أثيراً عند الرشيد حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين (ت: ١٨٩ هـ) له تصانيف. انظر مصادر ترجمته: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١١/ ٤٠٣ + وفيات الأعيان، ابن خلكان، ١/ ٣٣٠ + غاية النهاية، ابن الجزري، ١/ ٣٥٠.

على ملك الروم فبعث إليه يهدده بأن ينقش على دنانيره شتم النبي (ﷺ) فعظم هذا الأمر على عبد الملك فجمع إليه كبار المسلمين واستشارهم، فأشار عليه روح بن زنباع[1] فقال: عليك بالباقر (عليه السلام) من أهل بيت النبي (ﷺ)، فقال: صدقت، ولكنه ارتج الرأي فيه، وكتب إلى عامله بالمدينة أن أشخص إلي محمد بن علي بن الحسين مكرماً، ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه وبثلاثمائة ألف لنفقته وأرح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه وحبس عبد الملك رسول ملك الروم إلى موافاة محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، فلما وافاه أخبره الخبر، فقال له محمد الباقر (عليه السلام): لا يعظم عليك، فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما: أن الله (عزَّ وجلَّ) لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله (ﷺ) والثاني: وجود الحيلة فيه. فقال عبد الملك: وما هي؟ قال الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام): ادع هذه الساعة صناعاً فيضربون بين يديك سككاً للدارهم والدنانير، وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله (ﷺ)، أحدهما: في وجه الدرهم أو الدينار والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه، والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير. وأخذ الإمام الباقر (عليه السلام) يحدد له أوزانها كل على حدة، ففعل ذلك عبد الملك من فوره وبعث نقوده إلى جميع البلدان الإسلامية، وتقدم إلى الناس في التعامل بها -بإشارة من الإمام الباقر (عليه السلام) أيضاً- وهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وأن تبطل تلك وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكة الإسلامية، وكان ذلك كله سنة (٧٦هـ)[2].

---

(١) هو روح بن زنباع بن سلامة الجذامي، ابو زرعة، كان احد ولاة فلسطين ايام يزيد بن معاوية، كان سيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها، قيل له صحبة وكان عبد الملك بن مروان يقول فيه: جمع روح طاعة أهل الشام، ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز. انظر مصادر ترجمته: الإصابة العسقلاني، ٢/ ٢١٦ + البيان والتبيين، الجاحظ، ١/ ٣٤٦ + تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٥/ ٣٣٧ + البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٩/ ٥٤.

(٢) المحاسن والمساويء، إبراهيم بن محمد البيهقي، ٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٦ + حياة الحيوان الدميري، ٢/٥٥ + شذور العقود، المقريزي، ٧.

الرواية الثانية:

ذكر ابن كثير الدمشقي: أن عبد الملك بن مروان استقدم مرة الإمام زين العابدين علي بن الحسين و استشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطراز القراطيس[1].

الرواية الثالثة:

ذكر ابن الأثير أن الذي استشاره عبد الملك بن مروان هو خالد بن يزيد بن معاوية فأشار عليه بتحريم دنانير الروم وضرب سكة للناس فيها ذكرُ الله تعالى[2]

القول الراجح: لعل من الواضح جداً أن القول الراجح هو الرواية الأولى والتي قام فيها الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) بأسمى خدمة للعالم الإسلامي بتحريره للنقد العربي الإسلامي من التبعية إلى الإمبراطورية فقد جعله الإمام مستقلاً بنفسه يحمل الشعار الإسلامي وقطع الصلة بينه وبين الروم، وما رجحنا ذلك إلا للأسباب الآتية:

١- إن الرواية الثانية لم تذكر تفاصيل دقيقة عن هذه القضية الخطيرة وجاءت بدون سند يذكر، علاوة على أنها سكتت عن جواب الإمام زين العابدين ولم تذكر شيئاً سلباً أو إيجاباً.

٢- تتبعت المصادر التاريخية والرجالية عن حياة الإمام زين العابدين، فلم أظفر بما ورد في الرواية الثانية بشيء عن هذه القضية ولو تلميحاً، وليس من المعقول أن تغفل كل تلك المصادر ما ذكره ابن كثير الدمشقي وانفرد فيه.

٣- لعل ابن كثير الدمشقي قد نقل هذه الرواية -أقصد الثانية- عن مصدر آخر لم يصل إلينا.

٤- أما الرواية الثالثة، فقد تفرد ابن الأثير بذكرها، وتقدم أيضاً عند ترجمة خالد بن يزيد ما يضعف هذا القول خصوصاً إذا ما علمنا أن تلك المصادر لم تشر إلى ما أشار إليه ابن الأثير.

---

(١) البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي، ٩/ ١٠٤.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٤/٥٣.

٥ - ويقوّي ما رجحناه ما تقدم من أن جملة من العلماء قد قالوا به، القدامى منهم والمحدثين[١].

غير أن هناك تساؤلاً قد يثار هو: أن الرواية التي رجّحناها والتي بينت بأن الإمام الباقر (عليه السلام) قد شارك في تحرير النقد العربي تنص على أن تاريخ ذلك التحرير يعود لسنة (٧٦هـ) والباقر (عليه السلام) يوم ذاك كان في العشرين من عمره على ما أثبتناه في ولادته، وأن والده الإمام زين العابدين لا يزال حياً وعاش إلى سنة (٩٥هـ) وذلك بعد وفاة عبد الملك بن مروان بتسع سنين، فعلى هذا المبنى يكون من غير الجائز أن يرسل عبد الملك في طلب الإمام الباقر (عليه السلام) ويترك أباه الذي كان معروفاً في الأوساط العلمية آنذاك.

نقول: ما المانع من ذلك إذ ليس ببعيد أن يكون الإمام الباقر (عليه السلام) معروفاً في الأوساط العلمية كأبيه أيضاً، ولعلم عبد الملك بتعذر سفر والده زين العابدين من جهة أخرى، ولأن المؤهلات العلمية لا تقاس عادة بالسنين خاصة بالنسبة لتلك الشريحة الطاهرة من آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) كما يبدو ذلك من خلال تتبع تاريخهم ومآثرهم الخالدة.

وعلى أية حال، فالإمام الباقر (عليه السلام) كان من أعلم أهل زمانه وسيد الهاشميين وأفضلهم في عصره، ولم يكن ليحيا حياة العزلة أو ينضم في زاوية الخمول بل كانت له شهرة، ولمدرسته العلمية أثر في توجيه الفكر تخرج منها جملة من أعلام هذه الأمة، فكانوا بحق مفخرة الزمن... فتلك ومضة سريعة، أردنا من خلالها أن تلمح ولو بشكل خاطف عن بعض ما جادت به قريحة هذا الإمام الجليل من علوم ومعارف، لأن الوقوف على الكل يتطلب توسعاً أيما توسع، لم يبخل بها على تلامذته ورواته بل على المسلمين جميعاً. فكان بحق خير عالم، وخير داعية، لم يأل جهداً كلما سنحت له الفرصة وأمكن له الظرف في سبيل نشر تعاليم الإسلام وبسط علومه، فسلام عليه يوم ولد، ويوم مات، ويوم يبعث حياً.

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، ١/ ١١١-١١٢ + أعيان الشيعة، محسن الأمين، ق٢/ ٤/ ١٣ـ ١٤ + سيرة الأئمة، هاشم معروف الحسني، ٢٢١-٢٢٣ + الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر، ٢/ ٤٥٨-٤٥٩ + حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي، ٢/ ٣٦-٣٩ وانظر مصادره.

المبحث الثالث

مناظراته وأجوبته

لم يكن دور الإمام الباقر (عليه السلام) مقتصراً على الفقه وأصوله، والحديث وقواعده، وتفسير القرآن وعلومه، بل كان يناظر أصول الدين الإسلامي ويحاول تركيزها في النفوس حتى لا تتعرض لما أثير في ذلك العصر من الجدل والنزاع في أصول العقائد، فقد كان عصره من أدق العصور الإسلامية وأكثرها حساسية، فقد نشأت فيه الكثير من الفرق الإسلامية التي كانت من أخطر الظواهر الفكرية والاجتماعية في ذلك العصر.

فكانت وفود العلماء تقصده إلى المدينة المنورة وهي ما زالت المركز الإسلامي الأول، يأخذون عنه الأحكام، وكان عَلَمَاً يشار إليه بالبنان في إرشاد الناس وتحذيرهم من الزيغ والضلال ويرجعون إليه في معضلات المسائل، فيحل لهم عقالها ويوضح لهم ما أشكل عليهم فهمه من أحكام الدين، وقد تنوعت أجوبة الإمام الباقر (عليه السلام) ومناظراته بتنوع الوافدين عليه، فقد وفد عليه قادة بعض الفرق الإسلامية مثل الخوارج والمعتزلة وكذلك بعض الفقهاء والمفسرين والعلماء أمثال قتادة بن دعامة وطاووس اليماني وبعض الزهاد، فكل واحد من هؤلاء قد أخذ من الإمام الباقر (عليه السلام) مبتغاه، إن كان سائلاً على سبيل الاستفسار والاستفهام، أو على سبيل الاختبار والإفحام، وإليك بعض تلك الأجوبة والمناظرات:

أولاً: مناظراته وأجوبته مع بعض المفسرين والفقهاء والعلماء

المناظرة الأولى: مع طاووس اليماني (ت ١٠٦ هـ)[1]

جاء في رواية أبي بصير: أن الإمام الباقر (عليه السلام) جلس يوماً في الحرم، معه جماعة من أصحابه فأقبل طاووس اليماني في جماعة من الناس، وقال لأبي جعفر: أتأذن لي

---

(١) هو ابو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الخولاني، الهمداني، اليماني -احد ائمة العلماء- ومن رواة الستة، وثّقه ابن معين وأبو زرعة والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقاة.. وقال: كان من عباد أهل اليمن وفقهائهم ومن سادات التابعين، مات بمكة سنة (١٠٦هـ) انظر مصادر ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٣٦١/٥ + الجمع للقيسراني ٢٣٥ + الأنساب للسمعاني، ١٣٧ + طبقات المدلسين للعسقلاني ٥ (١) ص٧٧..

في السؤال؟ فقال الإمام: قد أذنت لك، فسل عما تريد. قال طاووس: أخبرني متى هلك ثلث الناس؟ قال الإمام: لعلك وهمت يا شيخ وأردت أن تقول ربع الناس، فقال طاووس: نعم لقد أردت ذلك يا بن رسول الله (ﷺ) فقال الإمام: لقد هلك ربع الناس يوم قتل قابيل هابيل، ذلك أنه لم يكن على وجه الأرض غير آدم وحواء وقابيل وهابيل، فهلك ربعهم بموت هابيل. فقال طاووس: فأيهما كان أباً للناس القاتل أو المقتول؟ فقال الإمام: لا هذا ولا ذاك، بل شيث بن آدم. فقال طاووس: فلم سمي آدم آدم؟ قال الإمام: لأن طينته رفعت من أديم الأرض السفلي. فقال طاووس لم سميت زوجته حواء؟ فقال الإمام: لأنها خلقت من ضلع حي. قال طاووس: فلم سمي إبليس بهذا الاسم؟ قال الإمام: لأنه أبلس من رحمة الله (عزّ وجلّ) فلا يرجوها. قال طاووس: فلم سمي الجن جناً؟ قال الإمام: لأنهم استجنوا فلم يروا.

قال طاووس: فأخبرني عن أول كذبة كذبت من صاحبها؟ قال الإمام: كذبة إبليس حين ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[1].

قال طاووس: فأخبرني عن قوم شهدوا شهادة الحق وكانوا كاذبين؟ قال الإمام: المنافقون حين قالوا لرسول الله (ﷺ) نشهد إنك لرسول الله، فأنزل الله (عزّ وجلّ) ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[2]. قال طاووس: فأخبرني عن طائر طار مرة ولم يطر قبلها ولا بعدها، ذكره الله (عزّ وجلّ) في القرآن ما هو؟ قال الإمام: طور سيناء، أطاره الله (عزّ وجلّ) على بني إسرائيل حين أظلهم بجناح منه، فيه ألوان العذاب، حتى قبلوا التوراة وذلك قوله (عزّ وجلّ) ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ...﴾[3]. قال طاووس: فأخبرني عن رسول بعثه الله تعالى ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة، ذكره الله تعالى في كتابه؟ قال الإمام: هو الغراب، حين بعثه الله (عزّ وجلّ) ليري

---

(١) ص/٧٦.

(٢) المنافقون/ ١.

(٣) الأعراف/ ١٧١.

قابيل كيف يواري سوأة أخيه هابيل حين قتله، وذلك قول الله (عزَّ وجلَّ) ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾[1].

قال طاووس: فأخبرني عمن أنذر قومه وهو ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة، قد ذكره الله في كتابه؟ فقال الإمام: هو النملة حين قالت ﴿يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[2].

قال طاووس: فأخبرني عمن كذب عليه ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة: ذكره الله (عزَّ وجلَّ) في كتابه؟ قال الإمام: الذئب، الذي كذب عليه اخوة يوسف(عليه السلام). قال طاووس: فأخبرني عن شيء قليله حلال وكثيره حرام، وذكره الله (عزَّ وجلَّ) في كتابه؟ قال الإمام: نهر طالوت، قال الله (عزَّ وجلَّ) ﴿.. إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾[3]. قال طاووس: فأخبرني عن صلاة فريضة تصلى بغير وضوء، وعن صوم لا يحجز عن أكل وشرب؟ قال الإمام: أما الصلاة بغير وضوء فالصلاة على النبي وآله عليه وعليهم الصلاة والسلام، وأما الصوم فقد حكاه الله سبحانه وتعالى عن مريم(عليها السلام) بقوله ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾[4]، وبعد أن انتهى طاووس اليماني من مسائله لم يخف إعجابه وإكباره بالإمام الباقر(عليه السلام)، وذلك بقوله ﴿...اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾[5][6].

وقد رأينا في هذه المناظرة المنعقدة في الحرم أمام الناس أن الإمام الباقر(عليه السلام) يجيب سائله بآيات من القرآن الكريم مستنطقاً نصوصه، لا يخرج في الجواب عن حدود كتاب الله تعالى، وكانت تلك المسائل التي وجهها طاووس اليماني مما يعدُّ

---

(١) المائدة/ ٣١.

(٢) النمل/ ١٨.

(٣) البقرة/ ٢٤٩.

(٤) مريم/ ٢٦.

(٥) الأنعام/ ١٢٤.

(٦) الاحتجاج، الطبرسي، ٢/ ٦٤-٦٧ + الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ٢/ ٤٥٣ + سيرة الأئمة، هاشم معروف الحسني، ٢١٦.

من أدق المسائل لأن المجيب عليها يجب أن يكون لديه ذهنية متوقدة وبديهة حاضرة للشرط الذي وضعه من أن الإجابة يجب أن تكون من القرآن الكريم، فكانت إجابات الإمام الباقر (عليه السلام) على وفق ذلك الشرط لعلمه الجم بآيات القرآن وسوره ومن ثم علمه بتفسير تلك الآيات وما تدل عليه من سياقها، وقد سَلَّمَ طاووس على الرغم من علو منزلته بين العلماء بمكانة الإمام الباقر (عليه السلام) عندما أظهر إكباره له واحترامه لأجوبته عن تلك المسائل التي دارت هذه المناظرة حولها.

المناظرة الثانية: مع الحسن البصري (ت ١١٠هـ)[1]

وفد الحسن البصري إلى المدينة المنورة فعرج على الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وجرت بينهما مناظرة طويلة أفحم الإمام فيها الحسن البصري، غير أن المصادر التي ذكرتها قد أهملت ذكر السنة التي التقيا فيها وأغلب الظن أن مثل هذه المناظرات التي جرت في المدينة المنورة هو أن هؤلاء الأعلام كانوا يؤدون مناسك الحج فيقصدون المدينة لزيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيصادف أن يلتقوا بالإمام الباقر (عليه السلام) من جهة وأن المدينة المنورة في عصر الإمام الباقر (عليه السلام) كانت مركز الإشعاع الفكري الإسلامي الأصيل فكان يقصدها العلماء وطلاب العلم من مختلف الأمصار الإسلامية من جهة ثانية.

روي أن الحسن البصري دخل على الإمام الباقر (عليه السلام) فقال له: جئت لأسألك عن أشياء من كتاب الله، فقال له الإمام ألست فقيه أهل البصرة؟ قال الحسن: قد يقال ذلك، قال له الإمام: هل بالبصرة أحد تأخذ منه؟ قال الحسن: لا، قال الإمام: فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟ قال الحسن: نعم، قال له الإمام: لقد تقلدت عظيماً من الأمر، بلغني عنك أمر فما أدري أكذاك أنت أم

(١) هو ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن يسار البصري الفقية، الفاضل، المشهور، روى عن انس وغيره، وروى عنه حميد الطويل وخلائق. وثقه غير واحد من العلماء. قال ابن سعد: كان جامعاً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً. وقال العجلي، تابعي، ثقة، ورجل صالح، صاحب سنة. وذكره ابن حبان في الثقاة مات سنة (١١٠هـ). انظر بعض مصادر ترجمته: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ١١٤/١/٧ + التاريخ الكبير، البخاري، ١/ ٢/ ٨٧ + المعارف، ابن قتيبة، ١٩٥ + معرفة الحديث، الحاكم النيسابوري، ٢٠٠ + عمدة القاري، العيني، ١/ ٢٤٥ وغيرها.

يكذب عليك، قال الحسن: ما هو؟ قال الإمام: زعموا أنك تقول أن الله خلق العباد ففوض إليهم أمورهم، فاطرق الحسن برأسه إلى الأرض وحار في الجواب، فبادره الإمام قائلاً: أرأيت من قال له الله في كتابه إنك آمن هل عليه خوف بعد القول منه؟ قال الحسن: لا. قال له الإمام: إني أعرض عليك آية وأنهي إليك خطاباً، ولا أحسبك إلا وقد فسرته على غير وجهه، فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت وأهلكت. قال الحسن: ما هو؟ قال الإمام: أرأيت حيث يقول الله ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾[1].

بلغني أنك أفتيت الناس فقلت: هي مكة. قال الحسن البصري: بلى، فأخذ الإمام يستدل على ما ذهب إليه في تفسير الآية بأنها غير ما قيل فيها حتى بهت الحسن البصري وحار في الجواب ولم ننقله هنا لطوله[2]، ثم نهاه عن القول بالتفويض وبين فساده بقوله: وإياك أن تقول بالتفويض فإن الله (عزَّ وجلَّ) لم يفوض الأمر إلى خلقه، وهناً منه وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً[3].

المناظرة الثالثة: مع قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٨هـ)[4]

روى الكليني وغيره بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت جالساً في مسجد رسول الله (ﷺ) إذ أقبل رجل فسلم فقال: من أنت يا عبد الله؟ قلت رجل من أهل الكوفة، فما حاجتك؟ قال: أتعرف أبا جعفر محمد بن علي؟ قلت: نعم، فما حاجتك إليه؟ فقال لي: إذا رأيت أبا جعفر فأخبرني، فما انقطع كلامه حتى أقبل أبو جعفر وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن

---

(١) سبأ/ ١٨.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي، ٢/ ٦٢-٦٣ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ٢/ ٨١-٨٢.

(٣) المصدر نفسه والصفحة ـ المصدر نفسه والصفحة.

(٤) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي، البصري، مفسر حافظ، ضرير اكمه، قيل انه احفظ أهل البصرة، وكان مع علمه في الحديث رأساً في العربية ومفردات اللغة، وايام العرب وكان يرى القدر، ويدلس في الحديث، مات بواسط في الطاعون سنة (١١٨هـ)، وولد سنة (٦١ هـ). انظر مصادر ترجمته: تذكرة الحافظ، الذهبي، ١/ ١١٥ + طبقات المدلسين، العسقلاني، ١٢ + ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٣٤٥ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٨/ ٣٥١-٣٥٦.

مناسك الحج، فمضى حتى جلس مجلسه وجلس الرجل قريباً منه، جلست حيث أسمع الكلام، وحوله عالم من الناس فلما قضى حوائجهم وانصرفوا، التفت إلى الرجل قال له: من أنت؟ قال له: أنا قتادة بن دعامة البصري. فقال له الإمام أبو جعفر: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم. فأمره الإمام أن يأخذ العلم ممن هو أعلم منه، فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام أحد منهم واضطرب قدامك. فقال له أبو جعفر: أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأنت ثم ونحن أولئك فقال له قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك، ما هي بيوت حجارة ولا طين، فأخبرني عن الجبن؟ فتبسم أبو جعفر وقال: رجعت مسائلك إلى هذا. قال: ضلت عني. فقال الإمام لا بأس به فقال قتادة: إنه ربما جعلت فيه أنفحة الميت. قال الإمام: ليس بها بأس، إن الأنفحة ليس لها عروق ولا فيها دم ولا لها عظم، إنما تخرج من بين فرث ودم، ثم قال: وإنما الأنفحة بمنزلة دجاجة ميتة أخرجت منها بيضة، فهل تأكل البيضة؟ قال قتادة: لا، ولا آمر بأكلها، فقال له أبو جعفر الباقر (عليه السلام): ولم؟ قال: لأنها من الميتة. قال له الإمام: فإن حضنت تلك البيضة وخرجت منها دجاجة أتأكلها؟ قال قتادة: نعم، فقال له الإمام: فما حرم عليك البيضة وأحل لك الدجاجة. ثم قال: فكذلك الأنفحة مثل البيضة فاشتر من أسواق المسلمين من أيدي المصلين ولا تسأل عنه إلا أن يأتيك من يخبرك عنه[1].

بهذه الطريقة من السؤال والجواب العلميين أقنع الإمام الباقر (عليه السلام) سائله، مقرراً قاعدة أصولية مفادها (الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يرد دليل على خلاف ذلك)، وكان قتادة يستقبل ردود الإمام بروح علمية رصينه لعلمه المسبق بأن الإمام الباقر (عليه السلام) لا يصدر عن فراغ بل يصدر عن أوعية ملئت علماً وفقهاً،

---

(١) الكافي، الكليني، ٢/ ٧٦ + أعيان الشيعة، محسن الأمين، ق٢/٤/١٠-١١ + سيرة الأئمة، هاشم معروف الحسني، ٢١٢-٢١٣.

فيسلم لقوله وقد استدرجه الإمام لهذه الحقيقة الفقهية الأخيرة بعد أن كان شاكاً بها أو بمفهومها وقد وضّحها له وفهّمه إياها، وكذلك هي مناظرات العلماء الأعلام على مر الزمن تحمل في طياتها الموضوعية والبحث العلمي الرصين.

المناظرة الرابعة: مع هشام بن عبد الملك (ت: ١٢٥هـ)[1]

كان الإمام الباقر(عليه السلام) إذا دخل مكة المكرمة انثال عليه الناس يستفتون عن أهم مسائل الحلال والحرام ويستفتحون أبواب مشاكل العلوم ويغتنمون فرصة الاجتماع به ليزودهم بعلومه، وإذا أقام بمكة عقدت له حلقة ينضم إليه طلاب العلم فروي أن هشام بن عبد الملك حج فنظر إلى اجتماع الناس حوله وحضور العلماء عنده فثقل عليه ذلك، فأرسل رجلاً من أصحابه وقال له: قل له يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكله الناس ويشربه في المحشر إلى أن يفصل الله بينهم يوم القيامة؟ فلما سأله الرجل، قال له الإمام الباقر(عليه السلام): يحشر الناس على مثل قرص النقى فيها أشجار وأنهار، يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب، فقال هشام للرسول: اذهب إليه فقل له يقول: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟ فقال الإمام الباقر(عليه السلام): هم في النار أشغل، ولم يشتغلوا على أن قالوا ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[2].

فسكت هشام ولم يظفر بما أراد من سؤاله للإمام فإنه سؤال امتحان لا استفادة[3].

وقد جرت بينهما مناظرة أخرى أيضاً حينما أرسل إليه هشام ليأتيه إلى الشام وقد رواها الإمام الصادق لم نذكرها هنا لطولها[4]، فاكتفينا بهذه المناظرة.

---

(١) هو هشام بن عبد الملك بن مروان من خلفاء بني أمية في الشام، ولد في دمشق سنة (٧١هـ)، وبويع له بعد وفاة أخيه يزيد سنة (١٠٥هـ) وخرج عليه زيد بن علي (رضي الله عنه) بالكوفة فوجه إليه من قتله، توفي سنة (١٢٥هـ) وكان أحول، أخباره في كتب التاريخ عامة كالطبري وابن الأثير والمسعودي وغيرها.

(٢) الأعراف/ ٥٠.

(٣) ظ: مخطوطة الدر النظيم، ابن حاتم: الورقة ١٨٥ + مرآة الجنان، اليافعي، ١/ ٢٦١-٢٦٢.

(٤) ظ: تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ١٩١ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٦ + المشرع الروي، الشلي، ١/ ٣٧.

المناظرة الخامسة: مع محمد بن المنكدر (ت: ١٣٠هـ)[1]

روى الشيخ المفيد وغيره بسنده عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أرى مثل علي بن الحسين يدع خلفاً لفضله وغزارة علمه وحلمه حتى رأيت ابنه محمد بن علي فأردت أن أعظه فوعظني، خرجت يوماً إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي وكان رجلاً بادناً وهو متكئ على غلامين له. فقلت في نفسي شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا! والله لأعظنه فدنوت منه فسلمت عليه، فسلم عليَّ بنهر، وقد تصبب عرقاً. فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، ولو جاء الموت وأنت على هذه الحال.

فخلى عن الغلامين من يده ثم تساند وقال: لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال، جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله أكف بها نفسي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله، فقلت: يرحمك الله، أردت أن أعظك فوعظتني[2].

ومعنى قوله (أردت أن أعظك فوعظتني) أن ابن المنكدر كان من كبار الزهاد، وكان يصرف أوقاته في العبادة والتقوى، فأراد أن يعظ الإمام الباقر(عليه السلام) بأنه لا ينبغي له أن يخرج في مثل ذلك الوقت في طلب الدنيا فأجابه بأن خروجه في طلب المعاش ليكف نفسه عن الناس من أفضل العبادات، وكان هذا الكلام فيه موعظة لابن المنكدر بأن لا يترك الكسب مهما كان السبب وجيهاً في ذلك حتى ولو كان عبادة.

---

(١) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، المدني، زاهد، من رجال الحديث، أدرك بعض الصحابة، وروى عنهم قال عنه ابن عيينة: ابن المنكدر من معادن الصدق. انظر بعض مصادر ترجمته: تاريخ الإسلام، الذهبي، ٥/ ١٥٥ ـ ١٥٨ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٩/ ٤٧٣ + الأعلام، الزركلي، ٧/ ٣٣٣.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٢ + أعلام الورى، الطبرسي، ٢٦٩ + كشف الغمة الأربلي، ٢/ ٣٢٧ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٥ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٩/ ٢٥٢.

المناظرة السادسة: مع عبد الله بن نافع بن الأزرق[1]

جاء في الكافي بسنده: أن عبد الله بن نافع بن الأزرق كان يقول: لو أني علمت أن بين قطريها أحداً تبلغني إليه المطايا يخصمني أن علياً قَتَلَ أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحلت إليه، فقيل له: ولا ولده؟ فقال: أفي ولده عالم؟ فقيل له: هذا أول جهلك، وهل يخلون من عالم في كل عصر؟ فقال: من عالمهم اليوم؟ قيل له: محمد بن علي بن الحسين بن علي، فرحل إليه في جمع من أصحابه حتى أتى المدينة، فاستأذن على أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فقيل له: هذا عبد الله بن نافع، فقال الإمام: وما يصنع بي وهو يبرئ مني ومن آبائي طرفي النهار. فقال له أبو بصير الكوفي، جعلت فداك، إن هذا يزعم أنه لو علم أن بين قطريها أحداً تبلغه المطايا إليه يخصمه أن علياً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل إليه، فقال له الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام): أتراه جاءني مناظراً؟ قال: نعم، فقال: يا غلام، اخرج فحط رحله وقل له إذا كان الغد فأتنا. فلما أصبح ابن نافع الأرزق غدا مع أصحابه، وبعث أبو جعفر الباقر (عليه السلام) إلى جميع أبناء المهاجرين والأنصار فجمعهم، ثم خرج إلى الناس، وأقبل عليهم فخطب، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته واختصنا بولايته، يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة لعلي بن أبي طالب فليقم وليتحدث، فقام الناس فسردوا تلك المناقب، فقال عبد الله الأزرق: أنا أروي لهذه المناقب من هؤلاء، وإنما أحدث علي الكفر بعد تحكيمه الحكمين؛ حتى انتهوا إلى حديث خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله على يديه. فقال أبو جعفر: ما تقول في هذا الحديث؟ قال: هو حق لاشك فيه، ولكن أحدث الكفر بعده! فقال له أبو جعفر: أخبرني عن الله (عزَّ وجلَّ) أحب علي بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان، أم لم يعلم، فإن قلت لا، كفرت. فقال: قد علم، قال الإمام: فأحبه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن

---

(١) تنسب إلى ابيه الازارقة من الخوارج. ظ: تاريخ الفرق الإسلامية، علي مصطفى الغرابي، ٢٧٧.

يعمل بمعصيته؟ فأجابه عبد الله الأزرق: على أن يعمل بطاعته فقال له أبو جعفر قم مخصوماً، فقام عبد الله الأزرق وهو يقول: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(1) و ﴿...اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(2)(3).

لو قال عبد الله بن نافع بن الأزرق في هذه المناظرة إن الله لا يعلم -حاشا لله- فقد نسب إليه الجهل وإن قال بأنه يعلم، فإذا لم يكونوا مستحقين للقتل يكون علي بن أبي طالب قد ارتكب خطأً كبيراً وظلماً فاحشاً بقتلهم، فكيف أحبه الله وهو ظالم لعباده والله لا يحب الظالمين المجرمين، ولا مفر له من الاعتراف باستحقاقهم للقتل، فخرج هذا الخارجي وأصحابه من مجلس الإمام الباقر (عليه السلام) مخصومين مدحورين.

المناظرة السابعة: مع رجل من الخوارج

يروى أنه دخل عليه رجل من الخوارج، فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ فقال الإمام: الله، قال الرجل: ارأيته؟ قال الإمام: بلى، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواس، ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالدلالات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو. فخرج الرجل وهو يقول: ﴿...اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(4)(5).

المناظرة الثامنة: مع عمرو بن عبيد(6)

كان عمرو بن عبيد (ت: ١٤٢ هـ) من شيوخ المعتزلة ومؤسسيها، وقد حظي بإكبار الخليفة أبي جعفر المنصور له عندما مر الأخير على قبره فرثاه بأبيات ودعا له(7).

---

(١) البقرة/ ١٨٧.

(٢) الانعام/ ١٢٣.

(٣) روضة الكافي، الكليني، ٨/ ٣٤٩-٣٥٠ + أعيان الشيعة، محسن الأمين، ق ٢/ ٤/ ٣٦-٣٧.

(٤) الانعام/ ١٢٤.

(٥) البدء والتاريخ، المقدسي، ٧٤/١ + التوحيد، الشيخ الصدوق، ٢٣٢ + الاحتجاج، الطبرسي، ٥٤/٢ + الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر، ٤٥٣/٢.

(٦) هو ابو عثمان عمرو بن عبيد بن باب، كان ابوه من سبي سجستان، شيخ المعتزلة، وزعيمها الروحي. مات سنة (١٤٢ هـ) وقيل غير ذلك. انظر بعض مصادر ترجمته: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٢/ ١٦٦ + وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٥٣٥/١ + المعارف، ابن قتيبة، ٢١٢.

(٧) المنية والأمل، ابن المرتضى، ٢٤ + وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٥٤٨/١.

وقد التقى بالإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) وكان قد قصد امتحانه واختباره فوجه للإمام السؤال الآتي: جعلت فداك، ما معنى قول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.[1] قال الإمام الباقر (عليه السلام): كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات، فأفحم عمرو ولم يطق جواباً فخرج من مجلس الإمام ثم عاد إليه وقال: جعلت فداك أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾[2].

ما معنى غضب الله؟ قال الإمام: غضب الله عقابه، ومن قال إن الله يغيره شيء فقد كفر[3].

وأفاض الرازي في ذكر الأقوال في معنى الرتق والفتق فذكر ستة أقوال، السادس هو قول الإمام الباقر (عليه السلام) في أعلاه وقال: وأكثر المفسرين اختاروا هذا القول واحتجوا على ترجيحه على سائر الأقوال بقوله تعالى عقيبة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[4].

وبعد ذلك ذكر الشبهات التي ترد على هذا التفسير وردّ تلك الشبهات وأضاف تفسيراً آخراً إلى ما اختاره هو من تفسير الإمام الباقر (عليه السلام)[5].

فيكون جواب الإمام الباقر (عليه السلام) لعمرو بن عبيد في معنى الآية الأولى هو الراجح على بقية الأقوال مما جعله لا يطيق رداً لما تقدم به الإمام في تفسير الرتق والفتق في تلك الآية.

ثانياً: موقف الإمام الباقر (عليه السلام) من غلاة الشيعة

لم تجر بين الإمام الباقر (عليه السلام) وغلاة الشيعة أي مناظرة تذكر، وكذلك لم يسجل لنا التاريخ أن واحداً من هؤلاء الغلاة قد التقى بالإمام الباقر (عليه السلام) غير إننا وجدنا من الأمانة العلمية أن نسجل هنا موقفه من هؤلاء.

---

(١) الانبياء/ ٣٠.

(٢) طـه/ ٨١.

(٣) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٧ + كشف الغمة الأربلي، ٢/٣٣٨-٣٣٩ + الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٦ + مطالب السؤول، ابن طلحة الشافعي، ٨٠.

(٤) الأنبياء/ ٣٠.

(٥) أسرار التنزيل وأنوار التأويل، فخر الرازي، ١٥٣-١٦٢.

امتحن الإمام بجماعة من الخونة والمارقين الذين أخذوا يفتعلون الأحاديث على لسانه ويكذبون عليه ومن بينهم.

١- بيان بن سمعان

التميمي[١]، كان تباناً يتبن التبن بالكوفة[٢]، ولا تعرف سنة ولادته ولا نشأته الأولى وثقافته، ومن هم أشهر أتباعه، وما هو دوره الفكري والاجتماعي والسياسي في الكوفة، وتنسب إليه البيانية، وهي فرقة تدعي أن الإله على صورة الإنسان وأن له أعضاء كأعضاء الإنسان وأنه يفنى كله إلا وجهه[٣].

وقد لاقى بيان مصرعه على يد خالد القسري، وقتل مع المغيرة بن سعيد في يوم واحد مع خمسة عشر رجلاً من أصحابه وذلك (١١٩ هـ)[٤].

ويذكر النوبختي أن سبب قتله هو ادعاؤه النبوة وكتابته إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين يدعوه إلى نفسه ويقول له: أسلم، تسلم، وترتق في سلم، وتنج وتغنم، فإنك لا تدري أين يجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول إلا البلاغ، وقد أعذر من أنذر، فأمر الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) رسول بيان فأكل قرطاسه الذي جاء به وقتل بعد ذلك بيان وصلب[٥].

وهو كذاب مفتر على الله ورسوله، طلب الإمام أبو جعفر وولده الإمام الصادق من الشيعة التبري منه لأنه كان يكذب على الأئمة[٦].

روى زرارة عن أبي جعفر انه قال: لعن الله بناناً أو بياناً وإنه (لعنه الله) كان يكذب على أبي، أشهد أن أبي علي بن الحسين كان عبداً صالحاً[٧].

---

(١) التبصير في الدين، الأسفراييني، ٣٥، ١١٩ + مقالات الإسلاميين، الأشعري، ١/ ٦٦ + الفرق بين الفرق، البغدادي، ١٤٥ + الفصل بين الملل، الشهرستاني، ٤/١٨٥ + ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٦٦ + لسان الميزان، العسقلاني، ٢/ ٦٩.

(٢) فرق الشيعة، النوبختي، ٥١ + المقالات والفرق، عباس القمي ٣٣+ عيون الأخبار، ابن قتيبة، ٢/ ١٤٨.

(٣) الفرق بين الفرق، البغدادي، ١٤٥ + مقالات الإسلاميين، الاشعري، ١/ ٦٦.

(٤) تاريخ الأمم والرسل، الطبري، ٢/ ٦٢٠ + الفصل بين الملل والنحل، الشهرستاني، ٤/ ١٨٥ + الفرق بين الفرق، البغدادي، ١٤٦.

(٥) فرق الشيعة، النوبختي، ٥٠ + المقالات والفرق، القمي، ٣٣.

(٦) الرجال، الكشي، ٢٢٣ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ٢/ ١٥٩-١٦٠.

(٧) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ٣٦٤.

٢- حمزة البربري

حمزة بن عمارة البربري، كان يكذب على الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، وقد أعلن الإمام براءته منه، وكان حمزة زنديقاً كافراً فمن كفره أنه نكح ابنته وأحل جميع المحارم وقال: من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا أثم عليه، وادعى أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، فلعنه أبو جعفر الباقر (عليه السلام) وكذبه، ثم إنه ادعى أن محمد بن علي الباقر (عليه السلام) أوصى إليه، وأخذه خالد القسري مع خمسة عشر من أصحابه فشدهم في أطناب القصب، وصب عليهم النفط في مسجد الكوفة، وألهب فيهم النار -لعنهم الله جميعاً-[1].

٣- المغيرة بن سعيد العجلي[2]

كان المغيرة بن سعيد صاحب بدع ومنكرات، ومن بدعه:

- أنه كان يرى التجسيم فكان يقول: إن الله على صورة رجل، على رأسه تاج، وإن أعضاءه على عدد حروف الهجاء وإليه تنسب المغيرية[3].

- كان مشعوذاً، وقد نقل ابن الأثير طرفاً من شعوذته[4].

- إنه كان ماهراً في دس الأخبار ووضعها في كتب أهل البيت، فكان يدس الغلو في كتب الإمام محمد الباقر (عليه السلام)[5].

وكان من الطبيعي أن يعلن الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) براءته من هذا الإنسان الكافر الذي لم يؤمن بالله وتجرد عن جميع القيم الإنسانية، فقد روي أن الإمام الباقر (عليه السلام) كان يقول: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وبيان بن سمعان فإنهما كذبا علينا أهل البيت[6].

---

(١) فرق الشيعة، النوبختي، ٢٥ + حياة الإمام الباقر، القرشي، ٢/ ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) انظر عن المغيرة بن سعيد: لسان الميزان، العسقلاني، ٦/ ٧٥ + فرق الشيعة، النوبختي، ٦٣ + الأعلاق النفيسة، ابن رستة، ٢١٨ + معرفة الرجال، الكشي، ١٤٦.

(٣) تاريخ ابن الأثير، ٤/ ٢٣٠ + تاريخ الفرق الإسلامية، الغرابي، ٢٩٨.

(٤) فرق الشيعة، النوبختي، ٦٤ + تاريخ ابن الأثير، ٤/ ٢٣٠.

(٥) عيون الأخبار، ابن قتيبة، ٢/١٥١ + معرفة الرجال، الكشي، ٢٢٤.

(٦) فرق الشيعة، النوبختي، ٦٤ + لسان الميزان، العسقلاني، ٦/ ٧٦.

كما وأعلن الإمام أبو عبد الله الصادق نقمته وسخطه على المغيرة قائلاً: لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، أن المغيرة كذب على أبي فسلبه الله الإيمان، وإن قوماً كذبوا علي مالهم أذاقهم الله حر الحديد، فو الله ما نحن إلا عبيد خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، إن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما بنا على الله حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون مالهم لعنهم الله فلقد آذوا الله وآذوا رسول الله في قبره وأمير المؤمنين والحسن والحسين[1].

وترى مدى تأثر الإمام الباقر (عليه السلام) من هؤلاء الكذابين الغلاة الذين مرقوا من الدين وتلاعبوا في كتاب الله واتخذوا آياته هزواً.

وأخيراً رأينا أن الإمام الباقر (عليه السلام) كان مقصد العلماء للسؤال وكشف الحقائق كعمرو بن عبيد وطاووس والحسن وغيرهم، وقد ناظر أهل الفرق وخاصمهم وبين فساد آرائهم وسوء معتقداتهم، وكان يزود الوافدين عليه بتعاليم قيمة ويدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة رائده في ذلك القربة لوجهه الكريم لتكون له باقيات صالحات عند مليك مقتدر.

المبحث الرابع

مكانته وأقوال العلماء فيه

لسنا من المغالين إذا قلنا إن الإمام أبا جعفر الباقر (عليه السلام) كان فريد عصره، لا يدانيه أحد فيما اختص به من مميزات تقدم ذكرها أهلته لأن يكون مرجعاً للعلماء ومقصداً لطلاب العلم، فاحتل بذلك تلك المكانة المرموقة بين علماء عصره والعصور التي تلت، فقد أجمع رجال الفكر والعلم على عظيم منزلته ومكانته، والاعتراف له بالفضل والتفوق العلمي، فاتفقت كلماتهم على أنه من

---

(١) فرق الشيعة، النوبختي، ٦٦ ؛ معرفة الرجال، الكشي، ٢٢٥.

أسمى الشخصيات العلمية التي عرفها العالم العربي والإسلامي آنذاك، وإليك بعضاً من كلماتهم تحمل في طياتها انطباعات أولئك العلماء الإجلاء عنه :

١- قال محمد بن المنكدر (ت: ١٣٠ هـ): ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين يدع خلفاً لفضله وغزارة علمه وحلمه حتى رأيت ابنه محمداً[١].

٢- قال الإمام أبو عبد الله الصادق (ت: ١٤٨ هـ): حدثني أبي وكان خير محمدي يومئذ على وجه الأرض[٢].

٣- قال سديف المكي (ت: ١٤٦ هـ): ما رأيت محمدياً قط يعدله[٣].

٤- قال هشام بن عبد الملك (ت: ١٢٥ هـ): يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش مادام فيها مثلك[٤].

٥- قال عبد الله بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي لتواضعهم له، ومعرفتهم بحقه وعلمه، واقتباسهم منه، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة على جلالته وسنه وهو بين يديه يتعلم منه، ويأخذ عنه، كالصبي بين يدي معلمه[٥].

٦- كان جابر بن يزيد الجعفي إذا حدث عن الإمام الباقر (عليه السلام) يقول: حدثني وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء[٦].

٧- قال فيه عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١ هـ): إن أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضله[٧].

٨- قال ابن سعد: كان ثقة كثير العلم والحديث[٨].

---

(١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٩/ ٣٥٢ + الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٢.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٩/ ٣٠٩.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق، ٢٩٧.

(٤) مخطوطة الدر النظيم، ابن حاتم، الورقة ١٨٥.

(٥) حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/١٨٦ + مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٤٣ + مرآة الجنان، اليافعي، ١/ ٢٤٨.

(٦) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ٤/ ١٨٠.

(٧) مخطوطة تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ٥١/ الورقة ٤٦ + تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٣٠٥.

(٨) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٥/ ١٣٨.

٩ - قال أبو زرعة : إن أبا جعفر لمن أكبر العلماء[١] .

١٠ - قال أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد (ت : ٤١٣ هـ) : كان الباقر (عليه السلام) محمد بن علي بن الحسين من بين إخوته خليفة أبيه ووصيه . . . وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والزهد والسؤدد ، وكان أنبههم ذكراً ، وأجلّهم في العامة والخاصة ، وأعظمهم قدراً ، ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ، ما ظهر عن أبي جعفر ، وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ، ووجوه التابعين ، ورؤساء فقهاء المسلمين ، وصار بالفضل به علماً لأهله[٢] .

١١ - قال الحافظ أحمد بن عبد الله المعروف بأبي نعيم الأصفهاني (ت : ٤٣٠ هـ) : ومنهم الحاضر الذاكر ، الخاشع الصابر ، أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) ، كان من سلالة النبوة ، وممن جمع حسب الدين والأبوة ، تكلم في العوارض والخطرات ، وسفح الدموع والعبرات ، ونهى عن المراء والخصومات[٣] .

١٢ - قال أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي - من علماء القرن السادس الهجري - : قد اشتهر الباقر (عليه السلام) في العالم لتبرزه على الخلق في العلم والزهد والشرف ما لم يؤثر عن أحد من أولاد الرسول (صلى الله عليه وآله) من علوم القرآن والآثار والسنن[٤] .

١٣ - قال الشيخ العالم كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت : ٦٥٤ هـ) : هو باقر العلم وجامعه ، وشاهر علمه ورافعه ، ومتوافق دره وراصعه ، صفا قلبه ، وزكا عمله ، وطهرت نفسه ، وشرفت أخلاقه ، وعمرت بطاعة الله أوقاته ، ورسخت في مقام التقوى قدمه ، وظهرت عليه سيماء الازدلاف ، وطهارة الاجتباء[٥] .

---

(١) أعيان الشيعة، محسن الأمين، ق ١/ ٤/ ٤٨٥.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٣.

(٣) حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ١٨٢.

(٤) إعلام الورى، الطبرسي، ٢٦٨.

(٥) مطالب السؤول، ابن طلحة الشافعي، ٢/ ٥٠.

١٤- قال الحافظ أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت: ٦٧٦ هـ): هو تابعي جليل، وإمام بارع، مجمع على جلالته، معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم.. وعد من روى عنه فقال: وخلائق آخرون من التابعين وكبار الأئمة، وروى له البخاري ومسلم[١].

١٥- قال أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان (ت: ٦٨١ هـ): كان الباقر عالماً، سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم: أي توسع[٢].

١٦- قال أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ): كان الباقر سيد بني هاشم في زمانه، اشتهر بالباقر من قولهم بقر العلم: يعني شقه فعلم أصله وخفيه[٣].

وقال أيضاً: كان الباقر أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة، وكان أهلاً للخلافة[٤].

١٧- قال تاج الدين بن محمد بن حمزة المعروف بنقيب حلب (ت: ٧٥٣ هـ): أبو جعفر، باقر العلم هو أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين، كان واسع العلم، وافر الحلم، روي عنه حديث كثير، ونقل عنه علم جم[٥].

١٨- قال الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني (ت: ٧٦٨ هـ): أبو جعفر الباقر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضوان الله عليهم)، أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية وهو والد جعفر الصادق، لقب بالباقر (عليه السلام) لأنه بقر العلم أي شقه وتوسع فيه[٦].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ١/ ٨٧.

(٢) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/ ٣١٤.

(٣) تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ١٢٤.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/ ٤٠٢.

(٥) غاية الاختصار، ابن حمزة، ١٠٤.

(٦) مرآة الجنان، اليافعي، ١/ ٢٤٧.

١٩- قال الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤ هـ): هو تابعي جليل، كبير القدر، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادةً وشرفاً. . . سمي الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم[١].

٢٠- قال الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي (ت: ٩٧٤ هـ): أبو جعفر محمد الباقر، سمي بذلك من بقر الأرض أي شقها وأثار مخبآتها ومكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة، أو فاسد الطوية والسريرة[٢].

٢١- قال جمال الدين أحمد بن علي بن عنبة الأصغر (ت: ٨٢٨ هـ): كان محمد الباقر واسع العلم، وافر الحلم، وجلالة قدره أشهر من أن ينبه عليها[٣].

٢٢- قال محمد بن محمد الجزري (ت: ٨٣٣ هـ): محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر، لأنه بقر العلم أي شقه وعرف ظاهره وخفيه، وكان سيد بني هاشم علماً وفضلاً وسنةً[٤].

٢٣- ونقل شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) أقوال العلماء فيه ومنها: قال العجلي: مدني تابعي، ثقة. وقال ابن البرقي: كان فقيهاً فاضلاً. وذكره النسائي في فقهاء أهل المدينة من التابعين[٥].

٢٤- قال الإمام علي بن محمد بن أحمد المالكي الشهير بابن الصباغ (ت: ٨٥٥ هـ): هو باقر العلم وجامعه وشاهره ورافعه ومتفوق دره وراصعه، صفا قلبه، وزكا عمله، وطهرت نفسه، وشرفت أخلاقه[٦].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٩/ ٣٠٩.

(٢) الصواعق المحرقة، الهيثمي، ١٢٠.

(٣) عمدة الطالب، ابن عنبة الأصغر، ١٨٤.

(٤) غاية النهاية، ابن الجزري، ٢/ ٢٠٢.

(٥) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٩/ ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٦) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي، ١٩٢.

٢٥- قال مؤرخ دمشق شمس الدين محمد بن طولون (ت: ٩٥٣ هـ): كان الباقر عالماً، سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر لأنه بقر العلم أي توسع فيه[١].

٢٦- قال العالم عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٢٢ هـ): محمد الباقر بن علي بن الحسين، سمي به لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله وخفيه، وله من الرسوخ في مقام العارفين ما تكل عنه ألسن الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف يعجز عن حكايتها الواصف[٢].

٢٧- قال المؤرخ الأديب أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩ هـ): أبو جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان من فقهاء أهل المدينة، وقيل له الباقر لأنه بقر العلم أي شقه وعرف أصله وتوسع فيه، وهو أحد الأئمة الاثني العشر على اعتقاد الإمامية، قال عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء أصغر منهم علماً عنده، وله كلام نافع في الحكم والمواعظ[٣].

٢٨- قال الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١ هـ): لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من العلوم ما ظهر منه في التفسير والكلام والفتيا والحلال والحرام. . . وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين، فمن الصحابة: جابر بن عبد الله الأنصاري، ومن التابعين نحو: جابر بن يزيد الجعفي وكيسان السختياني صاحب الصوفية، ومن الفقهاء نحو: ابن المبارك، والزهري، والأوزاعي، وأبو حنيفة. . . ومن المصنفين نحو: الطبري، والبلاذري، والخطيب في تواريخهم، وفي الموطأ وشرف المصطفى وحلية الأولياء، وسنن أبي داود، ومسند أبي حنيفة، وترغيب الأصفهاني، وبسيط الواحدي وتفسير العياشي، والزمخشري، ومعرفة أصول السمعاني وكانوا يقولون: محمد بن علي، وربما قالوا: محمد الباقر[٤].

---

(١) الشذرات الذهبية، ابن طولون، ٨١.
(٢) الكواكب الدرية، المناوي، ١/ ١٦٤.
(٣) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ١/ ١٤٩.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي، ١١/ ٨٤.

٢٩- قال الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (ت: ١٢٩٤ هـ): أظهر مكنونات كنوز المعارف وحقائق الأحكام واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، وهو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه بصفاء قلبه وذكاء نفسه وطهر نسبه وشرف خلقه[١].

٣٠- قال صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي: كان أحد من جمع العلم والفقه والديانة والثقة والسؤدد، وكان يصلح للخلافة، وهو أحد الأئمة الاثني عشر[٢].

٣١- قال محمد بن حبان البستي: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والد جعفر بن محمد الصادق، من أفاضل أهل البيت وقرائهم[٣].

٣٢- قال عبد القادر الشيخاني: محمد الباقر كان أشهر أهل زمانه، وأكملهم فضلاً، وأعظمهم نبلاً، ولم يظهر في زمنه عند أحد من علم الدين والسنن وعلم القرآن والتفسير وفنون الآداب مثل ما ظهر منه[٤].

٣٣- قال التلمساني: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو والد جعفر الصادق يقال له الباقر، سمي باقراً، لتبحره في العلم، وهو الشق والتوسعة، تابعي، عدل، ثقة، وإمام مشهور[٥].

٣٤- قال الأستاذ محمد فريد وجدي: كان الباقر عالماً نبيلاً، وسيداً جليلاً، وسمي الباقر لأنه بقر العلم أي توسع فيه[٦].

٣٥- قال الأستاذ خير الدين الزركلي: أبو جعفر الباقر خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان ناسكاً عابداً، له في العلم والتفسير آراء وأقوال، ولد بالمدينة وتوفي بالحميمة[٧].

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، ٤٣٣.
(٢) الوافي بالوفيات، الصفدي، ٤/ ١٠٢.
(٣) مشاهير علماء الأمصار، البستي، ٦٢.
(٤) الصراط السوي، الشيخاني، ١٩٤.
(٥) شرح الشفا، الخفاجي، ١/ ٢٩٢.
(٦) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ٣/ ٥٦٣.
(٧) الأعلام، الزركلي، ٣/ ٩٣٢.

٣٦- قال الشيخ محمد أبو زهرة: وكان محمد ابنه -أي ابن زين العابدين- وريثه في إمامة العلم، ونبل الهداية، ولذا كان مقصد العلماء من كل البلاد الإسلامية وما زار أحد المدينة إلا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ عنه[1].

٣٧- قال الشيخ أحمد فهمي: الإمام الباقر، هو خامس الأئمة عند الإمامية وكان (رضي الله عنه) أصدق الناس، وأحسنهم بهجة، وأبدعهم لهجة[2].

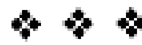
اكتفينا بذكر هذه الأقوال لما فيها من كفاية في توضيح مكانة الإمام الباقر (عليه السلام)، وما قال العلماء في حقه، فهم سجلوا إكبارهم وتقديرهم لشخصيته الفذة بما كشفوه من بعض الجوانب المضيئة من حياته، ويمكن أن نستخلص مما تقدم ما يلي:

أولاً: كان من الرواد الأوائل للحركة العلمية في عصره.

ثانياً: كان على درجة عالية من الورع والحرج في الدين، ومن العارفين، مما جعله إمام المتقين والمنيبين[3].

ثالثاً: لم يكن هناك من يضاهيه في الفضل والعلم لتقدمه على علماء عصره، وأنه كان يفوق إخوته في الفضل والعلم وأبناء عمومته وسائر المنتمين إلى الشجرة العلوية، كما ورد في الفقرة العاشرة من الشهادات السالفة.

رابعاً: سعة علوم الإمام ومعارفه في الفقه والكلام والتفسير والتاريخ والحكم والآداب، لهذا قال ما قال عنه عمر بن عبد العزيز في الفقرة السابعة من الشهادات السالفة.



(١) الإمام الصادق، محمد ابو زهرة، ٢٢.

(٢) الإمام زين العابدين، أحمد فهمي ابو سنة، ١٨.

(٣) حياة الإمام الباقر، باقر شريف القرشي، ١/١١٢.

الفصل الثالث

رواته ومن روى عنهم



ويتضمن:

* المبحث الأول : من روى عنهم
    * المصدر الأول : آباؤه (عليهم السلام)
    * المصدر الثاني : الصحابة (رضي الله عنهم)
* المبحث الثاني : رواة الإمام الباقر (عليه السلام)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

من روى عنهم الإمام

قبل أن نتكلم على من روى عنهم الإمام الباقر(عليه السلام)، يجب أن نوضح مسألة مهمة ترتكز عليها الفصول الآتية من هذه الدراسة، وهي أن الروايات التي نستدل بها على ما نريد التوصل إليه من حقائق علمية أو نناقشها مدحضين أو مرجحين، كلها روايات تفسيرية متعلقة بآيات الذكر الحكيم.

وتنقسم روايات الإمام الباقر(عليه السلام) عمن روى عنهم إلى قسمين رئيسين:

أولهما: روايته عن النبي(صلى الله عليه وآله) من طريق آبائه(عليهم السلام).

ثانيهما: روايته عن بعض الصحابة؛ أمثال جابر بن عبد الله الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وابن عباس، وزيد بن أرقم، وأبو ذر الغفاري، وأم سلمة (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

وكل ما روي عن الإمام الباقر(عليه السلام) من روايات التي أثرت عنه في عالم التشريع والأحكام وتفسير القرآن هي لا تحكي آراءه الخاصة وإنما هي امتداد لقول الرسول(صلى الله عليه وآله) وفعله، ولذا ألحقت بالسنة الشريفة -عند الإمامية- فيكاد يكون من قبيل المسلمات عندهم إذا صح السند وقد انفرد الإمامية بهذا المنهج الروائي. وإن الإمام الباقر(عليه السلام) وكما تدل عليه سيرة حياته تتلمذ على آبائه من آل البيت فقد عاش مع جده الحسين ومع أبيه الإمام زين العابدين ولم تعرف له مشيخة غير هذا الذي قلناه، ولذلك فإن ما آثر عنه من أقوال -وكما يصر الإمامية على ذلك أيضاً- فهي عن آبائه عن النبي(صلى الله عليه وآله)، ويدل على ذلك مجموعة من الأحاديث نوردها هنا بأسانيدها:

١- في حديث للإمام الباقر (عليه السلام) مع جابر بن يزيد الجعفي قال لجابر: إنا لو كنا نحدثكم برأينا لكنا من الهالكين، ولكن نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم[١].

٢- وسئل الإمام الباقر (عليه السلام) مرة عن سنده في ذلك فقال: إذا حدثت بالحديث فلم أسنده فسندي فيه أبي زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢].

٣- وورد بهذا اللفظ أيضاً عن الإمام الصادق، فقد روى محمد بن يعقوب عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان قالوا: سمعنا أبا عبد الله يقول: حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحديث رسول الله قول الله (عزَّ وجلَّ)[٣].

وفي تفسير هذين الحديثين رأيان:

الأول: إن حديث كل إمام من الأئمة هو حديث من سبقه من جهة اللفظ وخصوصيته وبذلك تكون أحاديثهم مسندة غير مرسلة.

والثاني: إن الاتحاد من جهة العلم المندرج فيه من حيث إن علومهم متحدة لأنها من منبع واحد، وبذلك يكون حكم حديثهم من جهة الإسناد مسنداً، ومن جهة المتن كالرواية بالمعنى.

وقد روي عن محمد بن عيسى بسند صحيح: أن رجلاً سأل الإمام الباقر (عليه السلام) عن مسألة فأجابه ثم قال له: ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٤].

---

(١) ناسخ التواريخ، محمد تقي الكاشاني، ٢/ ٢١٧.

(٢) أعلام الورى، الطبرسي، ٢٧٠.

(٣) معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري، ٥٥ + الشافي، عبد الحسين المظفر، ٢/ ١٠٣ + أصول الكافي، الكليني، ١/ ٤٣ وقريب منه في حلية الأولياء، الأصفهاني، ٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٤) الشافي في شرح أصول الكافي، الشيخ عبد الحسين المظفر، ٢/ ١٢٨.

وورد عن علي بن إبراهيم عن النوفلي عن السكوني أن الصادق قال: ما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه[1].

وقد ظهر في بعض الكتابات: أن روايات الإمام الباقر(عليه السلام) عن جده أمير المؤمنين وجده الحسن وبعض الصحابة والصحابيات عند بعض العلماء من المراسيل لما ورد عن ابن أبي حاتم: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر، أنبأنا محمد بن حموية بن الحسن قال: سمعت أبا طالب - يعني أحمد بن حميد- يقول: سألت أحمد بن حنبل عن محمد بن علي سمع من أم سلمة؟ قال: لا يصح أنه سمع، قلت: سمع من عائشة؟ فقال: لا، ماتت عائشة قبل أم سلمة، سمعت أبي يقول: أبو جعفر محمد بن علي لم يلق أم سلمة، قال أبو زرعة: محمد بن علي بن الحسين عن عمر مرسل، قال أبو زرعة: محمد بن علي الحسين عن علي مرسل، سمعت أبا زرعة يقول: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) لم يدرك عمر ولا أباه علياً[2].

وهذا مناقش بأن الإمام الباقر(عليه السلام) قد كشف عن أسانيد حديثه، والحديث المكشوف عن أسانيده والمنحصر فيها لا يمكن أن يكون من المراسيل لأن جمهور المحدثين يرون أن المرسل هو ما رفعه التابعي إلى النبي(صلى الله عليه وآله) من قول أو فعل سواء كان التابعي صغيراً أو كبيراً[3].

والحال أن روايات الإمام الباقر(عليه السلام) ليست مرفوعة هكذا لما تقدم من الروايات الدالة على سند أقوال الإمام التي تتصل بالنبي(صلى الله عليه وآله)، هذا إضافة إلى أن مرسل الإمام الباقر(عليه السلام) -لو سلمنا- لا يقل عن مرسل سعيد بن المسيب، ولا يقل عن مراسيل الحسن البصري، فقد روي عن يحيى القطان قوله: ما قال الحسن في حديثه قال رسول الله إلا وجدنا له أصلاً، وكذلك قول ابن عدي[4].

---

(١) المصدر نفسه، ٢/١٥٣.

(٢) المراسيل، ابن أبي حاتم الرازي، ١١٥ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٩/ ٣٥١.

(٣) البداية في علم الدراية، الشهيد الثاني، ٤٧ + المستصفى، الغزالي، ١/ ١٦٩-١٧٠.

(٤) علل الترمذي، ابن رجب الحنبلي، ٢٢٢.

وما قاله علي بن المديني: أن مرسلات الحسن صحاح ما قل ما يسقط منها[1].

ولقد كشفت المسألة، فقد روى محمد بن موسى الخرشي عن محارب عن يونس قال سألت الحسن: يا أبا سعيد إنك تقول قال رسول الله ولم تدركه؟ قال: كل شيء سمعتني أقول قال رسول الله(ﷺ) فهو عن علي(عليه السلام)، غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر علياً[2].

وهذا يدل على أن مراسيل الحسن أكثرها عن الصحابة.

أما عن مراسيل سعيد بن المسيب، فقد روى الفضل بن زياد عن أحمد: مراسيل سعيد بن المسيب أصح المراسيل[3].

وقيل إن مراسيله حجة عند الإمام الشافعي، فقد روى يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي: ليس المنقطع بشيء ماعدا منقطع ابن المسيب[4].

ومراده أن يعتبر بمرسل سعيد بن المسيب.

ولقد كان يحتج العلماء بالمرسل بناء على قصر الأسانيد، فقد احتج بها سفيان ومالك والأوزاعي، أما الفقهاء فعندهم إذا عضد المرسل قرائن تدل على أن له أصلاً قوي الظن فيحتج به لما أحتف به من القرائن[5].

وقال الشافعي أيضاً في كتاب الرهن الصغير، وقد قيل له: كيف قبلتم عن ابن المسيب منقطعاً ولم تقبلوا من غيره؟ قال: لا يحفظ لابن المسيب منقطعاً إلا وجدنا ما يدل على تسديده ولا أثره عن أحد فيما عرفنا عنه إلا عن ثقة معروف، فمن كان بمثل حاله قبلنا منقطعه[6].

إذن فكيف يكون الأمر بالنسبة لمرويات الإمام الباقر(عليه السلام) إذا سلمنا بفرض انقطاعها، إذا كان الأمر كذلك بالنسبة للحسن البصري أو عامر الشعبي أو سعيد بن

---

(١) المصدر نفسه/ ٢٢٧.
(٢) المصدر نفسه والصفحة.
(٣) علل الترمذي، ابن رجب الحنبلي، ٢٢٨.
(٤) المراسيل، ابن أبي حاتم، ١١٥.
(٥) ظ: التقريب، النووي، ١/ ١٦٠.
(٦) الأم، الشافعي، ٣/ ١٦٧.

المسيب وهم مع جلالة قدرهم وعظيم منزلتهم قد شهدوا قبل غيرهم بفضل وعلم آل البيت(عليهم السلام).

هذا بالنسبة لمعالجة روايات الإمام عن آبائه وعن النبي(صلى الله عليه وآله)، أما بالنسبة لمعالجة رواياته عن بعض الصحابة فإننا نستطيع أن نقول مطمئنين: إن روايته عن بعض الصحابة داخلة في هذا السند فهو مثلاً إذا أرسل عن أم سلمة أو عائشة أو عمر (رضي الله عنه) فإنما طريقه إلى ذلك هو أحد آبائه الكرام.

أما أحاديث الإمام الباقر(عليه السلام) ورواياته التي يذكر سنده فيها عن آبائه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) فلا داعي لمعالجتها فهي حجة عند الفريقين إن صح طريق سندها إليه.

ولذلك صارت روايات آل البيت عند الشيعة الإمامية امتداداً للسنّة النبوية الشريفة.

وورد عن الإمام الباقر(عليه السلام) حول كيفية الأخذ بالحديث الوارد عنهم آل البيت قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[1]، فقد روى جعفر بن محمد الفزاري بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي قال الإمام الباقر(عليه السلام): يا جابر، إن ورد عليكم حديث من آل محمد فعرفتموه فلانت له قلوبكم فتمسكوا به فإنه الحق المبين، وما ثقل عليكم فلم تحملوه فردوا علينا ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ...﴾[2].

ويوجه هذا الحديث بأن الذي يعمل بأحاديث آل البيت يجب عليه التروي في ذلك والتثبت عند نقل مروياتهم أو عند العمل بها.

ومهما يكن من أمر، فإن روايات الإمام الباقر(عليه السلام) من حيث الإرسال -إذا سلمنا به- أو الإسناد فهي حجة بلا خلاف على مبنى الإمامية إن صح طريق سندها إليه، وإلا فتعامل معاملة بقية الأخبار التي فيها الضعيف والموثق والحسن.

وعلى مبنى جمهور العلماء فأرجو أن تعامل روايات الإمام الباقر(عليه السلام) التي لا يذكر سنده فيها مثل روايات سعيد بن المسيب والحسن البصري وبهذا ينقسم من روى عنهم الإمام أو مصادر الرواية عنده إلى مصدرين رئيسيين:

---

(١) النساء/ ٨٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم، فرات الكوفي، ٣٥.

الأول: آباؤه (عليهم السلام)

١- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله (ﷺ) وصهره على ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وهو أول هاشمي ولد بين هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وهو أول الناس إسلاماً في قول كثير من العلماء، وشهد جميع المشاهد مع رسول الله (ﷺ) إلا تبوك فإن رسول الله خلفه على أهله وعلى المدينة، وإن رسول الله (ﷺ) كلما آخى بين المهاجرين، وبين المهاجرين والأنصار يقول لعلي في كل واحدة منهما: أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأخباره ومناقبه لا تحصى، استشهد على يد أحد الخوارج في مسجد الكوفة لإحدى عشرة بقيت من شهر رمضان من سنة ٤٠ للهجرة[١].

٢- الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو محمد، سبط النبي (ﷺ) وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله سيدة نساء العالمين، وهو سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي (ﷺ) وشبيهه وهو رابع أهل الكساء، ولد في النصف من رمضان سنة ثلاث للهجرة، وسماه جده رسول الله (ﷺ) وأخويه الحسين ومحسن، وقال (ﷺ): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وحج الحسن عدة حجات ماشياً وقاسم الله ماله ثلاث مرات وخرج من ماله كله مرتين، وكان من المبادرين إلى نصرة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وولي الخلافة بعد قتل أبيه وبقي نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءه من خراسان والحجاز واليمن، ثم سار إليه معاوية إلى الشام وسار هو إلى معاوية وبعد ذلك أمضى معه الصلح.

---

(١) انظر مصادر ترجمته: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ٤/ ١٦ ـ ٤١ + شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١/ ٤-١٣ + الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، ٢/ ٣٦٠ وغيرها.

توفي بالمدينة سنة إحدى وخمسين للهجرة، وكان سبب موته أو وفاته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس سقته السم، ولم ترض بنو أمية أن يدفن مع جده رسول الله(ﷺ) فدفن في بقيع الغرقد[1].

٣- الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو عبد الله ريحانة النبي(ﷺ) وشبيهه من الصدر إلى أسفل، ولما ولد أذن النبي(ﷺ) في أذنه، وهو سيد شباب أهل الجنة وخامس أهل الكساء، وسيد الشهداء، أمه فاطمة الزهراء، ولد سنة ست للهجرة، روى عن جده رسول الله(ﷺ) فقد تقدم في ذكر أخيه الإمام الحسن أحاديث مشتركة بينهما فلا حاجة إلى إعادة متونها، وقصة ثورته على الحكم الأموي واستشهاده في معركة الطف مشهور.

وكان الإمام الحسين(عليه السلام) فاضلاً، كثير الصوم والصلاة والحج والصدقة وأفعال الخير جميعها، ومناقبه وفضائله لا تحصى، وقد استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين هجرية، وعن يوم استشهاده وما حصل فيه راجع تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني وما أورده من روايات عن الثقاة في ذلك[2].

٤- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو محمد، روى ابن سعد[3] عن الإمام الباقر(عليه السلام) أنه كان يكنى أبا الحسين، وأمه شهربانويه بنت يزد جرد وهو آخر ملوك فارس واسمها سلافة[4]، هو والقاسم بن محمد بن أبي بكر (رضي الله عنه) ابنا خالة.

ولد الإمام الراهب الساجد، الراغب، قدوة الزاهدين في المدينة لتسع خلون من شعبان سنة ثمان وثلاثين وقيل سبعة وثلاثين وقيل ستة وثلاثين للهجرة، وهو الإمام الرابع عند الإمامية الاثني عشرية، وقد أجمع العلماء على فضله وعلمه وعبادته فهو

---

(١) انظر مصادر ترجمته: أسد الغابة، ابن الأثير، ٢/٩-١٥ + تهذيب الكمال، المزي، ٥/ ٤٤٣ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ٢٩٥-٣٠٠ + الأعلام، الزركلي، ٢/ ٩٥ وغيرها.

(٢) انظر مصادر ترجمته: أسد الغابة، ابن الأثير، ٢/ ١٨-٢٣ + تهذيب التهذيب العسقلاني، ٢/ ٣٤٥ ـ ٣٥٦ + الإصابة العسقلاني، ١/ ٣٠٠ وغيرها.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٣/ ٢١٠.

(٤) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤/ ١٢١ + الكامل في الأدب، المبرد، ٢/١٦١.

نهاره صائم، وليله قائم، أعبد أهل زمانه وأزهدهم، وكان إذا قام للصلاة تغير لونه، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً، توفي مسموماً في ملك الوليد بن عبد الملك وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها منهم، وكانت وفاته في المدينة يوم السبت إحدى عشرة بقيت من المحرم سنة ٩٤ للهجرة[١].

٥- محمد بن الحنفية المدني، أبو القاسم، محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، ولد سنة إحدى وعشرين للهجرة، وتوفي سنة ثلاث وسبعين لها، من أفاضل أهل البيت، ثقة، عالم، من الثانية، أخرج له أصحاب الكتب الستة[٢].

الثاني: الصحابة (رضوان الله عليهم)

١- أبو ذر الغفاري، جندب بن جنادة، وقيل جندب بن السكن، وقيل بريد بن جنادة من أصحاب رسول الله(ﷺ) وفيه قال رسول الله: ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر، وهو سادس أو سابع من اسلم في مكة، وهاجر إلى المدينة، وقصة نفيه إلى الربذة مشهورة توفي (رضي الله عنه) سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، روى له الستة[٣].

٢- أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي (ت: ٧٤ هـ)، من أعلام أصحاب رسول الله(ﷺ) ومن الحفاظ المكثرين، روى له الستة[٤].

٣- أم سلمة، أم المؤمنين، بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، القريشية، المخزومية، من المهاجرات إلى الحبشة، وهي آخر من مات من نساء النبي(ﷺ)، ماتت زمن يزيد[٥].

---

(١) تهذيب التهذيب العسقلاني، ١٢/٢٣٢ + بصائر الدرجات، الصفار، ٢/ ١٣٢.

(٢) انظر مصادر ترجمته: تهذيب التهذيب العسقلاني، ٩/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥ + مشاهير علماء الأمصار، البستي، ٦٢ + الأعلام الزركلي، ٦/ ٢٧٠ وغيرها.

(٣) انظر مصادر ترجمته: حلية الأولياء، الأصفهاني، ١/ ١٥٦ + صفوة الصفوة، ابن الجوزي، ١/ ٣٨ + تهذيب التهذيب العسقلاني، ١٢/ ٩٠ + الخلاصة، العلامة الحلي، ٣٦.

(٤) انظر مصادر ترجمته: تهذيب التهذيب العسقلاني، ٣/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠ + أسد الغابة، ابن الأثير، ٢/ ٢٨٩ + المعجم الكبير، الطبراني، ١٣/ ١٧٧.

(٥) انظر مصادر ترجمتها: أسد الغابة، ابن الأثير، ٥/ ٥٨٨ + سفينة البحار، عباس القمي، ١/ ٦٤٢-٦٤٣.

٤- أنس بن مالك بن النضر، النجاري، الخزرجي، أبو حمزة الأنصاري (ت: ٩٢ هـ) صاحب رسول الله (ﷺ) وخادمه، ومن المكثرين من الرواية عنه، روى له الستة، وهو آخر من مات من الصحابة في البصرة[١].

٥- جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري، الخزرجي، شهد العقبة مع أبيه، وشهد تسع عشرة غزوة مع النبي (ﷺ)، وكان أحد المكثرين في الرواية عن النبي (ﷺ)، وله حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، مات سنة (٧٣ هـ) وقيل غيرها، توفي وله من العمر ٩٣ سنة[٢].

٦- عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج رسول الله (ﷺ)، ومن أمهات المؤمنين المكثرات في الرواية عن النبي (ﷺ)، روى لها الستة[٣].

٧- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت: ٦٨ هـ)، ابن عم رسول الله (ﷺ) وصحبه، ولد قبل الهجرة ودعا له النبي (ﷺ) بالعلم والحكمة، وكان يلقب بحبر الأمة وترجمان القرآن، غزا أفريقيا وولاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب البصرة، مات بالطائف وعمره سبعون سنة[٤].

٨- عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، العدوي، ابن الخليفة الراشد الثاني، وشارك بالخندق وما بعدها، وكان من المكثرين للرواية عن الرسول (ﷺ)، وكان مكثراً للعبادة زاهداً، متبعاً لآثار النبي (ﷺ) مات سنة (٧٢ هـ) وقيل (٧٤ هـ)[٥].

٩- عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح القرشي العدوي، أبو حفص، الخليفة الثاني، كان من أشراف قريش، وكان إسلامه عزاً ظهر به

---

(١) انظر مصادر ترجمته: الإصابة، العسقلاني، ١/ ٧١ ـ ٧٢ + الاستيعاب، ابن عبد البر، ١/ ٧١ + تهذيب التهذيب العسقلاني، ١/ ٧٣ + الأعلام الزركلي، ٢/ ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) انظر مصادر ترجمته: تهذيب الكمال، المزي، ٤/ ٤٤٣ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ٤٣ + تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ١٩٩ ـ ٢٠٠- معجم رجال الحديث، الخوئي، ٤/ ١٥.

(٣) انظر مصادر ترجمتها: اسد الغابة، ابن الأثير، ٥/ ١١٣ + تهذيب التهذيب العسقلاني، ١٢/ ٢٣٢.

(٤) انظر مصادر ترجمته: الإصابة العسقلاني، ٢/ ٣٣٠ + تهذيب الكمال، المزي، ١٥/ ١٥٤ + الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٥/ ١٩٦ + الأعلام، الزركلي، ٤/ ٩٥.

(٥) انظر مصادر ترجمته: تهذيب الكمال، المزي، ١٥/ ٢٣٢ + تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ٣٧ + الإصابة، العسقلاني، ٢/ ٤٣٧ + الأعلام، الزركلي، ٤/ ١٨٠.

الإسلام، سار بالناس في خلافته سيرة حسنة، وفتح الله له الفتوح، وكان قوياً في دين الله، وأخباره ومناقبه لا تحصى، استشهد سنة (٢٢هـ)[١].

المبحث الثاني

رواة الإمام الباقر (عليه السلام)

أن ثمرة هذا البحث قدمناها لاعتمد من كان أغلب أئمة العلم في الجرح والتعديل على توثيقه واعامل رواياته على هذا الاساس، أما المختلف فيه فالاحظ الاغلب وإلا فمن اجمع العلماء على تضعيفه أو كان الاغلب على ذلك من الفريقين اخضعت روايته لمعايير نقد المتن، ولقد أخذ عن الإمام الباقر (عليه السلام) وروى عنه عدد كبير من التابعين واتباعهم، وقد اوصل أحد الباحثين المعصارين من روى عنه إلى (٤٨٢) رجل في مختلف العلوم القرآنية والتفسيرية والحديثية والفقهية[٢]. وقد اخترت منهم من روى عنه فقط في علوم القرآن والتفسير دون من روى فيما هو غير ذلك وهم:

١- أبان بن تغلب

ابن رباح، أبو سعيد البكري، الجريري، مولى بني جرير بن عبادة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل[٣].

ولد بالكوفة، وكان من ابرز علماء عصره، روى عن الإمام علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق، قال له الإمام الباقر: اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فإني أحب أن أرى في شيعتي مثلك[٤].

---

(١) انظر مصادر ترجمته: الاستيعاب، ابن عبد البر، ٢/ ٢٥٨ + تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ٥ + الإصابة، العسقلاني، ٢/ ٥١٨.

(٢) ظ: حياة الإمام الباقر (عليه السلام) باقر شريف القرشي، ٢/ ١٩١ ـ ٣٨٢.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٦/ ٣٦٠ + الفهرست، الشيخ الطوسي، ١٧ + الخلاصة، العلامة الحلي، ٢١.

(٤) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١/ ١٠٨ + شعب المقال، النراقي، ٣١ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١/ ٢١-٢٢.

وكان أبان مقدماً في كل فن من العلوم، في القرآن والفقه والحديث والأدب واللغة والنحو وله قراءة مفردة[1].

أما عن وثاقته، فقد قال العجلي: ثقة[2]، وقال الذهبي: وثقه أحمد ويحيى وأبو حاتم والنسائي وابن عدي ابن عجلان والحاكم وابن سعد وغيرهم من العلماء، وقال الذهبي أيضاً: شيعي جلد، ولكنه صدوق[3].

وله مصنفات كثيرة[4]، وذكر ابن حجر العسقلاني إلى أن سنة وفاته كانت (٢٤١ هـ)[5]، وفيه نظر لما اجمع العلماء عليه من أن وفاته كانت سنة (١٤١ هـ)[6].

٢- أبان بن أبي عياش

فيروز، أبو إسماعيل، مولى عبد القيس[7]، البصري، عَدَّهُ الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام السجاد والباقر والصادق ووصفه بأنه تابعي، روى عن أنس بن مالك[8].

أما عن وثاقته، فقد ضعفه جمع من العلماء، قال ابن الغضائري: أبان بن أبي عياش ضعيف لا يلتفت إليه[9]، وقال يزيد بن هارون: قال شعبة: ردائي وحماري في المساكين صدقة أن لم يكن ابن أبي عياش يكذب في الحديث[10]، وقال شعبة أيضاً: لأن اشرب من بول حماري أحب الي من أن أقول حدثني أبان[11].

---

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/٥ + تنقيح المقال، المامقاني، ١/٣.

(٢) تهذيب الكمال، المزي ١/ ١١٢ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١/ ٩٣ + غاية النهاية، ابن الجزري، ١/ ٤.

(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/٥.

(٤) الفهرست، ابن النديم، ٢٧٦ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١/٢٣.

(٥) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١/ ٩٣.

(٦) تهذيب الكمال، المزي، ١/ ٦٢ + ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٥.

(٧) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٩/ ٣٦٠ + الفهرست الطوسي، ١٨ + شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ١/ ٢١٠ + تنقيح المقال، المامقاني، ١/٣.

(٨) الرجال، الطوسي، ١٠٦.

(٩) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١/ ١٧.

(١٠) تهذيب الكمال، المزي، ١/ ٩٦ + تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ١/ ٩٩

(١١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١/ ٩٩.

وكذلك ضعفه الشيخ الطوسي والخوئي[1]، فهو إذن ضعيف لاجماع العلماء على تضعيفه، فلا يعتد برواياته، توفي سنة (١٣٨هـ) وقيل غير ذلك[2].

٣- إبراهيم بن أبي البلاد

واسم أبي البلاد يحيى بن سليم الغطفاني[3]، أبو إسماعيل[4]، وقيل مولى ابن سليمان من بني عبد الله بن غطفان[5]، روى عن عدّة من أئمة آل البيت، وهم الإمام الباقر والصادق والكاظم والرضا وعمر دهراً[6].

أما عن وثاقته، فللإمام الرضا رسالة أثنى فيها عليه، وقال العلامة الحلي: ثقة، اعمل على روايته[7] وقال ابن حجر العسقلاني: كان ثقة، قارئً، فقيهاً وعمر دهراً طويلاً. كاتبه علي بن موسى الرضا برسالة، روى عنه ابناه يحيى ومحمد ومحمد بن سهل بن اليسع وآخرون[8]، فهو ثقة، لقول أغلب العلماء بتوثيقه، ويعتد بروايته.

٤- إبراهيم بن عمر

اليماني، الصنعاني، روى عن الإمام الباقر والإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)[9].

أما عن وثاقته، فقد وثقه العلماء، فقال النجاشي: إنه شيخ من أصحابنا ثقة[10]، وقال العلامة الحلي: والأرجح عندي قبول روايته[11]، ووثقه كذلك الخوئي في معجمه بقوله: الرجل يعتمد على روايته لتوثيق النجاشي له ولوقوعه

(١) الرجال، الطوسي، ١٠٦ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٧/١.
(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١٤/١.
(٣) لسان الميزان، العسقلاني، ١/ ٤١ + الخلاصة، العلامة الحلي، ٣.
(٤) المصدر نفسه والصفحة،+ الرجال البرقي، ١٨.
(٥) الرجال النجاشي، ١٨ + الخلاصة، العلامة الحلي، ٤.
(٦) لسان الميزان، العسقلاني، ١/ ٤١.
(٧) الخلاصة، العلامة الحلي، ٤ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١/ ٥٨.
(٨) غاية النهاية، ابن الجزري، ٢/ ٣٧٣ + لسان الميزان، العسقلاني، ٤١/١.
(٩) الرجال، النجاشي، ١٦ + الرجال، الطوسي، ١٠٣ + معالم العلماء، ابن شهر آشوب، ٥.
(١٠) الرجال، النجاشي، ١٦.
(١١) الخلاصة، العلامة الحلي، ٦.

في إسناد تفسير القمي[1]، ووثقه كذلك المامقاني في قوله: . . . إنَّ من تتبع كلمات العلامة في الخلاصة وغيره، والنجاشي ظهر له أنهما يقبلان قوله ويعتمدان عليه[2]، وضعفه ابن الغضائري ونقل تضعيفه الخوئي[3]، وهذا التضعيف لا يلتفت إليه لأمرين ظاهرين:

الأول: عدم العثور على طريق صحيح للكتاب وهو رجال ابن الغضائري.

الثاني: لكثرة ما فيه من تضعيف للرجال وهذا غير مقبول من جهة وإذا وثق النجاشي -عند علماء الرجال من الإمامية- فكفى، وأكد ولا تفحص، ويأتي بالمرحلة الثانية توثيق الشيخ الطوسي من جهة أخرى.

ولم أجد له ترجمة في حدود ما اطلعت عليه من كتب الرجال وعلماء الجرح والتعديل عند الجمهور، وله كتاب ذكره ابن النديم[4]، إذن الرجل ثقة، لأن أغلب العلماء قالوا بوثاقته.

٥- إبراهيم بن نعيم

الكناني، يكنى بابي الصباح، من أعلام أصحاب الإمام الباقر[5]، أما عن وثاقته، فقد روى الكشي: أن الإمام الباقر قال له: أنت ميزان، فقال له: جعلت فداك، أن الميزان ربما كان فيه عين، قال: أنت ميزان لا عين فيه[6].

وقال الشيخ المفيد: إنه من الفقهاء والأعلام والرؤساء، المأخوذ عنهم الحلال والحرام، الذين لامطعن عليهم ولا طريق لذمهم[7].

ولم أجد له ترجمة في كتب الرجال -في حدود ما اطلعت عليه- عند الجمهور، فلذلك اعتمد في توثيقه وتعديله على توثيق وتعديل علماء الرجال من الإمامية.

---

(١) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١/١٢٨.

(٢) تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ٢٨.

(٣) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١/١٢٨.

(٤) الفهرست، ابن النديم، ٢٧٥.

(٥) معرفة الرجال، الكشي، ٢٢٤ + الرجال الطوسي، ١٠٢ + الخلاصة، العلامة الحلي، ٢٧٠.

(٦) معرفة الرجال، الكشي، ٢٢٥.

(٧) الرسالة العددية، الشيخ المفيد، ٥٦.

٦- إسماعيل بن جابر الجعفي

قال النجاشي: إن إسماعيل بن جابر الجعفي روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله(عليهما السلام)، وهو الذي روى حديث الآذان[١].

وهو ابن جابر بن يزيد الجعفي[٢]، له كتاب[٣].

أما عن وثاقته، فقد وثقه الشيخ الطوسي قائلاً: إسماعيل بن جابر الكوفي، ثقة، ممدوح، له أصول رواها عنه صفوان بن يحيى[٤]، ووثقه كذلك العلامة الحلي بقوله: إسماعيل بن جابر الجعفي، ثقة، ممدوح، وحديثه اعتمد عليه[٥] وكذلك وثقه ابن حجر بقوله: وقال علي بن الحكم عنه من نجباء أصحاب الإمام الباقر، وروى عن الصادق والكاظم (رضي الله عنهما)[٦] ووثقه أيضاً المحقق الخوئي للأدلة المرجحة لوثاقته المذكورة في كتب الرجال[٧]، فهو ثقة يعتد بروايته لإجماع علماء الرجال وأئمة الجرح والتعديل على ذلك، أما روايته عن الإمام الباقر والصادق(عليهما السلام) فقد بلغت مائة رواية[٨].

٧- إسماعيل بن عبد الرحمن

ابن أبي كريمة السدي، نسبة إلى سدة مسجد الكوفة، لبيعه المقانع والخُمُر فيها، سميت سدة لبقائها من الطاق المسدود[٩].

وهو تارة من أصحاب السجاد وأخرى من أصحاب الباقر وثالثة من أصحاب الصادق، المعروف بأبي محمد القرشي، المفسر، الكوفي[١٠].

---

(١) الرجال، النجاشي، ٢٦.

(٢) لسان الميزان، العسقلاني، ١/١٩٧.

(٣) الفهرست، ابن النديم، ٢٧٦.

(٤) الرجال، الطوسي، ١٠٥ + تهذيب المقال في تنقيح كتاب الرجال، الموحد الابطحي، ١/ ١٢٠.

(٥) الخلاصة، العلامة الحلي، ٨.

(٦) لسان الميزان، العسقلاني، ١/٣٩٧.

(٧) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ١٣١.

(٨) ظ: المصدر نفسه والصفحة.

(٩) الرجال، الطوسي، ١٠٤.

(١٠) تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ١٣٦.

أما عن وثاقته، فقد وثقه الشيخ الطوسي[1] وكذلك العلامة الحلي[2]، ووثقه أيضاً ابن حجر العسقلاني بقوله: ابن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد الكوفي، صدوق[3]، وقال في مكان آخر: إسماعيل السيد، صدوق ولا بأس به[4]، وقال يحيى القطان لا بأس به، وقال أحمد: ثقه، وقال ابن عدي: هو عندي صدوق[5]. توفي سنة (١٢٧ هـ)[6].

فهو إذن ثقة ونعتد بروايته لتوثيق وتعديل علماء الجرح والتعديل من الفريقين له.

٨- إسماعيل بن عبد الرحمن

الجعفي، الكوفي، تابعي، سمع أبا الطفيل عامر بن واثلة، روى عن الإمام أبي جعفر وأبي عبد الله[7]، ومات في حياة الإمام الصادق(عليه السلام) وكان فقيهاً.

أما عن وثاقته، فقد قال النجاشي: وإسماعيل كان وجيهاً من أصحابنا، وأبوه وعمومته، وكان أوجههم إسماعيل، وهم بيت من الكوفة من جعف يقال لهم بنو أبي سبرة[8].

والوجيه في اصطلاح القدامى هو الثقة، ووثقه كذلك الشيخ الطوسي[9]، إلا أن الخوئي عند تعليقه على توثيق النجاشي قال: إنَّه كان وجيهاً في الرواية، وهو إن لم يدل على وثاقته، فلا أقل من دلالته على حسنه[10] وعند ردِّه أيضاً على رواية وردت في الاختصاص للشيخ المفيد

---

(١) الرجال، الطوسي، ١٠٤.

(٢) الخلاصة، العلامة الحلي، ٨.

(٣) التقريب، العسقلاني، ١/ ٦٤.

(٤) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١/ ١٧٥.

(٥) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/٢٣٧.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٧) الخلاصة، العلامة الحلي، ١٢.

(٨) الرجال، النجاشي، ٢٢ + تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ١٣٣ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ١٦٥.

(٩) الرجال، الطوسي، ١٠٥.

(١٠) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ١٦٤.

عن ابن عقدة بسنده في ترحم الإمام الصادق عليه قال الخوئي: قد استدل بعضهم بهذه الرواية على حسن الرجل، إلا إنك قد عرفت أن ترحم الإمام(عليه السلام) لا دلالة فيه على الحسن، مع أن في سند الرواية عدة مجاهيل[1]، -وتوقف الخوئي- نستطيع أن نتلمس الطريق إلى تجاوزه: أن توثيق النجاشي وقدماء علماء الرجال عند الإمامية له يكفي في توثيقه، وإن رواية ابن عقدة لا تزيد شيئاً وإن صحت، ولذلك فإن الطعن بسندها لا يخل بموثوقية الرجل.

٩- بريد بن معاوية

العجلي، أبو القاسم، عربي[2]، وذكر ابن عقدة عن علي بن الحسن بن فضال: إنه مات سنة خمسين ومائة[3].

وقال ابن حجر العسقلاني: بريد بن معاوية بن أبي حكيم واسمه حاتم العجلي ويكنى أبا القاسم[4].

أما عن وثاقته، فقد قال النجاشي: روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله(عليهما السلام)، ومات في حياة الإمام الصادق، وجه من وجوه أصحابنا، وفقيه أيضاً، له محل عند الأئمة[5]، ونقل قول أحمد بن الحسين الغضائري أنه رأى له كتاباً يرويه عنه علي بن عقبة بن خالد الأسدي[6]، ولم يطعن به الغضائري على الرغم من كثرة من طعن بهم، وروى الكشي بسنده عن داود بن سرحان قال: سمعت أبا عبد الله(عليه السلام) يقول: أني لا حدث الرجل بالحديث وأنهاه عن القياس فيخرج من عندي فيتأول حديثي على غير تأويله، أني أمرت قوماً أن يتكلموا ونهيت قوماً فكل يتأول لنفسه يريد

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) الخلاصة، العلامة الحلي، ٢٦.

(٣) لسان الميزان، العسقلاني، ٢/ ١٠

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥) الرجال، النجاشي، ٨٧.

(٦) المصدر نفسه، ٣٣.

المعصية لله ولرسوله ولو سمعوا وأطاعوا لأودعتهم ما أودع أبي لا صحابه، إن أصحاب أبي كانوا زيناً إحياءً وأمواتاً، اعني زرارة ومحمد بن مسلم ومنهم ليث المرادي وبريد العجلي، هؤلاء القوامون بالقسط، هؤلاء السابقون أولئك المقربون[1].

وروى ابن حجر العسقلاني عن سعد بن عبد الله القمي بسند له إلى جعفر الصادق (عليه السلام) إنه قال: أوتاد الأرض أربعة، فذكره منهم[2]، إلى غير ذلك من الأخبار التي وردت في الإشادة بالرجل وبيان عظيم منزلته عند أئمة أهل البيت[3]، والتي تدل كلها على وجاهته ووثاقته عند علماء الجرح والتعديل من الإمامية والجمهور، ولهذا كله أخذنا برواياته التي رواها عن الإمام الباقر واعتبرنا سنده فيها عنه صحيحاً.

١٠- بكير بن حبيب

الاحمسي[4]، البجلي، الكوفي، روى عن الإمام الباقر والصادق، وكنيته أبو مريم[5]، روى عنه منصور بن حازم[6]، لم يتعرض العلماء لوثاقته أو عدمها من الإمامية والجمهور بل اقتصروا على ذكر اسمه وكنيته فمثلاً قال ابن حجر العسقلاني: بكير بن حبيب الأحمسي، البجلي، الكوفي، يكنى أبا مريم[7]، أي إنهم عرفوا به فقط، وأظن أن السبب هو لقلة ما ورد عنه من روايات عن الإمام الباقر (عليه السلام) فمن خلال استقصائنا الشامل لما روي عن الإمام الباقر ورواته وجدنا لهذا الرجل رواية واحدة في التفسير.

---

(١) معرفة الرجال، الكشي، ٢٠٦.

(٢) لسان الميزان، العسقلاني، ٢/ ١٠.

(٣) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ٣٠٧ – ٣١٥.

(٤) الاحمسي: نسبة إلى بني احمس حي من بني انمار بن أرش من القحطانية، غلب على بنيه اسمه فقيل لهم الأحمس، والاحمس في اللغة الشديد، ويطلق على الرجل الشجاع، جاء ذلك في: تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ١٧٧.

(٥) الرجال الطوسي، ١٠٩.

(٦) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ٣٦٥.

(٧) لسان الميزان، العسقلاني، ٢/ ٤٩.

١١- بكير بن أعين

ابن سنسن(١)، الشيباني، الكوفي، ويكنى أبا عبد الله، ويقال له أبو الجهم(٢)، وكان من عيون علماء الإمامية وثقاتهم، وهو من بيت عرف بالانقطاع لآل البيت(عليهم السلام) وزرارة كذلك وحمران أخواه.

أما عن وثاقته، فقد قال العلامة الحلي: بكير بن أعين، مشكور، مات على الاستقامة(٣).

فهو ثقة، ثبت بما ورد في مدحه والثناء عليه من روايات من قبل أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، وبما ورد في توثيقه وتعديله من أقوال وردت عن علماء الرجال وأئمة الجرح والتعديل من الفريقين(٤).

١٢- ثابت بن دينار

يكنى أبا حمزة الثمالي(٥)، وكنية دينار أبو صفية(٦)، وَعَدَّهُ الشيخ الطوسي في رجاله تارة من أصحاب السجاد وأخرى من أصحاب الباقر وثالثة من أصحاب الكاظم(٧).

أما عن وثاقته، فقد قال علماء الرجال من الإمامية إنه ثقة(٨)، فقال النجاشي: إنه كوفي ثقة(٩)، وكذلك العلامة الحلي(١٠)، وكذلك صاحب

---

(١) كان سنسن أو ستسب راهباً من بلد الروم وكان ابنه أعين عبداً رومياً لرجل من بني شيبان، تعلم القرآن، ثم أعتقه، وعرض عليه أن يدخل في نسبه. ظ: الفهرست، ابن النديم، ٢٧٦.

(٢) الفهرست، ابن النديم، ٢٧٦ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ٣٨٢.

(٣) الخلاصة، العلامة الحلي، ٢٨.

(٤) ظ: معرفة الرجال، الكشي، ١٦٠ + لسان الميزان، العسقلاني، ٢/ ٦١ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ٣٨٢ ـ ٣٨٦.

(٥) الثمالي: نسبة إلى ثمالة حسب ما يرى ابن خلكان في وفيات الأعيان، وهو لقب عوف بن أسلم بن حجر بن حارث بن كعب لأنه أطعم قومه وسقاهم لبناً بثمالته أي برغوته. انظر: تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ١٨٩ + وفيات الأعيان، ٤/ ٣٢٠.

(٦) الفهرست، ابن النديم، ٣٦.

(٧) الرجال، الطوسي، ١١٠.

(٨) المصدر نفسه والصفحة.

(٩) الرجال، النجاشي، ٨٩.

(١٠) الخلاصة، العلامة الحلي، ٢٩.

الكنى والألقاب وزاد بأنه من زهاد أهل الكوفة ومشايخها[1]، وذكر ابن النديم إنه من النجباء[2]، وقد أورد الخوئي عدة روايات في توثيقه منها: ما روي عن أبي عبد الله الصادق أنه قال: أبو حمزة في زمانه مثل سليمان أو لقمان في زمانه[3]. وله من الأولاد ثلاثة: نوح ومنصور وحمزة قتلوا جميعاً مع زيد بن علي[4].

وأما علماء الجرح والتعديل من الجمهور، فقد قال أحمد وابن معين: إنه ليس بشيء، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: ليِّن الحديث، يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال النسائي وذكر ابن عدي عن الفلاس ليس بثقة، وقال ابن عدي والدار قطني: إنه ضعيف، وذكر ابن حبان: إنه كان كثير الوهم في الأخبار حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، واتهمه بالغلو في التشيع، وَعَدَّهُ السليماني: في قوم من الرافضة[5].

الرأي الراجح:

إننا أمام قضيتين، الأولى: هي أنه قد حصل شبه إجماع بين علماء الجرح والتعديل عند الإمامية على وثاقته وتعديله. والثانية: هي أن علماء الرجال من الجمهور قد اختلفت عباراتهم في تجريحه وتفاوتت أقوالهم بين مراتب ألفاظ الجرح، بين المرتبة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة[6]، وإذا أردنا أن نبين السبب في تجريحه فقد تشعرنا عبارات ابن حبان والسليماني في اتهامه بالغلو في التشيع والرفض بنوع من عدم الموضوعية ونحن هنا لا نريد أن نخوض في هذه المسألة، إلا أننا إذا ما أردنا أن نعمل على وثاقة الرجل وتعديله نستطيع أن نختار رأياً معتدلا بين الآراء التي قيلت بالأخذ في روايات

---

(١) الكنى والألقاب، عباس القمي، ١/ ١١٨.

(٢) الفهرست، ابن النديم، ٣٦.

(٣) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ٤١١.

(٤) المصدر نفسه، ٣/ ٤١٣ ـ ٤١٥.

(٥) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٣٦٣ ؛ تهذيب التهذيب العسقلاني، ٢/ ٧-٨.

(٦) محاضرات في علوم الحديث، د. حارث سليمان الضاري، ٧٠ ـ ٧١.

المتهم بغلوه عند الجمهور، وهو الرأي القائل بالترخيص مطلقاً، إلا فيمن يكذب ويضع[1]، وقد ثبت من خلال عرض أقوال العلماء في أبي حمزة الثمالي عدم اتهامه لا بالكذب ولا بالوضع ولهذا نستطيع أن نحفظ روايات كثيرة رواها أبو حمزة عن الإمام الباقر (عليه السلام).

١٣- ثابت بن هرمز

الكوفي، العجلي، الحداد، كنيته أبو المقدام، مولى بكر بن وائل[2]، قال النجاشي: روى نسخة عن علي (عليه السلام) رواها عنه ابنه عمرو بن أبي المقدام[3]، وقال الطوسي: الفارسي، أبو المقدام العجلي، الحداد، مولى بني عجل وَعَدَّهُ في رجاله من أصحاب السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام)[4]

أما عن وثاقته، فقد حصل شبه إجماع عند علماء الرجال من الإمامية على توثيقه للأدلة المرجحة لوثاقته[5]، إلا العلامة الحلي فقد وضعه في القسم الثاني من خلاصته الذي خصصه للضعفاء[6]. وإنما نرد تضعيف العلامة لأن الرجاليين يعتمدون على ما سبق، وحيث أن الأقدمين أجمعوا على وثاقته بلا خوف بينهم وبلا تردد فلا وجه لتضعيف العلامة له على أنه لم يطعن به صراحة.

وأما علماء الرجال من الجمهور، فقد قال أحمد وابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال الأجري عن أبي داود: ثقة[7]. وقد احتج به النسائي[8]، إذن الرجل ثقة يعتدُّ بروايته لقول أغلب العلماء من الفريقين على تعديله وتوثيقه.

---

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢٧/١.
(٢) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ١٦.
(٣) الرجال، النجاشي، ٩٠.
(٤) الرجال، الطوسي، ١١٠ + تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ١٩٤.
(٥) الرجال، النجاشي، ٩٠ + الرجال الطوسي. ١١٠.
(٦) الخلاصة، العلامة الحلي، ٢٠٩.
(٧) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/١٦-١٧.
(٨) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٣٦٨.

١٤- ثعلبة بن ميمون

الكوفي، يكنى أبو إسحاق[١]، مولى بني أسد ثم مولى بني سلامة[٢]، وذكر أنه مولى ابن قيس الأنصاري[٣]، وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)[٤].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فقال النجاشي: كان وجهاً من أصحابنا، قارئ، نحوياً، لغوياً، راوياً، وكان حسن العمل، كثير العبادة والزهد[٥]. وقال الكشي: هو ثقة، خَيِّر، فاضل، مقدم معدود في العلماء والفقهاء[٦]، وقال العلامة الحلي: وكان فاضلاً، مقتدماً، معدوداً في العلماء والفضلاء[٧]. وترجم له ابن حجر العسقلاني فقال: إنه كان كثير العبادة، وقد صنف مختلف الرواية عن جعفر الصادق (عليه السلام)[٨].

إذن هو ثقة، لقول أغلب العلماء من الفريقين على وثاقته وتعديله، وكل رواياته عن الإمام الباقر (عليه السلام) مباشرة بدون واسطة إلا رواية واحدة رواها عن ميسر عن أبي جعفر (عليه السلام)[٩].

١٥- ثوير بن أبي فاختة

أبو الجهم، الكوفي، مولى أم هاني بنت أبي طالب، وقيل مولى زوجها جَعْدَة بن هبيرة[١٠]، واسم أبي فاختة سعيد بن علاقة[١١]، يروي عن أبيه[*]

---

(١) لسان الميزان، العسقلاني، ٢/ ٨٢-٨٣.

(٢) الرجال، النجاشي، ٩١.

(٣) معرفة الرجال، الكشي، ٣٥٢.

(٤) الرجال، الطوسي، ١٦١ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ٤٣٢.

(٥) الرجال النجاشي، ٩١.

(٦) معرفة الرجال، الكشي، ٣٥٤.

(٧) الخلاصة، العلامة الحلي، ٣٠.

(٨) لسان الميزان، العسقلاني، ٢/ ٨٣.

(٩) ظ: البرهان في تفسير القرآن، علي بن إبراهيم القمي، ٢/ ٣٢٠ + تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٣٣.

(١٠) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٣٧٥.

(١١) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/ ٤٣٨. (*) أبو فاختة الكوفي، سعيد بن علاقة. مات في السبعين مشهور بكنيته، ثقة، من الثالثة، روى له الترمذي وابن ماجة وغيرهم. ظ: التهذيب العسقلاني، ٤/ ٧٠-٧١ + جامع البيان، الطبري، ٤/ ١٣ + المعجم الكبير، الطبراني، ٤/ ٨٤٤.

وابن عمر وزيد بن أرقم وغيرهم، وقد عَدَّهُ الشيخ الطوسي في رجاله تارة من أصحاب السجاد وأخرى من أصحاب الباقر- وقال عنه تابعي[1].

أما عن وثاقته، فقد جرحه علماء الرجال من الإمامية، فقد ردَّ الكشي رواياته[2]، وكذلك العلامة الحلي[3]، وتوقف فيه الخوئي[4].

أما علماء الرجال من الجمهور، فقد ضعفوه أيضاً، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: ضعيف، وعن الثوري قال: ثوير ركن من أركان الكذب[5] فهو إذن ضعيف لا يعتدُّ بروايته لإجماع علماء الرجال من الفريقين على ذلك.

١٦- جابر بن يزيد الجعفي

ابن الحارث الكوفي[6]، قال النجاشي: جابر بن يزيد أبو عبد الله، قيل أبو محمد الجعفي، عربي قديم، نسبه لابن الحارث بن عبد يغوث بن كعب بن الحارث بن معاوية بن وائل بن مرار بن جعفي[7].

أما عن وثاقته، فقد وثقه جمع من علماء الجرح والتعديل عند الإمامية، فقال الشيخ الطوسي: جابر بن يزيد الجعفي له أصل وله كتاب في التفسير[8]، وعدَّهُ ابن شهر آشوب من خواص أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)[9]، وروى ابن عقدة بسنده: أن الإمام الصادق ترحم على جابر وقال أحمد بن الحسين الغضائري: إن جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، ثقة في نفسه[10]، وعَدَّهُ الشيخ المفيد في الرسالة العددية ممن لامطعن فيهم ولا طريق لذم واحد منهم[11].

---

(١) الرجال، الطوسي، ١١١.

(٢) معرفة الرجال، الكشي، ١٩١.

(٣) الخلاصة، العلامة الحلي، ٣٠.

(٤) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٣/٤٤٤.

(٥) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٣٧٥.

(٦) المصدر نفسه، ١/٣٧٩.

(٧) الرجال، النجاشي، ٩٩.

(٨) الرجال، الطوسي، ١١٢.

(٩) معالم العلماء، ابن شهر آشوب، ٢٧.

(١٠) الخلاصة، العلامة الحلي، ٣٥.

(١١) الرسالة العددية، الشيخ المفيد، ١٦٨.

أما علماء الرجال من الجمهور، فقد وثقه شعبة بقوله: كان جابر إذا قال: حدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس، وقال زهير بن معاوية: إنه من أصدق الناس[1]، وقال وكيع: مهما شككتم في شيء فلا تشكوا في أن جابر ثقة، وقال سفيان الثوري لشعبة: لإن تكلمت في جابر لاتكلمن فيك[2]، وقال سفيان: ما رأيت في الحديث أورع من جابر الجعفي، وهو صدوق في الحديث[3].

إذن كان جابر من أعلام العلماء ومن أجل الفقهاء، وكان منقطعاً لأهل البيت، وفد على الإمام الباقر (عليه السلام) وتلقى منه مزيداً من المعارف والعلوم، وتقول الروايات أن جابراً حَدَّثَ عن الإمام الباقر أكثر من سبعين ألف حديث[4].

أما عن وفاته فقد ذكر يحيى بن معين أنه مات سنة (١٣٢ هـ)[5]، وذكر الذهبي: أن سنة وفاته كانت سنة (١٦٧ هـ)[6]، وهو اشتباه محض لأن معظم كتب التراجم والرجال قد أجمعت على أن وفاته كانت سنة (١٢٨ هـ) على ما ذكره ابن حنبل[7].



١٧- حكيم بن حكم

ابن عباد بن حنيف الأنصاري[8]، المدني[9] الأوسي[10]، روى عن الأئمة الطاهرين محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام)[11].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الجرح والتعديل من الإمامية وخاصة الشيخ والعلامة الحلي[12]، إلا أنهم ذكروا أنه كان قليل الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام).

---

(١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ٤٧.
(٢) المصدر نفسه والصفحة.
(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٣٨٢ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٤/ ٢٤.
(٤) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/٣٨٣.
(٥) الرجال، الطوسي، ١١١ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٤/ ١٣٢.
(٦) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/٣٨٥.
(٧) معرفة الرجال الكشي، + الفهرست، الطوسي، ٤٥ + الخلاصة، العلامة الحلي، ٣٥.
(٨) الخلاصة، العلامة الحلي، ٦١ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٤/ ٢٣١-٢٣٣.
(٩) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٥٨٥.
(١٠) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/٤٤٨.
(١١) الرجال، الطوسي، ١١٤ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٦/ ١٨٦.
(١٢) الخلاصة، العلامة الحلي، ٦٢ + الرجال، الطوسي، ١١٤.

ووثقه أيضاً علماء الجرح والتعديل من الجمهور، فقد قال العجلي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقاة، وصحح له الترمذي وابن خزيمة[1]، وقال الذهبي: وقد قواه ابن حبان[2]، فهو إذن ثقة للأدلة المرجحة لوثاقته، ولقول أغلب العلماء من الفريقين على تعديله وتوثيقه.

١٨- الحكم بن عتيبة (عيينة)

أبو محمد الكندي، الكوفي، وقيل أبو عبد الله، ولد سنة (٥٠هـ) وتوفي سنة (١١٤هـ)[3]، أو سنة (١١٥ هـ)[4].

أما عن وثاقته، فقد ضعفه بعض علماء الرجال من الإمامية، منهم الشيخ الطوسي بعد أن أورد روايات عديدة في تضعيفه[5]، وكذلك ضعفه الكشي[6]، وقال الخوئي: لا شبهة في ذم الرجل، فهو لا يعتد بروايته[7]، غير أن الشيخ النوري حكم بوثاقته في النقل لرواية الأجلة عنه[8].

أما علماء الرجال من الجمهور، فقد وثقوه وذكروا كلمات كثيرة في مدحه والثناء عليه[9]، وإننا نميل إلى رأي الشيخ النوري في توثيقه وإلى توثيق علماء الجمهور، لأن كل الروايات التي رواها عن الإمام الباقر (عليه السلام) كانت مطابقة وصحيحة لما ورد عن الثقاة الذين رووا عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام).

١٩- حمران بن أعين

الكوفي: مولى بني شيبان[10]، يكنى أبا الحسن وقيل أبو حمزة، تابعي من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام)[11].

---

(١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ٤٤٨.
(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٥٨٥.
(٣) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ٤٣٤.
(٤) تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ٣٥٨.
(٥) الرجال، الطوسي، ١١٤.
(٦) معرفة الرجال، الكشي، ٨٥.
(٧) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٦/ ١٧٥.
(٨) ظ: المصدر نفسه والصفحة.
(٩) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ٤٣٤.
(١٠) المصدر نفسه، ٣/ ٢٥.
(١١) الرجال، الطوسي، ١١٧.

أما عن وثاقته، فقد وردت في مدحه وجلالته وعظيم محله أخبار كادت أن تبلغ حد التواتر عند علماء الرجال من الإمامية[1].

وأما علماء الرجال من الجمهور، فقد وثقه أبو حاتم في قوله: شيخ صالح، وذكره ابن حبان في الثقاة[2]. فنحن نوثقه لتوثيق أجلة علماء الجرح والتعديل من الفريقين له.

ومن الجدير بالذكر أن آل أعين أكبر بيت في الكوفة من شيعة آل البيت وأعظمهم شأناً وأكثرهم رجالاً وأعياناً وأطولهم مدة وزماناً، أدرك أوائلهم السجاد والباقر والصادق وبقي أواخرهم إلى أوائل القرن الثالث وكان فيهم العلماء والفقهاء والقراء والأدباء ورواة الحديث، وإن من مشاهيرهم حمران بن أعين الشيباني[3].

٢٠- خالد بن أوفى

أبو الربيع العنزي الشامي من أصحاب الباقر (عليه السلام)[4]، روى عن الحسن بن محبوب كتاباً[5]، وذكر النجاشي: أن اسمه خليد بن أوفى[6]، وذكر العلامة الحلي: أن اسمه الخليل بن أوفى[7].

أما عن وثاقته، فلم يرد في كتب الرجال من الإمامية قدح ولا مدح فيه، عدا الخوئي فإنه قال بجهالته[8]، وأما علماء الرجال من الجمهور -في حدود ما اطلعت عليه- من كتبهم لم أجد له ترجمة تذكر، إذن هو مجهول الحال، فإذا كان كذلك فَيَرِدُّ أكثر المحدثين رواية المجاهيل مطلقاً[9]، فهو مردود.

---

(١) معرفة الرجال، الكشي، ١٥٧ + الرجال، الطوسي، ١١٧ + تنقيح المقال المامقاني، ١/ ٣٧١ + رجال الحديث، السيد بحر العلوم، ٣/ ٢٤ + الفهرست، ابن النديم، ٢٧٦ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٦/ ٢٥٤-٢٥٦.

(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/٦٠٤ + تهذيب التهذيب، العسقلاني،٣/ ٢٥.

(٣) الفهرست، ابن النديم، ٢٦/٢ + رجال الحديث، السيد بحر العلوم، ١/ ٢٢٢.

(٤) الرجال، الطوسي، ١٢٠.

(٥) المصدر نفسه، ٦٦.

(٦) الرجال، النجاشي، ١١٧.

(٧) الخلاصة، العلامة الحلي، ٧٠.

(٨) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ٦/ ٧٤.

(٩) محاضرات في علوم الحديث، د. حارث سليمان الضاري، ٦٤.

٢١- خيثمة بن أبي خيثمة

وأبو خيثمة، اسمه عبد الرحمن فيما يقال أبو نصر البصري[١]، وقال النجاشي في ترجمة بسطام بن الحسين: إنه عم بسطام[٢]، وعدّهُ الشيخ الطوسي مع تكنيته بأبي عبد الرحمن في أصحاب الباقر(ع)، وبلا كنية في أصحاب الصادق(ع)[٣].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فقال النجاشي: إنه كان وجهاً من أصحابنا[٤]، وذكر العلامة الحلي: قال علي بن أحمد العقيقي: إنه كان فاضلاً[٥]. إلا أنه لم يوثقه بل توقف عن ذلك عند ردّه على قول علي بن أحمد المتقدم فقال: وهذا لا يقتضي التعديل وإن كان من المرجحات[٦]، وذكر الخوئي مرة أنه مجهول الحال، وأخرى أن روايته من الحسان[٧].

أما علماء الرجال من الجمهور، فقد عده ابن حبان من الثقاة[٨]، ولم يرد عن غيره قول آخر، ونحن نرجح وثاقته لتوثيق النجاشي له من جهة ولقول أغلب العلماء من الفريقين من جهة أخرى، فأما قول الخوئي بجهالته فهو قول.

٢٢- دلهم بن صالح

الكندي، الكوفي[٩]، من أصحاب الإمام الباقر(ع)[١٠]، ولم ترد في كتب الرجال عند الإمامية أية عبارات في مدحه أو ذمه ولم يعدله أو يضعفه أي من علمائهم، أما علماء الرجال من الجمهور، فقد قال الدوري عن ابن معين: ضعيف، وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً، وينفرد عن الثقاة بما لا يشبه

(١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٣/ ١٧٨.
(٢) الرجال، النجاشي، ١١٨.
(٣) الرجال، الطوسي، ١٢٠.
(٤) الرجال، النجاشي، ١١٨.
(٥) الخلاصة، العلامة الحلي، ٧١ ـ ٧٢.
(٦) المصدر نفسه والصفحة.
(٧) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٧/ ٨٤-٨٥.
(٨) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٣/ ١٧٨.
(٩) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٢٨ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٣/ ٢١٢.
(١٠) الرجال، الطوسي، ١٢٠.

حديث الإثبات[1] غير أن أبا داود قال: ليس به بأس[2]، ونحن نضعفه، وذلك لقول أغلب أئمة الجرح والتعديل من الجمهور بتضعيفه من جهة ولأن قول أبي داود ليس به بأس، لا يكفي دليلاً على تعديله من جهة أخرى، والسبب هو أن هناك قاعدة معروفة بين المحدثين أنه إذا تعارضت أقوال العلماء في تعديل أو تجريح راوٍ، يقدم التجريح على التعديل[3].

٢٣- ربعي بن عبد الله

ابن الجارود بن أبي سبرة الهذلي[4]، البصري[5]، كنيته أبو نعيم[6]، روى عن الإمامين الباقر والصادق وأبي بصير وبريد بن معاوية العجلي[7].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فقال النجاشي: أبو نعيم، بصري، ثقة[8]. وقال الشيخ الطوسي: ربعي بن عبد الله الجارود، له أصل، ثقة، أخبرنا به الشيخ المفيد (رحمه الله)[9]، وقد ذكره الخوئي في الثقاة[10].

أما علماء الرجال من الجمهور، فقد قال ابن معين: صالح، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال الدارقطني: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقاة[11].

فهو إذن ثقة، للأدلة المرجحة لوثاقته، و لإجماع أئمة الجرح والتعديل من الفريقين على توثيقه.

---

(١) تهذيب التهذيب، العسقلاني،٣/٢١٢.
(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٢٨.
(٣) الدراية في علم مصطلح الحديث، الشهيد الثاني، ٧٣.
(٤) الرجال، النجاشي، ٢٢٣.
(٥) تهذيب التهذيب، العسقلاني،٣/ ٢٣٨.
(٦) الرجال، النجاشي، ٢٢٣.
(٧) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٧/ ١٦٢-١٦٧.
(٨) الرجال، النجاشي،١٢٦.
(٩) الفهرست، الطوسي، ٧٠.
(١٠) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٦٢-١٦٧.
(١١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٣/ ٢٣٨.

٢٤- زرارة بن أعين

الكوفي[١]، واسمه عبد ربه، وزرارة لقب له، يكنى أبا الحسن[٢].

أما عن وثاقته، فقد تكاد تتفق كلمة علماء الجرح والتعديل من الإمامية على وثاقته والثناء عليه ومدحه فقد قال النجاشي: شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم، وكان قارئً، فقيهاً، متكلماً، شاعراً، أديباً، وقد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين، صادق فيما يرويه[٣].

وقال الكشي: اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب الإمام أبي جعفر و أصحاب أبي عبد الله(عليه السلام) وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة: محمد بن مسلم الطائفي وابن خربوذ وبريد وأبو بصير الاسدي والفضيل بن يسار وقالوا: أفقه هؤلاء الستة زرارة[٤]. ووثقه كذلك الخوئي وأورد عشرين رواية صحيحة السند في مدحه والثناء عليه[٥].

أما علماء الرجال من الجمهور فلم يرد لهم فيه تعديل أو تجريح، غير أن العقيلي قال: إن زرارة في الضعفاء[٦]. وهذا القول لا يستطيع أن ينهض بدعوى ضعف زرارة أمام جمهرة الروايات وأقوال العلماء في مدحه وتعديله.

وكان زرارة من أبرز تلامذة الإمام الباقر(عليه السلام) ورواته، فقد روى عنه ألف ومائتين وستة وثلاثين مورداً[٧].

شملت جميع أبواب الفقه من عبادات ومعاملات ولم تقتصر رواياته على باب واحد منها، وهي تحتل الصدارة عند العلماء والفقهاء وإليها يرجعون عند استنباطهم للأحكام الشرعية، وأما ما يخص الروايات التفسيرية فيكاد لا يخلو مصنف تفسيري واحد عند الإمامية من الاستعانة بجملة من روايات زرارة عن الإمام الباقر(عليه السلام).

---

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي،٢/ ٦٩ + تهذيب التهذيب، العسقلاني،٢/ ٤٧٣.

(٢) الرجال، النجاشي، ١٣٢ + الرجال، الطوسي، ١٢٣ + الفهرست، ابن النديم، ٢٧٦.

(٣) الرجال، النجاشي، ١٣٢.

(٤) معرفة الرجال، الكشي، ١٢١.

(٥) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي،٧/ ٢٢٣-٢٣١.

(٦) ميزان الاعتدال، الذهبي،٢/ ٩٢ + لسان الميزان العسقلاني، ٢، ٤٧٣.

(٧) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٧/ ٢٤٩ وما بعدها.

٢٥- زياد بن عيسى = زياد بن أبي الرجاء

وأبو الرجاء هو منذر[١]، أبو عبيدة الحذاء[٢]، وقيل أبو حازم[٣]، عَدَّهُ الشيخ الطوسي من رواة وأصحاب الإمام الباقر (عليه السلام)[٤].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فذكر النجاشي: إنه كوفي ثقة[٥]، وكذلك وثقه الشيخ الطوسي[٦]. وأما عند علماء الرجال من الجمهور، فقد ضعفه فقط أبو حاتم ولم يذكر ولده عبد الرحمن في كتابه[٧].

ونحن نرجح وثاقته للأدلة المرجحة، وعلى الرغم من ذلك فهو من المقلين في الرواية عن الإمام.

٢٦- زياد بن المنذر

أبو الجارود الهمداني، الثقفي، الأعمى، الكوفي[٨]، روى عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)[٩]، وله أصل، وله كتاب في التفسير[١٠].

أما عن وثاقته، فقد اختلف فيه العلماء كثيراً وتباينت عباراتهم في جرحه أو تعديله أشد تبايناً، فقد ضعفه من علماء الإمامية الكشي في قوله: وكان أبو الجارود مكفوفاً أعمى، أعمى القلب[١١]. وقال النجاشي: . . . وتغير لما خرج زيد بن علي[١٢].

---

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٩٤.

(٢) الرجال الطوسي، ١٢٢.

(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٩٤.

(٤) الرجال الطوسي، ١٢٢..

(٥) الرجال النجاشي، ١٢٩.

(٦) الرجال الطوسي، ١٢٢..

(٧) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٩٢.

(٨) ظ: ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٩٤ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٣/ ٣٨٦-٣٨٧ + لسان الميزان العسقلاني، ٧/ ٢٢ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٧/ ٣٢٢-٣٢٨.

(٩) الرجال النجاشي، ١٢٨. + الرجال الطوسي، ١٢٢..

(١٠) الرجال الطوسي، ١٢٢..

(١١) معرفة الرجال، الكشي، ١٩٩.

(١٢) الرجال النجاشي، ١٢٨.

وضعفه كذلك من أئمة الجرح والتعديل من الجمهور ابن معين فقال: كذاب، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن حبان: يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله(ﷺ) وفضائل أهل البيت(عليهم السلام)[1].

ولكن على الرغم من هذا التضعيف فقد أشعرت بعض كلمات علماء الجرح والتعديل بالتوقف فيه، منهم البخاري فقد قال: يتكلمون فيه، وقال ابن عدي: وأحاديثه عن من يروي عنه فيها نظر[2] وتوقف فيه صراحة الشيخ الطوسي[3]، إلا أنه قد روى عنه الترمذي حديثاً واحداً[4]، وأخرج له الطبري في تفسيره روايات عديدة عن الإمام الباقر(عليه السلام) ولم يعلق على سندها.

وقد وثق بعض العلماء أبا الجارود، منهم الشيخ المفيد حيث قال: إنه من الأعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام، والفتيا والأحكام، الذين لا يطعن عليهم ولا طريق لذم واحد منهم[5]، وقد نقل صاحب الكنى والألقاب توثيق الحر العاملي له في قوله: زياد بن المنذر، قال شيخنا صاحب المستدرك في ترجمته: وأما أبو الجارود فالكلام فيه طويل والذي يقتضيه النظر بعد التأمل فيما ورد في ما قالوا فيه: إنه كان ثقة في النقل، مقبول الرواية، معتمداً في الحديث[6].

ووثقه كذلك الخوئي في قوله: فالظاهر إنه ثقة، لا لأجل أن له أصلاً، ولا لرواية الأجلة عنه بل لوقوعه في أسانيد كامل الزيارات، وقد شهد جعفر بن محمد بن قولويه بوثاقة جميع رواته ولشهادة الشيخ المفيد -المتقدمة- ولشهادة علي بن إبراهيم القمي بوثاقة كل من وقع في إسناده[7].

فأصبحت أقوال العلماء فيه على ثلاثة آراء:

الأول: تجريحه، الثاني: التوقف، الثالث: تعديله.

---

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٩٤ تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٣/ ٣٨٦..

(٢) تهذيب التهذيب، العسقلاني،٣/ ٣٨٧.

(٣) الرجال الطوسي، ١٢٢.

(٤) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٣/ ٣٨٧.

(٥) الرسالة العددية، الشيخ المفيد، ١٣٢.

(٦) الكنى والألقاب، عباس القمي، ١/ ٣١.

(٧) معجم رجال الحديث، الخوئي،٧/ ٣٢٧.

وسأعرض الروايات التي ترد عن طريقه على طرق أخرى فإن طابقتها عملنا بها، وإن عارضتها طرحنا روايات أبي الجارود، فإن ما ورد عن الشيخ المفيد ليس فيه ما يدل على توثيقه مع أن ما يدل على قدحه مقدم فيعارضه فيسقط بذلك الاعتبار.

٢٧- زيد الشحام

زيد بن يونس، وقيل بن موسى، أبو أسامة[١]، مولى شديد بن عبد الرحمن بن نعيم الازدي، الغامدي، الكوفي، له كتاب يرويه عن جماعة[٢]، وهو من رواة وأصحاب الإمام الباقر (عليه السلام)[٣].

أما عن وثاقته، فقد أجمع علماء الجرح والتعديل من الإمامية على توثيقه، فقال الشيخ المفيد: إنه من فقهاء المسلمين ومن أصحاب الصادقين (عليهما السلام)، الأعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام الذين لا مطعن عليهم[٤] ووردت أخبار كثيرة في مدحه والثناء عليه تبين مدى اتصاله ووثاقة علاقته بأئمة آل البيت[٥] أما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور، فقد وثقه ابن معين في قوله: إنه ثقة[٦] فهو إذن ثقة لقول أغلب العلماء في توثيقه.

٢٨- سالم الأشل

هو سالم بن عبد الرحمن، بياع المصاحف، من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام)[٧]، روى عنه إبراهيم بن ميمون وعبد الله بن بكير ومنصور بن حازم وغيرهم[٨].

---

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ١٠٨.

(٢) الرجال النجاشي، ١٣٢ + الفهرست ابن النديم ٢٢٢.

(٣) الرجال الطوسي، ١٢٢.

(٤) الرسالة العددية، الشيخ المفيد، ١٣٢.

(٥) الخلاصة، العلامة الحلي، ٧٣ + تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ٤٦٥-٤٦٦ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٧/ ٣٦٤-٣٦٧.

(٦) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ١٠٨.

(٧) الرجال الطوسي، ١٢٤.

(٨) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٨/ ١٢.

أما عن وثاقته فقد وثقه بعض علماء الجرح والتعديل من الإمامية، فذكره النجاشي في ابنه عبد الرحمن بن سالم وقال: إنه ثقة[1]، وكذلك ابن الغضائري فقال: إنه ثقة[2]، غير أن العلامة الحلي عَدَّهُ في المجاهيل بقوله: سالم من أصحاب الإمام الباقر مجهول[3].

أما علماء الرجال من الجمهور -في حدود ما اطلعت عليه- لم أجد له ترجمة ولا تجريحاً ولا تعديلاً، ونحن نوثقه لتوثيق النجاشي له وابن الغضائري، لأن النجاشي مقدم في هذا الفن وابن الغضائري قلما يوثق رجلاً.

٢٩- سدير بن حكيم

ابن صهيب الصيرفي، الكوفي[4]، يكنى أبا الفضل، من أصحاب السجاد والباقر والصادق(عليهم السلام)[5]، وقد كان من المكثرين في الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام).

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فقال عنه الكشي: إنه ثقة[6]، ووصفه النجاشي من خواص أصحاب الإمام الباقر(عليه السلام)[7]، ووثقه كذلك ابن شهر آشوب[8] وعَدَّهُ العلامة الحلي من الثقاة[9]، وقال الخوئي: ... لما عرفت من أنه ثقة[10].

أما بالنسبة لعلماء الجرح والتعديل من الجمهور، فقد قال الذهبي وابن حجر العسقلاني إنه صالح الحديث[11]، وروى أحمد بن أبي مريم عن يحيى بن معين: إنه

---

(١) الرجال، النجاشي، ١٤٢.
(٢) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ٨/ ٢٢ وانظر مصادره.
(٣) الخلاصة، العلامة الحلي، ٢٢٧.
(٤) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ١١٦ + لسان الميزان العسقلاني، ٣/ ٩.
(٥) تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ٨.
(٦) معرفة الرجال، الكشي، ١٨٣.
(٧) الرجال، النجاشي، ١٤٣.
(٨) معالم العلماء، ابن شهر آشوب، ٤٩.
(٩) الخلاصة، العلامة الحلي، ٨٥.
(١٠) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٨/ ٣٩.
(١١) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ١١٦ + لسان الميزان العسقلاني، ٣/ ٩.

ثقة[1]، وقال البخاري إنه سمع أبا جعفر، وقال ابن عدي: له أحاديث قليلة وقد ذكر عنه افراط في التشيع أما في الحديث فأرجو أنه لا بأس به[2].

فالرجل إذن ثقة لقول أغلب العلماء من الفريقين بوثاقته.

٣٠- سعيد بن طريف

الحنظلي، الإسكافي، مولى بني تميم، كوفي[3]، روى عن الإمامين الباقر والصادق(عليهما السلام) وكذلك روى عن الأصبغ بن نباتة، وروى عنه أيوب بن عبد الرحمن وعمر بن أبي جميلة وغيرهم[4].

أما عن وثاقته، فقد اختلف فيه علماء الجرح والتعديل من الإمامية، فضعفه الكشي[5]، وتوقف فيه النجاشي فقال: إنه يعرف وينكر[6]، أي: لم يُرَتَّبْ عليه أثرٌ. ووثقه الشيخ الطوسي في قوله: إنه صحيح الحديث[7]، وكذلك الخوئي[8].

أما بالنسبة لعلماء الجرح والتعديل من الجمهور، فقد ضعفه النسائي في قوله: إنه متروك الحديث[9]، غير إننا نحكم بوثاقة هذا الرجل للأدلة المرجحة لوثاقته والتي أثبتها الخوئي في معجمه[10].

٣١- سلام بن المستنير

الجعفي، الكوفي[11]، عَدَّهُ الشيخ الطوسي تارة من أصحاب السجاد وأخرى من أصحاب الباقر وثالثة من أصحاب الصادق(عليه السلام)[12]، وكان من

---

(١) المصدر نفسه والصفحة + المصدر نفسه والصفحة.

(٢) لسان الميزان، العسقلاني، ٣/ ٩.

(٣) الرجال، النجاشي، ١٣٥ + معجم رجال الحديث، الخوئي ٨/ ٦٨.

(٤) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٨/ ٧٥.

(٥) معرفة الرجال، الكشي، ١٧٨.

(٦) الرجال، لنجاشي،١٣٥.

(٧) الرجال، الطوسي، ١٢٤.

(٨) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٨/ ٧٣.

(٩) لسان الميزان، العسقلاني، ٣/ ٣٤.

(١٠) معجم رجال الحديث، الخوئي٨/ ٧٠-٧٢.

(١١) المصدر نفسه، ٨/ ٧٥.

(١٢) الرجال، الطوسي، ١٢٥.

المقلين في الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) ولم يرد من علماء الرجال من الفريقين توثيق أو تجريح له، فهو من المجاهيل.

٣٢- سليمان بن خالد

ابن دهمان، ابن نافلة مولى عفيف بن معدكرب، أبو الربيع الابطح، خرج مع الإمام زيد، ولم يخرج معه من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) غيره، فقطعت يده، له كتاب رواه عن عبد الله بن مسكان[١]، روى عن الإمامين الباقر والصادق وعن أبي بصير، وروى عنه جميل بن صالح وعبد الرحمن بن الحجاج ومنصور وغيرهم[٢].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية فقال الشيخ المفيد: سليمان بن خالد من شيوخ أصحاب الإمام الباقر وخاصته وبطانته وثقاة الفقهاء الصالحين[٣]، ووثقه كذلك الشيخ الطوسي[٤]، والكشي[٥]، وأورد الخوئي عدّة روايات وأخبار عن أئمة آل البيت تَدلُّ على توثيقه[٦].

أما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور -فلم أجد له في حدود ما اطلعت عليه- من ترجمة؛ إذن الرجل ثقة لقول أغلب علماء الرجال من الإمامية على ذلك.

٣٣- سورة بن كليب

ابن معاوية الأسدي، الكوفي، روى عن الصادقين[٧]، وروى عنه جميل بن دراج ومالك بن عطية وغيرهم[٨].

أما بالنسبة لوثاقته، فقد توقف علماء الرجال من الإمامية فيه من جهة[٩]، ولم أجد له ترجمة في حدود ما اطلعت عليه عند علماء الرجال من

---

(١) الخلاصة، العلامة الحلي، ٧٧.

(٢) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ٨/ ٢٥٤.

(٣) الإرشاد، الشيخ المفيد، ٢٩٢.

(٤) الرجال، الطوسي، ٣٢٣.

(٥) معرفة الرجال، الكشي، ٣٠٤.

(٦) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٨/ ٢٤٧-٢٥٤.

(٧) معرفة الرجال، الكشي، ٣٢٢ + الرجال الطوسي، ١٢٥.

(٨) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ٨/ ٢٨٣.

(٩) ظ: معرفة الرجال الكشي، ٣٢٢ + الرجال الطوسي، ١٢٤.

الجمهور من جهة أخرى، فلذلك هو من المجاهيل الذين يجب التوقف في الأخذ برواياتهم.

٣٤- صالح بن ميثم

الكوفي، عَدَّهُ الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الباقر (عليه السلام) قائلاً: صالح بن مثيم مولاهم كوفي، تابعي[١]، روى عن الإمامين الباقر والصادق وروى عن أبي خالد التمار وعباية الأسدي[٢].

أما عن وثاقته عند علماء الرجال من الإمامية، فقد أورد العلامة الحلي، رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر تدل على توثيقه[٣]، ووثقه كذلك الخوئي ولكن ليس من جهة توثيق العلامة الحلي بروايته عن الإمام الباقر ولكن من جهة شهادة ابن قولويه وشهادة علي بن إبراهيم القمي بوثاقته، فقد قال الخوئي: لا يمكن الاستدلال بها -يعني رواية الإمام الحلي- على وثاقته غير أنه ثقة من جهة شهادة ابن قولويه وعلي بن إبراهيم القمي ففي هذا غنى وكفاية[٤].

ولم نجد له ترجمة في حدود ما اطلعت عليه من كتب الرجال عند الجمهور، فلذلك نحكم بوثاقته لتوثيق بعض علماء الرجال من الإمامية له.

٣٥- ضريس بن عبد الملك

ابن أعين الشيباني، الكوفي، يكنى أبا عمارة[٥]، قال الكشي: ضريس بن عبد الملك بن أعين الشيباني، حدثنا حمدويه وسمعت أشياخي يقولون: ضريس إنما سمي بالكناسي لأن تجارته بالكناسة، روى عن السجاد والباقر والصادق (عليه السلام) وعن حمزة بن حمران وروى عنه أبو جميلة وأبو خالد القماط وعبد الله بن مسكان وغيرهم[٦].

---

(١) الرجال، الطوسي، ١٢٦ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٩/ ٨٨.

(٢) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٩/ ٨٩.

(٣) الخلاصة، العلامة الحلي، ٨٨.

(٤) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٩/ ٨٩.

(٥) الرجال، الطوسي، ١٢٦.

(٦) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ٩/ ١٥٢.

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فقال الكشي: هو خير، فاضل، ثقة[1]، ووثقه العلامة الحلي بقوله: هو فاضل، ثقة[2]، ووثقه كذلك الخوئي وأورد عدة أدلة ترجح وثاقته[3].

أما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور فلم ترد له عندهم ترجمة تذكر فلذلك حكمنا بوثاقته لتوثيق علماء الرجال من الإمامية له.

٣٦- طلحة بن زيد

أبو الخزرج النهدي[4]، الشامي[5]، قال الشيخ الطوسي: طلحة بن زيد له كتاب، وهو من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام)[6]، روى عن الإمامين الباقر والصادق وعن ثوير بن غيلان والفضيل بن عثمان، وروى عنه محمد بن يحيى ومحمد بن سنان وعبد الله بن المغيرة وغيرهم[7].

أما عن وثاقته فقد ضعفه علماء الرجال من الفريقين[8]، فهو إذن ضعيف لا تقبل روايته لتضعيف العلماء له.

٣٧- عبد الرحمن

يكنى أبا خيثمة، عَدَّهُ الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام)[9]، وعَدَّهُ البرقي أيضاً من أصحاب الباقر قائلاً: عبد الرحمن وهو أبو خيثمة[10].

ولم أعثر على توثيق أو تجريح لهذا الرجل في كتب الرجال عند الفريقين، فالظاهر إنه من المجاهيل الذين نتوقف في قبول روايتهم.

---

(١) معرفة الرجال، الكشي، ٢٦٥.

(٢) الخلاصة، العلامة الحلي، ٩٠.

(٣) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٩/ ١٥٢-١٥٥.

(٤) معرفة الرجال، الكشي، ٣١٧.

(٥) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٣٣٨.

(٦) الرجال، الطوسي، ١٢٦.

(٧) معجم رجال الحديث، الخوئي، ٩/ ١٧٠.

(٨) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٣٣٩ + معرفة الرجال، الكشي، ٣١٧ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٩/ ١١٩.

(٩) الرجال، الطوسي، ١٢٩.

(١٠) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ٩/ ٣٠١.

٣٨- عبد الرحيم بن روح القصير

الأسدي، الكوفي، روى عن الإمامين الباقر والصادق[١]، وروى عنه عبد الله بن مسكان[٢].

أما عن وثاقته، فقد وثقه بعض علماء الرجال من الإمامية اعتماداً على روايتين أوردهما محمد بن يعقوب الكليني في الكافي قد ترحم فيهما الإمام الباقر على هذا الرجل، إلا أن الخوئي قد ضعف هاتين الروايتين وقال: والمتحصل أنه لم تثبت وثاقة عبد الرحيم بن روح ولا حسنه[٣].

ولم أجد له ترجمة في كتب الرجال عند الجمهور، ولذلك نحكم بالتوقف في قبول روايته لتوقف الخوئي فيها وَعَدَّهُ من المجاهيل.

٣٩- عبد الغفار بن القاسم

ابن قيس بن قيس بن فهد (قهد)، أبو مريم الأنصاري، روى عن أبي جعفر وعن أبي عبد الله (عليهما السلام)[٤].

أما عن وثاقته، فقد اختلف فيه العلماء فالنجاشي من الإمامية قال عنه إنه ثقة[٥]، وتوقف فيه الشيخ الطوسي والعلامة الحلي والخوئي[٦].

أما بالنسبة لعلماء الجرح والتعديل من الجمهور فقد ضعفوه، فقال علي بن المديني: كان يضع الحديث، وروى عباس عن يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم النسائي: متروك الحديث، وَعَدَّهُ الساجي والعقيلي وابن الجارود من الضعفاء[٧].

---

(١) الرجال، الطوسي، ١٢٨.

(٢) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ١٠.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) لسان الميزان، العسقلاني، ٤/ ٤٢ + الخلاصة، العلامة الحلي، ١١٧+ معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٥٩.

(٥) الرجال، النجاشي، ١٧٩.

(٦) الرجال، الطوسي، ١٢٩ + الخلاصة، العلامة الحلي، ١٠١ + معجم رجال الحديث الخوئي، ١٠/ ٦٠.

(٧) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٦٤٠ لسان الميزان، العسقلاني، ٤/ ٤٣.

ونحن نتوقف فيه، لأن هناك قاعدة معروفة بين المحدثين من الإمامية إن قول النجاشي مقدم على جميع الأقوال فلذلك لا نستطيع تضعيفه لتوثيقه له ولا نستطيع أن نوثقه لتضعيف علماء الجمهور له، لذلك حكمنا بالتوقف في قبول روايته.

٤٠- عبد الله بن عجلان

السكوني، الكوفي[١]، عَدَّهُ الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) وكذلك الكشي[٢]، ووصفه ابن شهر آشوب من خواص أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام)[٣].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية[٤]، وروى الكشي بسنده عن زرارة عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: رأيتُ، إني على رأس جبل والناس يصعدون عليه من كل جانب حتى إذا كثروا عليه تطاول بهم في السماء وجعل الناس يتساقطون عنه من كل جانب حتى لم يبق عليه إلا عصابة يسيرة، يفعل ذلك خمس مرات، فكل ذلك يتساقط الناس عنه وتبقى تلك العصابة عليه أما أن ميسرة بن عبد العزيز وعبد الله بن عجلان في تلك العصابة[٥]، ووثقه كذلك الخوئي وأورد عِدَّة روايات في مدحه والثناء عليه منها الرواية المتقدمة نقلاً عن الكشي[٦]

ولهذا فهو ثقة لقول أغلب علماء الرجال من الإمامية في توثيقه خاصة إذا ما علمنا إننا لم نجد له ترجمة في حدود ما اطلعت عليه من كتب الرجال عند الجمهور.

٤١- عبد الله بن عطاء

المكي[٧]، عَدَّهُ الشيخ الطوسي، تارة من أصحاب الباقر وأخرى في أصحاب الصادق[٨].

---

(١) الخلاصة، العلامة الحلي، ١٨٠ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٢٦٥.

(٢) الرجال، الطوسي، ١٢٧ + معرفة الرجال، الكشي، ٢١٠.

(٣) معالم العلماء، ابن شهر آشوب، ٦٧.

(٤) ظ: الرجال، الطوسي، ١٠٣ + الخلاصة، العلامة الحلي، ١٠٨.

(٥) معرفة رجال الحديث، الكشي، ١٤٩ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٢٦٨.

(٦) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٢٦٨.

(٧) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٥/ ٣٢٢ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٢٦٨.

(٨) الرجال، الطوسي، ١٢٧-٢٢٤ + ظ: معجم رجال الحديث، ١٠/ ٢٦٨.

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فأورد الخوئي عدة روايات تخبر عن وثاقته[1]، وروى الصفار بسنده عنه أنه قال: اشتقت إلى أبي جعفر (عليه السلام)، وأنا بمكة فقدمت المدينة وما قدمت إلا شوقاً إليه فأصابني تلك الليلة مطر وبرد شديد فانتهيت إلى بابه نصف الليل فقلت: ما أطرقه هذه الساعة وأنتظر حتى أصبح وإني لمتفكر في ذلك إذ سمعته يقول: يا جارية، افتحي الباب لابن عطاء فقد أصابه في هذه الليلة برد وأذى، قال: فجاءت، ففتحت الباب فدخلت عليه (عليه السلام)[2]. ووثقه العلامة الحلي فقال: هو وإخوته عبد الملك وعريفاً نجباء من أصحاب الإمام أبي جعفر والإمام أبي عبد الله (عليه السلام)[3].

أما علماء الرجال من الجمهور فقد وثقوه أيضاً، فقال الذهبي: صدوق إن شاء الله[4]، وقال الترمذي: ثقة عند أهل الحديث، وقال الدوري عن ابن معين: عبد الله بن عطاء وصاحب بن بريدة ثقة، وذكره ابن حبان في الثقاة[5]. إذن هو ثقة لإجماع علماء الجرح والتعديل من الفريقين على توثيقه.

٤٢- عبد الله بن كيسان

روى عن الإمامين الباقر والصادق، وروى عنه عثمان بن يوسف[6].

أما عن وثاقته فلم أجد عنه شيئاً في كتب الرجال عند الإمامية سوى الخوئي فقد توقف فيه[7].

أما علماء الرجال من الجمهور، فقد وثقه ابن داود وقال عنه: إنه ثبت، وذكره ابن حبان في الثقاة[8]، ولم ترد لهذا الرجل سوى رواية تفسيرية واحدة عن الإمام الباقر (عليه السلام) موجودة في تفسير القمي.

---

(١) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٢٦٨.

(٢) بصائر الدرجات، الصفار، ١٥٢.

(٣) الخلاصة، العلامة الحلي، ١٠٧.

(٤) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٤٠٦.

(٥) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٥/ ٣٢٣.

(٦) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٣٠٢

(٧) المصدر نفسه، ١٠/ ٣٠٢-٣٠٢.

(٨) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٢/ ٤٧٤.

٤٣- عبد الله بن محمد

أبو بكر[١]، الحضرمي، سمع من أبي الطفيل، تابعي، روى عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)[٢].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فعَدَّهُ ابن شهرآشوب من خواص أصحاب الإمام الصادق[٣] ووثقه أيضاً العلامة الحلي فقال: إنه ثقة[٤]، وأورد الكشي عِدَّة روايات تَدلُّ على وثاقته[٥]، وكذلك وثقه الخوئي بقوله: إنه كان جليلاً، ثقة[٦]. . . أما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور، فقد وثقه أحمد فقال: أبو بكر صدوق، وقال يحيى بن معين: أبو بكر أعجب إلينا، وقال العجلي: ثقة، وقال أبو حاتم وابن خراش: ثقة[٧]، إذن الرجل ثقة ومعتمد في رواياته لإجماع العلماء على توثيقه وتعديله.

٤٤- عبد الله بن محمد

الجعفي[٨]، عَدَّهُ الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام)[٩]، وَعَدَّهُ البرقي في أصحاب الباقر (عليه السلام) فقط[١٠]، روى عن الإمامين الباقر والصادق، وروى عنه آدم بن إسحاق وصالح بن عقبة[١١].

أما عن وثاقته، فقد ضعفه علماء الرجال من الإمامية وقالوا إنه ضعيف[١٢]، ولم أجد له ترجمة عند علماء الرجال من الجمهور، إذن الرجل ضعيف لا يعتدُّ برواياته لتضعيف علماء الإمامية له.

---

(١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٦/ ٣.

(٢) الرجال، الطوسي، ١٢٩ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٣١٠.

(٣) معالم العلماء، ابن شهر آشوب، ٦٥

(٤) الخلاصة، العلامة الحلي، ٢٣٢.

(٥) معرفة الرجال، الكشي، ٣٥٥-٣٥٧.

(٦) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٣١٣.

(٧) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٦/ ٣-٤.

(٨) الرجال، الطوسي، ١٢٧.

(٩) المصدر نفسه، ٧٩، ١٢٧، ٢٢٩.

(١٠) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٣٢٩.

(١١) المصدر نفسه، ١٠/ ٣٣٠.

(١٢) الخلاصة، العلامة الحلي، ٣٨ + الرجال النجاشي، ١٦٨ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٠/ ٣٢٩.

٤٥- عمر بن قيس

الماصر، ابن أبي مسلم الكوفي، أبو الصباح، مولى ثقيف[1]، من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام)[2].

أما عن وثاقته، فقد توقف فيه بعض علماء الرجال من الإمامية، منهم الكشي والطوسي والخوئي[3].

وأما علماء الرجال من الجمهور، فقد وثقه ابن معين وأبو حاتم وقالا: إنه ثقة، وقال الآجري: سئل أبو داود عن عمر بن قيس فقال: من الثقاة، وذكره ابن حبان في الثقاة وكذلك ابن شاهين[4].

ونحن نوثقه لقول الأعم الأغلب من علماء الرجال على توثيقه.

٤٦- عمرو بن ثابت

ابن هرمز، الحداد[5]، الكوفي يكنى أبا ثابت[6]، مولى بني عجل، روى عن السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام)، وله كتاب لطيف[7]، وروى عنه أبو سعيد العصفوري وابن سنان والحسن بن محبوب وغيرهم[8].

أما عن وثاقته، فقد وثقه من علماء الرجال عند الإمامية: العلامة الحلي[9]، وكذلك الخوئي[10]، والشيخ الطوسي[11]. أما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور، فقد وثقه يحيى برواية رواها عنه معاوية بن صالح فقال: قال ابن

(١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٧/ ٤٨٩.

(٢) الرجال، الطوسي، ١٣١.

(٣) ظ: معرفة الرجال، الكشي، ٣٨٣ + الرجال، الطوسي، ١٣١ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ١٣٦.

(٤) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٧/ ٤٤٩-٤٥٠.

(٥) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ٨١.

(٦) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/ ٢٤٩.

(٧) الرجال، الطوسي، ١٣٠.

(٨) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ٨٨.

(٩) الخلاصة، العلامة الحلي، ١٢٠.

(١٠) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ٨٢.

(١١) الرجال، الطوسي، ١٣٠.

معين: عمرو بن ثابت لا يكذب في حديثه[1]، فلذلك هو ثقة، لتوثيق هؤلاء العلماء له، ولعدم وجود جرح فيه.

٤٧- عمرو بن شمر

الجعفي، الكوفي[2] يكنى بابي عبد الله[3]، روى عن جابر الجعفي، والأعمش وغيرهم[4]، وَعَدَّهُ الشيخ الطوسي من أصحاب الباقر[5].

أما عن وثاقته، فقد ضعفه علماء الرجال من الإمامية فقال النجاشي: ضعيف جداً، زَيَّدَ أحاديث في كتب جابر الجعفي[6]، وضعفه أيضاً الشيخ الطوسي[7] والخوئي[8].

أما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور، فقد ضعفه يحيى بن معين فقال: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: زائغ، كذاب. وقال البخاري: منكر الحديث[9]. وهناك أقوال أخرى للعلماء في تضعيفه[10] لم نوردها لكفاية ما قلناه في ضعفه ووهنه فهو إذن ضعيف تُرَدُّ روايته.

٤٨- غالب بن الهذيل

أبو الهذيل، الكوفي[11]، الشاعر الأسدي[12]، روى عن الإمامين الباقر والصادق(عليهما السلام)، وروى عن سعيد بن المسيب، وروى عنه حماد بن عثمان ومحمد بن النعمان وغيرهم[13].

---

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/ ٢٥٠.
(٢) الخلاصة، العلامة الحلي، ٢٤١ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ١١٨.
(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/ ٢٦٨ + لسان الميزان، العسقلاني، ٤/ ٣٦٦.
(٤) لسان الميزان، العسقلاني، ٤/ ٣٦٦.
(٥) الرجال، الطوسي، ١٣٠.
(٦) الرجال النجاشي، ٢٢٠ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ١١٨ وانظر مصادره.
(٧) الرجال، الطوسي، ١٣٠.
(٨) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ١١٩.
(٩) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/ ٢٦٨ + لسان الميزان، العسقلاني، ٤/ ٣٦٦.
(١٠) ظ: لسان الميزان، العسقلاني، ٤/ ٣٦٧.
(١١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٨/ ٢٤٤.
(١٢) الرجال، الطوسي، ١٣٢.
(١٣) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ٢٤٠-٢٤١.

أما عن وثاقته، فإنني لم أجد له توثيقاً أو تجريحاً في كتب الرجال عند الإمامية[1]، إلا أنه ليس فيه طعن، ووثقه بعض العلماء شفاهاً.

أما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور، فقد وثقه ابن أبي حاتم عن أبيه أنه قال: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقاة، وقال ابن أبي مريم: ثقة[2]. فهو إذن ثقة، لتوثيق جملة من العلماء الأجلاء له على الرغم من توقف علماء الإمامية فيه.

٤٩- الفضيل بن يسار

النهدي، أبو القاسم، عربي، بصري، صميم[3]، يكنى أبا سرور، مات في أيام الإمام الصادق (عليه السلام)[4]، وله كتاب[5]، روى عن السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام)، وروى عنه عبد الواحد بن المختار الأنصاري، وروى عنه أبو إسماعيل البصري وابن أذينة وعلي بن رئاب وجمع كبير من الرواة[6].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فقال النجاشي، إنه ثقة[7]، وروى العلامة الحلي نقلاً عن الكشي: إنه ثقة، عين، جليل القدر[8]، وقال الطوسي: إنه ثقة[9]، وَعَدَّهُ الشيخ المفيد من الفقهاء الأعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام[10]، وقد أورد الخوئي روايات كثيرة عن أئمة آل البيت في مدحه والثناء عليه[11].

أما علماء الرجال من الجمهور فقد عثرنا على قول واحد وهو ما ذكره الذهبي وابن حجر العسقلاني عن العقيلي من أنه قال: لا يتابع على حديثه[12].

---

(١) الرجال، الطوسي، ١٣٠ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٢٤١.
(٢) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٨/ ٢٤٤.
(٣) الرجال، النجاشي، ٢٣٨ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ٣٦٢.
(٤) الخلاصة، العلامة الحلي، ١٣٢.
(٥) الرجال النجاشي، ٢٣٨.
(٦) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ٢٦٦.
(٧) الرجال النجاشي، ٢٣٨.
(٨) الخلاصة، العلامة الحلي، ١٢٣.
(٩) الرجال، الطوسي، ١٣٢.
(١٠) الرسالة العددية، الشيخ المفيد، ١٣٤.
(١١) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٣/ ٣٦٢.
(١٢) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/ ٣١٠ + لسان الميزان، العسقلاني، ٤/ ٤٥٢.

ونحن نرجح وثاقته، لإجماع أغلب علماء الرجال من الإمامية على توثيقه من جهة، ولا يلتفت في الجرح والتعديل لقول مجرح واحد إذا تعارض الجرح والتعديل من جهة أخرى[1].

٥٠- كثير بن إسماعيل النوا

روى عن الإمامين الباقر والصادق، وروى عنه أبان بن عثمان وغيره[2]، وَعَدَّهُ الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام)[3].

أما بالنسبة لوثاقته، فقد وردت أخبار كثيرة في ذمه وتضعيفه من قبل علماء الرجال من الفريقين[4]، فهو إذن ضعيف لإجماع العلماء على تضعيفه.

٥١- كنكر = أبو خالد الكابلي

اسمه وردان، القماط، الكوفي[5]، له كتاب[6]، روى عن الإمام الباقر وروى عنه ضريس ومحمد بن سنان وغيرهما[7].

أما عن وثاقته، فقد وردت أخبار كثيرة في مدحه والثناء عليه عن أئمة آل البيت ذكرها علماء الرجال من الإمامية في مصنفاتهم للدلالة على توثيقه وتعديله[8] ولم أجد -في حدود ما اطلعت عليه- ترجمة له في كتب الرجال عند الجمهور، وهو من المكثرين في الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام).

٥٢- ليث بن البختري

المعروف بأبي بصير، المرادي، وقيل أبو بصير الأصغر، له كتاب يرويه جماعة عنه[9]، روى عن الإمام أبي جعفر وأبي عبد الله وروى عنه خلق

---

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/ ٤٠٢.

(٢) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٤/ ١١٤-١١٥ وانظر مصادره.

(٣) الرجال، الطوسي، ٢٧٧.

(٤) ظ: ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/ ٤٠٢ + معرفة الرجال، الكشي، ٢٠٨ + الخلاصة، العلامة الحلي، ٢٤٩ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٤/ ١١٣-١١٥.

(٥) الرجال، الطوسي، ٢٧٧.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٧) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٤/ ١٣٥.

(٨) ظ: المصدر نفسه، ١٤/ ١٣٨ وانظر مصادره.

(٩) الرجال، النجاشي، ٢٤٥.

كثير[1]، عَدَّهُ الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الباقر قائلاً: ليث بن البختري المرادي، يكنى أبا بصير الكوفي من أصحاب الباقر[2].

وقد وثقه علماء الرجال من الإمامية فقالوا: إنه ثقة[3]، غير إنني لم أجد له ترجمة في كتب الرجال عند الجمهور.

وهو من الثقاة ومن أجل الرواة علماً وفقهاً وحريجة في الدين، فقد كان من أعلام الفكر الإسلامي ومن كبار العلماء الذين حافظوا على الثروات العلمية لأئمة آل البيت.

٥٣- محمد بن إسحاق

ابن يسار، أبو بكر المخرمي، مولاهم، المدني[4]، صاحب السِّير مات سنة (١٥١هـ)، روى عن الإمامين الباقر والصادق(عليهما السلام)[5].

أما عن وثاقته، فقد توقف فيه علماء الرجال من الإمامية، غير أن علماء الرجال من الجمهور قد وثقوه فقال الذهبي: هو أحد الأئمة الأعلام وهو صالح الحديث، وقال أحمد بن حنبل: وهو حسن الحديث، وقال ابن معين: ثقة، وقال شعبة: إنه أمير المؤمنين في الحديث، وقال أيضاً إنه صدوق[6]. فهو إذن ثقة لتوثيق الأعم الأغلب من علماء الرجال من الجمهور له.

٥٤- محمد بن سوقة

قال النجاشي في ترجمة حفص بن سوقة العموري، مولى عمر بن حريث المخزومي، أخواه زياد ومحمد بن سوقة، كان من المكثرين في الرواية عن أبي جعفر وعن أبي عبد الله(عليه السلام)[7]، روى عنه أبو أيوب وأحمد بن محمد

---

(١) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٤/ ١٥٨.

(٢) الرجال، الطوسي، ١٣٤.

(٣) ظ: معرفة الرجال، الكشي، ٥١ + الرجال، الطوسي، ١٣٤ + معالم العلماء، ابن شهر آشوب، ٨٣ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٤/ ١٤٧.

(٤) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/ ٤٦٨ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٥/ ٨٢.

(٥) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٥/ ٨٢-٨٣.

(٦) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٣/ ٤٦٨-٤٦٩.

(٧) الرجال، النجاشي، ١٠٤.

وحماد بن عثمان[١]. أما بالنسبة لوثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية وخاصة النجاشي والخوئي[٢]، ولم أجد له ترجمة في كتب الرجال عند الجمهور، فلذلك هو ثقة لتوثيق النجاشي والخوئي له.

٥٥- محمد بن علي

ابن أبي شعبة، الحلبي[٣]، له كتاب في التفسير وله كتاب مبوب في الحلال والحرام[٤]، وعَدَّهُ الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)[٥]، روى عن الإمامين الصادقين وعن عبيد الله الحلبي، وروى عنه أبو جميلة المفضل بن صالح وعبد الله بن مسكان وأبان بن عثمان وغيرهم[٦].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية وقالوا: إنه وجه أصحابنا وفقيههم والثقة الذي لا مطعن عليه وإخوته عبيد الله وعمران وعبد الأعلى[٧]، غير إنني لم أجد له ترجمة -في حدود ما اطلعت عليه- من كتب الرجال عند الجمهور، إلا أنه على الرغم من ذلك معتمد على روايته ووثاقته لإجماع علماء الرجال من الإمامية على ذلك.

٥٦- محمد بن قيس

الوالبي، الأسدي الكوفي[٨]، يكنى أبو نصر[٩]، روى عن الإمامين الصادقين وروى عنه أبو أيوب وابن أبي عمير وثعلبة بن ميمون وهشام بن سالم وغيرهم[١٠].

---

(١) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٦/ ١٨٣.

(٢) الرجال، النجاشي، ١٠٤ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٦/ ١٨٣.

(٣) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٦/ ٢٤١.

(٤) الرجال، النجاشي، ٢٤٨.

(٥) الرجال، الطوسي، ١٣٦.

(٦) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٦/ ٣٤٣، ١٧/ ٥١.

(٧) ظ: الرجال، الطوسي، ١٣٦ + الخلاصة، العلامة الحلي، ١٤٣ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٦/ ١٤٠-١٤٣.

(٨) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٤/ ١٦.

(٩) الرجال، الطوسي، ١٣٥.

(١٠) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٧/ ١٨٨.

أما عن وثاقته فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية قال الشيخ المفيد : هو من الأعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام الذين لا مطعن عليهم ولا طريق لذم واحد منهم[1] ، وقال الطوسي : إنه ثقة ، ثقة[2] ، ووثقه أيضاً الخوئي[3] .

ولم أجد له ترجمة -في حدود ما اطلعت عليه- في كتب الرجال عند الجمهور ، فلذلك حكمنا بوثاقته لإجماع علماء الإمامية على توثيقه وتعديله .

٥٧- محمد بن مسلم

ابن رياح ، أبو جعفر الأقوص الطحان ، مولى ثقيف ، صحب أبا جعفر وأبا عبد الله (عليهما السلام) وروى عنهما ، وله كتاب يسمى الأربعمائة مسألة في الحلال والحرام[4] ، وَعَدَّهُ الشيخ الطوسي في رجاله تارة من أصحاب الباقر (عليه السلام) وأخرى من أصحاب الصادق[5] ، توفي سنة (١٥٠ هـ) وله نحو من سبعين سنة .

أما عن وثاقته ، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية ، فقال النجاشي : كان من أوثق الناس[6] ، وكذلك الطوسي[7] ، وأورد الخوئي في مدحه والثناء عليه عدة روايات نقلاً عن الكشي الذي وثقه أيضاً[8] .

أما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور ، فقد وثقه يحيى بن معين وقال ابن عدي : لم أر له حديثاً منكر ، وقال معرف بن واصل : رأيت سفيان الثوري بين يدي محمد بن مسلم الطائفي يكتب ، وذكره عبد الرحمن بن مهدي وقال : كتبه صحاح ، واستشهد به مسلم[9] .

---

(١) الرسالة العددية، الشيخ المفيد، ١٣٩.
(٢) الرجال، الطوسي، ١٣٥.
(٣) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٧/ ١٨٨.
(٤) الرجال، النجاشي، ٢٤٧.
(٥) الرجال، الطوسي، ١٣٥.
(٦) الرجال، النجاشي، ٢٤٧.
(٧) الرجال، الطوسي، ١٣٥.
(٨) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٧/ ٢٧٨ ـ ٢٨٦.
(٩) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٤/ ٤٠.

فإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدلُّ على وثاقة هذا الرجل و إنه كان من أعلام الفكر وأحد أئمة العلم في الإسلام، وأحد الفقهاء العظام، ومن أمناء الله على حلاله وحرامه فقد أثرت طائفة كبيرة من الأخبار عن أئمة آل البيت وهي تشيد به وتثني عليه عاطر الثناء.

٥٨- مسعدة بن صدقة

العبدي، يكنى أبا محمد، وقيل يكنى أبا بشر[(١)]، عَدَّهُ الشيخ الطوسي في رجاله تارة من أصحاب الباقر وأخرى من أصحاب الصادق[(٢)].

أما عن وثاقته، فقد توقف فيه علماء الرجال من الفريقين[(٣)]، فلم يرد فيه توثيق أو تضعيف ونحن نتوقف أيضاً لتوقف أولئك العلماء.

٥٩- معروف بن خربوذ

القرشي، مولاهم، مكي، كوفي[(٤)]، روى عن الإمامين السجاد والباقر وعن أبي الطفيل وروى عنه حنان بن سدير وعبد الله بن سنان وعمر بن يزيد وغيرهم[(٥)].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فقال الكشي: أجمعت العصابة على تصديق جملة من أصحاب أبي جعفر وعد منهم معروفاً[(٦)] ووثقه أيضاً الشيخ الطوسي[(٧)] والعلامة الحلي[(٨)] والخوئي[(٩)].

أما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور فقد وثقوه فقال الذهبي: صدوق، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال الساجي: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقاة وروى له البخاري[(١٠)].

---

(١) الرجال، النجاشي، ٢٣٥.
(٢) الرجال، الطوسي، ١٣٧.
(٣) ظ: الرجال، النجاشي، ٢٣٥ + الرجال، الطوسي، ١٣٧ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٧/ ٢٩٠ + ميزان الاعتدال، الذهبي، ٤/ ٩٨ + لسان الميزان، العسقلاني، ٦/ ٢٢.
(٤) ظ: الرجال، الطوسي، ١٣٥ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١٠/ ٢٣٠.
(٥) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٨/ ٢٦٥.
(٦) معرفة الرجال، الكشي، ١٨٤.
(٧) الرجال، الطوسي، ٣٢٠.
(٨) الخلاصة، العلامة الحلي، ٢٣٣.
(٩) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٨/ ٢٦٣.
(١٠) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٤/ ١٤٤ + تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١٠/ ٢٣١.

فهو إذن ثقة، لإجماع العلماء من الفريقين على توثيقه، فهو من الفقهاء العظام وأحد أمناء الله على حلاله وحرامه وهو من أهل الإجماع عند الإمامية، ومن العباد، الزهاد، وكان يطيل السجود في صلاته، وقد تتلمذ على يد الإمام أبي جعفر الباقر وأخذ عنه الكثير من العلوم واهتدى في سلوكه بهديه وورعه فكان من أفذاذ المتقين.

٦٠- معمر بن يحيى

ابن سام، ابن موسى، الضبي، الكوفي[١]، روى عن الإمام الباقر وروى عنه وكيع وأبو أسامة وأبو نعيم[٢].

وأما عن وثاقته، فقد وثقه من علماء الإمامية، الطوسي[٣] والنجاشي[٤] والخوئي[٥]، وأما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور فقد وثقه أبو زرعة فقال: إنه ثقة وذكره ابن حبان في الثقاة وروى له البخاري[٦]. فهو إذن ثقة لإجماع العلماء من الفريقين وقبول روايته.

٦١- منصور بن حازم

ابن أبي الأسود الليثي، الكوفي[٧]، عده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الباقر تارة وتارة أخرى من أصحاب الصادق وقال له كتاب[٨]، روى عن أبي جعفر الباقر وعن أبي الربيع الشامي وأبان بن تغلب وطلحة بن زيد وكثير غيرهم، وروى عنه أبو المغراء وابن أبي عمير وصفوان بن يحيى وخلق كثير[٩].

---

(١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١٠/ ٢٤٩ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٨/ ١٠٩.
(٢) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١٠/ ٢٤٩.
(٣) الرجال، الطوسي، ٣١٥.
(٤) الرجال، النجاشي، ٣٣٣.
(٥) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٨/ ٣١٠.
(٦) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١٠/ ٢٤٩.
(٧) المصدر نفسه، ١٠/ ٣٥٠.
(٨) الرجال، الطوسي، ١٣٨.
(٩) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٨/ ٣٩١.

أما عن وثاقته، فقد أجمع علماء الرجال من الإمامية على توثيقه وتصحيح ما يصح عنه، فقال النجاشي: ثقة، عين، صدوق، من جملة أصحابنا وفقهائهم[1]، وأورد الكشي عدة روايات في توثيقه ومدحه أيدها الخوئي[2].

أما بالنسبة لعلماء الرجال من الجمهور، فقد قال ابن معين: ثقة، مرة، ومرة أخرى: لا بأس به كان من الشيعة الكبار. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقاة[3].

فهو إذن ثقة لإجماع العلماء على توثيقه وقبول روايته.

٦٢- ميسر بن عبد العزيز

عَدَّهُ الشيخ الطوسي تارة من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) قائلاً: ميسر بن عبد العزيز النخعي، المدائني، وأخرى من أصحاب الإمام الصادق قائلاً: ميسر بن عبد العزيز، بياع الزطي، مات في حياة الإمام أبي عبد الله (عليه السلام)[4]. روى عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وروى عنه الحسين بن خارجة وأيوب بن راشد وغيرهم[5].

أما عن وثاقته فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، فقال الكشي: إنه كوفي ثقة[6]، ووثقه أيضاً العلامة الحلي بقوله: كان كوفياً وكان ثقة[7].

ولم أجد له ترجمة -في حدود ما اطلعت عليه- في كتب الرجال عند الجمهور، إلا أن الأخبار التي وردت في مدحه عن آل البيت ترجح القول بوثاقته[8].

٦٣- ميمون القداح

عَدَّهُ الشيخ الطوسي في رجاله تارة في أصحاب السجاد وأخرى في أصحاب الإمام الباقر قائلاً: ميمون القداح مولى بني مخزوم، مكي، وثانية في أصحاب

---

(١) الرجال، النجاشي، ٢٢٣.

(٢) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٨/ ٢٩١-٢٩٢.

(٣) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ١٠/ ٣٠٥.

(٤) الرجال، الطوسي، ١٣٥.

(٥) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٩/ ١٣٢-١٣٣.

(٦) معرفة الرجال، الكشي، ٢١٠.

(٧) الخلاصة، العلامة الحلي، ١٨١.

(٨) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٩/ ١٢٨-١٣٢.

الصادق(عليه السلام) قائلاً: ميمون القداح، المكي، مولى بني هاشم[1]، روى عنه أبان بن عثمان ومحمد بن عبد الجبار ومعاوية بن وهب[2].

أما عن وثاقته، فقد وثقه علماء الرجال من الإمامية، وخاصة العلامة الحلي[3] والخوئي[4]، غير إنني لم أجد له ترجمة -في حدود ما اطلعت عليه- في كتب الجمهور، فهو إذن ثقة للأدلة المرجحة لذلك.

وبعد أن ترجمنا لجملة من رواة علم الإمام الباقر(عليه السلام) وخاصة في علوم القرآن والتفسير تبين لنا أنه يمكن تقسيمهم بأسمائهم في مدى قبول روايتهم إلى ما يأتي:

أولاً: الثقاة الإثبات الذي لا نبحث في سند الرواية الواردة عنهم والمتصلة بالإمام الباقر(عليه السلام) لإجماع علماء الرجال من الفريقين على توثيقهم أو لإجماع الأعم الأغلب من أحد الفريقين على ذلك التوثيق أو المختلف في توثيقهم وتعديلهم وهم:



الموثقون عند الجميع:

١- أبان بن تغلب.

٢- إبراهيم بن أبي البلاد.

٣- إسماعيل بن جابر الجعفي.

٤- إسماعيل بن عبد الرحمن السدي.

٥- بريد بن معاوية.

٦- بكير بن أعين.

٧- ثابت بن هرمز.

٨- ثعلبة بن ميمون.

٩- جابر بن يزيد الجعفي.

---

(١) الرجال، الطوسي، ١٣٥.

(٢) ظ: معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٩/ ١٤٢.

(٣) الخلاصة، العلامة الحلي، ١٩١.

(٤) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١٩/ ١٤١.

١٠- حكيم بن حكم الأنصاري .

١١- ربعي بن عبد الله .

١٢- زيد بن يونس الشحام .

١٣- سدير بن حكيم الصيرفي .

١٤- عبد الله بن عطاء المكي .

١٥- عبد الله بن محمد .

١٦- عمرو بن ثابت .

١٧- محمد بن مسلم الطائفي .

١٨- معروف بن خربوذ .

١٩- معمر بن يحيى .

٢٠- منصور بن حازم الليثي .

الموثقون عند الإمامية:



١- إبراهيم بن عمر الصنعاني .

٢- إبراهيم بن نعيم .

٣- إسماعيل بن عبد الرحمن الجعفي .

٤- زرارة بن أعين .

٥- سالم الاشل .

٦- سليمان بن خالد .

٧- صالح بن ميثم الكوفي .

٨- ضريس بن عبد الملك الكناسي .

٩- كنكر = أبو خالد الكابلي .

١٠- عبد الله بن عجلان السكوني .

١١- ليث بن البختري (أبو بصير) .

١٢- محمد بن سوقة .

١٣- محمد بن علي الحلبي .

المختلف في توثيقهم:

١- ثابت بن دينار.

٢- الحكم بن عتيبة.

٣- خيثمة بن أبي خيثمة.

٤- زياد بن عيسى.

٥- زياد بن المنذر.

٦- سعد بن طريف.

٧- عبد الله بن كيسان.

٨- عمر بن قيس الماصر.

٩- غالب بن الهذيل.

١٠- الفضيل بن يسار.

١١- محمد بن إسحاق.

ثانياً: المتوقف في قبول روايتهم، وهذه الفئة من المجاهيل سوف نعرض رواياتهم على روايات مشابهة لها من طرق صحيحة أخرى وردت عن الثقاة الإثبات فإن طابقتها قبلناها واعتمدناها في ثنايا هذه الدراسة وإلا فسنطرحها ونعدها روايات ضعيفة وهم:

المجاهيل عند الجميع:

١- بكير بن حبيب.

٢- خالد بن أوفى.

٣- سلام بن المستنير.

٣- سورة بن كليب.

٥- عبد الرحمن أبا خيثمة.

٦- عبد الرحيم بن روح.

٧- مسعدة بن صدقة.

المختلف في جهالتهم:

١- سالم الأشل.

٢- سليمان بن خالد.

ثالثاً: الضعفاء، الذين أجمع العلماء من الفريقين على تضعيفهم ورد رواياتهم، أو قول أحد الفريقين بالأعم الأغلب من العلماء من أي الفريقين، فسنطرح روايات من ضعفوه ونردها، باعتبار أنها روايات موضوعة على الإمام الباقر (عليه السلام) حتى نستطيع قدر الإمكان أن نسمو بهذه الدراسة على الاستدلال بروايات فيها أدنى شك من حيث السند أو المتن لكي تكون دراسة موضوعية علمية إن شاء الله تعالى، والضعفاء عند الجميع هم:

١- أبان بن أبي عياش.

٢- ثوير بن أبي فاختة.

٣- دلهم بن صالح.

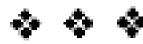
٤- طلحة بن زيد النهدي.

٥- أبو مريم الأنصاري.

٦- عبد الله بن محمد الجعفي.

٧- عمرو بن شمر الجعفي.

٨- كثير بن إسماعيل النوى.



الفصل الرابع

مصادر الإمام الباقر في التفسير



ويتضمن:

* المبحث الأول :تفسير القرآن بالقرآن
* المبحث الثاني :منهجه في تفسير القرآن بالسنة النبوية
* المبحث الثالث :رجوعه الى اللغة في التفسير
* المبحث الرابع :استنباط المعاني للايات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

تفسير القرآن بالقرآن

إن القرآن الكريم بنيان إلهي متكامل، ونص سماوي مترابط يتوقف بعضه على بعض ويفسر بعضه بعضاً، وإن ثلة من آياته قد لا يتوصل إلى فهمها فهماً خالصاً إلا بعد الوقوف في موضع آخر من نفس السورة أو في سورة أخرى على معناها باعتباره كتاباً مقدساً، ولقد جاء في القرآن الكريم ما يشير إلى هذه الحقيقة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾[2].

لذلك قال الشاطبي: إن القرآن كالسورة الواحدة[3]، وورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) إنه قال: القرآن يشبه بعضه بعضاً ويرد بعضه على بعض[4]، إذن ففيه المجمل والمبين لذلك المجمل وفيه العام ومخصصه وفيه المطلق ومقيده وفيه الخاص الذي هو قطعي الدلالة غالباً وما كان منه ظنياً فبيانه بالسنة الشريفة، فعند النظر للقرآن الكريم والتدبر في معانيه نجد أن بعضه يفسر بعضاً كما قال العلماء[5]، فكان أول ما يجب أن يتنبه إليه المفسر للقرآن الكريم هو الرجوع إلى القرآن نفسه والتأسيس على آياته لكي يصل إلى المعنى المراد، ويكون قوله أقرب إلى مراد الله تعالى من كلامه فصار بذلك تفسير القرآن بالقرآن أصح الطرق وأنجحها، يقول الزمخشري: أسد المعاني ما دلَّ عليه القرآن[6]، وقال ابن تيمية: إن أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر

---

(١) النساء/ ٨٢.

(٢) الزمر/ ٢٣.

(٣) الموافقات، الشاطبي، ٣/ ٢٥٤.

(٤) جامع البيان، الطبري، ٣/ ٢١٠+ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ٤/ ٧٦.

(٥) ظ: الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٤٣٠+ مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ٩٣.

(٦) الكشاف، الزمخشري، ٢/ ١٩٣.

وما اختصر في مكان قد بسط في موضع آخر[1]، فالآية القرآنية تزداد دلالتها وضوحاً وتبياناً بالاستعانة بآية أخرى وتظهر دلالتها على المعنى المراد في ربطها بآية تشابهها، فالقرآن يكاد يكون سلسلة تامة يأخذ بعضه برقاب بعض[2].

وهذا النوع من التفسير لا يجوز رَدّهُ ويجب الأخذ به لأن الله تعالى أعلم بمراد نفسه من غيره وأصدق الحديث كتاب الله، وأن أول من نَبَّهَ على هذا النوع من التفسير هو الرسول الأعظم (ﷺ) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[3] وقد سار على هذا المنهج جملة من الصحابة أمثال الإمام علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم وغيرهم.

وقد كان للإمام الباقر معالم واضحة ودلالات بينة في سلوك هذا المنهج التفسيري الراقي، وكان اعتماده عليه بارزاً في تفسيره للقرآن الكريم، حتى غدا أهم سمة لمنهجه في التفسير، وهذه خصيصة لا تتهيأ إلا لمن كان متبحراً بمقاصد الآيات ومعانيها، ومتميزاً بفطنة واسعة في فهمها وإدراك أسبابها، وكيف لا يتأتى ذلك للإمام الباقر وقد نشأ ودرج في آل البيت ومعدن الرسالة ومهبط الوحي وفيما يأتي تطبيقات لهذا العرض من تفسيره والتي بلغت وفق المنهج الاستقرائي الذي أجريناه (١٨٦ شاهداً)، أذكر منها:

١ - روي بسند صحيح عن سدير الصيرفي قال: سمعت حمران بن أعين سأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عزَّ وجلَّ): ﴿...بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[4] فقال أبو جعفر: إن الله (عزَّ وجلَّ) ابتدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السموات والأرض ولم يكن قبلهن سموات وأرضون، أما تسمع قولة تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[5](*).

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ٩٣+ التفسير الكبير، الرازي، ٢٣١/٢.

(٢) ظ: القرآن المجيد، محمد عزت دروزة، ٢٠٩ـ ٢١٠.

(٣) الأنعام/ ٨٢.

(٤) البقرة/ ١١٧.

(٥) هود/ ٧. (*) الشافي في شرح أصول الكافي الشيخ عبدالحسين المظفر، ٢٢٧/٧ + تفسير القرآن، علي بن إبراهيم القمي، ٥٤٥/١ + مجمع البيان الطبرسي، ٤٤٣/٤ + تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١٠٠/١.

فقد استطاع الإمام الباقر أن يوصل سائله إلى قناعة بأن الله سبحانه وتعالى قد خلق السموات والأرض بدون مثال سبق مستدلاً بآية أخرى من مكان آخر في القرآن الكريم.

٢- روى محمد بن مسعود العياشي بسنده عن محمد بن مسلم الطائفي عن الإمام أبي جعفر الباقر في قوله تعالى: ﴿ما نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[١] قال(عليه السلام): ما حول وما نسيها مثل الغيب الذي لم يكن بعد كقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٢]، وقال(عليه السلام): ويفعل الله ما يشاء ويحول ما يشاء، مثل قوم يونس إذ بدا له فرحمهم، ومثل قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾[٣]، قال: فادركتهم رحمته[٤].

٣- روى الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[٥]، أن الإمام الباقر قال: إن أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة، ويكون من جملتها الأمر لولاة الأمر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية، وقد عظم الله سبحانه أمر الأمانة بقوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾[٦]، وقوله: ﴿لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾[٧]، وقوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾[٨][٩].

حيث فَسَّرَ الإمام الباقر أداء الأمانة بتعظيم جرم الخيانة وتهويله وذكر لتوضيح ذلك آيتين من آيات الذكر الحكيم، وبين صفة حميدة من صفات بعض أهل الكتاب وهي أداء الأمانة، وَعَدَّها فضيلة وَثَّق الله سبحانه وتعالى ذكرها في القرآن الكريم وتسجيلها لأصحابها في آية ثالثة.

---

(١) البقرة/ ١٠٦.
(٢) الرعد/ ٣٩.
(٣) الذاريات/ ٥٤.
(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٥٥.
(٥) النساء/ ٥٨.
(٦) غافر/ ١٩.
(٧) الانفال/ ٢٧.
(٨) آل عمران/ ٧٥.
(٩) مجمع البيان، الطبرسي، ٣/٦٣+ قلائد الدرر، الشيخ احمد الجزائري، ٢/٢٠٨.

٤- روى محمد بن مسعود العياشي في تفسير قوله تعالى: ﴿...فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾[(١)] بسنده عن حريز قال: قال زرارة ومحمد بن مسلم: قلنا لأبي جعفر (عليه السلام): ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي: قال: إن الله يقول: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر. قالا: قلنا: إنما قال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ولم يقل افعلوا فكيف أوجب الله ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟ قال: أو ليس قد قال في الصفا والمروة: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[(٢)]، ألا ترى أن الطواف واجب مفروض لأن الله ذكرهما في كتابه وصنعهما نبيه (صلى الله عليه وآله) وكذلك التقصير في السفر شيء صنعه النبي (صلى الله عليه وآله) وذكره الله في الكتاب[(٣)].

سنتكلم على هذا الشاهد في مكان آخر من هذه الدراسة، وخاصة عند الحديث عن تفسير الإمام لبعض الآيات المتعلقة بفقه القرآن، غير أننا لا نعدم هنا أن نذكر أن الإمام الباقر قد وفق أشد التوفيق في تقريب الصورة من أذهان السائلين من أن هذه الآية مفسرة بآية أخرى تتعلق بوجوب الطواف بين الصفا والمروة فاستنبط هو وجوب التقصير بالسفر من خلال عرض آية التقصير على آية الطواف.

٥- روى جلال الدين السيوطي في تفسيره، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[(٤)] اخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر محمد بن علي: أن رجلاً سأل علياً عن الهدي ما هو؟ قال: من الثمانية الأزواج، فكأن الرجل شكّ، فقال علي: تقرأ القرآن؟ فقال الرجل: نعم، قال: فسمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾[(٥)]، قال: نعم، فقال علي: سمعته يقول: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ

(١) النساء / ١٠١.
(٢) البقرة / ١٥٨.
(٣) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٧١/١+ تفسير القرآن، علي بن إبراهيم القمي، ١/ ٤١٠+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٣٨٩/١+ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ١٨/ ٦٩٤.
(٤) المائدة/ ٩٥.
(٥) المائدة/١.

في أيامٍ معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾[1] و﴿ومن الأنعام حمولةً وفرشاً﴾[2] و﴿...من بهيمة الأنعام فكلوا منهـا﴾[3] قال: نعم، قال الإمام: فسمعته يقول: ﴿من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾[4] و﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾[5]، قال: نعم، قال: فسمعته يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حُرُم ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثلُ ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدلٍ منكم هدياً بالغ الكعبة﴾ قال الرجل: نعم، فقال: إن قتلت ظبياً فما عليَّ؟ قال علي: هدياً بالغ الكعبة، قال الرجل: نعم، فقال علي: قد سماه الله بالغ الكعبة كما تسمع[6].

٦- روى العياشي بسنده في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾[7]، عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر الباقر، قال، قلت له: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ قال (عليه السلام): اخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا وهم كالذر، فعرفهم نفسه، وأراهم نفسه، ولولا ذلك ما عرف أحد ربه وذلك قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾[8][9]).

بين الإمام الباقر في تفسيره لهذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ ميثاقاً من بني آدم بعبادته وعدم الاشراك به وهم ذر في الظهور -أي منذ الخلق الأول- بآية أخرى من القرآن الكريم واستطاع بذلك أن يفسر الآيتين الواحدة بالاخرى.

---

(١) الحج/ ٢٨.

(٢) الانعام/ ١٤٢.

(٣) الحج/ ٢٨.

(٤) الانعام/ ١٤٣.

(٥) الانعام/ ١٤٤.

(٦) الدر المنثور، السيوطي، ٢/ ٣٣٠.

(٧) الاعراف/ ١٧٢.

(٨) لقمان/ ٢٥.

(٩) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٤٠+ تفسير القرآن علي بن إبراهيم القمي، ٢/ ٥٠+ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ٣/ ٧١.

٧- روى علي بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾[1] عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّماواتُ وَبَرَزُوا لله الْواحِدِ الْقَهَّارِ﴾ قال الإمام: تبدل خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغوا من الحساب، قال الله: ﴿وَما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ﴾[2][3].

حيث أقنع الإمام الباقر سائله عن تفسير هذه الآية بالآية الثانية، من أن الناس يوم الحساب تحتاج أجسادهم إلى الغذاء ولا يمنعهم من ذلك هول ذلك اليوم ورهبته.

ويؤيد هذا التفسير مناظرة جرت بين الإمام الباقر والأبرش الكلبي أبي مجاشع بن الوليد من أنه قال للإمام: بلغني أنك قلت في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ أنها تبدّل خبزة، فقال أبو جعفر (عليه السلام): صدقوا، تُبدَّل الأرض خبزة نقية في الموقف يأكلون منها فضحك الأبرش وقال: أما لهم شغل بما هم فيه عن أكل الخبز؟ فقال (عليه السلام): ويحك، أي المنزلتين هم أشد شغلاً وأسوأ حالاً إذ هم في الموقف أو في النار يعذبون؟ فقال: لا، في النار، فقال الإمام الباقر: ويحك، إن الله يقول: ﴿لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾[4]، قال: فسكت[5].

٨- ونجد الإمام الباقر يقرن الآيات التي تتناول موضوعاً واحداً مما يعد منهجاً للتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، روى العياشي باسناده عن ليث بن سليم عن

(١) إبراهيم/ ٤٨.

(٢) الانبياء/٨.

(٣) تفسير القرآن، علي بن إبراهيم القمي، ٢/٢٢٣+ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٨٢/٩+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢٣٧/٢+ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ٣/ ٢٢١.

(٤) الواقعة/ ٥٢-٥٥.

(٥) مجمع البيان، الطبرسي، ٣٢٤/٦+ البرهان في تفسير القرآن، علي بن إبراهيم القمي، ٣٢٣/٢+ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ٢٢١/٣. وقد ذكرنا في مكان آخر انه جرت مناظرة تشبهها مع هشام بن عبد الملك استدل الإمام فيها بآيات غيرها.

أبي جعفر (عليه السلام) عندما ذكرت قصة موسى عنده فقال: شكى موسى إلى ربه الجوع في ثلاثة مواضع، في قوله تعالى: ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿لاتخذت عليه أجراً﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾[3][4].

٩- روى محمد بن يعقوب الكليني باسناده عن زرارة وحمران ابني أعين في حديث للإمام الباقر يجمع فيه الآيات القرآنية ليصل إلى المعنى المراد منها، من ذلك قوله (عليه السلام): ونزل بالمدينة ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾[5]، قال: فبرأه الله مما كان مقيماً على الفرية من أن يسمى بالايمان، قال الله (عزَّ وجلَّ): ﴿أ فمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[6]، وجعله منافقاً فقال الله ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾[7]، وجعله الله من أولياء ابليس فقال: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾[8] وجعله ملعوناً فقال: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[9]، وليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب، فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله (عزَّ وجلَّ): ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً﴾[10][11].

---

(١) الكهف/ ٦٢.
(٢) الكهف/ ٧٧.
(٣) القصص/ ٢٤.
(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٣٣٠؛ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٤٧٦؛ بحار الأنوار، المجلسي/٢٩٦.
(٥) النور/ ٤.
(٦) السجدة/ ١٨.
(٧) التوبة/ ٦٧.
(٨) الكهف/ ٥٠.
(٩) النور ٢٣-٢٤.
(١٠) الاسراء/ ٧١.
(١١) الشافي في شرح أصول الكافي، الشيخ عبد الحسين المظفر، ١٢٢/٦؛ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١٥٥/٢.

إن الإمام الباقر استناداً إلى آية ثم نظائرها اشتق وانتزع صفات من يرمي المحصنات، مكتشفاً أنه ليس مؤمناً بآية وهو فاسق بآية أخرى وهو من أولياء ابليس بثالثة وهو ملعون بآية رابعة، وبذلك يتبين أن الإمام قد أسهم في إرساء أصول تفسير القرآن بالقرآن بجمع النظائر إلى بعضها للوصول إلى إكمال التصور القرآني الشامل حول موضوع واحد.

١٠- روى علي بن إبراهيم القمي بسنده عن زرارة وحمران أن الإمام الباقر قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[1]، قال: ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إياه، ألا ترى أنه يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2][3].

من هذه الشواهد المجتزأة مما أحصيناه يتبين أنَّ الإمام الباقر قد وكد القوانين التفسيرية الآتية:

أ-إن الأصل الأول في تفسير القرآن بالقرآن يعتمد في الرجوع إلى آياته ذاتها.

ب-يجب جمع الآيات القرآنية إلى نظائرها وضم بعضها إلى بعض حتى يتوصل إلى فهم دقيق للمراد القرآني.

ج-إذا أردنا الحصول على تصور قرآني شامل لموضوع معين يجب مراعاة التصور القرآني أولاً وبعدها ضم المعاني القرآنية المشتملة على افراد الموضوع الواحد بعضها إلى بعض.

د-السير وفق هذا المنهج لهو أعلى يقينية من الموارد الاخرى.

وبذلك يكون الإمام الباقر قد شارك في وضع مجموعة من القواعد والتي كونت مع غيرها من الموارد أصولاً للتفسير، سار عليها المتأخرون بعده ممن فسروا القرآن الكريم في الرجوع إلى القرآن ذاته.

---

(١) العنكبوت/ ٤٥.

(٢) البقرة/ ١٥٢.

(٣) تفسير القرآن، القمي ١٤٧/٢ + الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني ٢٨٩/٢..

المبحث الثاني

منهجه في تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة

اتفق علماء المسلمين -من مفسرين وغيرهم- على أن آيات التشريع الواردة في القرآن الكريم محصورة بنحو خمسمائة آية فيها المطلق الذي قيد في السنة أو المجمل الذي فصل بها مما يجعل معرفة جميع الأحكام الكثيرة من تلك الآيات القليلة أمراً ليس ميسوراً، بل ممتنعاً ما لم يكن بتوسط السنة[1]، ومن وظائف تلك السنة هو التفسير، ومن المؤكد أن للتفسير مكانة عظمى ولمكانته تلك كان من الضروري أن يقوم بمهمة تبليغه للناس الرسول الكريم(ﷺ) أمين الله على تبليغ كتابه ووحيه، والذي كان أول من مارس التفسير وعَلَّمَهُ للناس[2]، وأدى وظيفته في بيان القرآن الكريم أتم أداء وأكمله، امتثالاً لأمر الله سبحانه بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3]، فقام النبي(ﷺ) بهذا البيان بقوله وفعله وتقريره، يقول ابن ابي حاتم: فكان رسول الله هو المبين عن الله أمره، وعن كتابه معاني ما خوطب به الناس، وما أراد الله (عزَّ وجلَّ) به وعنى فيه[4].

ولو استثنينا تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة من المصادر المأثورة سنجد اتساع الخلاف بين المسلمين بشأن حجية ما جاء عن غير هذين المصدرين من التفسير، لذا كان لزاماً على المفسر للقرآن الكريم أن ينطلق أولاً من تفسير القرآن بالقرآن لأنه كما تقدم من أرقى أنواع التفسير، وبعد استفراغ جهده عليه أن ينتقل الى المأثور عن الرسول الكريم(ﷺ) فما جاء منه مفسراً للكتاب وبسند صحيح أخذ به لأنه أحق أن يتبع ولا مناص للعدول عنه، ذلك (لأن الله تعالى كما أنزل الكتاب على رسوله أمره بتوضيح المراد منه كي يتم التبليغ وتقوم الحجة

---

(١) قواعد الحديث، الغريفي، ١٠.

(٢) ظ: دراسات في التفسير ورجاله، ابو اليقظان الجبوري، ٧٥+ من روائع القرآن، البوطي، ٨٥.

(٣) النحل/ ٤٤.

(٤) تقدمة المعرفة، ابن ابي حاتم الرازي، ١/ ٢.

لله تعالى على خلقه)[1]، وهناك الكثير من الآيات التي تثبت هذه الحقيقة وتؤكدها منها قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[4]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[5] وغيرها من الآيات التي جاءت لتؤكد هذا المعنى وترسي دعائمه، وقد أكد الرسول الكريم(ﷺ) هذا المعنى وأصله، فقد قال عليه الصلاة والسلام: ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه[6]، ومعناه كما قال أبو سليمان الخطابي: يحتمل وجهين من التأويل، أحدهما: أن معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثلما أوتي من الظاهر المتلو، والثاني: أنه أوتي الكتاب وحياً يتلى، وأوتي من البيان مثله، أي: أذنَ له أن يبين ما في الكتاب، فيعم ويخص، ويزيد عليه ويشرع ما ليس في الكتاب فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن[7].

إذن لقد قام الرسول الكريم(ﷺ) بمهمة ما أنيط إليه من مسؤولية التبيين المكلف بها وفق منطوق ما تقدم من آيات، وكان بيانه(ﷺ) مما فهمه من القرآن الكريم، قال سعيد بن جبير (ت: ٧٥هـ): ما بلغني حديث عن رسول الله(ﷺ) على وجهه، ألا وجدت مصداقه في كتاب الله[8].

❖ المطلب الأول: اختلاف العلماء في المقدار الذي فسره الرسول:

هذا وقد اختلف علماء المسلمين -بعد اتفاقهم على أن الرسول(ﷺ) بَيَّنَ القرآن الكريم- في مقدار هذا البيان، أهو شامل لجميع ما ورد في سور القرآن

---

(١) علوم القرآن المنتقى، فرج توفيق الوليد وفاضل شاكر النعيمي، ٢٤١.

(٢) النحل/ ٤٤.

(٣) الشورى/ ٥٢.

(٤) الحشر/ ٧.

(٥) النجم/ ٣-٤.

(٦) سنن أبي داوود، ٤/ ٢١٠+ سنن ابن ماجة، ٦/١.

(٧) معالم السنن، الخطابي، ٧/٧.

(٨) توجيه النظر، الجزائري، ٤١١.

وآياته أم مقتصر على طائفة منها، ولهم في ذلك ثلاثة آراء سنعرضها بادلتها ونختار ما نراه راجحاً من بينها أو من غيرها مع مبررات ذلك الاختيار من جهة والعدول عن باقي الاراء من جهة أخرى.

الرأي الأول:

يقول بعض العلماء: إن النبي(ﷺ) بَيَّنَ لأصحابه معاني القرآن الكريم كما بين لهم الفاظه، ومفاد هذا القول أن تفسير الرسول(ﷺ) شامل لسور القرآن وآياته جميعاً، فقد قال ابن تيمية: يجب أن يعلم أن النبي(ﷺ) بَيَّنَ لأصحابه معاني القرآن كما بَيَّنَ لهم ألفاظه فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يتناول هذا وهذا - المعاني والالفاظ -[1]، وقد استدلوا بادلة كثيرة نوجزها بما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2]، قالوا: والتبيين هنا يتناول معاني القرآن والفاظه[3].

روي عن الصحابة أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي (ﷺ) عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جميعاً[4].

وقالوا أيضاً: إن العادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من الفنون كالطب والحساب ولا يشرحونه، فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه غايتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم[5]. وغيرها من الأدلة[6].

الرأي الثاني:

وهو خلاف الأول، ومؤداه أن النبي(ﷺ) لم يُبيِّن لأصحابه إلا القليل من المعاني والألفاظ القرآنية، ويمثل هذا الرأي بعض العلماء منهم الخوئي -على ما حكاه السيوطي- والسيوطي أيضاً[7]، ومن أدلتهم عليه ما يأتي:

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ٣٥-٣٦+ الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ٣٩/١.
(٢) النحل/ ٤٤.
(٣) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ٣٥+ الاتقان، السيوطي، ٢٠٢/٢.
(٤) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ٣٥+ الاتقان، السيوطي، ٢٠٢/٢.
(٥) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ٣٥+ الاتقان، السيوطي، ٢٠٢/٢.
(٦) ظ: الرسالة، الشافعي، ٧٣+ مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ٣٥+ رفع الملام، ابن تيمية، ٩٤.
(٧) الاتقان، السيوطي، ١٩٧/٢.

١-روى الطبري بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها أنها قالت: ما كان النبي (ﷺ) يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً تُعَدُّ عَلَّمَهُنَّ إياه جبرئيل[١].

٢-إن الله تعالى لم يأمر النبي (ﷺ) بالتنصيص على مراده (عزَّ وجلَّ) في جميع الآيات، وذلك لحكمة بالغة هي أن يتدبر المسلمون ما في هذا الآيات الكريمة ويتفكروا فيها[٢].

تخصيص بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم بدعاء الرسول (ﷺ) لهم بالفقه والعلم كدعائه لابن عباس رضي الله عنه بقوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل[٣]، يلزم عدم بيانه (ﷺ) كل معاني القرآن، وإلا تساوى الصحابة في معرفة معاني الكتاب العزيز، ولما كان لهذا التخصيص من فائدة[٤].

الرأي الثالث:

لقد سلك أصحاب هذا الرأي حداً وسطاً بين القولين السابقين مدعين أن الرسول (ﷺ) لم يُبيِّن كل المعاني القرآنية المباركة ولم يقتصر بيانه (ﷺ) على عدد قليل جداً من الآيات، وإنما فَسَّرَ الكثير منها، ويمثل أصحاب هذا الرأي جملة من المحدثين الذين كتبوا بعلم التفسير لعدم نهوض أدلة الرأيين السابقين لديهم[٥].

نقد الادلة ومناقشتها:

وفي مناقشة أدلة أصحاب الرأي الأول نقول:

مناقشة الدليل الأول:

المعروف عن الصحابة في ذلك العهد أنهم أئمة اللسان وأمة البيان، امتازوا بفصاحتهم وبلاغتهم وتذوقهم الأساليب اللغوية الرفيعة، فكانوا قادرين على فهم ما يتلى عليهم من الآيات البينات إلا ما أشكل عليهم فهمه، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: التفسير على أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها،

---

(١) جامع البيان، الطبري، ١/٣٧.
(٢) الاتقان، السيوطي، ٢/١٩٧.
(٣) مسند الإمام احمد، شرح أحمد محمد شاكر، ٤/ ١٢٧.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/٢٣+ التفسير والمفسرون، الذهبي، ١/ ٥١.
(٥) التفسير والمفسرون، الذهبي، ١/ ٤٩ـ ٥٤.

وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله[1].

ولكل من هذه الأوجه مصاديق كثيرة في آيات القرآن الكريم لذا كان من البديهي أن لا يتناول البيان المأمور به النبي(ﷺ) هذه الأوجه الأربعة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾[2] فمعنى الآية وأمثالها كثير مما لا يلتبس فهمه على أحد من الصحابة، بل لا يعذر أحد بجهالته لأنه معلوم بالضرورة، وكذلك الحال مع كثير من الأوامر والنواهي الواردة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[3] أو كقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾[4] وغيرها، فمثل هذه الآيات مفهومة للجميع مما يخرجها عن البيان المراد من وظيفة رسول(ﷺ).

مناقشة الدليل الثاني:

أما ما روي عن الصحابة من أنهم تعلموا القرآن والعمل به جميعاً من النبي(ﷺ) فيردّه اختلاف مناهجهم في التفسير أيضاً، بل اختلافهم في تفسير النص الواحد[5].

وليس كلهم ممن كان يسأل النبي(ﷺ) ويستفهمه عن معاني القرآن الكريم، روي أن الإمام علي بن أبي طالب قال: وليس كل أصحاب رسول الله(ﷺ) كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من لا يسأله ولا يستفهمه حتى أنهم كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي والطاري فيسأل رسول الله(ﷺ) حتى يسمعوا[6].

مناقشة الدليل الثالث:

يكفي في ردّه أن عدم مسائلة النبي(ﷺ) لا تعني تهاون الصحابة رضي الله عنهم في حق القرآن الكريم، فمعاصرتهم لنزول الوحي وقربهم من الرسول

---

(١) جامع البيان، الطبري، ١/٣٤؛ مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ١١٥.

(٢) الفيل/ ١-٢.

(٣) البقرة/ ١٨٣.

(٤) النساء/١١.

(٥) انظر مثلاً: تفسير جامع البيان للطبري ستجد انه أورد اختلافات كثيرة عن الصحابة في تفسير النص وهو منهج التزم به في تفسيره، وانظر كذلك غيره من التفاسير.

(٦) أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ١/٦٤.

الكريم(ﷺ) وتمكنهم من اللغة التي نزل فيها القرآن كل ذلك يستدعي معرفتهم بأسباب النزول وملابسات النص واطلاعهم على قرائن الاحوال مما يمكن القول بأنهم -مع شغفهم- بالقرآن الكريم وتفانيهم من أجل اعلاء كلمة الله كانوا يقتصرون في السؤال على ما يشكل عليهم فهمه من معاني القرآن الكريم.

مناقشة أدلة الرأي الثاني:

مناقشة الدليل الأول:

ويمكن مناقشة هذا الدليل بأن الرواية الواردة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قد ضعف الطبري سندها فهي لا يعتد بها[1]، والرواية نفسها معارضة بطرق صحيحة أخرى، فقد جاء عن الإمام علي بن أبي طالب قوله: سلوني، فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله والله ما من آية إلا وأنا أعلم، بليل نزلت أم بنهار، وفي سهل أم في جبل[2]. ثم بين مصدر علمه فقال: إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً مسؤولاً[3]. ومقتضى ذلك أن يكون الإمام علي قد سأل الرسول(ﷺ) عن القرآن بأكثر مما ورد في الرواية المستدل بها.

مناقشة الدليل الثاني:

أما هذا الدليل المتكيء على حكمة التدبر والتفكر فهو لا يلزم منه البيان القليل من النبي(ﷺ) لأن الأمر محصور بالمشكل والغريب وما لا يفهم من القرآن، ولو كان القرآن كله على هذا النمط لبينه الرسول الكريم(ﷺ) قطعاً، وليس فيه على أن ما فسره وبينه الرسول(ﷺ) من التفسير كان قليلاً جداً[4].

مناقشة الدليل الثالث:

أما دليل الدعاء لابن عباس فهو وإن دلّ على أن النبي(ﷺ) لم يفسر القرآن جميعاً إلا أنه لا يدلُّ على النبي (ﷺ) فَسَّرَ القليل منه[5].

---

(١) جامع البيان، الطبري، ٣٩/١.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٢٣٨/٢+ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٥/١+ الاتقان، السيوطي، ٢٣٣/٢.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد،، ٢٣٢/٢+ حلية الأولياء، الاصفهاني، ٩٥/١.

(٤) التفسير والمفسرون، الذهبي ٥٣/١.

(٥) المصدر نفسه والصفحة.

الرأي الراجح:

والراجح في المسألة هو أنه لو تصفحنا ما كتب وما موجود في السنة النبوية المشرفة مستعرضين ما جاء من تفسير القرآن الكريم عن النبي(ﷺ) لوجدنا الكثير من ذلك، ولا يقنا أن الذي فسره الرسول الكريم(ﷺ) وبينه ليس بنادر كما يظنه البعض، وفي نفس الوقت لا نستطيع أن نقول بأنه قد فسر كل القرآن الكريم، بل أن الذي لم يرد له تفسير قد يكون هو الأكثر، أما أنه قد فسر جملة كبيرة من الآيات فهذه كتب الصحاح والسنن والمسانيد تشهد بذلك، فهي مشحونة بأحاديث مرفوعة الى النبي(ﷺ) أو ما في حكمها زيادة عما ورد من أحاديث كثيرة تبين ما ورد من عموم في آية أو أجمال في أخرى وإن لم تقترن مباشرة بتفسير الآيات.

فمثلاً أورد البخاري في صحيحه أحاديث تفسيرية كثيرة قال ابن حجر بعد استقصائها: اشتمل كتاب التفسير على خمسمائة حديث وثمانية وأربعين حديثاً والبقية معلقة وفي معناها المكرر من ذلك فيه وفيما مضى اربعمائة وثمانية وأربعون حديثاً[1]، وأورد السيوطي كذلك في آخر كتابه جملة من الأحاديث التفسيرية المرفوعة[2]، وقد بين ضعف بعضها.

أما لماذا لم يفسر القرآن كله، وترك بعضه بدون بيان، لأنه أمر طبيعي آنذاك لفهم العرب للغة القرآن وأسلوبه من جهة وإن سؤال الصحابة رضوان الله عليهم كان يتعلق فيما قد خفي عليهم من الأسباب التي ذكرناها من جهة أخرى وأما ما سوى ذلك فهو كتاب بلسان عربي مبين.

فهناك مئات من الآيات المتعلقة بقصص الأمم الماضية لم تفسر لكونها واضحة المعنى، بينة المقصد، وبما أن تلك القصص لما كانت غالباً لا تتعلق بالحلال والحرام فلم يكن الصحابة ليشغلوا أنفسهم بها بل كانوا يأخذون موضع العبرة منها فقط، ولا يدققون في كل ما ورد فيها، بل كانت غايتهم موجهة لمعرفة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦٠٤/١.

(٢) الاتقان، السيوطي، ١٩١/٢-٢٠٥.

الحلال والحرام، أي فيما ثبت أنه عملي، وواقعي وكما ثبت عنهم أنهم (كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل)[1].

وهناك أيضاً مئات الآيات الكونية لم تفسر ولم يسأل عنها الصحابة لكونها واضحة المعنى وذلك لأن (الآيات الكونية والآفاقية مجال للنظر والتفكير والتدبر، ويختلف تناولها والاستفادة منها بتغاير العقول والفهوم، وتتطور بتطور الازمان والاجيال، فمن ثم كان موقف القرآن منها موقف الداعي الى التفكير والتدبر والملاحظة والتجربة، والاستفادة بما أودعه الله فيها من أسرار وسنن)[2].

وما جاء في القرآن الكريم من آيات متشابهات وبيان حكمة التشريعات القرآنية وبيان وجوه اعجاز القرآن والتعمق في أسرار الاسلوب القرآني لم يبين منها شيء[3]، فلهذا كله نستطيع أن نقول: أن بيان الرسول الكريم(ﷺ) المعاني القرآنية كان بحسب الحاجة في ذلك الوقت ولاولئك القوم، فلم يكونوا بحاجة الى تفسير ما يتلى عليهم مما هم بحقيقته عارفون، هذا من جهة وأن الصحابة أحياناً يسألون بعضهم بعضاً عن المعاني القرآنية وكان فيهم فطاحلة التفسير وجهابذته كالإمام علي وأبي بن كعب وعبد الله بن عباس وغيرهم من جهة أخرى.

وقد التزم الإمام الباقر بتفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية الصحيحة الصدور التزاماً دقيقاً، وكان متمسكاً بسنة جده رسول الله(ﷺ) اعتقاداً وسلوكاً، وكانت عنده لها من القدسية ما جعله معها مؤرخاً مختصاً بسيرة جده(ﷺ)، ويجدر بنا أن نذكر هنا من أن عدد ما روى الإمام الباقر من روايات تفسيرية في هذا المجال بعد أن أجرينا عليها استقراءً شاملاً من كتب الحديث والتفسير عند الفريقين وصلت إلى (١٢٨) رواية، سأعرض لنماذج منها مصنفاً طرق اعتماده على السنة في تفسير القرآن على طريقين الأول: بالتصريح بأنها

---

(١) الشفا، القاضي عياض، ٤٣٥/٤+ روح المعاني، الالوسي، ٤٧/٣.

(٢) اسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد ابو شهبة، ٧١+ ظ: تطور التفسير، د. محسن عبد الحميد، ١٩.

(٣) تطور التفسير، د. محسن عبد الحميد، ١٨ـ ٢٠.

سنة قولية والثاني اعتماده في تفسير القرآن الكريم على السيرة النبوية، وقد راعيت في كل ذلك تسلسل ورود السور والآيات في المصحف.

❖ المطلب الثاني: تفسير آيات من القرآن بأسلوب التصريح بقول النبي (ﷺ):

واليك نماذج منها:

١- أخرج السيوطي عن أبي عبد الله جعفر محمد عن أبيه أبي جعفر الباقر عن آبائه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[(١)]، قال: قال رسول الله(ﷺ): إن الله لما خلق الدنيا لم يخلق فيها ذهباً ولا فضةً فلما أن أهبط آدم وحواء أنزل معهما ذهباً وفضةً فسلكه ينابيع في الأرض منفعةً لأولادهما من بعدهما وجعل ذلك صداق آدم حواء، فلا ينبغي لأحد أن يتزوج إلا بصداق[(٢)].

ولم أجد عند تتبع هذه الرواية -في حدود ما استطعت تتبعه- ما يوافقها ولو بالمعنى من طريق الإمامية، ومقتضى قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾[(٣)]، نحكم على هذه الرواية بالضعف لأن آدم لم يتزوجها في الأرض بل في الجنة قبل الهبوط.

٢- أخرج العياشي بسند صحيح عن عبد الله بن عطاء المكي عن الإمام أبي جعفر الباقر عن آبائه عن رسول الله(ﷺ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ...﴾[(٤)]، قال الإمام الباقر: قال رسول الله(ﷺ) إنما كان لبث آدم وحواء في الجنة حتى خرجا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتى أكلا من الشجرة فاهبطهما الله إلى الأرض من يومهما ذلك، قال: فحاج آدم ربه فقال: يا رب ارأيتك أن تخلقني كنت قدّرت عليَّ هذا الذنب وكلما صرت وأنا صائر إليه أو هذا الشيء فعلته أنا من قبل أن تقدّره عليَّ، غلبت عليَّ شقوتي، فكان ذلك

---

(١) البقرة/ ٣٦.

(٢) الدر المنثور، السيوطي، ١/٥٦.

(٣) البقرة، ٣٥.

(٤) البقرة، ٣٥.

مني وَفَعْلي لا منك ولا من فعلك؟ فقال له: يا آدم أنا خلقتك وعلمتك إني أسكنك وزوجك الجنة بنعمتي وما جعلت فيك من قوتي، قويت بجوارحك على معصيتي ولم تغب عن عيني، ولم يخل علمي من فعلك ولا مما أنت فاعله، قال آدم: يا رب الحجة لك عليَّ، قال: فحين خلقتك وصورتك ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي ونوهت باسمك في سمواتي وابتدأتك بكرامتي واسكنتك جنتي ولم أفعل ذلك إلا برضاً مني عليك، ابتليتك بذلك من غير أن يكون عملت لي عملاً تستوجب به عندي ما فعلت بك، قال آدم: يا رب الخير منك والشر مني، قال الله: يا آدم، أنا الله الكريم خلقت الخير قبل الشر، وخلقت رحمتي قبل غضبي، وقدمت بكرامتي قبل هواني، وقدمت باحتجاجي قبل عذابي، يا آدم ألم أنهك من الشجرة وأخبرك أن الشيطان عدو لك ولزوجك؟ واحذركما قبل أن تصيرا الى الجنة واعلمكما أنكما إن أكلتما من الشجرة لكنتما ظالمين لأنفسكما، عاصين لي، يا آدم لا يجاورني في جنتي ظالم عاصي لي[1].

٣- روى محمد بن يعقوب الكليني بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام أبي جعفر الباقر في تفسير قوله تعالى: ﴿...وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[2]، قال: قال رسول الله(ﷺ): من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر بها دم امرئ مسلم أو ليزوي مال امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلم مد البصر وفي وجهه كدوح تعرفه الخلايق باسمه ونسبه[3].

٤- روى محمد بن يعقوب أيضاً بسنده عن سلام بن المستنير قال: قال أبو جعفر الباقر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[4]: أما أن أصحاب محمد(ﷺ) قالوا: يا رسول الله نخاف علينا من النفاق،

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/٣٥-٣٦+ تفسير القرآن، علي بن إبراهيم القمي، ١/١٦٠+ بحار الأنوار، المجلسي، ٧/٧٢+ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ١/١٤٧ فيه رواية الصدوق عن مشيخته عن الإمام الباقر.

(٢) البقرة/ ٢٨٣.

(٣) فروع الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، ٥/٧٦+ من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ٢/ ٥٦+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٢٥٠ــ ٢٥١.

(٤) البقرة/٢٢٢.

فقال(ﷺ) : ولـم تخافون ذلك؟ قالوا : إذا كنا عندك فذكرتنا ورغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كنا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك ، فاذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول على الحالة التي كنا عليها عندك وحتى كأننا لم نكن على شيء ، أفنخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟ فقال لهم رسول الله(ﷺ) : كلا ، إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم بالدنيا ، والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ، ولولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله تعالى لخلق خلقاً حتى يذنبوا فيستغفروا الله تعالى فيغفر لهم ، إن المؤمن مفتن تواب ، أما تسمعوا لقول الله (عزَّ وجلَّ) : ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وقوله : ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[1][2] .

ومعنى قوله(ﷺ) : لولا أنكم تذنبون فتستغفرون الله تعالى لخلق خلقاً حتى يذنبوا فيستغفروا الله تعالى فيغفر لهم . إشارة إلى قاعدة أثبتها الفلاسفة الالهيون والعرفاء وهي أن جميع ما في هذا العالم مظهر من مظاهر اسمائه تعالى المقدسة ، فلو لم يتحقق العفو والغفران والتوبة بالنسبة إليه (عزَّ وجلَّ) ، فمن لوازم هذه الأسماء المقدسة تحقق الذنب مع أنه بنفسه يوجب استكانة المذنب عند ربه وطلبه العفو والغفران منه[3] .

٥- روى العياشي بسنده عن جابر الجعفي في تفسير قوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[4] ، عن الإمام أبي جعفر الباقر قال : قال رسول الله(ﷺ) : إن الملك ينزل الصحيفة أول النهار وأول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم ، فاعملوا في أولها خيراً وفي آخرها خيراً فان الله يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله ، فان الله يقول : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[5] .

---

(١) هود/ ٩٠.
(٢) أصول الكافي، الكليني، ٤/ ١٣٠+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ١٧٩ـ ١٨٠+ مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، ٣/ ٣٩١ـ ٣٩٢.
(٣) ظ: مواهب الرحمن، عبد الأعلى السبزواري، ٣/ ٣٩٣.
(٤) البقرة/ ١٥٢.
(٥) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٦٧+ مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ٢٣٤.

٦- روى الجزائري عن جابر الجعفي أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[١]، قال: قال أبو جعفر الباقر: قال رسول الله(ﷺ): من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله كان حامده من الناس ذاماً، ومن آثر طاعة الله (عزّ وجلّ) بما يغضب الناس كفاه الله عداوة كل عدو وحسد كل حاسد وبغي كل باغ وكان الله له ناصراً وظهيراً[٢]. وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر بلفظ آخر أخرجها ابن مردويه بسنده عنه (عليه السلام) قال قرأ رسول الله(ﷺ) ﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ ثم قال: الخير اتباع القرآن وسنتي[٣].

٧- أخرج محمد بن يعقوب بسنده عن أبي حمزة الثمالي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً...﴾[٤]، عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: قال رسول الله(ﷺ): ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب عظيم: شيخٌ زانٍ، وملك جبار، ومقل مختال[٥].

وفي لفظ آخر عنه (عليه السلام) قال: انزل في العهد ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والخلاق النصيب، فمن لم يكن له نصيب ثَمَناً قَلِيلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة فبأي شيء يدخل الجنة[٦].

إن هذا الحديث فيه دليل عقلي على عدم دخولهم الجنة بافرادهم الثلاثة في حديث النبي(ﷺ) وبهؤلاء الذين ذكر أوصافهم الإمام الباقر.

٨- وأخرج العياشي بسنده عن زياد بن المنذر (أبو الجارود) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً

(١) آل عمران/ ١٠٤.
(٢) قلائد الدرر، الشيخ أحمد الجزائري، ٢/ ٢٠٠.
(٣) الدر المنثور، السيوطي، ٢/ ٦٢.
(٤) آل عمران/ ٧٧.
(٥) أصول الكافي، الكليني، ٢/ ٨٧+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٢٥٦.
(٦) الشافي في شرح أصول الكافي، الشيخ عبد الحسين المظفر، ٤/ ١٤٢.

﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[1] عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يبعث أناس من قبورهم يوم القيامة تؤجج أفواههم ناراً، فقيل له: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً[2].

وفي رواية أخرى أخرجها الكليني بسنده عن الإمام الباقر: إن آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة والنار تلتهب في بطنه حتى يخرج لهب النار من فيه، يعرفه أهل الجنة أنه آكل مال اليتيم[3].

٩- أخرج الطبري بسنده عن الحكم بن عتيبة (عيينة) في تفسير قوله تعالى: **﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ...﴾**[4] عن جعفر بن محمد عن أبيه الإمام الباقر قال: لم يصبه شيء من شرك في ولادته وقال: رسول الله (صلى الله عليه وآله): إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح[5].

١٠- روى الطبرسي عن الفضيل بن يسار في تفسير قوله تعالى: **﴿وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ﴾**[6] عن أبي جعفر الباقر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما من عين ترقرقت بمائها إلا حرم الله ذلك الجسد عن النار، فان فاضت من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة[7].

١١- وأخرج الطبرسي أيضاً عن أبي حمزة الثمالي في تفسير قوله تعالى: **﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾**[8] عن الإمام الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر عن آبائه في حديث طويل عن علي (عليه السلام) قال: سمعت حبيبي رسول الله يقول: ارجئ آية في كتاب الله

---

(١) النساء/ ١٠.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٢٢٥+ مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ١٣+ تفسير القران، القمي، ١/ ٣٤٧+ بحار الأنوار، المجلسي، ١٥/ ١٢١.

(٣) أصول الكافي، الكليني، ٢/ ٢٠٢+ مواهب الرحمن، السبزواري، ٧/ ٣١٨.

(٤) التوبة/ ١٢٨.

(٥) جامع البيان، الطبري، ١١/ ٥٥-٥٦.

(٦) يونس/ ٢٦.

(٧) مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ١١٥، وانظر: صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/ ٦١+ البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، ٩/ ٤١٢.

(٨) هود/ ١١٤.

﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن أحدكم ليقوم من وضوئه فيتساقط عن جوارحه الذنوب، فاذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه، فاذا أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك، حتى عدَّ الصلوات الخمس، ثم قال: يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي[1].

١٢- روى العياشي، عن جابر بن يزيد في تفسير قوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[2] عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس ذات يوم إذ دخلت عليه أم أيمن في ملحفتها شيء، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أم أيمن أي شيء في ملحفتك؟ فقالت: يا رسول الله فلانة بنت فلان أملكوها فنثروا عليها فاخذت من نثارها شيئاً، ثم إن أم أيمن بكت فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما يبكيك؟ فقالت: فاطمة زوجتها فلم يُنثر عليها شيء. فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تبكي، فو الذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً لقد شهد أملاك فاطمة جبرائيل وميكائيل واسرافيل في ألوف من الملائكة، ولقد أمر الله طوبى فنثرت عليهم من حللها وسندسها واستبرقها وزمردها وياقوتها وعطرها، فأخذوا منه حتى مادروا ما يصنعوا به ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة فهي في دار علي بن أبي طالب[3].

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ٥/٢٠١+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/٥٦.

(٢) الرعد/ ٢٩.

(٣) تفسيرالعياشي،محمد بن مسعود، ٢/ ٢١١-٢١٢+ تفسير القرآن، القمي، ٢/٢٩٢+ تفسير فرات، فرات بن إبراهيم الكوفي، ٧٢.

وورد هذا التفسير بلفظ آخر عن الإمام الباقر، أخرجه القرطبي في تفسيره فقال: قال أبو جعفر محمد بن علي: سئل النبي (صلى الله عليه وآله) عن قوله تعالى: ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ فقال: شجرة أصلها في داري وفرعها في الجنة. ثم سئل مرة أخرى فقال: شجرة أصلها في داري وفرعها في الجنة، ثم سئل عنها ثالثة فقال: أصلها في دار علي وفرعها في الجنة، فقال النبي: إن داري ودار علي غداً في الجنة واحدة في مكان واحد. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/٣١٧.

١٣- روي عن عبد الله بن عطاء المكي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[(١)] عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه الإمام الباقر عن آبائه عن علي ابن أبي طالب قال: قال رسول الله(ﷺ): ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ هو الجدي لأنه نجم لا يزول وعليه بناء القبلة وبه يهتدي أهل البر والبحر[(٢)].

١٤- روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن أبي حمزة الثمالي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾[(٣)]، عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: قال رسول الله(ﷺ): لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله (عزّ وجلّ) حتى يسأله عن أربع خصال: عمرك فيما أفنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من أين كسبته وأين وضعته وعن حبنا أهل البيت[(٤)].

١٥- روى ابن كثير الدمشقي بسنده عن جعفر بن محمد الصادق في تفسير قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[(٥)] عن أبيه الإمام الباقر عن آبائه قال: قال رسول الله(ﷺ): عرباً، قال: كلامهن عربي[(٦)].

تبين لنا من خلال هذه الأمثلة القليلة المختارة من الكثير مما استطعنا الوقوف عليه أن الإمام الباقر كان يعتمد في بيان آي الذكر الحكيم بعد العودة الى القرآن الكريم نفسه اتخاذ السنة القولية الصحيحة مرجعاً لتفسير القرآن الكريم، ومن الملاحظ، أن أسانيده فيها كان عن آبائه عن الإمام علي عن الرسول الكريم(ﷺ).

❖ المطلب الثالث: تفسيره بالسيرة النبوية الشريفة:

سنورد هنا شواهد وأمثلة على ما استطعنا استقصاءه من روايات تفسيرية للإمام الباقر، كان اعتماده في تفسير بعض الآيات القرآنية فيها على السيرة

---

(١) النحل/ ١٦.

(٢) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٣٦٢+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٥٦+ الصافي، الفيض الكاشاني، ١/ ٣٩.

(٣) الاسراء/ ٣٦.

(٤) تفسير القرآن، القمي، ٢/١٩+ مجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ٤١٦.

(٥) الواقعة/ ٣٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ٤/ ٢٣٣+ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/ ٢٠٧.

النبوية الشريفة مستشهداً بها أو مستنبطاً المعاني المنطوية تحت تلك اللمحات المضيئة من السيرة النبوية الشريفة في تفسير جملة من الآيات، وإليك بعض النماذج:

١- في قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] اختلف العلماء في مسألة نسخ هذه الآية، وقد أفاض الرازي في بيان الخلاف وأسبابه ثم خلص الى تبني قول الإمام الباقر حيث قال: إنه لم يؤمر رسول الله(ﷺ) بقتال حتى نزل جبرئيل(عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...﴾[٢] وقلده سيفاً، فكان أول قتال قاتل أصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر[٣].

٢- روي بسند صحيح عن حمران بن أعين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[٤] عن الإمام الباقر قال: أن رسول الله(ﷺ) حين صدَّ بالحديبية قصر وأحل ونحر، ثم انصرف منها ولم يجب عليه الحلق حتى يقضي النسك، فأما المحصور فانما يكون عليه التقصير[٥].

وهناك ما يؤيد هذه الرواية، فقد ورد عن معاوية بن عمار عن الإمام الصادق قال: المحصور غير المصدود، وقال(عليه السلام): المحصور هو المريض والمصدود هو الذي يرده المشركون كما ردوا رسول الله(ﷺ) وإنه ليس من مرض، والمصدود يحل له النساء والمحصور لا يحل له النساء[٦]، ونسب ذلك الى المشهور بين الفقهاء[٧].

---

(١) البقرة/ ١٠٩.

(٢) الحج/ ٣٩.

(٣) التفسير الكبير، الرازي، ٣/ ٢٦٤.

(٤) البقرة/ ١٩٦.

(٥) أصول الكافي، الكليني، ٣/ ١٧٩+ التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢/ ١٥٨+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ١٥٣.

(٦) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ٢/ ١٣٢+ أصول الكافي، الكليني، ٢/ ١٧١+ مواهب الرحمن، السبزواري، ٣/ ١٩٩.

(٧) ظ: مواهب الرحمن، السبزواري، ٣/ ١٩٩-٢٠٠.

٣- روى علي بن إبراهيم في تفسيره عن جابر الجعفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إني راغب نشيط في الجهاد، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): فجاهد في سبيل الله، فإنك إن تُقتَل كنت حياً عند الله ترزق وإن مت فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله هذا تفسير: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2].

٤- روى محمد بن يعقوب بسنده عن عبد الله بن كيسان في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ﴾[3] عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: أتى رجل من الأنصار رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: هذه ابنة عمي وامرأتي لا أعلم منها إلا خيراً وقد أتتني بولد شديد السواد، منتشر المنخرين، جعد، قطط، أفطس الأنف لا أعرف شبهه في أخوالي ولا في أجدادي. فقال لامرأته: ما تقولين؟ قالت: لا والذي بعثك بالحق نبياً، ما اقعدت مقعده مني منذ ملكني أحداً غيره، قال (عليه السلام): فنكس رسول الله ملياً، ثم رفع بصره إلى السماء، ثم أقبل على الرجل فقال: يا هذا، إنه ليس من أحد إلا بينه وبين آدم تسع وتسعون عرقاً كلها تضرب في النسب فإذا وقعت النطفة في الرحم اضطربت تلك العروق تسأل الله الشبه لها، فهذا من تلك العروق التي لم يدركها أجدادك ولا أجداد أجدادك، خذي إليك إبنك، فقالت المرأة: فرجت عني يا رسول الله[4].

٥- روى الطبرسي عن ابان بن عثمان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[5] عن أبي جعفر الباقر: أنه

---

(١) آل عمران/ ١٦٩.

(٢) تفسير القرآن، القمي، ١/ ٣٢٥+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٢١٦+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٣٣٤+ مواهب الرحمن، السبزواري، ٧/ ٨٥ـ ٨٦.

(٣) آل عمران/ ٦.

(٤) الشافي في شرح أصول الكافي، الشيخ عبد الحسين المظفر، ٣/ ٩٥+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ١٥٩ـ ١٦٠.

(٥) آل عمران/ ١٤٥.

أصاب علياً(عليه السلام) ستون جراحة وأن النبي(صلى الله عليه وآله) أمر أم سليم وأم عطية أن تداوياه فقالتا: إنا لا نعالج منه مكاناً إلا أنفتق مكان آخر وقد خفنا عليه فدخل رسول الله(صلى الله عليه وآله) والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة فجعل يمسح بيده ويقول: إن رجلاً لقي هذا في الله فقد أبلى واعذر وكان القرح الذي يمسه رسول الله(صلى الله عليه وآله) يلتئم، فقال علي: الحمد لله إذ لم أفر ولم أول الدبر، فشكر الله له ذلك في موضعين من القرآن وهو قوله: ﴿...وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1] وقوله: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾[2].

٦- روى العياشي بسنده عن زرارة بن أعين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾[3] عن أبي جعفر الباقر قال: أتى رسول الله(صلى الله عليه وآله) عمار بن ياسر فقال: يا رسول الله، أجنبت الليلة ولم يكن معي ماء، فقال: كيف صنعت؟ قال: طرحت ثيابي ثم قمت على الصعيد فتمعكت، فقال: هكذا يصنع الحمار، إنما قال الله: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ قال: فضرب بيديه الأرض ثم مسح إحداهما على الأخرى ثم مسح يديه بجبينه ثم مسح كفيه كل واحد منهما على الأخرى[4].

٧- روى السيوري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾[5] عن الإمام الباقر قال: أن خيبرية من أشرافهم زنت فكرهوا رجمها فارسلوا الى النبي يستفتونه طمعاً في رخصة تكون في دينه(صلى الله عليه وآله)، فقال رسول الله: أترضون بحكمي؟ فقالوا: نعم، فافتاهم بالرجم، فأبوا أن يقبلوا، فقال جبرئيل للنبي(صلى الله عليه وآله): سلهم عن ابن صوريا واجعله بينك وبينهم

---

(١) آل عمران/ ١٤٤.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٥١٥+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٣/ ١٢٠.

(٣) المائدة/ ٦.

(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٤٤+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ٣٧٢، ورواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داوود على اختلاف يسير وانه (صلى الله عليه وآله) علم عمار التيمم عملاً، في باب التيمم ضربة، وطريق البخاري هو عن محمد بن سلام قال: اخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق وذكر الحديث. ١/ ٩٦.

(٥) المائدة/ ٤١.

حكماً، فقال النبي (ﷺ) لهم: أتعرفون ابن صوريا؟ قالوا: نعم، واثنوا عليه وعظموه، فارسل إليه فأتى فقال له النبي (ﷺ): أنشدك الله هل تجدون في كتابكم الذي جاء به موسى (عليه السلام) الرجم على المحصن؟ فقال: نعم، ولولا مخافتي من رب التوراة أن كتمت لم اعترفت فنزلت ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[1] فقام ابن صوريا وسأله أن يذكر الكثير الذي أمر بالعفو عنه فاعرض عن ذلك، واسلم ابن صوريا عبد الله وكان شاباً أمرد، أعور، وكان أعلم يهودي في زمانه[2].

٨- روى العياشي في تفسيره، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾[3] عن زرارة وحمران عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: أن رسول الله (ﷺ) قد كان لقى من قومه بلاءً شديداً حتى أتوه ذات يوم وهو ساجد حتى طرحوا عليه رحم شاة، فاتته ابنته وهو ساجد لم يرفع رأسه فرفعته عنه ومسحته ثم أراه الله بعد ذلك الذي يحب، أنه كان ببدر وليس معه غير فارس واحد ثم كان معه يوم الفتح اثنا عشر ألفاً حتى جعل الله أبو سفيان والمشركون يستغيثون[4].

٩- روى الطبري وابن كثير بسندهما عن محمد بن اسحق عن حكيم بن حكم بن عباد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾[5] عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: لما نزلت على رسول الله (ﷺ) وقد كان بعث أبا بكر ليقيم الحج للناس، فقيل يا رسول الله لو

---

(١) المائدة/ ١٥.

(٢) كنز العرفان في فقه القرآن، المقداد السيوري ٤/ ٣٣+ مقتنيات الدرر، سيد مير علي الحائري، ٥/ ٩٦ وانظر: لباب النقول، السيوطي، ٩٠، روى هذا السبب في نزول قوله تعالى ﴿يا أهلَ الكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثيراً مِمّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ ويَعْفُوا عَنْ كثير﴾ بلفظ قريب عن عكرمة.

(٣) الانفال/ ٣٠.

(٤) تفسير العياسي، محمد بن مسعود، ٢/ ٥٤+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٧٩+ بحار الأنوار، المجلسي، ٢/ ٥٥. وانظر: لباب النقول، السيوطي، ١٠٦-١٠٧ ذكر سببين لنزول هذه الآية، الأول عن ابن عباس، والثاني عن عبد المطلب بن أبي وداعة.

(٥) التوبة/ ٣.

بعثت إلى أبي بكر، فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا علياً فقال: اذهب بهذه القصة من سورة براءة وأذّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف في البيت عريان فمن كان له عهد عند رسول الله فهو له إلى مدته فخرج علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله(ﷺ) العضباء حتى أدرك أبا بكر في الطريق فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال: أمير أو مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا، فأقام أبو بكر للناس إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذّنَ في الناس الذي أمره رسول الله فقال: يا أيها الناس أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله فهو إلى مدته، فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يَطُف في البيت عريان ثم قدم على رسول الله(ﷺ)[1].

١٠- روى علي بن إبراهيم بسنده عن زرارة وحمران بن أعين ومحمد بن مسلم الطائفي في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[2] عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: حدث أبو سعيد الخدري أن رسول الله(ﷺ) قال: أن جبرئيل قال لي ليلة أسري بي وحين رجعت فقلت: يا جبرئيل هل لك حاجة؟ فقال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام، وحدثنا عن ذلك أنها قالت حين لقيها النبي(ﷺ) فقال الذي قال جبريل قالت: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام وعلى جبرئيل السلام[3].

١١- روى الجزائري في تفسيره، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[4] عن الإمام الباقر قال: أمره الله تعالى أن يخص أهله

---

(١) جامع البيان، الطبري، ١٠/ ٤٧+ تفسير القرآن العظيم،ابن كثير الدمشقي، ٢/ ٣٣٣، ٣٣٤.

(٢) الاسراء/ ١.

(٣) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٤٠١+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٧٩+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ٩٤٢.

(٤) طه/ ١٣٢.

دون الناس ليعلم الناس أن لأهله منزلة ليست للناس فأمرهم مع الناس عامة ثم امرهم خاصة[1]، ثم قال: بعد نزول الآية كان رسول الله(ﷺ) يجيء كل يوم عند صلاة الفجر حتى يأتي باب علي وفاطمة فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فيقول علي وفاطمة والحسن والحسين: وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم يأخذ بعضادتي الباب فيقول: الصلاة، الصلاة، يرحمكم الله ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[2] فلم يزل يفعل ذلك إذا شهد المدينة[3].

١٢- روى الطبرسي بسنده عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن الليل فسبحه﴾[4] عن الإمام الباقر قال: أن رسول الله(ﷺ) كان يقوم من الليل ثلاث مرات فينظر في آفاق السماء ويقرأ الخمس من أواخر آل عمران إلى قوله: ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ ثم يفتتح بصلاة الليل[5].

١٣- أخرج السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾[6] عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه قال: دخل رسول الله(ﷺ) على رجل من الأنصار يعوده فاذا ملك الموت(ع) عند رأسه، فقال رسول الله(ﷺ): يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانه مؤمن، فقال: ابشر يا محمد، فإني بكل مؤمن رفيق، واعلم يا محمد أني لأقبض روح ابن آدم فيصرخ أهله فأقوم في جانب من الدار فأقول: والله مالي من ذنب وأن لي لعودة وعودة، الحذر الحذر وما خلق الله من أهل بيت ولا مدر ولا شعر ولا بر ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم وليلة خمس مرات حتى أني لا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمد إني لا أقدر أن أقبض روح بعوضة حتى يكون الله تبارك وتعالى هو الذي يأمر بقبضه[7].

---

(١) ظ: البرهان في تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٣٢.
(٢) الاحزاب/ ٣٣.
(٣) قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ٨٩+ ظ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١/ ٢٦٣.
(٤) الطور/ ٤٩.
(٥) مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ١٧٠+ كنز العرفان، المقداد السيوري، ١/ ٦١+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٦١٦ـ ٦١٧+ مفتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري، ١٠/ ٢٥٥.
(٦) السجدة/ ١١.
(٧) الدر المنثور، السيوطي، ٥/ ١٧٤.

المبحث الثالث

رجوعه الى اللغة في التفسير

اللغة هي الأساس في التعبير القرآني، وإن فهم القرآن الكريم يعتمد أساساً على اللغة فهي أداة التعبير والقرآن نزل بلسان عربي مبين، فمعرفة اللغة العربية شرط أساس في فهم القرآن[1]، وبدون الاستناد عليها في فهم القرآن يكون الفهم ناقصاً ومعيباً، كما حذر السلف من ذلك، يقول مالك بن أنس رضي الله عنه: لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً[2].

ولهذا فإنَّ اللّغة لا يمكن الاستغناء عنها في أي منهج من مناهج التفسير، وهي لا تعد مصدراً مستقلاً بل هي أساس كل المصادر[3]، فالتفسير لكي يكون مقبولاً يجب أن يعتمد على اللغة ابتداءً يقول الطبري في بيان أفضل الطرق لمعرفة كتاب الله وأوضحهم برهاناً فيما ترجم وبين، مما كان مدركاً علمه من جهة اللسان، أمّا بالشواهد من أشعارهم السائرة، وأما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة[4]، ولهذا كان السلف يحضون على تعلم اللغة العربية كثيراً، فقد قال الصحابي الجليل أُبي بن كعب رضي الله عنه: تعلموا العربية كما تعلمون حفظ القرآن[5]، وما حثهم على ذلك إلاّ لإدراكهم لضرورة اعتماد اللغة في فهم القرآن الكريم وكان الإمام الباقر يوصي بالرجوع في كثير من الأحيان الى اللغة في بيان معاني وألفاظ القرآن الكريم، وإليك بعض النماذج مما استقصيناه في رجوع الإمام الى اللغة في التفسير:

١- فسر الإمام الباقر (الدين) في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[6] فقال: الدين الحساب[7]

(١) ظ: القرآن: المعجزة الكبرى، محمد ابو زهرة، ٥٨٦.
(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ١٦٠+ ايضاح الوقف والإبتداء، الانباري، ١/ ٣٦.
(٣) ظ: القرآن، المعجزة الكبرى، الشيخ محمد ابو زهرة، ٥٨٦.
(٤) جامع البيان، الطبري، ١/ ١٤.
(٥) المصنف، ابن ابي شيبة، ١٠/ ٤٢٧.
(٦) الفاتحة/ ٣.
(٧) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ١/ ٣٦+ مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ٢٤.

٢-وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبا هذهِ الشَّجَرَةَ﴾[(١)] قال الإمام الباقر: لا تأكلا منها[(٢)].

٣-وفسر الإمام الباقر لفظة (الفوم) في قوله تعالى: ﴿...مِنْ بَقْلِها وَقِثّائِها وَفُومِها﴾[(٣)] قال الإمام: إنه الحنطة[(٤)].

٤-في تفسير قوله تعالى: ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ﴾[(٥)] قال الإمام أبو جعفر الباقر: معنى العهد الأمانة[(٦)]. روى العياشي بسنده عن الإمام قال: أي: لا يكون إماماً ظالماً[(٧)].

٥-روى القمي في تفسيره بسنده عن زرارة وحمران ابني أعين في تفسير قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾[(٨)] قال الإمام الباقر: الصبغة الاسلام[(٩)].

٦-فسر الإمام الباقر قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ﴾[(١٠)] فقال: معنى كرسيه علمه[(١١)].

٧- وقال الإمام الباقر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ﴾[(١٢)]: القنطار هو ملء مسك ثور ذهباً[(١٣)].

---

(١) البقرة/ ٣٥.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٣٥+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ٤٥+ مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ٨٥.

(٣) البقرة/ ٦١.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١/ ٢٧٥+ مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ١٢٢. وانظر: معاني القرآن، الفراء، ١/ ٤١ فانه قال: الفوم فيما ذكر لغة قديمة وهي الحنطة والخبز.

(٥) البقرة/ ١٢٤.

(٦) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ١/ ٤٤٨+ مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ٢٠٢.

(٧) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٥٨ وانظر: معاني القرآن، الفراء، ١/ ٧٦.

(٨) البقرة/ ١٣٨.

(٩) تفسير القرآن، القمي، ١/ ١٥٧+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٦٢+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ١٤٤.

(١٠) البقرة/ ٢٥٥.

(١١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢/ ٣٠٩+ مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٦٢.

(١٢) آل عمران/ ١٤.

(١٣) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢/ ٤١١+ مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٤١٧+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٢٦٢+ وقال الفراء: واحد قناطير قنطار. ويقال: إنه ملء مسك ثور ذهباً أو فضة. معاني القرآن، الفراء، ١/ ١٩٥.

٨- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾[١] قال الإمام الباقر: انما سميت مكة بكة لأنها يبتك بها الرجال والنساء أي يزدحمون[٢].

٩- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾[٣] قال الإمام الباقر: ربيون عشرة آلاف[٤]

١٠- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾[٥] قال الإمام الباقر: إن المراد بالثبات السرايا، وبالجميع العسكر[٦].

١١- وفي تفسير لفظة (بهيمة) في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾[٧] عن زرارة عن الإمام الباقر قال: هي الأجنة جمع جنين، التي في بطون الأمهات[٨].

١٢- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾[٩] عن بكير بن أعين قال: قلت: ما عنى بها؟ قال الإمام الباقر: من النوم[١٠].

١٣- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾[١١] عن زرارة عن الإمام الباقر قال: الحرج الضيق[١٢].

---

(١) آل عمران/ ٩٦.

(٢) تفسير القرآن، القمي، ١/ ٣٠٠+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ١٨٦+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ٢٧٨+ التفسير الكبير، الرازي، ٨/ ١٦٤+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ٥+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٣٠٤+ علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ٢/ ٣٩٧. قال الفراء: إنما سميت بكة لازدحام الناس بها يقال: بك الناس بعضهم بعضاً: إذا ازدحموا. معاني القرآن، الفراء، ١/ ٢٢٧.

(٣) آل عمران/ ١٤٦.

(٤) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٥١٧+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٣٣٣. قال الفراء: والربيون الالوف. معاني القرآن، الفراء، ١/ ٢٣٧.

(٥) النساء/ ٧١.

(٦) مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ٧٣+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٤٠٩. وقال الفراء: يقول إذا دعيتم إلى السرايا، أو دعيتم جميعاً، معاني القرآن، الفراء، ١/ ٢٧٥.

(٧) المائدة/١.

(٨) تفسير القرآن، القمي، ٤٣٢/١ + مجمع البيان، الطبرسي، ١٥٢/٣.

(٩) المائدة/٦

(١٠) قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ١٧+ بحار الأنوار، المجلسي، ١٨/ ٥٣.

(١١) المائدة/ ٦.

(١٢) تفسير القرآن، القمي، ١/ ٤٥٤+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٣٠٢.

١٤ – في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[١] عن سفيان الثوري عن جابر عن الإمام الباقر قال: الغارمين المستدينين بغير فساد، وابن السبيل المجتاز من أرض إلى أرض[٢].

١٥ – في تفسير قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٣] عن جابر عن الإمام الباقر قال: تركوا طاعة الله فنسيهم أي تركهم[٤].

١٦ – في تفسير قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾[٥] عن جابر عن الإمام الباقر قال: مع النساء[٦].

١٧ – في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً﴾[٧] قال الإمام الباقر: مدخلاً أسراباً في الأرض[٨].

١٨ – في تفسير قوله تعالى: ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾[٩] عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر قال: صواع الملك، الطاس الذي يشرب فيه[١٠].

١٩ – في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[١١] قال الإمام الباقر: إلهام[١٢]

---

(١) التوبة/ ٦٠.

(٢) تفسير القرآن الكريم، سفيان الثوري، ٨٥+ جامع البيان، الطبري، ١٠/ ١٠٠+ الدر المنثور، السيوطي، ٣/ ٢٥٢. قال الفراء: الغارمين: أصحاب الدين الذين ركبهم في غير افساد، وابن السبيل: المنقطع به أو الضيف. معاني القرآن. الفراء، ١/ ٤٤٣– ٤٤٤.

(٣) التوبة/ ٦٧.

(٤) تفسير القرآن، القمي، ٢/١٣٧+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/٦٥-٦٦.

(٥) التوبة/ ٨٧.

(٦) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ١٠٣+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ٧٢٠.

(٧) التوبة/ ٥٧.

(٨) مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ٤٠. وقال الفراء: (أو مدخلا) يريد: سرباً في الأرض. معاني القرآن، الفراء، ١/ ٤٤٣.

(٩) يوسف/ ٧٢.

(١٠) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٢٦٤+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ١٨٥+ بحار الأنوار، المجلسي، ٥/ ١٨٦+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ٨٤٩. قال الفراء: الصواع ذكر، وهو الإناء الذي كان الملك يشرب فيه، معاني القرآن، ٢/ ٥١.

(١١) النحل/ ٦٨.

(١٢) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٣٧٥+ تفسير العياشي، ٢/ ٢٦٣+ الصافي، الفيض الكاشاني، ١/ ٩٣٠+ بحار الأنوار، المجلسي، ١٤/ ٧١٤+ مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري، ٦/ ١٥١. وقال الفراء: وأوحى ربك إلى النحل، ألهمها ولم يأتها رسول، معاني القرآن، الفراء، ٢/ ١٠٩.

المبحث الرابع

استنباط المعاني للآيات

الاستنباط كما قال ابن قيم الجوزية: استنباط المعاني والعلل ونسبة بعضها إلى بعض، فيعتبر ما يصح منها بصحة مثله ومشبهه ونظيره، ويلغى ما لا يصح، والاستنباط كالاستخراج ومعلوم أن ذلك قدر زائد على مجرد فهم اللفظ[1]، وهذا الاستنباط هو ما يسمى بالتأويل في معناه العام، ودعا به النبي (ﷺ) لابن عباس في قوله: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل[2]، وقد أشار اليه بعض العلماء بقوله: التفسير بالمقتضي من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع[3]، غير أن الحديث عن الاستنباط أو التأويل بمعناه العام يجرنا إلى الحديث عن معنى التأويل وأنواعه والفرق بينه وبين التفسير، والبحث في هذه المسألة ليس هنا محله، فلذلك نريد أن نقول: إن استنباطات الإمام الباقر كثيرة لكثرة ما روي عنه في التفسير، فقد كان غواصاً على المعاني، مقتنصاً لشوارد المسائل، متلمساً وجه العلة ومناسبة الحكم وقد أورد له الشيخ الصدوق وحده في كتابه علل الشرائع أكثر من «٩٣» مسألة في علل الأحكام وتوجيهاتها، وسنورد هنا بعض النماذج على ما قررناه.

١-روى الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[4] عن الإمام الباقر قال: أي مثلهم في دعائك إياهم إلى الإيمان كمثل الناعق في دعائه والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم وإنما تسمع الدعاء[5].

---

(١) اعلام الموقعين، ابن القيم، ١/ ٢٢٥+ التبيان في اقسام القران، ١٤٤.

(٢) مسند الإمام احمد، شرح احمد محمد شاكر، ٤/ ١٢٧.

(٣) البرهان في علوم القران، الزركشي، ١/ ١٦٠- الاتقان، السيوطي، ٢/ ١٢٨.

(٤) البقرة/ ١٧١.

(٥) مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ٢٥٥+ مواهب الرحمن، السبزواري، ٢/ ٣٢٦.

وعدَّ الشيخ الطوسي هذا التفسير بأنه أكثر في باب الفائدة من أي وجه آخر من التفسير، وقد فسر به ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، واختاره عدد من العلماء كالفراء والطبري والرماني[1].

٢-روى العياشي بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[2] قال: قال الإمام الباقر: يعني أن يأتي الأمر من وجهه، أي الأمور كان[3].

وقد أورد الواحدي روايتين في سبب نزول هذه الآية[4]، غير أن ما فسره الإمام الباقر كان هو معنى الآية الشريفة على نحو المعنى الكلي فيكون ما أورده الواحدي في نزولها من باب ذكر بعض المصاديق.

٣-روى الطبرسي في تفسيره، في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[5]، قال الإمام الباقر: كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالاً فبعث الله النبيين[6].

واختلف المفسرون في معنى الأمة المعنية بهذه الآية:

-فقال ابن عباس وقتادة: هم الذين كانوا بين عاد ونوح.

-وقال مجاهد: المراد بالآية آدم، فبعث النبيين إلى ولده، وغير ذلك من الأقوال[7].

وتفسير الإمام الباقر لهذه الآية موافق للأمر التكويني لعدم تشعب الأفكار، بل كانوا على سذاجة الفطرة لا مهتدين بالهداية التشريعية ولا ضلالاً بضلالة

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢/ ٧٧.

(٢) البقرة/ ١٨٩.

(٣) تفسير العياشي، ١/ ٨٦+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ١٩٠+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ١٧١.

(٤) أسباب النزول، الواحدي، ٣٩-٤٠.

(٥) البقرة/ ٢١٣.

(٦) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٠٧.

(٧) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢/ ١٩٧.

الكفر، لعدم إتمام الحجة بالرسل وعدم حدوثها بعد، فلما بعث الله الرسل وأتم الحجة بهم اختلفوا وتفرقوا[1].

٤-روى الشيخ الصدوق في العلة التي من أجلها دعا نوح على قومه بسنده عن سدير الصيرفي قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): أرأيت نوحاً (عليه السلام) حين دعا على قومه فقال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفَّاراً﴾[2]، قال الإمام: علم أنه لا ينجو من بينهم أحد، قال: قلت: وكيف علم ذلك؟ قال: أوحى الله إليه ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[3] فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء[4].

٥-سنورد هنا مثالاً على طوله لنبين مدى استطاعة الإمام الباقر في استنباط المعاني للآيات القرآنية الكريمة، فقد روى محمد بن يعقوب الكليني بسنده عن حمران وزرارة ابني أعين ومحمد بن مسلم الطائفي، في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[5]، عن الإمام الباقر قال: إن الله إذا أراد أن يخلق النطفة التي هي مما أخذ عليه الميثاق من صلب آدم (عليه السلام) أو مما يبدو له فيه ويجعلها في الرحم حرك الرجل للجماع وأوحى إلى الرحم أن افتحي بابك حتى يلج فيك خلقي وقضائي النافذ وقدري، فتفتح بابها، فتصل النطفة إلى الرحم فتردت فيه أربعين يوماً ثم تصير علقة أربعين يوماً ثم مضغة أربعين يوماً ثم تصير لحماً فيه عروق متشابكة، ثم يبعث الله ملكين خلاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء الله، يقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة، فيصلان إلى الرحم وفيها الروح القديمة في أصلاب الرجال وأرحام النساء فينفخان فيها روح الحياة والبقاء، ويشقان له السمع والبصر والجوارح وجميع ما في البطن بإذن الله تعالى، ثم يوحي الله إلى الملكين، اكتبا عليه قضائي وقدري

(١) ظ: مواهب الرحمن، السبزواري، ٣/ ٢٩٠.

(٢) نوح/ ٢٦-٢٧.

(٣) هود/ ٣٦.

(٤) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، ١/ ٣١.

(٥) آل عمران/ ٦.

ونافذ أمري واشترطا لي البداء فيما تكتبان فيقولان، يا رب ما نكتب؟ فيوحي الله (عزّ وجلّ) إليهما: أن ارفعا رؤوسكما إلى رأس أمه، فيرفعان رأسيهما فإذا اللوح يقرع جبهة أمه فينظران فيه فيجدان في اللوح صورته وزينته وأجله وميثاقه سعيداً أو شقياً وجميع شأنه، فيملي أحدهما على صاحبه، فيكتبان جميع ما في اللوح ويشترطان البداء فيما يكتبان، ثم يختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه ثم يقيمانه قائماً في بطن أمه، قال: فربما عتا فانقلب، ولا يكون ذلك إلا في كل عات أو ما رد وإذا بلغ أوان خروج الولد تاماً أو غير تام أوحى الله للرحم أن افتحي بابك حتى يخرج خلقي إلى أرضي وينفذ فيه أمري فقد بلغ أوان خروجه قال: فتفتح الرحم باب الولد فينقلب فتصير رجلاه فوق رأسه ورأسه في أسفل البطن ليسهل الله على المرأة وعلى الولد الخروج، فيبعث الله (عزّ وجلّ) ملكاً يقال له زاجر فيزجره زجرة فيفزع منها الولد فإذا احتبس زجره الملك زجرة أخرى فيفزع منها فيسقط الولد إلى الأرض باكياً فزعاً من الزجرة[1].

في هذا الحديث يبين الإمام الباقر جملة وافرة من أسرار التكوين ببيان واضح جلي معتمداً على قوة استنباطه وغوصه على المعاني القرآنية من خلال الآيات، والأمور التي ذكر فيها أسراراً معنوية وأسراراً تكوينية حقيقية لا تنافي الأسباب الطبيعية المعروفة، إذ يمكن أن يكون في شيء واحد أسباب جلية واضحة، وأسباب خفية معنوية لا يحيط بها إلا الله تعالى، وهما في الواقع يرجعان إلى منشأ واحد، وكل واحد منهما يكون من المقتضي لتحصيل المعلول، أو يكون كل واحد منهما علة تامة مترتبة كل سابقة علة للاحقتها، فيصير كل واحد علة تامة من جهة ومقتضياً من جهة أخرى.

وأما قوله(عليه السلام): النطفة التي مما أخذ الله عليها الميثاق، فهو مطابق تمام الانطباق للقانون العقلي وهو انبعاث المعلول عن علته، ولا ريب في أن جميع الموجودات خصوصاً النطفة التي لا يريد أن يجعلها بشراً سوياً أتم خلق الله وأهمه، وارتباطه تكويناً مع الله ثابت ويصح أن يعبر عن هذا الارتباط بالميثاق،

(١) الشافي في أصول الكافي، الشيخ عبد الحسين المظفر، ١/ ٣٤.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1].

٦-روى علي بن إبراهيم في تفسيره، في تفسير قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[2] عن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: شهد الله أنه لا إله إلا هو، فإن الله تبارك وتعالى يشهد بها لنفسه وهو كما قال، فأما قوله (والملائكة) فإنه أكرم الملائكة بالتسليم لربهم وصدقوا وشهدوا كما شهد لنفسه، وأما قوله تعالى (وأولي العلم قائماً بالقسط) فإنَّ أولي العلم الأولياء والأوصياء، وهم قيام بالقسط، والقسط هو العدل[3].

وبيان هذا الحديث الذي استطاع الإمام الباقر فيه أن يستنبط معناه من الآية الكريمة فهو إمَّا جهة إكرام الملائكة لأنه تعالى ذكرهم بعد نفسه الأقدس، وإمَّا التسليم لربهم فلا ريب في أن المجردات مطلقاً خاضعة خضوعاً تكوينياً لله جل جلاله لذاته ولجميع صفاته خصوصاً لوحدانيته تعالى، وأنه جلت عظمته يتجلى لهم بوحدانيته فتكون شهادة الملائكة بالتوحيد بتجليه تبارك وتعالى لهم بتلك الصفة، ولو لوحظ مراعاة الاصطلاح تكون شهادتهم من عين اليقين فضلاً عن حق اليقين، وأما قوله(عليه السلام) (وهم قيام بالقسط) فهو من ذكر المصدر من باب المبالغة في التعبير والاختصاص للقيام بخصوص أولي العلم بل يشمل الملائكة أيضاً[4].

٧-روى العياشي في تفسيره، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾[5] عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر عن قوله

(١) الأعراف/ ١٧٢.

(٢) آل عمران/ ١٨.

(٣) تفسير القرآن، القمي، ١/ ٢٧٣+ تفسير العياشي، ١/ ١٦٥-١٦٦+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ٢٥٠.

(٤) ظ: مواهب الرحمن، السبزواري، ٥/ ١٨٢.

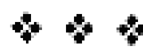
(٥) آل عمران/ ١٥٨.

تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾ وقد قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[1] فقال أبو جعفر الباقر: قد فرق الله بينهما، ثم قال: أكنت قاتل رجل لو قتل أخاك؟ قلت: نعم، قال: فلو مات موتاً أكنت قاتلاً به أحداً؟ قلت: لا، قال: ألا ترى كيف فرق الله بينهما[2].

ولا ريب في اختلاف أصناف الموت وأنواعه ولا ربط لأحد الأصناف والأنواع بالآخر، فذات الموت شيء والقتل شيء آخر وإن كان الأخير سبباً له، وهو -أي الإمام الباقر- يبين منشأ الخلاف والسائل تمسك بذكر جنس الموت كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[3].

وللإمام الباقر استنباطات كثيرة وخاصة في الأحكام الفقهية وغيرها تدل على عمق فهمه، وحسن استنباطه، وفي أكثرها إجابة لتساؤلات من أصحابه وتلامذته أو من عامة الناس، فقد كان يرجع إليه الكثير من العلماء في مثل تلك الاستنباطات.

وأخيراً: إن المتتبع لأقواله وآرائه في التفسير يجد غوصه في المعاني واستنباطه الأحكام واضحاً جلياً، فهو يعلل ويقارن ويوجه ويستنبط من الآية ما تشير إليه من معان قد لا تدرك بسهولة ويسر إلا للمتبحرين من العلماء، وكيف لا يتأتى ذلك للإمام أبي جعفر الباقر وهو الذي لقب بباقر علوم الأولين والآخرين وقد تحصل إجماع العلماء على ذلك.



---

(١) آل عمـران/ ١٨٥.
(٢) تفسير العياشي، ١/ ٢٠٢؛ تفسير القرآن، ١/ ٣٢٣؛ بحار الأنوار، المجلسي، ٩/ ٧٠.
(٣) ظ: المواهب الرحمن، السبزواري، ٦/ ٢٣٥ـ ٢٣٦.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الباب الثاني

آراء الإمام الباقر

(عليه السلام)

وأثرها في علوم القرآن والتفسير

ويتضمن

الفصل الأول

جهود الإمام الباقر في علوم القرآن

الفصل الثاني

أراؤه وأثرها في تفسير ايات العقائد

الفصل الثالث

جهوده وأثرها في تفسير أيات الأحكام

الفصل الرابع

الجانب التربوي والأخلاقي في تفسير الإمام الباقر

الفصل الخامس

قيمة تفسيره وخصائصه وأثره في غيره


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

جهود الإمام الباقر في علوم القرآن



ويتضمن:

* المبحث الأول : أراؤه في الناسخ والمنسوخ وموقفه منه
* المبحث الثاني : جهوده في علم أسباب النزول وتوجيهه لها
* المبحث الثالث : جهوده في القراءات القرآنية
* المبحث الرابع : جهوده في فضائل القران الكريم
* المبحث الخامس : جهود الإمام الباقر في القصص القرآني وموقفه من الاسرائيليات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول

آراؤه في الناسخ والمنسوخ وموقفه منه

من المسائل المهمة في علوم القرآن هي معرفة الناسخ والمنسوخ بل وفي التفسير أيضاً، حتى أن العلماء قد نقلوا قول الإمام علي بن أبي طالب لقاض: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال الإمام: إذن هلكت وأهلكت[1]، وقال أئمة العلم كذلك لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ، وهو ما خلص الله به هذه الأمة لحكم منها: التيسير وتدرج الأحكام، والنسخ واقع بالقرآن والسنة ولكل منهما[2].

والاعتراض على هذا القول يبدو في حكمة النسخ من تدرج الأحكام باعتبار أن التدرج في الحكم غير النسخ بالاصطلاح، فالتدرج كان لحكمة اقتضتها التربية الالهية التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يربي بها خلقه، وأما النسخ في الاصطلاح: فهو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه[3]. والفرق واضح بين التدرج والرفع حتى في اللغة فلا يحتاج إلى مزيد توضيح.

ويبدو أن العلماء قد ولعوا ولوعاً شديداً في هذه المسألة -وهو موقفهم من النسخ- حتى أنهم انقسموا إلى ثلاثة مذاهب مأخوذة من اثنتين وهي كما يأتي:

الأول: قال بعض العلماء بوقوع النسخ بشكل كبيراً جداً، حتى أنهم قطعوا أوصال الآية الواحدة، فزعموا أن أولها منسوخ وآخرها ناسخ، كقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[4] فان آخر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/ ٦٢+ الاتقان، السيوطي، ٢/ ٢٠+ روح المعاني، الألوسي، ٤/ ٢٣١+ مناهل العرفان، الزرقاني، ١/ ١٩.

(٢) ظ: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة، ٤+ الاتقان، السيوطي، ٢/ ٢٠+ معرفة الناسخ والمنسوخ+ ٢/ ١٤٩+ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، الحازمي، ١٩.

(٣) ظ: إرشاد الفحول، الشوكاني، ١٧١+ مناهل العرفان، الزرقاني، ٢/ ٧٢+ علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ٢٥١+ علوم القرآن والتفسير، د. محسن عبد الحميد، ٤١.

(٤) المائدة، ١٠٥.

الآية يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو بذلك ناسخ لأولها عند ابن العربي مثلاً[1].

الثاني: ما مثله أبو مسلم الأصفهاني بإنكاره لوقوع النسخ في القرآن الكريم وسماها تخصيصاً تجنباً منا -كما ظن- لإبطال حكم قرآني أنزله الله تعالى[2].

الثالث: ومن العلماء من أقرّ بوقوع النسخ في القرآن الكريم، إلا أنهم قد اقتصروا على عدد قليل من الآيات[3]. ومن المحدثين من اقتصر به على آية واحدة فقط منهم المحقق الخوئي وأستاذنا الدكتور الجميلي[4] واشترط العلماء للنسخ عدة شروط يجب تحققها في الناسخ والمنسوخ على حد سواء لكي يضيقوا من دائرته في القرآن الكريم[5].

غير أنه لا خلاف بينهم في وقوعه إجمالاً في القرآن الكريم، فإن كثيراً من أحكام الشرائع السابقة نسخت بأحكام الشريعة الإسلامية وأن جملة من أحكام هذه الشريعة قد نسخت بأحكام أخرى من هذه الشريعة نفسها، فقد نص القرآن الكريم مثلاً على نسخ التوجه في الصلاة إلى القبلة الأولى وهذا مما لا ريب فيه[6].

وللإمام الباقر جهود في الناسخ والمنسوخ بعد أن قرر في رواية صحيحة رواها عنه زرارة بن أعين قال: نزل القرآن ناسخاً ومنسوخاً، وهذا يعني أن النسخ واقع في القرآن الكريم، وليس التقييد بأن القرآن كله ناسخ ومنسوخ إذ من غير المعقول أن يكون قول الإمام الباقر في أعلاه محمولاً على هذا، ولم يرد عنه(عليه السلام) سوى روايات قليلة جداً في الناسخ والمنسوخ لم تتجاوز (٦) روايات في حدود ما استطعنا استقراءه، وإليك تلك الروايات:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، ١/ ٢٠٥+ ظ: مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ٢٦٤ وانظر مصادره.

(٢) ظ: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٣٣ + مناهل العرفان، الزرقاني، ٢/ ٨١ + مباحث في علوم القرآن، د.صبحي الصالح، ٢٦٢..

(٣) ظ: الاتقان، السيوطي، ٢/ ٢٠ـ ٢٤.

(٤) ظ: البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ٢٩٦ـ ٤٠٣+ محاضرات استاذنا الدكتور الجميلي.

(٥) ظ: أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى شلبي: ٣٥٩ + النسخ في القرآن الكريم، د.مصطفى زيد، ١/ ١٨٠-٢٠٤..

(٦) ظ: البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ٣٠٣.

﴿وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. قال ابن عباس: يأمره بالقتل والسبي لبني قريظة، والجلاء لبني النضير.

وقال قتادة: يأمره بالقتال وقال: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[2]، وأيده الربيع والسدي.

وقيل: نسخت بقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[3].

وبعد أن أفاض الرازي والطبرسي في بيان ذلك الخلاف خلصا إلى قول الإمام الباقر: أنه لم يؤمر رسول الله(ﷺ) بقتال حتى نزل جبرئيل (عليه السلام) بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[4] وقلده سيفاً، فكان أول قتال قاتل أصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر[5].

ثانياً: وعد الإمام الباقر آية السيف ناسخة لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[6]، عندما قال: نزلت -هذه الآية- في أهل الذمة ثم نسخها قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[7][8].

قال السيوطي: إن قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ خبر لا نسخ فيه لأنه حكاية عما أخذه الله من الميثاق على بني اسرائيل[9].

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[10]، أخرج العلماء بأسانيد صحيحة عن أبي بصير

---

(١) البقرة/ ١٠٩.
(٢) التوبة/ ٢٩.
(٣) التوبة/ ٥.
(٤) الحج/ ٣٩.
(٥) التفسير الكبير، الرازي، ٣/ ٢٦٤+ مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ١٨٥.
(٦) البقرة/ ٨٣.
(٧) التوبة/ ٢٩.
(٨) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ٦/ ١٢٧+ تفسير العياشي، ٢/ ١٣٢+ مقتنيات الدرر، علي الحائري، ١/ ٢٢٢.
(٩) الاتقان، السيوطي، ٢/٢٢.
(١٠) البقرة/ ٢٤٠.

قال: سألت أبا جعفر عن هذه الآية فقال: هي منسوخة نسختها الآية: ﴿...يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[1]، ونسختها آية الميراث[2].

وهو مما اتفق عليه العلماء، ويعضد هذه الرواية قول الإمام الصادق: كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال حولاً، ثم أخرجت بلا ميراث، ثم نسختها آية الربع والثمن فالمرأة ينفق عليها من نصيبها[3].

وقد نسب الطبرسي الرواية الأولى للإمام الصادق أيضاً[4]، وهذا مخالف لما أجمع عليه علماء الإمامية من أنها رواية أبي بصير عن الإمام الباقر كما تقدم.

رابعاً: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[5]،

اختلفت أقوال العلماء في قوله تعالى: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ على عدة وجوه منها:

١-عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة أن معناه: أن يطاع ولا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى.

٢-عن مجاهد: أنه المجاهدة في الله تعالى وأن لا تأخذه فيه لومة لائم، وأن يقام له بالقسط في الخوف والأمن.

٣-عن أبي علي الجبائي: أنه اتقاء جميع معاصيه[6].

٤-أما الإمام الباقر فإنه قال: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[7][8].

المراد من المنسوخ هنا المرتبة الأخيرة في علم الأخلاق والتي تسمى بتقى أخص الخواص وهي لا يستطيع الوصول إليها غير الأنبياء ومن بمنزلتهم.

---

(١) البقرة/ ٢٣٤.

(٢) تفسير القرآن، القمي، ١/ ٢٢٥-٢٢٦+ تفسير العياشي، ١/ ١٢٢+ بحار الأنوار، المجلسي، ٢٣/ ١٣٧ـ ١٣٨.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٤٥.

(٤) ظ: المصدر نفسه والصفحة.

(٥) آل عمران/ ١٠٢.

(٦) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٤٨٢.

(٧) التغابن/ ١٦.

(٨) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٤٨٢.

والمراد بالنسخ هنا على قول الإمام الباقر هو عدم وجوب مراعاتها -أي تقوى أخص الخواص- رفعاً للعسر والحرج وتسهيلاً على الأمة، وأما لو راعاها أحد مع مراعاة القواعد الشرعية فلا محذور فيه إطلاقاً[1].

خامساً: في قوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً * وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾[2].

اختلفت أقوال علماء الأمة في حكم هاتين الآيتين على عدة وجوه وهي:

١-ذهب عكرمة وعبادة بن الصامت في رواية الحسن عن الرقاشي عنه، أن الآية الأولى منسوخة بالثانية، والثانية منسوخة في البكر من الرجال والنساء إذا زنى بأن يجلد مائة جلدة وينفى عاماً، وفي الثيب منهما أن يجلد مائة، ويرجم حتى الموت.

٢-ذهب قتادة ومحمد بن جابر إلى: أن الآية الأولى مخصوصة بالثيب والثانية بالبكر وقد نسخت كلتاهما بحكم الجلد والرجم.

٣-ذهب ابن عباس ومجاهد ومن تبعهما كأبي جعفر النحاس إلى: أن الآية الأولى مختصة بزناء النساء من ثيب أو بكر، والآية الثانية مختصة بزناء الرجال ثيباً كان أو بكراً، وقد نسخت كلتاهما بحكم الرجم والجلد[3].

وكيف كان هذا الاختلاف، فقد ذكر أبو بكر الجصاص أن الأمة لم تختلف في نسخ هذين الحكمين عن الزانيين[4]، وقد جاء عن الإمام الباقر في روايتين بطريقين مختلفين سندهما صحيح ما يلي:

الأولى: عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سألته -يعني الإمام الباقر- عن قوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ

---

(١) ظ: مواهب الرحمن، السبزواري، ٦/ ٢٣٢.

(٢) النساء/ ١٥-١٦.

(٣) الناسخ والمنسوخ، ابو جعفر النحاس، ٩٨.

(٤) احكام القرآن، الجصاص، ٢/ ١٠٧.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ قال: منسوخة، والسبيل هو الحدود[1].

الثانية: عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر في حديث طويل قال فيه: وسورة النور أنزلت بعد سورة النساء، وتصديق ذلك أن الله (عزَّ وجلَّ) أنزل في سورة النساء ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ والسبيل هو الذي قال الله (عزَّ وجلَّ): ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2][3].

وقال بعض المفسرين: أن هذا الحكم غير منسوخ لأن الحبس لم يكن مؤبداً بل كان مستنداً إلى غاية فلا يكون بيان الغاية ناسخاً له[4]، وهذا مردود لأن النسخ ما هو إلا رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر لارتفاع أمد الأول وزمانه، وكان بهذا تفسير الإمام الباقر مطابقاً لما جاء عن ابن عباس ومجاهد ومن تابعهما.

سادساً: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5]، فقد سئل الإمام الباقر عن هذه الآية فقال: قدم علي بن أبي طالب بين يدي نجواه صدقة، ثم نسخها قوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[6][7].

---

(١) تفسير العياشي، ١/ ٢٢٧+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ٣٥٣+ مقتنيات الدرر، الحائري، ٣/ ٦٢.

(٢) النور/ ١-٢.

(٣) الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ١٥٢+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٣٧٨.

(٤) ظ: مجمع البيان، الطبرسي، ٤/ ٢١.

(٥) المجادلة/ ١٢.

(٦) المجادلة/ ١٣.

(٧) تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ٢/ ٦٧٦.

وذهب أكثر العلماء إلى ذلك، فقد استفاضت الروايات من الفريقين: أن الآية المباركة لما نزلت لم يعمل بها سوى علي بن أبي طالب فكان له دينار فباعه بعشرة دراهم فكان كلما ناجى الرسول(ﷺ) قدم درهماً حتى ناجاه عشر مرات[1].

وبهذه الرواية نكون قد استقصينا وذكرنا كل ما نقل في كتب التفسير عن الإمام الباقر من روايات في الناسخ والمنسوخ بينت ما له من جهد فيه على الرغم من قلته، غير أنه مثل من جهة أخرى انضمام الإمام الباقر للمذهب الثاني بشقه الأول من أن النسخ قد اقتصر على عدد قليل جداً من الآيات الكريمة، وهذا مما يجعلنا نميل إلى القول بقلة وقوع النسخ في القرآن الكريم.

المبحث الثاني

جهوده في علم أسباب النزول وتوجيهه لها

أن معرفة أسباب النزول يعين كثيراً على فهم المراد من الآية أو الآيات النازلة بأسبابها، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، وأنه لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها فبيان النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن[2]. إذن مفهوم سبب النزول هو: ما نزلت الآية أو الآيات من أجله مجيبة عنه أو حاكية له أو مبينة لحكمه بقيد زمن وقوعه[3].

وقد جعل المفسرون علم أسباب النزول علماً تطبيقياً، فهو يأخذ معناه العام باعتبار أن سبب النزول له علاقة بالآية القرآنية المراد تفسيرها، فسبب النزول عندهم هو لفهم المراد من الآية أو ما له علاقة باستنتاج الحكم.

وبالجملة يمكن تقسيم النزول عند العلماء إلى:

---

(١) جامع البيان، الطبري، ٢٨/ ١٥+ أسباب النزول، الواحدي، ٢٩٤ـ ٢٩٥+ فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ١٨٦+ مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ٢٥٣+ تفسير البرهان، سيد هاشم البحراني، ٢/ ١٠٩٩. وقد تعرض لنقل جملة منها محمد باقر المجلسي في المجلد التاسع من بحار الأنوار صفحة ١٧٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ٢٢+ مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ٤٧+ الاتقان، السيوطي، ١/ ١٠٨.

(٣) مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ١٣٢.

١-وقت النزول: أي مكي أو مدني، في سلم أو حرب، في ليل أو نهار.

٢-مكان النزول: أي في مكة أو المدينة أو في مكان ليس في مكة أو المدينة.

٣-موضوع الآية: وهو أهم أقسام النزول لارتباطه بالحكم الموجود في الآية، وينقسم إلى:

أ-توضيح لرؤية تاريخية: فان بعض الآيات القرآنية نزلت لتوضيح بعض المسائل التاريخية التي تحتاج إلى توضيح.

ب-الحادثة التي وقعت وسبقت نزول الآيات النازلة بصددها.

ج-سؤال وجه إلى النبي(ﷺ) ولم يجب عليه انتظاراً للوحي.

د-سلوك من النبي(ﷺ) يرد عليه القرآن الكريم ويوجهه.

وتعد هذه العناصر الأربعة هي مدار البحث عند الدارسين لعلم أسباب النزول، فإذا خرج موضوع الآية عن هذه العناصر مَحَّصَهُ العلماء وفتشوا عن صحيحه من سقيمه لأن التفاسير المتنوعة ولا سيما التي لا تمحص الروايات تمحيصاً جيداً فيها أسباب كثيرة تذكر للآيات وهي ضعيفة السند أو باطلة في المعنى أو مخالفة للوقائع التاريخية[١] أما عن مصادر الرواية في أسباب النزول، فقد شدد العلماء على الأخذ بها باعتبار أنها ليس فيها رأي اجتهادي أو عقلي بل أن العملية كلها لا تعدو أن تكون عملية سماعية أي (نقل ورواية) فلذلك يمكن أن نقسم مصادر الرواية إلى:

أولاً: الصحابة الكرام

الذين كانوا شهوداً صادقين لأسباب النزول وهم المصدر الرئيس في قبول الرواية فيه، قال الواحدي: لا يحل القول في أسباب النزول، إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا الوحي والتنزيل، ووقفوا على الأسباب[٢].

وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية في القرآن فقال: اتق الله وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ١٣٥+ علوم القرآن والتفسير، د. محسن عبد الحميد، ٣٨.

(٢) أسباب النزول، الواحدي، ٨.

(٣) المصدر نفسه، ٩+ لباب النقول، السيوطي، ١٣+ التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، ٢٩.

ونقل السيوطي قول الحاكم في علوم الحديث: إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فانه حديث مسند، ووافقه ابن الصلاح وغيره[1].

إذن يشترط أولاً في الأخذ بأسباب النزول أن تؤخذ عن الصحابي ويجب أن يكون هذا الصحابي ممن شاهد الوحي والتنزيل أو سأل النبي (ﷺ) عن نزول الآية أو الآيات، ويجب أيضاً أن لا يكون رأي اجتهادي في النقل.

ثانيا: التابعون

لا يؤخذ بقول التابعي في هذا المجال إلا إذا اعتضدت روايته بمرسل آخر رواه أحد أئمة التفسير الذين ثبت أخذهم عن الصحابة كعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحسن البصري وسعيد بن المسيب والضحاك[2].

ويمكن أن نجعل هذا على شكل شروط وهي كما يأتي:

١-يلزم التابعي أن يسند الأثر أو الرواية إلى الصحابة.

٢-أن لا يكون للتابعي رأي فيه.

٣-أن يعضد رواية التابعي مرسل عن تابعي آخر.

٤-أن يكون الصحابي المسند إليه الحديث أو الرواية ممن شاهد الوحي والتنزيل.

٥-مع مراعاة صفات الضبط والعدالة في التابعي.

ثالثا: إتباع التابعين

الأصل فيهم أن لا يؤخذ إلا كما يؤخذ الحديث المسند مع شروط الإسناد عند الصحابة والتابعين، وذلك لوجود فترة زمنية بعيدة جداً بينهم وبين أسباب النزول.

---

(١) لباب النقول، السيوطي، ١٣ـ ١٤+ الاتقان، السيوطي، ١/ ٢٩-٣٠+ علوم القرآن والتفسير، د. محمد عبد الحميد، ٣٨.

(٢) الاتقان، السيوطي، ١/ ٥٢ـ ٥٣.

قبل أن نستعرض ما أثر عن الإمام الباقر في أسباب النزول، نود أن نسجل مشاركته في إبداء رأي في تاريخ النزول، فقد روى عبد الله بن كيسان عن الإمام الباقر أنه قال: نزل جبرائيل (عليه السلام) على محمد (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمد اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، وقال: أول ما نزل من القرآن ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ والعلق أول سورة نزلت[1].

وبعد أن تقصينا أسباب النزول التي ذكرها الإمام الباقر في كتب التفسير كانت تربو على (١٥٦) سبباً، نذكر منها نماذج مع تصحيحه لبعضها:

١-في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلا بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ قالُوا أَ تُحَدِّثُونَهُمْ بِما فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[2]. قال الإمام الباقر: كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين، إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فنهاهم كبراؤهم عن ذلك وقالوا: لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمد فيحاجوكم به، فنزلت الآية[3].

٢-عن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام الباقر قال: أما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ﴾[4] فانه نزل في علي بن أبي طالب حين بذل نفسه لله ولرسوله ليلة اضطجع على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما طلبته كفار قريش[5].

---

(١) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٤٣٠+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٨٣٣. وقارن بأسباب النزول، الواحدي، ١٢.

(٢) البقرة/ ٧٦.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ١٤٢+ مقتنيات الدرر، الحائري، ١/ ٢٠٨. وقارن بالتبيان، الشيخ الطوسي، ١/ ٣١٥ أورد الرواية عن السدي قريبة مما رويناه وقال: ومثله ما روي عن أبي جعفر (عليه السلام). وقارن بتفسير ابن كثير، ١/ ١١٦ أورد رواية مشابهة لما أوردناه عن الحسن البصري، وقارن كذلك بما ورد في لباب النقول، السيوطي، ٢٠.

(٤) البقرة/ ٢٠٧.

(٥) تفسير العياشي، ١/ ١٠١+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ٢٠٨+ بحار الأنوار، المجلسي، ٧/ ١٢٣.

وروى الشيخ الطوسي عن الإمام الباقر أنه قال: نزلت في علي (عليه السلام) حين بات على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما أرادت قريش قتله، حتى خرج رسول الله وفات المشركين أغراضهم، وبه قال عمر بن شبة[1].

٣-أخرج السيوطي باسناده عن عبد بن حميد عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي الباقر قال: لما أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بصدقة الفطر جاء رجل بتمر رديء فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) الذي يخرص النخل أن لا يجيزه، فأنزل الله ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2][3].

٤-في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[4] قال الإمام الباقر: نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل لم

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢/ ١٨٣، ورواه أيضاً في اماليه بأسانيده عن زين العابدين وابن عباس وانس وعمرو بن العلاء وعن ابي اليقظان عمار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ورواه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بخمسة طرق، ١/ ٢٠٦ــ ٢٠٨، ورواه الطبرسي في مجمع البيان عن ابن عباس، ٢/ ٣٠١ والثعلبي في الجزء الأول من تفسيره عن ابن عباس وعن جابر عن الباقر، وفي تفسير آلاء الرحمن، محمد جواد البلاغي، ١/ ١٨٤، وفي مواهب الرحمن، السبزواري، ٣/ ٢٤١. ورواه جمع غفير من علماء الحديث والتفسير من الفريقين.
ومن الجدير بالذكر ان الطبري أخرج بسنده عن عكرمة في تفسيره، ٢/ ١٨٦ــ ١٨٧ سبباً آخراً لنزول هذه الآية الكريمة وقد تابعه ابن كثير في تفسيره، ١/ ٢٤٧ من أن الآية نزلت في صهيب الرومي او ابي ذر وتابعهما الواحدي في اسباب النزول، ٤٦. وكذلك السيوطي في الدر المنثور، ١/ ١٢٣ ولباب النقول، ٤٠ــ ٤١. ويمكن الجمع بين هذه الأخبار المتعارضة فقد تتعدد الأسباب الصحيحة المتكافئة التي لا نستطيع أن نرجح سبباً على آخر، فتتنزل بموجبها آية واحدة فتكون من باب تعدد الأسباب والنازل واحد.

(٢) البقرة/ ٢٦٧.

(٣) الدر المنثور، السيوطي، ١/ ٣٢٥ وقال في لباب النقول ص٤٩ روى الحاكم والترمذي وابن ماجة عن البراء قال: نزلت هذه الآية فينا، وساق نفس الرواية وكذلك رواها عن جابر، واخرجها أيضاً الطبري في تفسيره، ٣/ ٥٥ عن البراء والإمام علي، وابن كثير في تفسيره، ١/ ٣٢٠، والواحدي في اسباب النزول ص٦٢ عن البراء، ورواه الطبرسي، ٣/ ٣٨٠ عن الإمام علي والبراء والحسن وقتادة، والطوسي في تفسيره، ٢/ ٣٤٤ والعياشي في تفسيره، ١/ ١٤٩ فقد أخرج عن زرارة بن أعين عن الإمام الباقر نفسها الرواية.

(٤) البقرة/ ٢٧٣.

يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأوون إليها فجعلوا أنفسهم في المسجد وقالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله(ﷺ) فحث الله الناس عليهم وكان الرجل إذا أكل وعنده فضل أتاهم به إذا أمسى[1].

٥-في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2] قال الإمام الباقر: أن الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وقد بقيت له بقايا على ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم، فنزلت الآية[3].

٦-في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾[4] عن زياد بن المنذر عن الإمام الباقر قال: كان في الجاهلية في أول ما أسلموا من قبائل، إذا مات حميم الرجل وله امرأة ألقى الرجل ثوبه عليها فورث نكاحها بصداق حميمه الذي كان أصدقها فكان يرث نكاحها كما يرث ماله، فلما مات أبو قيس بن الأسلت ألقى محصن بن أبي قيس ثوبه على امرأة أبيه وهي كبيشة بنت معمر بن معبد فورث نكاحها ثم تركها لا يدخل بها ولا ينفق عليها فأتت رسول الله(ﷺ) فقالت: يا رسول الله مات أبو قيس بن الأسلت فورث ابنه محصن نكاحي فلا يدخل علي ولا ينفق علي ولا يخلي سبيلي فألحقُ بأهلي، فقال رسول الله(ﷺ): ارجعي إلى بيتك فإن يحدث الله في شأنك شيئاً علمتك به، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاّ ما قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً وَساءَ سَبِيلاً﴾[5] فلحقت بأهلها وكانت نساء في

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٨٧+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ٣٠٣. ولم يذكر هذا السبب ولا غيره كل من: الطبري في تفسيره، ٢/ ٦٥ وابن كثير في تفسيره، ١/ ٣٣٦ والطوسي في تفسيره، ٣/ ٣٥٥ والواحدي في أسباب النزول، ٦٣ والسيوطي في لباب النقول، ٤٩. عند تفسيرهم لهذه الآية.

(٢) البقرة/ ٢٧٨.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٣/ ٣٦٥+ مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٩٢+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ٢٤٦+ مواهب الرحمن، السبزواري، ٤/ ٤٧٣-٤٧٤. وقارن بأسباب النزول، الواحدي، ٦٥+ لباب النقول، السيوطي، ٥٠.

(٤) النساء/ ١٩.

(٥) النساء/ ٢٢.

المدينة قد ورث نكاحهن كما ورث نكاح كبيشة غير أنه ورثهن من الأبناء فأنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾[1][2].

وفي أسباب الواحدي ولباب السيوطي عن عكرمة عن ابن عباس في الآية الشريفة قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها وأن شاؤوا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية[3].

وكل هذه الروايات من الفريقين تنكر ما كان شائعاً في الجاهلية من أنه يجرون على النساء حكم المتاع والعروض، بل يستفاد من الآية أنها كانت بزعمهم بمنزلة أي شيء آخر لا إرادة لها ولا اختيار وذلك من إضافة الوراثة إلى النساء إلا أن وراثة النساء كانت وراثة خاصة لم تكن في عرض وراثة سائر الأموال.

فجاءت هذه الآية المباركة لكي تنهى عن تلك العادات التي لم ينزل بها سلطان، وتضمنت قوانين الهية وعقلية قررها الوحي المبين وهي أمور اجتماعية مما يسعد بها المجتمع والحياة الزوجية.

٧-في سبب نزول قوله تعالى: ﴿... إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم﴾[4] قال الطبرسي المروي عن أبي جعفر الباقر أنه قال: المراد بقوله: ﴿قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ هو هلال بن عويمر السلمي واثق عن قومه رسول الله فقال في موادعته على أن لا تحيف يا محمد من أتانا ولا نحيف من أتاك، فنهى الله أن يتعرض لأحد عهد إليهم وبه قال السدي وابن زيد[5].

---

(١) النساء/ ١٩.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ٢٢+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٨٢+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ١٣٤+ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ٤/ ٢٥٨.

(٣) أسباب النزول، الواحدي، ١٠٢-١٠٣+ لباب النقول، السيوطي، ٦٥.

(٤) النساء/ ٩٠.

(٥) مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ٨٨. وروى هذا السبب بلفظ قريب الواحدي في أسباب النزول ص١١٧ عن مجاهد، وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس باللفظ نفسه. انظر: لباب النقول، السيوطي، ٧٦، وذكر ابن كثير سبباً آخر لنزول هذه الآية، ١/ ٥٣٢.

ومعنى الآية -والله أعلم- يريد بهذا (جلّ وعلا) أن من يلتجئ من أولئك المنافقين إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد في المهادنة وترك القتال، أن هذا اللاجيء يترك لا يؤسر ولا يقتل، لأنه -والحال هذه- يكون مسالماً للمسلمين تماماً كالذين التجأ إليهم فيعامل معاملتهم في عدم التعرض له، ومن المفيد أن ننقل ما قاله الرازي هنا: أعلم أن ذلك يتضمن بشارة عظيمة لأهل الإيمان، لأنه تعالى لما رفع السيف عمن التجأ إلى المسلمين فان يرفع العذاب في الآخرة عمن التجأ إلى محبة الله ومحبة رسوله كان أولى[1].

٨-في قوله تعالى: ﴿...سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا...﴾[2].

اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية:

-عن ابن عباس ومجاهد: أنها نزلت في أناس كانوا يأتون النبي (ﷺ) فيسلمون رياءً ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا قومهم ويأمنوا نبي الله فأبى الله ذلك عليهم[3].

-عن السدي: أنها نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي كان ينقل الحديث بين النبي وبين المشركين[4].

-والمروي عن الإمام أبي جعفر الباقر: أنها نزلت في عيينة بن حصن الفزاري وذلك أنه أجدبت بلادهم فجاء إلى رسول الله(ﷺ) ووادعه على أن يقيم ببطن نخل ولا يتعرض له، وكان منافقاً ملعوناً وهو الذي سماه رسول الله الأحمق المطاع في قومه[5].

ومهما يكن من أمر في سبب نزول هذه الآية إلا أن اختيار الطبري هو المستفاد

---

(١) التفسير الكبير، الرازي، ١٠/ ٢٢٩.

(٢) النساء، ٩١.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٥/ ١٢٠+ معاني القرآن، الفراء، ١/ ٢٨٢.

(٤) جامع البيان، الطبري، ٥/ ١٢٧.

(٥) مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ٨٨.

من تفسيرها لقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهو قوله: كلما ردوا إلى الاختبار ليرجعوا إلى الكفر والشرك رجعوا إليه[1].

٩-في سبب نزوله قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[2] قال الإمام الباقر: كانت بنت محمد بن سلمة عند رافع بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امرأة شابة سواها فطلقها تطليقة حتى إذا بقي من أجلها يسير قال: إن شئت راجعتك وصبرت على الأثرة وإن شئت تركتك، قالت: بل راجعني واصبر على الأثرة، فراجعها، فذلك الصلح الذي بلغنا إن الله تعالى أنزل فيه هذه الآية[3].

وروي عن سعيد بن المسيب مثله[4]، وروي عن عكرمة عن ابن عباس سبب آخر هو: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله(ﷺ) فقالت: يا رسول الله لا تطلقني واجعل يومي لعائشة ففعل، فنزلت الآية. وبلفظ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مثله، غير أن ابن كثير نقل قول الترمذي عن الرواية الأولى بقوله: حسن غريب، وعن الثانية: غريب مرسل[5].

ولذلك يترجح عندنا، أن رواية الإمام الباقر وسعيد بن المسيب هي الأولى بالقبول.

١٠-في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْواناً﴾[6]، عن السدي عن الإمام الباقر قال: إنها نزلت في

---

(١) جامع البيان، الطبري، ٥/ ١٢٧.

(٢) النساء/ ١٢٨.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ١١٩-٢٠٠+ كنز العرفان، المقداد السيوري، ٣/ ٧٩.

(٤) جامع البيان، الطبري، ٥/ ١٩٨ـ ١٩٩+ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ١/ ٥٦٢+ أسباب النزول، الواحدي،١٢٧+ لباب النقول، السيوطي، ٨٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ١/ ٥٦٢.

(٦) المائدة/ ٢.

الحطم بن هند البكري، أنه جاء إلى النبي(ﷺ) ودخل المدينة وحده خلف خيله خارج المدينة فقال: إلى ما تدعو؟ -وقد كان النبي(ﷺ) قال لأصحابه: يدخل عليكم اليوم رجل من بني ربيعة يتكلم بلسان شيطان -فلما أجابه النبي(ﷺ) قال: انظرني لعلي أسلم ولي من أشاوره، فخرج من عنده فقال رسول الله(ﷺ): لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر. فمر بسرح من سروح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول:

قد لفها الليل بسواق حطم ليس براع ابل ولا غنم
ولا بجزاز على ظهر وضم بات نياماً وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم

ثم أقبل من عام قابل حاجاً قد قلد هدياً فأراد رسول الله أن يبعث إليه، فنزلت هذه الآية[1].

١١-في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[2]، عن زياد بن المنذر عن الإمام الباقر قال: كان رسول الله(ﷺ) يحب إسلام الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فدعاه رسول الله(ﷺ) أن يسلم فغلب عليه الشقاء فشق ذلك على رسول الله، فأنزل الله الآية[3].

١٢- أخرج العياشي بسنده عن محمد بن مسلم في قوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[4] عن الإمام الباقر قال:

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ١٥٣ـ ١٥٤+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ١١٣. وقد روى هذا السبب أيضاً كل من الطبري في تفسيره ٦/ ٣٥ـ ٣٦ عن السدي وعكرمة وابن جريج وكذلك الواحدي في أسباب النزول، ١٣٠ عن ابن عباس، والسيوطي في لباب النقول ص٨٦ عن عكرمة والسدي.

(٢) الأنعام. ٣٥.

(٣) تفسير القرآن، القمي، ١/ ١٩٧. وذكر الواحدي هذا السبب لآية اخرى وهي ٣٣ من الأنعام عن مقاتل ص١٤٩ فقارن.

(٤) الأنعام/ ١٤١.

لا يكون الحصاد والجذاذ بالليل أن الله يقول: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ وقال: كان فلان بن فلان الأنصاري -سماه- وكان له حرث وكان إذا جذه تصدق به وظل هو وعياله بغير شيء، فجعل الله ذلك سرفا[1].

١٣-في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾[2]، قال الإمام الباقر: أن النبي (ﷺ) لما نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم أن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف ربه مادا يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ

---

(١) تفسير العياشي، ١/ ٣٧٩+ وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢/ ٤+ التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٨/ ٢٩٦. وانظر لباب النقول، لسيوطي، ١٠٤ فقد أخرج عن ابن جريج: انها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جذ نخله فأطعم حتى امسى وليست له ثمرة.

(٢) الأنفال/ ٩-١٤.

عَذابَ النَّارِ﴾، وهي رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه والسدي وأبي صالح، وقال الإمام الباقر: ولما أمسى رسول الله(ﷺ) وجنه الليل ألقى الله على أصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً حتى لبد الأرض وثبت أقدامهم، وكان المطر على قريش مثل الغزالي، وألقى الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[1][2]

١٤-في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3]، قال الطبرسي: قال الكلبي والزهري: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري وذلك أن رسول الله(ﷺ) حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا النبي(ﷺ) الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى اذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله(ﷺ) إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله(ﷺ) فأتاهم، فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا، فأتى جبرئيل(عليه السلام) لرسول الله فأخبره بذلك، وقال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فيه، فلما نزلت شد نفسه إلى سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى خرّ مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله(ﷺ) هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة:

---

(١) الأنفال/ ١٢.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ٥٢٥ وانظر لباب النقول، السيوطي، ١٠٧ فقد أخرج نقلاً عن الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبر بعينه.

(٣) الأنفال/ ٢٧ـ ٢٨.

أن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي ، فقال النبي(ﷺ) : يجزئك الثلث أن تصدق به ، وهو المروي عن الإمام أبي جعفر الباقر[1] .

١٥-في سبب نزول قوله تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2] ، عن أبي بصير عن الإمام الباقر قال : نزلت في علي والحمزة والعباس وشيبة ، قال العباس : أنا أفضل لأن سقاية الحاج في يدي ، وقال شيبة : أنا أفضل لأن حجاب البيت في يدي ، وقال حمزة : أنا أفضل لأن عمارة البيت في يدي ، وقال علي : أنا أفضل فإني آمنت قبلكم وهاجرت وجاهدت ، فرضوا برسول الله(ﷺ) حكماً ، فأنزل الله الآية[3] .

١٦-في سبب نزول قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[4] ، قال الإمام الباقر : أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبي(ﷺ) لما أراد فتح مكة[5] .

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٩/ ٤٣٦+ مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ٥٣٧ وانظر: أسباب النزول، الواحدي، ١٦٢ـ ١٦٣ ذكر الرواية بالنص بدون ذكر السند.

(٢) التوبة/ ١٩.

(٣) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ١٩٣+ مجمع البيان، الطبرسي، ١٠/ ١٤-١٥ فقد أورد الرواية نفسها مرة عن الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وثانية عن ابن سيرين ومرة الهمداني وأخرى عن ابن بريدة عن أبيه، وانظر: أسباب النزول، الواحدي، ١٦٩ عن الحسن والشعبي والقرظي مرة وعن ابن سيرين ومرة أخرى عن الهمداني، وكذلك السيوطي في لباب النقول ص١١٦.

(٤) التوبة/ ٢٣ـ ٢٤.

(٥) مجمع البيان، الطبرسي، ١٠/ ١٦. وانظر: أسباب النزول، الواحدي، ١٦٩ فقد ذكر سببا آخر لنزول هذه الآيات عن الكلبي، وانظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ١/ ٢٩٩ـ ٣٠٠ في ترجمة حاطب بن أبي بلتعة فانه روى السبب المروي عن الباقر مفصلاً عن علي بن أبي طالب.

١٧- في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾(١) عن زياد بن المنذر عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: وذلك أن أهل المدينة قبل أن يسلموا كان يعتزلون الأعمى والأعرج والمريض لا يأكلون معهم وكانت الأنصار في نبل وتكرم معهم فقالوا: أن الأعمى لا يبصر الطعام والأعرج لا يستطيع الزحام والمريض لا يأكل كما يأكل الصحيح فعزلوا لهم طعامهم على ناحية وكانوا يرون في مؤاكلتهم جناحاً وكان الأعرج والأعمى والمريض يقولون لعلنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم فاعتزلوا مؤاكلتنا، فلما قدم النبي(ﷺ) سألوه في ذلك، فأنزل الله هذه الآية(٢).

١٨- في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(٣) عن زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم الطائفي عن الإمام الباقر قال: نزلت هذه الآية في رسول الله(ﷺ) وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين(عليهم السلام) وذلك في بيت أم سلمة زوج رسول الله(ﷺ)، فدعا رسول الله علياً وفاطمة والحسن والحسين ثم ألبسهم كساءً خيبرياً ودخل معهم ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً(٤).

وقد أخرج الطوسي والطبرسي هذا السبب لنزول هذه الآية عن طريق أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك وواثلة بن الاسقع وعائشة وأم سلمة وجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين(٥).

---

(١) النور/ ٦١.

(٢) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ١٠٨- ١٠٩+ مقتنيات الدرر، الحائري، ٧/ ٢٨١. وانظر: احكام القرآن، ابن العربي، ٣/ ١٤٠٣ حيث أورد ثمانية أقوال في سبب نزول هذه الآية وجعل هذا السبب هو الأول ورواه عن ابن عباس ورجحه، وانظر: أسباب النزول، الواحدي، ٢٣٢ ذكر نفس الرواية عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك، وكذلك انظر: لباب النقول، السيوطي، ١٦٠.

(٣) الأحزاب/ ٣٣.

(٤) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٣١٣+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٣٥١- ٣٥٢.

(٥) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢٢/ ٣٣٨+ مجمع البيان، الطبرسي، ١٢/ ٣٥٦- ٣٥٧.

ثم أن الأخبار الصحيحة الواردة في أن علياً وفاطمة والحسن والحسين هم آل النبي (ﷺ) كثيرة جداً ذكرت في مواضع شتى في باب نزول آية التطهير[1].

١٩ - أخرج السيوطي بسنده عن جعفر بن محمد رضي الله عنه في سبب نزول سورة الكوثر عن أبيه الإمام الباقر قال: توفي القاسم بن رسول الله (ﷺ) بمكة فمر رسول الله وهو آت من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو فقال حين رأى رسول الله (ﷺ) أني لاشنؤه، فقال العاص بن وائل لا جرم لقد أصبح أبتر، فأنزل الله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[2][3].

وبهذا المثال نختتم هذا المبحث لاعتقادنا أننا قد بينا جهد الإمام الباقر وإسهامه في بيان أسباب النزول وتوجيهه لبعض منها، ويمكننا أن نصل إلى نتائج نراها مهمة في توضيح ذلك الجهد، وهي:

أ- قد تبين لنا خلال البحث والاستقصاء أنه قلما توجد آية قرآنية فيها سبب نزول ولم يذكره الإمام الباقر، حتى أنه ذكر أسباباً لنزول بعض الآيات فات العلماء أن يذكروها.

ب- وتبين أيضاً من خلال الأمثلة التي قدمناها، أنه قد روى عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله وابن عباس وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، وعن غيرهم من الصحابة.

ج- أن كثيراً من التابعين قد أخذوا عنه بعض أسباب النزول.

د- أنه وافق كثيراً من الأقوال التي أثرت عن بعض الصحابة والتابعين، فلم تكن الأسباب التي ذكرها الإمام الباقر بخارجة عن نطاق ما يعرفه العلماء، أي أنه لم يكن له رأي اجتهادي أو عقلي فيها.

---

(١) ظ: مستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ٣/ ١٤٧+ المسند، الإمام أحمد بن حنبل، ٦/ ٢٩٦+ ذخائر العقبى، محب الدين الطبري، ٢١+ جامع البيان، الطبري، ٢٢/ ٦-٧ حيث اورد هذا السبب عن اربعة عشر طريقاً عن الصحابة+ احكام القرآن، ابن العربي، ٣/ ١٣٥٨+ اسباب النزول، الواحدي، ٢٥١- ٢٥٢، وغيرها كثير فراجع.

(٢) الكوثر/ ٣.

(٣) الدر المنثور، السيوطي، ٦/ ٤٠٤+ اسرار التنزيل، البيضاوي، ٤٦٧. واورده الطبرسي في تفسيره ١٠/ ٥٥٠ عن مجاهد، وانظر: اسباب النزول، الواحدي ٣٤١+ لباب النقول، السيوطي، ٢٣٥.

المبحث الثالث

جهوده في القراءات القرآنية

❖ المطلب الأول: حديث الأحرف السبعة وموقفه منه :

لقد اختلف العلماء من صحابة وتابعين في قضية حديث الأحرف السبعة، وكان للإمام الباقر رأي حازم في هذه المسألة، إلا أننا سنعرض أولاً لبعض تلك الروايات المستفيضة في نزول القرآن على سبعة أحرف ومن الجدير بالذكر أن هذه الروايات جاءت جميعاً من طريق الجمهور ولم تأت من طريق الإمامية إطلاقاً، وأهم هذه الروايات هي :

١-أخرج الطبري عن يونس وأبي كريب بإسنادهما عن ابن شهاب، بإسناده عن ابن عباس، حدثه أن رسول الله (ﷺ) قال: اقرأني جبرئيل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف[1]، ورواها مسلم عن حرملة عن ابن وهب عن يونس[2]، ورواها البخاري بسند آخر[3]، وروي مضمونها عن ابن البرقي بإسناده عن ابن عباس.

٢-وأخرج الطبري أيضاً عن أبي كريب، بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن جده عن أُبي بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة انكرتها عليه، ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فدخلنا جميعاً على رسول الله (ﷺ) قال: فقلت: يا رسول الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل هذا فقرأ قراءة غير قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله (ﷺ) فقرءا، فحسن رسول الله (ﷺ) شأنهما، فوقع في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله (ﷺ) ما غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً كأنما انظر إلى الله فرقاً، فقال لي: يا

---

(١) جامع البيان، الطبري، ١/ ١٢.

(٢) صحيح مسلم، باب ان القرآن نزل على سبعة أحرف، ٢/ ٢٠٢.

(٣) صحيح البخاري، باب نزل القرآن على سبعة أحرف ٦/ ١٠٠.

أبي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت عليه أن هون على أمتي ، فرد علي في الثانية أن أقرأ القرآن على حرف[1] ، فرددت عليه أن هون على أمتي ، فَرَدَّ عليَّ في الثالثة أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب فيه إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم (عليه السلام)[2] .

٣-وأخرج الطبري أيضاً عن يونس بن عبد الأعلى ، بإسناده عن عمر بن الخطاب قضية مع هشام بن حكيم تشبه هذه القضية ، وروى البخاري ومسلم والترمذي قصة عمر مع هشام بن حكيم بإسناد غير هذا ، واختلاف في ألفاظ الحديث[3] .

٤-وأخرج الطبري أيضاً عن محمد بن المثنى ، بإسناده عن ابن أبي ليلى عن أُبي بن كعب أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان عند إضاءة بني غفار قال : فأتاه جبرئيل فقال : إن الله يأمرك أن تقريء أمتك القرآن على حرف فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وأن أمتي لا تطيق ذلك ، قال : ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقريء أمتك القرآن على حرفين فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاء الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقريء أمتك على ثلاثة أحرف فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وأن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاء الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقريء أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا[4] .

هذه نماذج من بعض الروايات التي نصت على حديث الأحرف السبعة ، وإن اختلفت في بعض ألفاظها وقد نص على تواترها أبو عبيد

---

(١) وفي صحيح مسلم على حرفين.

(٢) جامع البيان، الطبري، ١/ ٣+ المسند، الإمام أحمد بن حنبل، ٥/ ١٢٧+ صحيح مسلم بشرح النووي، ٦/ ١٠١ـ ١٠٢+ السنن، أبي داوود، ٢/ ٧٦+ مجمع الزوائد، الهيثمي، ٥/ ١٢٨ بطرق أخرى.

(٣) صحيح البخاري، ٣/ ٩٠، ٦/ ١٠٠، ٨/ ٥٣، ٢١٥+ صحيح مسلم، ٢/ ٢٠٢+ صحيح الترمذي بشرح ابن العربي، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف، ١١/ ٦٠.

(٤) جامع البيان، الطبري، ١/ ١٤.

القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ) فقد روى هذا الحديث أكثر من عشرين صحابياً عن النبي (ﷺ) وشاع بين الصحابة والتابعين[1].

وقد ورد من طريق الإمامية عن أهل البيت(عليهم السلام) وخاصة الإمام الباقر ما يخالف ظاهرا هذه الروايات جميعاً بَيَّنَ فيها موقفه من حديث الأحرف السبعة، وموقفه هذا هو موقف جميع أئمة آل البيت، ومن جملة هذه الروايات التي نقلت بهذا الصدد، رواية وردت عن الإمام أبي جعفر الباقر وهي:

-روى محمد بن يعقوب عن الحسين بن محمد، عن الوشاء عن جميل بن دراج عن محمد بن مسلم عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر الباقر قال: إن القرآن واحد نزل من عند الواحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة[2].

ومن المعروف عند الإمامية أن المرجع في أمور الدين بعد القرآن الكريم إنما هي السنة النبوية الشريفة وسنة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم هي امتداد طبيعي لأقوال وأفعال وتقريرات جدهم(ﷺ).

وهناك أشكالات عديدة حول مفهوم الأحرف السبعة وأن المسلمين إلى اليوم لم يصلوا إلى معناه، ولا يمكن أن يحتج بغير الواضح فما زال الخلاف قائماً في معنى الحديث وترجمته، على أنه معارض بحديث الإمام الباقر المتقدم في نزول القرآن على حرف واحد وعلى هذا لا دلالة في هذه الحروف السبعة على القراءات السبعة، وإذا كان القرآن قد أنزل على سبعة أحرف فالإنزال حينئذ يكون توقيفياً، وتعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه وصيانته لأنه ذكر، والذكر

---

(١) ظ: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ١/ ٢١+ الاتقان، السيوطي، ١/ ١٣١. وهذه الروايات كلها موجودة في: المسند، الإمام أحمد، ٥/ ١١٢، ١١٤، ١٢٤، ١٣٢+ السنن، أبو داود، ٢/ ٧٦+ سنن الترمذي بشرح التحفة، ٨/ ٦٣+ السنن، النسائي، ٢/ ١٥٢، ١٥٣+ اليوم والليلة، النسائي، ٤٦١+ جامع البيان، الطبري، ١/ ١٢، ١٥- ٢٠+ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/ ٤٣، وقد جمع الدكتور عبد الصبور شاهين هذه الروايات والحقها في كتابه، تاريخ القرآن، ٢٢٩- ٢٣٥ فلتراجع.

(٢) أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، كتاب فضل القرآن -باب النوادر، الرواية ١٢، ٢/ ٦٣٠+ الشافي في شرح أصول الكافي، الشيخ عبد الحسين المظفر، ٧/ ٢٢١+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ١٤٩+ البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ١٩٣.

قرآن ، والقرآن مصان لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

إذن فالإمام الباقر يقرر أن القرآن واحد أي على حرف واحد وليس على سبعة أحرف إلا أنه لم ينكر القراءات القرآنية ولم ينف وجودها لأن في ذلك مخالفة لواقع الحال بل كان على العكس من ذلك فالمتتبع لقراءاته(عليه السلام) يجد أن له باعاً طويلاً فيها ، ناهيك عن تصريحه وتصريح غيره من أئمة أهل البيت من أن أصح قراءة عندهم هي قراءة أبي بن كعب (رضي الله عنه) كما ورد عنهم في بعض الروايات[2] ، فلذلك نستطيع أن نقول: إن الإمام الباقر لم ينكر صحة صدور الحديث عن جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) بل أراد أن يوجه الحديث وجهة أخرى غير ما تعارف عليه بعض المسلمين آنذاك من أن المقصود بالأحرف السبعة هي القراءات السبع ، ولعله كان يقصد بأن نزول القرآن الكريم على أحرف سبع هي اللهجات العربية في ذلك الوقت فمنهم من يلفظ (الحاء) (عينا) ، ومنهم من يلفظ (القاف) (كافا) وهكذا -والله أعلم- .

❖ **المطلب الثاني: حجية القراءات عند الإمامية :**

يكاد ينعقد إجماع الإمامية كانعقاد إجماع المسلمين على حجية هذه القراءات وتواترها -سواء أكان التواتر عن النبي(صلى الله عليه وآله) أو عن أصحابها- وعلى جواز القراءة بها في الصلاة وغيرها ، وهذا استعراض لجملة من أراء علمائهم المحققين في هذه المسألة ، نبدأها برواية صحيحة رواها محمد بن يعقوب الكليني بسنده عن الإمام الصادق أنه قال: اقرأوا كما يقرأ الناس واقرأوا كما علمتم[3] .

أي أن الإمام الصادق يوصي أصحابه وأتباعه أن يقرأوا مثل قراءة الناس وما شاع واشتهر من القراءة بين ظهرانيهم وأن يقرأوا كما علموا من قبل القراء وغيرهم .

---

(١) الحجر/ ٩.

(٢) ظ: أصول الكافي، الكليني، ٢/ ٦٣٤+ الشافي في شرح أصول الكافي، الشيخ عبد الحسين المظفر، ٧/ ٢٢٧ رقم الحديث ٣٥٩٦.

(٣) أصول الكافي، الكليني، باب نوادر فضل القرآن ٢/ ٦٣١.

وقال الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) وهو يتحدث عن رأي الإمامية في الموضوع: واعلموا أن العرف في مذهب أصحابنا والشايع من أخبارهم ورواياتهم أن القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد غير أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء، وأن الانسان مخير بأي قراءة شاء قرأ، وكرهوا تجريد قراءة بعينها، بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء، ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحضر[(١)].

وقد حكى الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) الإجماع عليه فقال: أعلم أن الظاهر من مذهب الإمامية أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما تداوله القراء بينهم من القراءات، إلا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة[(٢)].

وذهب الشهيد الأول (ت: ٧٨٦هـ) من الإمامية إلى أن القراءات متواترة، ومجمع على القراءة بها، وتابعه الخوانساري في ذلك ونفى الخلاف على حجية السبع منهم مطلقاً، والثلاث المكملة للعشر في الجملة، بل اعتبر تواترها بوجوهها السبعة عن رسول الله عند قاطبة أهل الاسلام[(٣)].

وقد انتهى السيد العاملي إلى الإجماع على تواتر القراءات ونعتها به وحكاه عن المنتهى والتحرير والتذكرة والذكرى والموجز الحاوي وغيرها من أمهات كتب الإمامية مما يقطع به تواترها حرفاً حرفاً، وحركة حركة[(٤)].

وقد فصل الخوئي في القول فذهب إلى عدم حجية هذه القراءات فلا يستند بها على الحكم الشرعي، إذ لم يتضح عنده كون القراءات رواية، فلعلها اجتهادات في القراءة ولكنه جوز الصلاة بها نظراً لتقرير المعصومين لها، وذلك يشمل كل قراءة متعارفة زمن أهل البيت إلا الشاذة فلا يشملها التقرير[(٥)].

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ١/ ٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ١/ ١٢.

(٣) ظ: روضات الجنات، الخوانساري، ٢٦٣.

(٤) مفتاح الكرامة، العاملي، ٢/ ٢٩٠.

(٥) ظ: البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ١٦٤ـ ١٦٧.

ومن هذا يتبين أن القراءات القرآنية قد انعقد اجماع الإمامية على حجتها وجواز الصلاة بها إلا ما شذ من رأي الخوئي من عدم الاستدلال بها على الحكم الشرعي، وكان ذلك رد فعل لما حكاه العاملي من تمسكه بأن القراءات القرآنية متواترة عن رسول الله(ﷺ) غير أن توسط هذين الرأيين هو أن القراءات القرآنية حجة وأنها تجوز الصلاة بأيها كان عدا القراءة المفردة الشاذة كما تقدم.

❖ المطلب الثالث: تطبيقات من قراءات الإمام الباقر:

بعد أن استقصينا قراءات الإمام الباقر في مصادر الحديث والتفسير وجدناها قليلة إذا ما قيست بما أثر عنه في العلوم القرآنية الأخرى كما رأينا وسنرى فهي لا تتجاوز ثلاثين رواية روتها عنه كتب التفسير أغلبها قد قرأ بها بعض الصحابة والتابعين فلذلك -في حدود ما اطلعت عليه- لم تكن للإمام الباقر قراءة مفردة بعينها وإليك بعض تلك القراءات:

١- قوله تعالى: ﴿...وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ...﴾[1] قرأها الإمام الباقر: ﴿...وَلاَ تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ...﴾. بفتح التاء وجزم اللام. قاله الفراء والطوسي[2].

٢- قوله تعالى: ﴿...وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها...﴾[3] قرأها الإمام الباقر: ﴿...وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلاَّها...﴾ قاله الطوسي والرازي وابن كثير[4].

٣- قوله تعالى: ﴿...وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً..﴾[5] قرأها الإمام الباقر برواية أبي القاسم البلخي عنه: ﴿...وَلا تَقُولُوا

---

(١) البقرة/ ١١٩.

(٢) معاني القرآن، الفراء، ١/ ٧٥+ التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، ١/ ٤٣٦+ مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ١٩٦. وقرأ بها ابن عباس ونافع ويعقوب. انظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ١/ ١٠٧ ومصادره.

(٣) البقرة/ ١٤٨.

(٤) معاني القرآن، الفراء، ١/ ٩٠+ التبيان في تفسير القرآن، الطوسي،٢/ ٢٣+ مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٢٣٠+ التفسير الكبير، الرازي، ٤/ ١٤٤+ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ١٩٤+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ١٢٧. وقرأ بها ابن عباس وابن عامر وأبو بكر بن عاصم وأبو رجاء وشريح. انظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ١/ ١٢٦ ومصادره.

(٥) النساء/ ٩٤.

﴿...لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمَنًا...﴾ بفتح الميم الثانية. قاله الطوسي والطبرسي[1].

٤-قوله تعالى: ﴿...يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ...﴾[2] عن زرارة ومحمد بن مسلم قرأ الإمام الباقر: ﴿...يَحْكُمُ بِهِ ذَوْ عَدْلٍ مِنْكُمْ...﴾ قاله الطبرسي والسيوري وغيرهما[3].

٥-قوله تعالى: ﴿...لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ...﴾[4] قرأ الإمام الباقر: ﴿...أَوْ تَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ تُعَذِّبَهُمْ...﴾ بالتاء، قاله العياشي[5].

٦-قوله تعالى: ﴿...وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾[6] روى الشيخ الطوسي عن غالب بن الهذيل قال: سألت أبا جعفر(عليه السلام) عن الآية على الخفض هي أم على النصب؟ قال(عليه السلام): بل هي على الخفض[7] يعني ﴿...وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٣/ ٣٤+ مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ٩٤. وقرأ بها أبو جعفر الرواسي وعلي وابن عباس وعكرمة وأبو العالية ويحيى بن يعمر وعيسى بن وردان وابن جماز. انظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ٢/ ١٥٥ ومصادره.

(٢) المائدة/ ٩٥.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٢٤٢+ كنز العرفان، المقداد السيوري، ١/ ١٦٥+ مقتنيات الدرر، سيد مير علي الحائري، ٤/ ٩٨+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ٨٣. وقرأ بها ابنه الإمام الصادق، انظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ٢/ ٢٢٨ ومصادره.

(٤) آل عمران/ ١٢٨.

(٥) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ١٥٢+ مقتنيات الدرر، سيد مير علي الحائري، ٢/ ٦٧. ولم نجد في معجم القراءات القرآنية من قرأ بهذه القراءة. انظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ٢/ ٦٥.

(٦) المائدة/ ٦.

(٧) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١/ ٢٨٦+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ٤٥٤+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٣٠+ كنز العرفان، المقداد السيوري، ١/ ١٩+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ٢٣+ معاني القرآن، الفراء، ١/ ٣٠٢. وقرأ بها ابن كثير، أبو عمرو، حمزة، أبو بكر، عكرمة، ابن عباس، الباقر، قتادة، علقمة، وغيرهم، ظ: معجم القراءات القرآنية، ٣/ ١٩٥.

٧-قوله تعالى: ﴿...يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ...﴾[١] قرأ الإمام الباقر أبو جعفر الباقر: ﴿...يَسْئَلُونَكَ الْأَنفال...﴾ قاله الطبرسي والجزائري[٢].

٨-قوله تعالى: ﴿...التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ...﴾[٣] قرأها الإمام الباقر: ﴿...التَّائِبِينَ الْعابِدِينَ الْحامِدِينَ...﴾ وهي قراءة أبي وابن مسعود قاله الفراء والطبرسي[٤].

٩-قوله تعالى: ﴿...أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ...﴾[٥] قرأها الإمام الباقر: ﴿...أَلا إِنَّهُمْ تَثْنَونِي صُدُورُهُمْ...﴾ وهي قراءة يحيى بن يعمر وعلي بن الحسين وزيد بن علي، قاله الطبرسي[٦]، وهي قراءة ابن عباس عن الفراء[٧].

١٠-قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ...﴾[٨] عن محمد بن مسلم قرأ الإمام الباقر ﴿وَنادى نُوحٌ ابْنَهَ...﴾ وهي قراءة الإمام علي وعروة بن الزبير، عن جملة من المفسرين[٩].



---

(١) الانفال/ ١.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٤/ ٥١٦+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ٣٣٠، وقد روى الطبرسي: انها قراءة كل من: ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وزين العابدين علي بن الحسين وزيد بن علي وطلحة بن مصرف، ٤/ ٥١٦، واضاف صاحب معجم القراءات القرآنية كلا من جعفر الصادق وعكرمة وعطاء والضحاك. انظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ٢/ ٤٣٧.

(٣) التوبة/ ١١٢.

(٤) معاني القرآن، الفراء، ١/ ٤٥٣+ مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ٧٤. وقرا بها الأعمش، انظر: معجم القراءات القرانية، د. احمد مختار عمر، ٣/ ٤٧ ومصادره.

(٥) هود/ ٥.

(٦) مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ١٤٢.

(٧) معاني القرآن، الفراء، ٢/ ٣. وقرا بها: ابن عباس وعلي بن الحسين وزيد بن علي ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن ابزى وعاصم الجحدري وعبد الله بن اسحق وأبو الأسود الدؤلي وابو رزين والضحاك. انظر: معجم القراءات القرآنية، د. احمد مختار عمر، ٣/ ١٠٠ ومصادره.

(٨) هود/ ٤٢.

(٩) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ١٤٨+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٢٢٢+ التفسير الكبير، الرازي، ١٧/ ٢٤٠+ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٢٤١+ الدر المنثور، السيوطي، ٣/ ٣٣٤+ مقتنيات الدرر، سيد مير علي الحائري، ٥/ ٣١٥. وقرا بها: علي بن الحسين وجعفر بن محمد، انظر: معجم القراءات القرانية، د. احمد مختار عمر، ٣/ ١١٢-١١٣ ومصادره.

١١-قوله تعالى: ﴿...قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا...﴾[1] قرأها الإمام الباقر: ﴿...قَدْ شَعَفَهَا حُبًّا...﴾ بالعين، وهي قراءة الإمام علي والحسن وعلي بن الحسين ويحيى بن يعمر وقتادة ومجاهد بخلاف وابن محيصن، قاله الطبرسي وغيره[2].

١٢-قوله تعالى: ﴿...أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ...﴾[3] قرأ الإمام الباقر: ﴿...أَنْ نُتَّخَذَ...﴾ بضم النون وفتح الخاء، قاله الطبرسي[4].

١٣-قوله تعالى: ﴿...يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا...﴾[5] قرأ الإمام الباقر: ﴿...يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا...﴾ وهي قراءة الإمام علي، قاله الطبرسي[6]. وهي قراءة تفسيرية.

١٤-قوله تعالى: ﴿...خِفْتُ الْمَوَالِيَ...﴾[7] قرأ الإمام الباقر: ﴿...خَفَّتِ الْمَوَالِي...﴾ بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر تاء التأنيث[8]، وهي قراءة عثمان بن عفان وابن عباس وزيد بن ثابت وعلي بن الحسين وسعيد بن جبير، قاله الطبرسي[9].

---

(١) يوسف/ ٣٠.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ٢٢٨ وانظر: معاني القرآن، الفراء، ٢/ ٤٢ + جامع البيان، الطبري، ١٢/ ١١١+ التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ١٢/ ١٢٩+ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/ ١٧٧+ فتح القدير، الشوكاني، ٢/ ١٩. وقرأ بها جعفر بن محمد والشعبي، وعوف، انظر: معجم القراءات القرآنية، د. احمد مختار عمر، ٣/ ١٦٤ ومصادره.

(٣) الفرقان/ ١٨.

(٤) مجمع البيان، الطبرسي، ٧/ ١٦٢+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ١٨٩. وقرأ بها ابن عامر وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو الرجاء ونصر بن علقمة وزيد بن علي ومكحول وحفص وابراهيم النخعي وشيبة ومجاهد والحسن وغيرهم. انظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ٤/ ٢٧٩ ومصادره.

(٥) الكهف/ ٧٩.

(٦) مجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ٤٨١. وقرأ بها: أُبي وابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير. انظر: معجم القراءات القرآنية. د. أحمد مختار عمر، ٤/ ٧ ومصادره.

(٧) مريم/ ٥.

(٨) روح المعاني، الالوسي، ١٦/ ١٦.

(٩) مجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ٥٠٠+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٣٤٩+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٥٣٨. وقرأ بها سعيد بن العاص وزيد بن علي وشبيل بن عزرة والوليد بن مسلم. انظر: معجم القراءات القرآنية، د. احمد مختار عمر، ٤/ ٣٠ ومصادره.

١٥-قوله تعالى: ﴿...عَلَيْهَا صَوَافَّ...﴾[١] قرأها الإمام الباقر: ﴿...عَلَيْهَا صَوَافِنَ...﴾ بالنون، وهي قراءة عبد الله بن مسعود وابن عمر وابن عباس وقتادة وعطاء والضحاك، قاله الطبرسي والقرطبي[٢].

١٦-قوله تعالى: ﴿...تَصَدَّى﴾[٣] و ﴿...تَلَهَّى﴾[٤] قرأ الإمام الباقر: ﴿...تُصَدَّى﴾ و ﴿...تُلَهَّى﴾ بضم التاء، قاله الطبرسي[٥].

١٧- قوله تعالى: ﴿...وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ﴾[٦] قرأ الإمام الباقر: ﴿وَإِذَا الْمَوَدَّةُ سُئِلَتْ﴾، ووضح الإمام الباقر الحجة في هذه القراءة بقوله: يعني قرابة رسول الله(ﷺ) ومن قتل في جهاد. وقرأ بها جعفر بن محمد الصادق وعبد الله بن عباس، قاله الطبرسي وغيره[٧].. ونص الالوسي على أن هذه القراءة انفرد بها مجمع البيان، ثم قال -والعهدة عليه- والمراد بها: الرحم والقرابة، وعن أبي جعفر قرابة الرسول(ﷺ)، ويراد بقتلها: قطعها[٨].

المبحث الرابع

جهوده في فضائل القرآن

❖ المطلب الأول: ما ورد عنه في فضل القرآن بالجملة:

فضائل القرآن هو نوع من علوم القرآن، أفرد له المحققون بالتصنيف، وقد ساهم الإمام الباقر في هذا النوع ببعض الروايات اعتمدها بعض المصنفين في

---

(١) الحج/ ٣٦.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٧/ ١٨٥+ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢/ ٦٢+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ٨٢. وقرأ بها الكلبي والأعمش وإبراهيم النخعي، انظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ٤/ ١٨٢ ومصادره.

(٣) عبس/ ٦.

(٤) عبس/ ١٠.

(٥) مجمع البيان، الطبرسي، ١٠/ ٤٣٦+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٧٨٧. وقرا بكلتا القراءتين أبو جعفر الرؤاسي، انظر: معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ٨/ ٧٣ـ ٧٥ ومصادره.

(٦) التكوير/ ٨.

(٧) مجمع البيان، الطبرسي، ١٠/ ٤٤٢+ تفسير فرات، فرات بن إبراهيم الكوفي، ٢٠٣.

(٨) روح المعاني، الالوسي، ٣٠/ ٥٣+ معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ٨/ ٨٢.

كتبهم نقل فيها الإمام أقوال جده رسول الله(ﷺ) بما نقله عن آبائه الكرام، وإليك تلك الروايات:

١-أخرج العياشي بإسناده عن عمرو بن قيس عن الإمام الباقر قال: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله(ﷺ) وجعل لكل شيء حداً، وجعل دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً[1].

٢-وأخرج العياشي أيضاً بإسناده عن سعد بن طريف قال: سمعت أبا جعفر الباقر يقول: قال رسول الله(ﷺ): أعطيت الطوال مكان التوراة، وأعطيت المأين مكان الانجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل سبع وستين سورة[2].

٣-وحث الإمام الباقر على تلاوة القرآن الكريم لأنه المنبع الفياض لهداية الناس واستقامتهم وهو مما يحيي القلوب، فقد روي بسند صحيح عن أبي بصير قال: روى الإمام الباقر عن جده رسول الله(ﷺ) في فضل تلاوته قال: قال رسول الله(ﷺ): من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة كتب من القانتين، ومن قرأ مائتين آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من تبر[3].

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٦+ الشافي في شرح أصول الكافي، الشيخ عبد الحسين المظفر، ٢١٨/٦.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٢٥. وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه ان رسول الله (ﷺ) قال: أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المأين، وأعطيت مكان الانجيل المثاني، وفضلت بالمفصل، رواه أحمد، وفي إسناده عمران القطان، انظر: الترغيب والترهيب، المنذري، ٣٦٨/٢.

(٣) التهذيب الشيخ الطوسي، ١/ ٥٦+ أصول الكافي، الكليني، ١/ ٣٧٠+ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ١٩/ ٧٢- ٧٤. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): من قرا عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين، ومن قرا في ليلة مائة آية كتب من القانتين، رواه ابن خزيمة في صحيحه والحاكم، واللفظ له، وقال: صحيح على شرطهما، انظر: الترغيب والترهيب، المنذري، ٢/ ٣٥٦.

٤-وروى أبو بصير قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إذا قرأت القرآن فرفعت صوتي جاءني الشيطان فقال: إنما ترائي أهلك والناس، فقال الإمام الباقر: يا أبا محمد اقرأ قراءة ما بين القراءتين، تسمع أهلك، ورجع بالقرآن صوتك فان الله يحب الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعاً(١).

❖ المطلب الثاني: ما ورد عنه في فضل آيات أو سور بعينها:

١-أخرج السيوطي عن أبي جعفر بن علي قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب(٢).

٢-وأخرج السيوطي أيضاً عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: لم كتمتم بسم الله الرحمن الرحيم نعم الاسم والله كتموا، فان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان إذا دخل منزله اجتمعت قريش فيجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ويرفع صوته بها فتولي قريش فراراً، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾(٣)(٤).

٣-وأخرج محمد بن يعقوب بسند صحيح عن فرات بن الاحنف قال: سمعت أبا جعفر الباقر يقول: أول كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي أن لا تستعيذ، وإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم سترك فيما بين السموات والأرض(٥).

٤-أخرج الشيخ الطوسي بإسناد صحيح عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر قال: بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى الاسم الأعظم من ناظر العين إلى بياضها(٦).

---

(١) أصول الكافي، الكليني، ١/ ٣٧٢.

(٢) الدر المنثور، السيوطي، ١/ ١٠.

(٣) الاسراء/ ٤٦.

(٤) الدر المنثور، السيوطي، ٤/ ١٨٧.

(٥) أصول الكافي، الكليني، ٧/ ٣٢٠+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٥.

(٦) تهذيب الأحكام، الطوسي، ٢/ ١٢+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٨. واخرج السيوطي عن ابن عباس: أن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال: هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب. الدر المنثور، السيوطي، ١/ ٨.

٥-وأخرج محمد بن يعقوب بسنده عن سلمة بن محرز ومحمد بن مسلم قالا: سمعنا أبا جعفر يقول: من لم يبرأه الحمد لم يبرأه شيء[١].

٦-أخرج الطبرسي عن الإمام الباقر قال: لكل شيء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي، وفي رواية أخرى قال: من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا، وألف مكروه من مكاره الآخرة، أيسر مكروه الدنيا الفقر، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر[٢].

٧-روي بسند صحيح عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر أنه قال: قال النبي(ﷺ): لما أراد الله أن ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسي، و ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾[٣] و ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤]، تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب وقلن: يا رب تهبطنا إلى دار الذنوب وإلى من يعصيك ونحن معلقات بالطهور والعرش، فقال: وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن في دبر كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حضيرة القدس على ما كان فيه وإلا نظرت إليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين نظرة وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وإلا أعذته من كل عدو ونصرته عليه، ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت[٥].

---

(١) أصول الكافي، الكليني، ٢/ ٩٦+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ١٤. وأخرج احمد والبيهقي في شعب الإيمان بسند جيد عن عبد الله بن جابر ان رسول الله (ﷺ) قال له: ألا اخبرك بأخير سورة نزلت بالقران، قلت: بلى يا رسول الله، قال: فاتحة الكتاب واحسبه قال: فيها شفاء من كل داء. وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله (ﷺ) قال: فاتحة الكتاب شفاء من السم. انظر: الدر المنثور، السيوطي، ١/ ٤-٥.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٦١+ مقتنيات الدرر، سيد مير علي الحائري، ٢/ ١١٢. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لكل شيء سنام وان سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن، آية الكرسي. الترغيب والترهيب، المنذري، ٢/ ٣٧٥.

(٣) آل عمران/ ١٨.

(٤) آل عمران/ ٢٦ــ ٢٧.

(٥) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ١٦٥+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ٢٧٣+ مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٤٢٦+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ٢٥٠. واخرج السيوطي عن الإمام علي نفس الحديث تقريباً، وقريباً منه عن أبي أيوب الأنصاري. انظر: الدر المنثور، السيوطي، ٢/ ١٢.

٨-روي عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر (عليهما السلام) قال: قال رسول الله(ﷺ): أربع خصال من كن فيه كان في نور الله الأعظم، من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ومن ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١]، وإذا أعطي شيئاً قال الحمد لله وإذا أذنب ذنباً قال: استغفر الله[٢].

٩-أخرج الطبرسي بسنده عن أبي جعفر الباقر قال: من قرأ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس إيمانه بظلم ولا يشرك أبداً[٣].

١٠-وأخرج الطبرسي أيضاً عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر قال: في سورة الأنفال جدع الأنوف[٤]، وذلك لاشتمالها على آية الخمس.

١١-روي عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر الباقر قال: من قرأ سورة هود في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة المؤمنين وحوسب حساباً يسيراً ولم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة[٥].

١٢-روي عن الإمام الباقر أنه قال: من وجد في قلبه قساوة فليكتب (يس) في جام[٦] بزعفران ثم يشربه[٧].

---

(١) البقرة/ ١٥٦.

(٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ٤١٢+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ١٢١. وقريب منه ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) قال: أربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة: من كانت عصمة أمره لا إله إلا الله، وإذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا أعطي شيئاً قال: الحمد لله، وإذا أذنب قال: استغفر الله. انظر: الدر المنثور، السيوطي، ١/ ١٥٦.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ١٥٠+ مقتنيات الدرر، سيد مير علي الحائري، ٣/ ٢٣٦. ولم أجد في فضلها رواية عن صحابي أو تابعي في حدود ما اطلعت عليه من المصادر.

(٤) مجمع البيان، الطبرسي، ٤/ ٥١٦.

(٥) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ١٣٩+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٢٠٦+ مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ١٤٠+ بحار الأنوار، المجلسي، ١٩/ ٧٠. وأخرج الدارمي وأبو داود وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): اقرأوا هود يوم الجمعة. انظر: الدر المنثور، السيوطي، ٣/ ٣١٩.

(٦) الجام: يعني القدح الذي يشرب فيه الماء.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١/ ٣١+ الدر المنثور، السيوطي، ٥/ ٢٥٧. في حديث حسان بن عطية عن رسول الله (ﷺ) ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء، وألف نور، وألف يقين، وألف بركة، وألف رحمة. انظر: الدر المنثور، السيوطي، ٥/ ٢٥٦.

١٣-أخرج الطبرسي بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر قال: من أدمن قراءة سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة وأظله تحت ظل عرشه وحاسبه حساباً يسيراً وأعطي كتابه بيمينه[(١)].

١٤-روي عن الإمام الباقر أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): وددت أنها في قلب كل مؤمن: يعني ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[(٢)].

١٥-أخرج الطبرسي بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر قال: من أدمن في فرائضه ونوافله سورة (ق) وسع الله في رزقه وأعطاه كتابه في يمينه وحاسبه حساباً يسيراً[(٣)].

١٦-أخرج الطبرسي أيضاً عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر قال: من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والآخرة[(٤)].

١٧-روي عن زيد الشحام عن أبي جعفر الباقر قال: من قرأ سورة الواقعة قبل أن ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر[(٥)].

١٨-أخرج الطبرسي بإسناده عن أبي بصير عن الإمام الباقر قال: من قرأ سورة الصف وأدمن قراءتها في فرائضه ونوافله صفه الله مع ملائكته وأنبيائه المرسلين[(٦)].

١٩-وروي عن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام الباقر أنه قال: أكثروا من قراءة (الحاقة) فان قراءتها في الفرائض والنوافل من الإيمان بالله ورسوله ولم يسلب قارؤها دينه حتى يلقى الله[(٧)].

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ٦٠+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٥٤٦.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٦٩+ مقتنيات الدرر، الحائري، ٩/ ١٢٢. وباللفظ نفسه ورد هذا الحديث عن ابن عباس، رواه الحاكم وصححه، انظر: الترغيب والترهيب، المنذري، ٢/ ٣٧٧.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ١٤٠+ الصافي، الفيض الكاشاني، ٢/ ٣٠٦+ مقتنيات الدرر، الحائري، ١٠/ ٢٠٦، ووردت أحاديث كثيرة في فضلها في: الدر المنثور، السيوطي، ٦/ ١٠١.

(٤) مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ١٦٢. وأخرج البخاري وأبو داود عن أم سلمة قالت: شكوت إلى ورسول الله (ﷺ) أني اشتكي، فقال: طوفي من وراء الناس وانت راكبة، فطفت ورسول الله (ﷺ) يصلي إلى جنب البيت ويقرأ ﴿والطور وكتاب مسطور﴾ انظر: الدر المنثور، السيوطي، ٦/ ١٠٩.

(٥) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٤٠٦+ مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ٢١٢+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ٢/ ٦٥١. وقد أخرج السيوطي في الدر المنثور عدة روايات في فضلها، ٦/ ١٥٣.

(٦) مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ٢٢٩+ مقتنيات الدرر، الحائري، ١١/ ٤٠.

(٧) المصدر نفسه، ١٠/ ٣٤٢.

٢٠-وروي عن أبي عبد الله الصادق قال: كان أبي يقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ربع القرآن[1].

٢١-روى أبو عبيدة الحذاء عن أبي جعفر الباقر قال: من أوتر المعوذتين و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ قيل له: يا عبد الله أبشر فقد قبل الله وترك[2].

٢٢-أخيراً، روى الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجع وجعاً شديداً فأتاه جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام)، فقعد جبريل وميكائيل عند رجليه، فعوذه جبرئيل بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وعوذه ميكائيل بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[3].

المبحث الخامس

جهود الإمام الباقر في القصص القرآنية وموقفه من الإسرائيليات

إن القرآن الكريم يسعى في وضع القضايا الحياتية الكبرى بصورة محسوسة وملموسة بين يدي الجميع، ويعلن للناس عامة عن حقائقهم وتعليماتهم ويفهمهم بها بما يتفق وصدق القرآن الكريم وإعجازه معتمداً على قضايا وأحداث حية وحساسة تخص تاريخ الشعوب السالفة، لهذا لا يريد القرآن من سرد قضية أو قصة تاريخية منح نفسه الطابع التاريخي على ما هو معروف بين مناهج المؤرخين في بسط القضايا التاريخية من دون توجه إلى الناحية التربوية فيها، وإنما

---

(١) المصدر نفسه، ١٠/ ٥٥١. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا زُلزلت تعدل نصف القرآن و قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تعدل ثلث القرآن، و قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تعدل ربع القرآن. رواه الترمذي والحاكم، قال الترمذي: حديث غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. انظر: الترغيب والترهيب، المنذري، ٢/ ٣٧٨-٣٧٩.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ١٠/ ٥٦٧+ الصافي، الفيض الكاشاني، ٢/ ٨٦٩. وقد أورد في فضلهما الكثير من الأحاديث انظر: الترغيب والترهيب، المنذري، ٢/ ٣٨٠-٣٩٣.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ١٠/ ٥٦٩+ مقتنيات الدرر، الحائري، ١٢/ ٢٦٩. وأخرج ابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) غلام يهودي يخدمه يقال له لبيد بن أعصم فلم تزل به يهود حتى سحر النبي (صلى الله عليه وآله) وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يذوب ولا يدري ما وجعه فبينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات ليلة نائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رأسه للذي عند رجليه ما وجعه؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيب بن أعصم، قال: بم طبه؟ قال: بمشط ومشاطه..... الحديث بطوله، وكذلك عن ابن عباس. انظر: الدر المنثور، السيوطي، ٦/ ٤١٧-٤١٨.

نجد القرآن الكريم في مباحثه التاريخية يتوخى المسائل التربوية والتعليمية ويفتش عن هذه الجوانب في طوايا التاريخ وصفحاته وهو الوجه الغالب عليه ويستخلص منها مضامين إيمانية وعبادية فيتخذها جسراً للصلة بين الهدف والمتلقي.

وعلى هذا يأخذ القرآن الكريم لب التاريخ ويحافظ عليه ويرمي بقشوره لأن مطلوبه هو الجوهر، فهو على خلاف المؤرخين ومنهجهم في سرد الوقائع، إذ يبعث في المستمع والقارىء حس التحقيق والتدبر والتفكر، ودراسة النقاط التاريخية بأساليب مختلفة وتعابير متباينة ليودع فيهم الوعي واليقظة[1].

فالقصة في القرآن الكريم أخذت حيزاً كبيراً في البحوث القرآنية، و«يشكل القصص جزءً كبيراً من القرآن الكريم، وليس المراد من القصص في القرآن الإمتاع مجرداً، ولكن لإلقاء الدروس النافعة كذلك، التي تكفل لمن وعاها وعمل بمقتضاها الاهتداء إلى صراط العزيز الحميد»[2]، فنستطيع أن نستنتج من هذا القول الغرض الكلي للقصص القرآني الذي هو الغرض الديني البحت[3]، وهو هداية البشرية لما فيه صلاحها وسعادتها، وتندرج تحت هذا الغرض الكلي أغراض جزئية أخرى نلخص بعضاً منها بما يأتي:

١-أن القصة القرآنية سيقت لغرض العبرة والاتعاظ، حيث يتعرف الناس على أحوال الأمم السالفة وما حل بها وما آلت إليه، حتى يعتبروا ويتعظ أولوا الألباب منهم[4]، وتصديق ذلك في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[5].

٢-لتثبيت فؤاد الرسول الكريم(ﷺ) وترسيخ صلابته في الدعوة إلى وحدانية الله تبارك وتعالى حيث يقف على أخبار إخوانه من الرسل، وعلاقتهم

---

(١) ظ: محمد والقرآن، ناصر الدين الشيرازي، ١٧١.

(٢) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، حسن باجودة، ٥١٨.

(٣) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ١١٧.

(٤) من روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، ١٧٧+ دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، د. أحمد جمال العمري، ١٧٦.

(٥) يوسف/ ١١١.

بأقوامهم، وكيف كان العاقبة للمتقين والخزي والعذاب للمعاندين الكافرين[1]، قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

٣-دليل على صدق نبوة الرسول الكريم(ﷺ)، إذ أنه أخبر عن الغيب، وما اخباره ذاك إلا عن طريق الوحي المرسل من السماء، لأنه(ﷺ) رجل أمي لا عهد له بالقراءة والكتابة ولا قومه إذ أنهم لم يكونوا يعرفون من ذلك القصص شيئاً[3]، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4].

٤-إن في القصص القرآني غرضاً دينياً جليلاً، هو بيان بعض الأحكام الشرعية الكلية التي لا تختص بها شريعة سماوية دون أخرى، بل هي موجودة في كل الشرائع السماوية وهي غير قابلة للنسخ ومؤكدة وثابتة من ذلك قصة ابني آدم[5]. وتثبت هذه القصة أن الغيرة والحسد إذا تمكنا في النفس الإنسانية يؤديان بها إلى الاعتداء على الآخرين فلا دواء لهذا المرض إلا بتر من استكن في قلبه، فذكر سبحانه وتعالى عقب تلك القصة ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾[6].

وهناك أغراض أخرى للقصة القرآنية غير ما ذكرنا[7]، لسنا بصددها تفصيلاً وقد ظهرت آراء متعددة في مسألة فهم القصص القرآني الراجح منها: هو الوقوف عند ما ورد في القرآن الكريم مع الاحتفاظ بدلالة الألفاظ اللغوية على معانيها وإفادتها للواقع هي تعبير صحيح عنه، دون تزيد عليه بما لم يرد فيه اعتماداً على روايات لا سند لها كما صنع المفرطون، ودون تحيف لمعانيها باعتبار

---

(١) الأنبياء في القرآن، محمود الشرقاوي، ١٠٢+ التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ١٢٢.

(٢) هود/ ١٢٠.

(٣) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني، احمد جمال العمري، ١٧٧.

(٤) هود/ ٤٩.

(٥) ظ: الأيات/ ٢٧- ٣١ من سورة المائدة.

(٦) المائدة/ ٣٢.

(٧) أوصلها سيد قطب إلى عشرة أغراض انظر للتفاصيل: التصوير الفني للقرآن، ١١٧- ١٢٥.

أن الكلام تخييل لا يعبر عن واقع كما فعل المفرطون أيضاً، ودون صرف للألفاظ عن معانيها الوضعية إلى معان أخرى من غير صارف يمنع إجراء الكلام على ظاهره، كما فعل أهل التأويل[1].

وأولى الإمام الباقر القصة القرآنية عنايته البالغة واهتمامه الشديد، فإنك تشعر أن روايته القصصية تجعل المرء يعيش في أجواء الآيات القرآنية بانسيابية وهدوء دون أثر لدس اسرائيلي يشوه جمال النص القرآني أو يثلم كرامة الأنبياء(عليهم السلام) ومكانتهم، كما هو الحاصل في روايات من أخذ عن أهل الكتاب بدون تمحيص أو فحص، ونجده أيضاً يلتزم النهج النبوي في الاستشهاد بإخبار أهل الكتاب فيسمع ما لدى الناس من أخبارهم ثم يعرض ما سمعه على منهج الإسلام، فما وافق النصوص أو تماشى مع الآيات والأحاديث من غير تضاد أو اضطراب حدث به أن كان يخدم النص القرآني، ويوضح الجوانب الأخرى من القصة ويربط بين خيوطها، ونلمس أيضاً في رواياته تفرده بإظهار الجانب التربوي والأخلاقي من القصة القرآنية ويركز عليه لمكان العظة والعبرة ملتزماً في إسهاماته هذه بالمنهج القرآني وكيفية تعامله مع القصص.

وكان الإمام الباقر يميل هنا إلى تفسير القرآن بالقرآن ولا يميل إلى الإكثار من القصص المفصلة للقصص القرآني لأن أكثرها إسرائيلية، ومع ما ذكرناه من عدم ميله إلى الإكثار من تفسير القصة القرآنية بقصص أخرى فقد وجدنا له بعض التفسير القصصي، وإليك تلك الجهود:

أولاً: قصة الملكين هاروت وماروت

أخرج العياشي والطبرسي بإسناد صحيح عن محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر الباقر وقد سأله عطاء ونحن بمكة عن هاروت وماروت، فقال أبو جعفر: إن الملائكة كانوا ينزلون من السماء إلى الأرض في كل يوم وليلة يحفظون أعمال أهل أوساط الأرض، فيكتبون أعمالهم ويعرجون بها إلى

---

(١) تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، الشيخ محمود شلتوت، ٥٠.

السماء، قال: فضج أهل السماء من معاصي أهل الأرض مما يسمعون ويرون من افترائهم الكذب على الله وجرأتهم عليه، ونزهوا الله مما يقول فيه خلقه ويصفون، قال: فقالت طائفة من الملائكة: يا ربنا أما تغضب مما يعمل خلقك في أرضك، مما يفترون عليك الكذب ويقولون الزور ويرتكبون المعاصي وقد نهيتهم عنها ثم أنت تحلم عنهم وهم في قبضتك وقدرتك وخلال عافيتك، قال أبو جعفر: وأحب الله أن يري الملائكة قدرته ونافذ أمره في جميع خلقه ويعرّف الملائكة ما منَّ به عليهم مما عد لهم عنده من جميع خلقه وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب، قال: فأوحى الله إلى الملائكة أن اندبوا منكم ملكين حتى أهبطهما إلى الأرض ثم أجعل فيهما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والأمل مثلما جعلت في ولد آدم ثم أختبرهما في الطاعة لي، قال: فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانوا من أشد الملائكة قولاً في العيب على ولد آدم، قال: ثم أوحى الله إليهما انظرا ألا تشركا بي شيئاً ولا تقتلا النفس التي حرّمت ولا تزنيا ولا تشربا الخمر، قال: ثم كشط عن السموات السبع ليريهما قدرته، ثم أهبطهما إلى الأرض في صورة بشر ولباسهم، فهبطا برحبة بابل فرفع لهما بناءً مشرفاً فأقبلا نحوه فإذا بحضرته امرأة جميلة حسناء مزينة، معطرة، مسفرة، مقبلة نحوهما، فلما نظرا إليها وناطقاها وتأملاها وقعت في قلوبهما موقعاً شديداً لموضع الشهوة التي جعلت فيهما، ثم أنهما ائتمرا بينهما وذكرا ما نهيا عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة التي جعلت فيهما فرجعا إليها رجوع فتنة وخذلان، فراوداها عن نفسها فقالت لهما: إن لي ديناً أدين به ولست أقدر في ديني الذي أدين له على أن أجيبكما إلى ما تريدان إلا أن تدخلان في ديني الذي أدين به، فقالا لها: وما دينك؟ فقالت: لي إله من عبده وسجد له كان لي السبيل إلى أن أجيبه إلى ما كان سألني، فقالا لها: وما إلهك؟ قالت: إلهي، هذا الصنم. قال الإمام الباقر: فنظر أحدهما إلى صاحبه فقالا: هاتان الخصلتان مما نهينا عنهما الشرك والزنا، لأنا إن سجدنا لهذا الصنم وعبدناه أشركنا بالله وإنما نشرك بالله لنصل إلى الزنا، وهو هذا ما نحن نطلبه فليس نعطاه

إلا بالشرك، قال: فأتمرا فيها فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما، فقالا لها: نجيبك إلى ما سألتي، قالت: فدونكما فأشربا هذه الخمر فإنه قربان لكما عنده، وبه تصلان إلى ما تريدان، قال الإمام الباقر: فأتمرا بينهما، فقالا: هذه ثلاث خصال مما قد نهانا ربنا عنها: الشرك والزنا وشرب الخمر، وإنما ندخل في شرب الخمر حتى نصل إلى الزنا، فأتمرا بينهما ثم قالا لها: ما أعظم البلية بك، قد أجبناك إلى ما سألتي، قالت فدونكما فاشربا من هذه الخمر واعبدا الصنم واسجدا، قال الإمام: فشربا الخمر وسجدا له، ثم راوداها عن نفسها فلما تهيأت لهما وتهيئا دخل عليهما سائل يسأل فلما أن رأياه ذعرا منه، فقال لهما: أنكما لمريبان، ذعران، قد خلوتما بهذه المرأة العطرة الحسناء، إنكما لرجلا سوء، فخرج عنهما، فقالت لهما: لا وإلهي ما أصل إلى أن تقربانى وقد اطلع هذا الرجل على حالكما وعرف مكانكما، خرج الآن فيخبر بخبركما ولكن بادرا هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما ويفضحني، ثم دونكما فاقضيا حاجتكما وأنتما مطمئنان آمنان، قال الإمام الباقر: فقاما إلى الرجل فأدركاه فقتلاه ثم رجعا إليها فلم يرياها وبدت لهما سوأتهما ونزع عنهما رياشهما وأسقط في أيديهما، قال: فأوحى الله إليهما أنما أهبطتكما مع خلقي ساعة من نهار فعصيتماني بأربع معاصي كلها قد نهيتكما عنها وتقدمت إليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحيا مني وقد كنتما أشد من ينقم على أهل الأرض من فعل المعاصي غضبي لما جعلت فيكم من صنع خلقي وعصمتي إياكم من المعاصي، فكيف رأيتما موضع خذلاني فيكما، اختارا عذاب الدنيا أم عذاب الآخرة؟ فقال أحدهما: نتمتع من شهواتنا في الدنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة، وقال الآخر: إن عذاب الدنيا له مدة وانقطاع، وعذاب الآخرة دائم لا انقطاع له فلسنا نختار عذاب الآخرة الدائم الشديد على عذاب الدنيا الفاني المنقطع، قال الإمام الباقر: فاختارا عذاب الدنيا، فكانا يعلمان السحر بأرض بابل، ثم لما علم الناس السحر، رفعا من الأرض إلى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء إلى يوم القيامة[1].

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٥٢ـ ٥٤+ مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ١٧٢ـ ١٧٦+ مقتنيات الدرر، الحائري، ١/ ٢٥٤ـ ٢٥٦.

وقد ذكر ابن كثير ما يقرب من تسع روايات عن الصحابة والتابعين صرح بضعف أكثرها من حيث السند والمتن وقال بغرابة بعضها الآخر[1]. إلا أنه أخرج رواية عن ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قريبة جداً من رواية الإمام الباقر المتقدمة وبتغيير طفيف بين ألفاظ الروايتين ولم يختارها ابن كثير أو يصححها بقوله: وقد رواه الحاكم في المستدرك مطولاً عن أبي زكريا العنبري بسنده عن حكام بن سلم الرازي وكان ثقة، ثم قال: صحيح الإسناد، فهذا أقرب ما روي في شأن نزول الآية والله أعلم[2].

ولكنه أخرج رواية أخرى عن معروف بن خربوذ المكي عمن سمع أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين يقول فيها: السجل ملك، وكان هاروت وماروت من أعوانه وكان له في كل يوم ثلاث لمحات في أم الكتاب فنظر نظرة لم تكن له فأبصر فيها خلق آدم وما كان فيه من الأمور فأسر ذلك إلى هاروت وماروت وكانا من أعوانه فلما قال تعالى: ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ﴾[3] قالا: ذلك استطالة على الملائكة[4].

وقد علق على هذا الخبر بقوله: هذا أثر غريب وبتقدير صحته إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر فهو نقله عن أهل الكتاب وفيه نكارة توجب رده[5].

غير أنني تتبعت هذا الخبر في تفاسير الإمامية وكتب الحديث عندهم قديماً وحديثاً فلم أجد له أثراً هذا من جهة وأن هذا الخبر مقطوع ب (عمن سمع) من جهة أخرى.

ثانياً: قصة آدم (عليه السلام) وزوجه

أخرج القمي والعياشي بإسنادهما عن عبد الله بن عطاء المكي عن أبي جعفر الباقر عن أبيه عن آبائه عن الإمام علي عن رسول الله (ﷺ) قال: إنما كان لبث آدم وحواء في الجنة حتى خرجا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتى أكلا من

---

(١) ظ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ١٣٩ـ ١٤٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ١/ ١٤٠.
(٣) البقرة/ ٣٠.
(٤) تفسير القرآن العظم، ابن كثير الدمشقي، ١/ ٧١.
(٥) المصر نفسه والصفحة.

الشجرة فأهبطهما الله إلى الأرض من يومهما ذلك، قال: فحاج آدم ربه فقال: يا رب، أرأيتك قبل أن تخلقني كنت قدرت عليَّ هذا الذنب وكلما صرت وأنا صائر إليه أو هذا شيء فعلته أنا من قبل أن تقدره عليَّ، غلبت عليَّ شقوتي فكان ذلك مني وفعلي لا منك ولا فعلك؟ قال له: يا آدم أنا خلقتك وعلمتك أني أسكنك وزوجك الجنة بنعمتي وما جعلت فيك من قوتي، قويت بجوارحك على معصيتي ولم تغب عن عيني ولم يخل علمي من فعلك ولا مما أنت فاعله، قال آدم: يا رب الحجة لك عليَّ، قال: فحين خلقتك وصورتك ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي ونوهت باسمك في سمواتي وابتدأتك بكرامتي وأسكنتك جنتي ولم أفعل ذلك إلا برضا مني عليك، ابتليتك بذلك من غير أن يكون عملت لي عملاً تستوجب به عندي ما فعلت بك، قال آدم: يا رب الخير منك والشر مني، قال الله تعالى: يا آدم أنا الله الكريم خلقت الخير قبل الشر، وخلقت رحمتي قبل غضبي وقدمت بكرامتي قبل هواني وقدمت باحتجاجي قبل عذابي، يا آدم ألم أنهك عن الشجرة وأخبرك أن الشيطان عدو لك ولزوجك، وأحذركما قبل أن تصيرا إلى الجنة، وأعلمكما أنكما إن أكلتما من الشجرة لكنتما ظالمين لأنفسكما عاصين لي، يا آدم لا يجاورني في جنتي ظالم عاصي لي، قال الإمام الباقر: فقال آدم: بلى يا رب الحجة لك علينا، ظلمنا أنفسنا وعصينا وإلا تغفر لنا وترحمنا نكن من الخاسرين، قال الإمام: فلما اقرا لربهما بذنبهما وأن الحجة من الله لهما، تداركتهما رحمة الرحمن الرحيم، فتاب عليهما ربهما أنه هو التواب الرحيم، قال الله تعالى: يا آدم اهبط أنت وزوجك إلى الأرض، فإذا أصلحتما أصلحتكما، وإن عملتما لي قويتكما وإن تعرضتما لرضاي تسارعت إلى رضاكما وإن خفتما مني آمنتكما من سخطي، قال الإمام: فبكيا عند ذلك وقالا: ربنا فأعنا على صلاح أنفسنا وعلى العمل بما يرضيك عنا، قال الله لهما: إذا عملتما سوءً فتوبا إلي منه أتب عليكما وأنا الله التواب الرحيم، قالا: فاهبطنا برحمتك إلى أحب البقاع إليك، قال: فأوحى الله إلى جبرئيل أن أهبطهما إلى البلدة المباركة مكة فهبط بهما جبرئيل فألقى آدم على

الصفا وألقى حواء على المروة، قال: فلما ألقيا قاما على أرجلهما ورفعا رؤوسهما إلى السماء وضجا بأصواتهما بالبكاء إلى الله تعالى وخضعا بأعناقهما، قال الإمام: فهتف الله بهما: ما يبكيكما بعد رضاي عنكما؟ قال: فقالا: ربنا أبكتنا خطيئتنا وهي أخرجتنا من جوار ربنا، وقد خفي عنا تقديس ملائكتك لك، ربنا وبدت لنا عوراتنا واضطرنا ذنبنا إلى حرث الدنيا ومطعمها ومشربها ودخلتنا وحشة شديدة لتفريقك بيننا، قال: فرحمهما الرحمن الرحيم عند ذلك، وأوحى إلى جبرئيل أنا الله الرحمن الرحيم وأني قد رحمت آدم وحواء لما شكيا إلي فاهبط عليهما بخيمة من خيام الجنة وعزهما عني بفراق الجنة، وأجمع بينهما في الخيمة على الترعة التي بين جبال مكة، قال الإمام: والترعة مكان البيت وقواعده التي رفعها الملائكة قبل ذلك، فهبط جبرئيل على آدم بالخيمة على مقدار أركان البيت وقواعده فنصبها، قال: وأنزل جبرئيل آدم من الصفا وأنزل حواء من المروة وجمع بينهما بالخيمة، قال الإمام: وكان عمود الخيمة قضيب ياقوت أحمر فأضاء نوره وضوؤه جبال مكة وما حولها، قال: وكلما امتد ضوء العمود فجعله الله حرماً لحرمة الخيمة والعمود، لأنهن من الجنة ولذلك جعل الله الحسنات في الحرم مضاعفة والسيئات فيه مضاعفة، قال الإمام: ومدت اطناب الخيمة حولهما فمنتهى أوتادها ما حول المسجد الحرام، قال: وكانت أوتادها من غصون الجنة وأطنابها من ظفائر الأرجوان، قال: فأوحى الله إلى جبرئيل أهبط على الخيمة سبعين ألف ملك يحرسونها من مردة الجن ويؤنسون آدم وحواء ويطوفون حول الخيمة تعظيماً للبيت والخيمة، قال: فهبطت الملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مردة الشياطين والعتاة، ويطوفون حول أركان البيت والخيمة كل يوم وليلة كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور، قال: ثم إن الله أوحى إلى جبرئيل بعد ذلك أن اهبط إلى آدم وحواء فنحهما عن مواضع قواعد بيتي لأني أريد أن أهبط في ظلال من ملائكتي إلى أرضي فارفع أركان بيتي لملائكتي ولخلقي من ولد آدم، قال: فهبط جبرئيل على آدم وحواء فأخرجهما من الخيمة ونحاهما عن ترعة البيت الحرام

ونحى الخيمة عن موضع الترعة، قال: ووضع آدم على الصفا ووضع حواء على المروة ورفع الخيمة إلى السماء فقال آدم وحواء: يا جبرئيل أبسخط من الله حولتنا وفرقت بيننا أم برضا تقدير من الله علينا؟ فقال لهم: لم يكن ذلك سخطاً من الله عليكما ولكن الله لا يسئل عما يفعل يا آدم إن السبعين ألف ملك الذين أنزلهم يريد أن يبني لهم مكان الخيمة بيتاً على موضع الترعة المباركة حيال البيت المعمور فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور، فأوحى الله إلي أن أنحيك وحواء وأرفع الخيمة إلى السماء فقال آدم: رضينا بتقدير الله ونافذ أمره فينا، فكان آدم على الصفا وحواء على المروة، قال: فدخل آدم لفراق حواء وحشة شديدة وحزن، قال: فهبط من الصفا يريد المروة شوقاً إلى حواء وليسلم عليها وكان فيما بين الصفا والمروة وادي وكان آدم يرى المروة من فوق الصفا فلما انتهى إلى موضع الوادي غابت عنه المروة فسعى في الوادي حذراً لما لم ير المروة مخافة أن يكون قد ضل طريقه فلما أن جاز الوادي وارتفع عنه نظر إلى المروة فمشى حتى انتهى إليها فصعد عليها فسلم على حواء ثم أقبلا بوجهيهما نحو موضع الترعة ينظران هل رفعت قواعد البيت ويسألان الله أن يردهما إلى مكانهما حتى هبط من المروة فرجع إلى الصفا فقام عليه وأقبل بوجهه نحو موضع الترعة فدعا الله ثم أنه اشتاق إلى حواء فهبط من الصفا يريد المروة ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى، ثم رجع إلى الصفا ففعل عليه مثل ما فعل في المرة الأولى ثم أنه هبط من الصفا إلى المروة ففعل مثلما فعل في المرتين الأوليتين ثم رجع إلى الصفا فقام عليه ودعا الله أن يجمع بينه وبين زوجه حواء، قال: فكان ذهاب آدم من الصفا إلى المروة ثلاث مرات ورجوعه ثلاث مرات فذلك ستة أشواط فلما أن دعيا الله ويكيا إليه وسألاه أن يجمع بينهما استجاب الله لهما من ساعتهما، من يومهما ذلك مع زوال الشمس، فأتاه جبرئيل وهو على الصفا واقف يدعو الله مقبلاً بوجهه نحو الترعة فقال له جبرئيل: انزل يا آدم من الصفا والحق بحواء فنزل آدم من الصفا إلى المروة ففعل مثلما فعل ثلاث مرات حتى انتهى من المروة فصعد عليها وأخبر حواء بما أخبره جبرئيل ففرحا بذلك فرحاً شديداً وحمدا الله وشكراه، فلذلك جرت

السنة بالسعي بين الصفا والمروة ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾[1]، قال: ثم إن جبرئيل أتاهما فأنزلهما من المروة وأخبرهما أن الجبار تبارك وتعالى قد هبط إلى الأرض فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصفا وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلام وهو بظاهر الكوفة، فأوحى الله إلى جبرئيل أن ابنه وأتمه، قال: فاقتلع جبرئيل الأحجار الأربعة بأمر من الله من مواضعهن بجناحيه فوضعهما حيث أمرهما الله في أركان البيت على قواعده التي قدرها الجبار ونصب أعلامها ثم أوحى إلى جبرئيل أن ابنه وأتمه بحجارة من أبي قبيس واجعل له بابين، باب شرقي وباب غربي، قال: فأتمه جبرئيل فلما أن فرغ منه طافت الملائكة حوله فلما نظر آدم وحواء إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا في البيت سبعة أشواط ثم خرجا يطلبان ما يأكلان وذلك من يومهما الذي هبط بهما فيه[2].

ويبقى الإمام الباقر في أجواء هذه القصة القرآنية يبين للناس ما تنطوي من العظة والعبرة والهدف، فهو يروي عن آبائه عن جده رسول الله (ﷺ) ما يزين أنبياء الله ولا ينقص من قدرهم ومكانتهم وعصمتهم، مستلهماً لما في النص القرآني من درس ومرمى، فيختتم قصة آدم وحواء بتوبتهما والكلمات التي تلقياها ففي تفسير قوله تعالى: ﴿...فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[3] في أصح رواية أخرجها العياشي والطبرسي عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر أنه قال: الكلمات هي اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربي إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربي إني ظلمت نفسي فتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم[4].

---

(١) البقرة/ ١٥٨.
(٢) تفسير القمي، ١/ ٤٥+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٣٥ــ ٣٩.
(٣) البقرة/ ٣٧.
(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٤١+ مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ٨٩. وقد رواها الحافظ ابن كثير في تفسيره عن مجاهد، ١/ ٨١ وكذلك الرازي عن ابن عباس، ٢/ ٢٠، ٢١. وهناك رواية أخرى أخرجها السيوطي عن الإمام الباقر في الدر المنثور، ١/ ٦٠ فراجع.

ثالثاً: قصة ابني آدم

روى أبو حمزة الثمالي عن الإمام الباقر أنه قال: إن آدم أمر هابيل وقابيل أن يقربا قربانا وكان هابيل صاحب غنم وكان قابيل صاحب زرع فقرب هابيل كبشاً من أفضل غنمه، وقرب قابيل من زرعه ما لم يكن ينفق كلما أدخل بيته، فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل وهو قول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ...﴾[1] وكان القربان تأكله النار فعمد قابيل إلى النار فبنى لها بيتاً وهو أول من بنى بيوت النار، فقال: لاعبدن هذه النار حتى يتقبل قرباني، ثم أن ابليس عدو الله أتاه وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق فقال له: تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانك وإنك إن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك ويقولون: نحن أبناء الذي تقبل قربانه وأنتم أبناء الذي ترك قربانه فاقتله لكي لا يكون له عقب يفتخرون على عقبك فقتله، فلما رجع قابيل إلى آدم قال له: يا قابيل أين هابيل؟ فقال: اطلبه حيث قربنا القربان، فانطلق آدم فوجد هابيل قتيلاً[2].

وروى الطبرسي بإسناده عن الإمام الباقر قال: فشدخ قابيل هابيل بحجر فقتله[3]، وقد ختم الإمام الباقر فصول هذه القصة ببعث نوح نبياً(عليه السلام)، رابطاً بين أجزائها، معبراً عنها أحسن تعبير.

رابعاً: قصة لوط (عليه السلام)

روى أبو بصير قال: قلت له -يقصد الإمام الباقر-: أصلحك الله، أكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يتعوذ من البخل؟ قال: نعم يا أبا محمد في كل صباح ومساء، ونحن نعوذ بالله من البخل، إن الله يقول في كتابه ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4] وسأنبئك عن عاقبة البخل، إن قوم لوط كانوا أهل قرية

---

(١) المائدة/ ٢٧.

(٢) تفسير القرآن، القمي، ١/ ١٦٢+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٣٠٩+ بحار الأنوار، المجلسي، ٧/ ١٤+ اثبات الهداة، العاملي، ١/ ٢٦٤.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ١٨٣+ مقتنيات الدرر، الحائري، ٤/ ٢.

(٤) الحشر/ ٩.

بخلاء أشحاء على الطعام فأعقبهم الله داء لا دواء له في فروجهم، قلت: وما أعقبهم؟ قال: إن قوم (قرية) لوط كانت على طريق السيارة إلى الشام ومصر فكانت المارة تنزل به فيضيفونهم، فلما أن كثر ذلك عليهم ضاقوا به ذرعاً وبخلاً ولؤماً، فدعاهم البخل إلى أن كان إذا نزل بهم الضيف فضحوه من غير شهوة بهم وإنما كانوا يفعلون ذلك بالضيف حتى تنكل النازلة عنهم فشاع أمرهم في القرى وحذرتهم المارة فأورثهم البخل بلاء لا يدفعونه عن أنفسهم في شهوة بهم إليه حتى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد، ويعطونهم عليه الجعل فأي داء أعدى من البخل، ولا أضر عاقبة ولا أفحش عند الله! قال أبو بصير: فقلت له: أصلحك الله، هل كان أهل قرية لوط كلهم هكذا مبتلين؟ فقال الإمام: نعم، إلا أهل بيت من المسلمين، أما تسمع لقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] ثم قال أبو جعفر: إن لوطاً لبث مع قومه ثلاثين سنة يدعوهم إلى الله ويحذرهم عقابه، قال: وكانوا قوماً لا يتنظفون من الغائط ولا يتطهرون من الجنابة وكان لوط وأهله يتنظفون من الغائط ويتطهرون من الجنابة، وكان لوط ابن خالة إبراهيم (عليه السلام) وكانت امرأة إبراهيم سارة أخت لوط، وكان إبراهيم ولوط نبيين مرسلين منذرين، وكان لوط رجلاً سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به ويحذره قومه، قال: فلما أن رأى قوم لوط ذلك قالوا: أنا ننهاك عن العالمين لا تقر ضيفاً نزل بك، فإنك إن فعلت فضحنا ضيفك وأخزيناك فيه، وكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه، وذلك أن لوطاً كان فيهم لا عشيرة له، قال: وإن لوطاً وإبراهيم لا يتوقعان نزول العذاب على قوم لوط وكانت لإبراهيم ولوط منزلة من الله شريفة، وإن الله تبارك وتعالى كان إذا هم بعذاب قوم لوط أدركته مودة إبراهيم وخلته ومحبة لوط فيراقبهم فيه فيؤخر عذابهم.

قال الإمام الباقر: فلما اشتد أسف الله على قوم لوط وقدر عذابهم وقضاه أحب أن يعوض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام حليم فيسلي به مصابه بهلاك قوم لوط فبعث الله رسلاً إلى إبراهيم يبشرونه بإسماعيل فدخلوا عليه ليلاً ففزع منهم وخاف

---

(١) الذاريات/ ٣٥ـ ٣٦.

أن يكونوا سراقاً قال: فلما رأته الرسل فزعاً وجلاً ﴿فقالُوا سَلاماً قالَ إنَّـا مِنْكُـمْ وَجِلُونَ * قالُوا لا تَوْجَلْ إنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾[1]، قال الإمام الباقر: والغلام هو إسماعيل بن هاجر، فقال إبراهيم للرسل ﴿أَبَشَّرْتُمُوني عَلى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قالُوا بَشَّرْناكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِـنَ الْقـانِطِينَ﴾[2]، فقال إبراهيم للرسل: فما خطبكـم بعد البشارة؟ ﴿قالُوا إنَّا أُرْسِلْنا إلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾[3] قوم لوط أنهم كانوا قوماً فاسقين لنذرهم عذاب رب العالمين، قال الإمام: فقال إبراهيم للرسل ﴿إنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ﴾[4] قال: ﴿فَلَمَّا جاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قالَ إنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قالُوا بَلْ جِئْناكَ بِما كانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[5] يقول: من عذاب الله لننذر قومك العذاب ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ يا لوط إذا مضى من يومك هذا سبعة أيام بلياليها ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾[6] إلا امرأتك أنه مصيبها ما أصابهم، قال أبو جعفر الباقر: فقضوا إلى آل لوط ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين، قال: فلما كان اليوم الثامن مع طلوع الفجر قدم الله رسلاً إلى إبراهيم يبشرونه باسحق ويعزونه بهلاك قوم لوط، وذلك قول الله تعالى في سورة هود ﴿وَلَقَدْ جاءَتْ رُسُلُنا إبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ فَما لَبِثَ أَنْ جاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[7] يعني ذكياً مشوياً نضيجاً ﴿فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُـمْ خِيفَـةً قـالُوا لا تَخَفْ إنَّا أُرْسِلْنا إلى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قائِمَةٌ﴾[8] قال أبو جعفر: إنما عنى امرأة إبراهيم سارة قائمة ﴿فَبَشَّرْناها بِإسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إسْحاقَ يَعْقُوبَ * قالَتْ يا وَيْلَتى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[9]، فلما أن جاءت البشارة بإسحق ذهب عنه الروع

(١) الحجر/ ٥٢ـ ٥٣.
(٢) الحجر/ ٥٤ـ ٥٥.
(٣) الحجر/ ٥٨.
(٤) العنكبوت/ ٣٢.
(٥) الحجر/ ٦١ـ ٦٣.
(٦) الحجر/ ٦٥.
(٧) هود/ ٦٩.
(٨) هود/ ٧٠ـ ٧١.
(٩) هود/ ٧١ـ ٧٢.

وأقبل يناجي ربه في قوم لوط ويسأله كشف العذاب عنهم، قال تعالى: ﴿يا إِبْراهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا إِنَّهُ قَدْ جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[1][2].

وإذا نظرنا إلى هذه الأحداث القصصية المتابعة والتي استطاع الإمام الباقر أن يصورها بأحسن تصوير وجدنا أن رائده في ذلك القرآن الكريم لا يخرج عن سياقه واخباره في سرد الأحداث والوقائع، استعان في الكثير من تلك اللقطات القصصية بآيات كاملة من القرآن من هذه السورة وتلك ما دامت هذه الآيات توظف سياقاتها لإبراز الحدث في القرآن الكريم لتصل به إلى ذروته، فكان الإمام يجري مع تلك الأحداث ديدنه في ذلك مع جميع القصص القرآني والتي روى أحداثها غير آبه ولا ملتفت إلى أخبار أهل الكتاب التي كثر فيها الدس الإسرائيلي المتعمد أو غير المتعمد.

خامساً: قصة يوسف (عليه السلام)

خير ما يمثل اسهامات الإمام الباقر في القصص القرآني: قصة يوسف(عليه السلام) وهي التي كثرت فيها الروايات الإسرائيلية والتفصيلات الجزئية التي ما أنزل الله بها من سلطان فلا يؤيدها الشرع ولا العقل ولا المنطق السليم بل زادت فيها الأخيلة اليهودية المريضة، نجد الإمام الباقر حين يتعرض لبعض جوانبها يبتعد كلياً عن المتهم والملفق الواضح من روايات أهل الكتاب ويقتصر على ما يوافق السرد القرآني والسياق الملائم مع منزلة الأنبياء(عليهم السلام) وتنزيههم، وإليك تلك القصة:

روى محمد بن مسلم وأبو بصير قالا: سمعنا أبا جعفر الباقر يحدث قال: لما فقد يعقوب يوسف اشتد حزنه عليه وبكاؤه حتى ابيضت عينه

---

(١) هود/ ٧٦.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ١٥٢، ١٥٧ـ ١٥٨، ٢٤٢ـ ٢٤٧+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٢٢٨، ٢٣١، ٣٤٨+ بحار الأنوار، المجلسي، ٥/ ١٥٢، ١٥٣، ١٥٨+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ٩٠٩.

من الحزن واحتاج حاجة شديدة وتغيرت حاله، وقال: وكان يمتار القمح من مصر لعياله في السنة مرتين للشتاء والصيف، وأنه بعث عدة من ولده ببضاعة يسيرة إلى مصر مع رفقة خرجت فلما دخلوا على يوسف وذلك بعدما ولاه العزيز مصر، فعرفهم يوسف ولم يعرفه أخوته لهيبة الملك وعزته، فقال لهم: هلموا بضاعتكم قبل الرفاق وقال لفتيانه: عجلوا لهؤلاء الكيل وأوفوه. فإذا فرغتم فاجعلوا بضاعتهم هذه في رحالهم ولا تعلموهم ذلك، ففعلوا ثم قال لهم يوسف: قد بلغني أنه كان لكم أخوان لأبيكم فما فعلا؟ قالوا: أما الكبير منهما فان الذئب أكله وأما الصغير فخلفناه عند أبيه وهو به ضنين وعليه شفيق. قال: فإني أحب أن تأتوني به معكم إذا جئتم لتمتاروا ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾[1]، فلما رجعوا إلى أبيهم فتحوا متاعهم ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾[2] ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾[3] فلما احتاجوا إلى الميرة بعد ستة أشهر بعثهم يعقوب، وبعث معهم بضاعة يسيرة وبعث معهم بنيامين وأخذ عليهم ﴿مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾[4] أجمعين، فانطلق الأخوة حتى دخلوا على يوسف فقال لهم: معكم بنيامين، قالوا: نعم هو في الرحل، قال لهم: فأتوني، فأتوه به وهو في دار الملك، فقال: ادخلوه وحده، فادخلوه عليه فضمه يوسف إليه وبكى وقال له: أنا أخوك يوسف فلا تبتأس بما تراني أعمل، واكتم ما خبرتك به ولا تحزن ولا تخف فيما أخرجه إليهم، وأمر فتيته أن يأخذوا بضاعتهم، ويعجلوا

---

(١) يوسف/ ٦٠ ــ ٦١.
(٢) يوسف/ ٦٥.
(٣) يوسف/ ٦٣ ــ ٦٤.
(٤) يوسف/ ٦٦.

لهم الكيل، فإذا فرغوا جعلوا المكيال في رحل بنيامين ففعلوا به ذلك وارتحل القوم مع الرفقة فمضوا فلحقهم يوسف وفتيته فنادوا فيهم قال: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾[1] ويستمر الإمام الباقر في تصعيد قصة يوسف فيقول: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ * قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ...﴾[2] فقال لهم يوسف: ارتحلوا عن بلادنا ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾[3] وقد أخذ علينا موثقاً من الله لنرد به إليه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4] إن فعلت ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾[5] و ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي...﴾[6]

ومضى أخوة يوسف حتى دخلوا على يعقوب فقال لهم: فأين بنيامين قالوا: بنيامين سرق مكيال الملك فأخذه الملك بسرقته فحبس عنده فسل أهل القرية والعير حتى يخبروك بذلك، فاسترجع واستعبر واشتد حزنه حتى تقوس ظهره، ويستمر الإمام الباقر في سرد هذه القصة قائلاً: وأدبرت الدنيا عن يعقوب وولده حتى احتاجوا حاجة شديدة وفنيت ميرتهم، فعند

---

(١) يوسف/ ٧٠ -٧٥.

(٢) يوسف/ ٧٦ـ ٧٧.

(٣) يوسف/ ٧٨.

(٤) يوسف/ ٧٨.

(٥) يوسف/ ٧٩.

(٦) يوسف/ ٨٠.

ذلك قال يعقوب لولده ﴿اذهبوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وأَخِيهِ ولا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلاَّ القَوْمُ الكافِرُونَ﴾[1]، فخرج منهم جماعة معهم بضاعة يسيرة وكتب معهم كتاباً إلى عزيز مصر يتعطفه على نفسه وولده، قال: ومضى ولد يعقوب بكتابه نحو مصر حتى دخلوا على يوسف في دار المملكة ﴿قالُوا يا أَيُّها العَزِيزُ مَسَّنا وأَهْلَنا الضُّرُّ وَجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فَأَوْفِ لَنا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنا﴾[2] بأخينا بنيامين وهذا كتاب أبينا يعقوب إليك في أمره يسألك تخلية سبيله وأن تمن به عليه، قال: فأخذ يوسف كتاب يعقوب فقبله ووضعه على عينيه وبكى وانتحب حتى بلت دموعه القميص الذي عليه ثم أقبل عليهم فقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ﴾[3] من قبل ﴿وأَخِيهِ﴾ من بعد ﴿قالُوا أَإِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قالَ أَنا يُوسُفُ وَهذا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا إنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ * قالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنا﴾[4] فلا تفضحنا ولا تعاقبنا اليوم واغفر لنا ﴿قالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا﴾[5] الذي بلته دموع عيني ﴿فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾[6] وردهم إلى يعقوب ريح يوسف، فقال لمن بحضرته من ولده ﴿إنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾[7] قال الإمام الباقر: وأقبل ولده يحثون السير بالقميص فرحاً وسروراً بما رأوا من حال يوسف والملك الذي أعطاه الله والعز الذي صار إليه في سلطانه وكان مسيرهم من مصر إلى يعقوب تسعة أيام ﴿فَلَمَّا أَنْ جاءَ البَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ

---

(١) يوسف/ ٨٧.

(٢) يوسف/ ٨٨.

(٣) يوسف/ ٨٩.

(٤) يوسف/ ٨٩ـ ٩٤.

(٥) يوسف/ ٩٢ـ ٩٣

(٦) يوسف/ ٩٣.

(٧) يوسف/ ٩٤.

﴿فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾[1] وقال لهم: ما فعل بنيامين؟ قالوا: أخلفناه عند أخيه صالحاً قال: فحمد الله يعقوب عند ذلك وسجد لربه سجدة الشكر ورجع إليه بصره وتقوم له ظهره، وقال لولده: تحملوا إلى يوسف في يومكم هذا بأجمعكم، فساروا إلى يوسف ومعهم يعقوب وخالة يوسف فأحثوا السير فرحاً وسروراً.

ويختتم الإمام الباقر فصول هذه القصة القرآنية بالمحور الأخير منها قائلاً: فساروا تسعة أيام إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق أباه فقبله فبكى ورفعه ورفع خالته على سرير الملك، ثم دخل منزله فأدهن واكتحل ولبس ثياب العز والملك ثم خرج إليهم، فلما رأوه سجدوا جميعاً له إعظاماً له وشكرا لله، فعند ذلك قال: ﴿يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ﴾[2]، قال الإمام الباقر: ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهن ولا يكتحل ولا يتطيب ولا يضحك ولا يمس النساء حتى جمع الله ليعقوب شمله، وجمع بينه وبين يعقوب وأخوته[3].

وبهذا يختتم الإمام الباقر فصول هذه القصة القرآنية الرائعة التي دس فيها أهل الكتاب الكثير من أخبارهم التي تشين بمكانة الأنبياء وتنقص من قدر نبوتهم، فأراد الإمام الباقر أن يلفت نظر الناس إلى أن كلما قيل في قصة يوسف وأخوته كان من دس الإسرائيلين وكذلك فعل الإمام مع جميع القصص القرآني أو ما تناولته من قصص الأنبياء والأولين إذا ما علمنا أننا بعد أن استقصينا جميع الروايات التفسيرية وجدنا أنه تناول تقريباً قصص جميع الأنبياء والأقوام الوارد ذكرهم في القرآن الكريم، رائده في ذلك كله القرآن نفسه فهو في بعض القصص يستنطق النص القرآني، مستقرئاً كل الآيات التي في السور المتفرقة جامعاً لها

---

(١) يوسف/ ٩٦.

(٢) يوسف/ ١٠٠.

(٣) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ١٨١ــ ١٨٣، ١٨٥ــ ١٨٩، ١٩٠ــ ١٩٣، ١٩٦ــ ١٩٧+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٢٥٧، ٢٧١+ بحار الأنوار، المجلسي، ٢/ ١٩٦، ٥/ ١٩٣. وقد وردت رواية للإمام الباقر في حزن يعقوب في التفسير الكبير، الرازي، ١٨، ١٩٨+ مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ٢٦٤ــ ٢٦٦.

تحت عنوان قصة قرآنية واحدة، ومرة أخرى يستحضر أحاديث جده رسول الله (ص) وأحاديث آبائه الكرام لتكتمل الصورة الفنية في فهم القصة القرآنية.

ونستطيع أن نخلص من خلال ما عرضنا من جهود واسهامات للإمام الباقر في سرد القصص القرآني وتحديثه لأصحابه والناس به، رأينا فيها أنه لا في غالب الأحيان بل أكثرها لا يحمل النص القرآني أكثر مما يحتمل، كما أنه لا يكثر من التفصيلات إلا لضرورة يقتضيها واقع الحال، لأن كل هذا التكلف الذي وقع فيه بعض التابعين هو من أخبار الإسرائيليات وأخيلة اليهود الذي ائتمنهم الله على التوراة والانجيل فلم يحفظوا الأمانة حتى حرفوا الكلم عن مواضعه، وكثرت في كتبهم الأقوال الفاسدة والدعاوى الفارغة على الله سبحانه وتعالى وأنبيائه وأصفيائه، ووجدنا الإمام في سرده للقصة القرآنية ملتزماً أشد الالتزام بالأدب النبوي، وغير متكلف في السرد، لأن الغاية من القصص في رأيه هي العبرة والعظة واستنتاج الدروس التي تتكفل في اغناء الجانب التربوي والأخلاقي وأثر ذلك كله على السلوك الإنساني.



❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

آراؤه وأثرها في التفسير

آيات العقائد



ويتضمن:

* المبحث الأول : التوحيد ونفي الصفات
* المبحث الثاني : النبوة والوحي
* المبحث الثالث : الإمامة
* المبحث الرابع : المعاد
* المبحث الخامس : الشفاعة



تمهيد

لا ريب في أن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الذي ثبت بالتواتر أنه خاتم الكتب السماوية، الذي احتوى المضامين المركزية الثلاثة الآتية:

١-المضمون العقائدي (أحكام العقائد): وفيه الآيات الكريمة التي تحدد التصور الكوني للإسلام حول الحياة والكون والإنسان والخليقة والنبوة وملحقاتها من وحي وعصمة واليوم الآخر وهكذا، أو الآيات التي تكون من بعض مضامينها هذه الحيثيات، ومن هذه وتلك تشكل هذه الآيات مجموعة كبيرة من أي الذكر الحكيم.

٢-المضمون التشريعي: وهي الآيات الكريمة التي تشكل الأسس والقواعد الكلية العامة للمنظومة القانونية الإسلامية في العبادات والمعاملات والأحكام الدستورية والدولية، التي تنظم بمجموعها علاقة الفرد تارة مع ربه وأخرى مع نفسه وثالثة مع الآخرين، وتنظم علاقته أيضاً بالدولة، وعلاقة الدولة بالأفراد والدول الأخرى وفق هذه القواعد الكلية التي ترك فيها المجال واسعاً لفقهاء الأمة الإسلامية كل يستنبط الحكم الشرعي المتعلق بواحدة من هذه المسائل وفق مدركه الشرعي الذي أفاده من البحث والفحص، ولا يشكل هذا المضمون آيات كثيرة من القرآن الكريم بكثرة المضمون الأول أو الذي يليه.

٣-المضمون التربوي والأخلاقي: وهي الآيات القرآنية الكريمة التي تستهدف بناء الإنسان من الداخل وتكوين الذات الإنسانية المتلقية تلقياً حسناً وامتثالياً للأحكام الاعتقادية والتشريعية، وزخر القرآن الكريم بمثل هذه الآيات وأخذت صوراً شتى في التصوير القرآني للقضايا الأخلاقية المراد معالجتها، فمرة يجعلها على شكل قصة يضمنها الكثير من الوصايا الأخلاقية، ومرة أخرى تأخذ شكل فيض من المواعظ الابتدائية المشحونة بكثير من القيم التي من شأنها تهذيب النفس الإنسانية وبرمجة سلوكها وجعلها ترقى إلى أعلى مستوى أخلاقي، وهذا ما حصل بالفعل بالنسبة للتغيير السلوكي الذي حصل لرجالات الأمة الإسلامية

في الصدر الأول للإسلام وما يليه، بحيث استطاع القرآن الكريم أن يرقى بهم إلى أعلى مستوى للسلوك الأخلاقي البناء الذي كان من الممكن الوصول إليه.

وقد كان للإمام الباقر حضور فعال في هذه المضامين الثلاثة، إذ أثرت عنه جملة كبيرة جداً من الروايات في تفسير الآيات القرآنية المتضمنة لها، وسنعرض لها كلاً في مجاله، في فصول ثلاثة.

وهذا الفصل في جهود الإمام في علم الكلام، وهذا يتجلى بوضوح في تفسيره كما أثر عنه الآيات القرآنية المتعلقة بالله تعالى وجوداً وصفة والمتعلقة بالمرسلين والإيمان بالبعث واليوم الآخر وغيرها، وقد فسر كل ذلك بأسلوبه الخالي من التطرف والمبتعد عن التعسف فأضاف للعقول الإسلامية ثروة كبرى إذ إستنار بآرائه جملة من العلماء.

والموسعات الإسلامية بحار نقلت ما يجمع على صحته ونقلت ما هو مختلف في صحته، أعني ما أثر عن العلماء من عصر الصحابة رضي الله عنهم، فقد جهدت جهداً في اصطفاء ما كان يبعد عن الشك بنسبته عن الإمام الباقر، إذ ليس كل ما يؤثر يسطر، بل منه ما يزول عليه الستار حتى لا تحدث فتنة بين العلماء الأبرار، قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[2].

المبحث الأول

في التوحيد ونفي الصفات

التوحيد هو أول تعاليم الدين الإسلامي، وأول ما دعا إليه الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[3] ومثل هذا ورد على لسان هود وصالح وشعيب (عليهم السلام)[4].

(١) البقرة/ ١٦٣.
(٢) المائدة/ ٧٣.
(٣) الاعراف/ ٥٩.
(٤) ظ: الأعراف/ ٦٥، ٧٣، ٨٥.

وهكذا فإن كل نبي كان منطلق دعوته من وجوب الاعتقاد بوجود الله تعالى ووحدانيته، ولما كان التوحيد أساس العلوم الدينية ورأس المعارف اليقينية وجب على كل مكلف معرفة مسائله ورعاية دلائله.

وبسبب التوحيد كان الخلاف والصراع مع تيارات الملاحدة والمعطلة واليهود والنصارى وكل الفرق والتيارات الإسلامية التي قالت بالتشبيه أو الاتصال أو الحلول، والقائلون بالتوحيد عندما تناولوا هذا الأصل في مباحثهم تتبعوا المسائل التي تتصل به كافة، ومن ثم جاءت أبحاثهم ازاءهُ شاملة ومحيطة بكل جوانبه[1].

وكان من أولى مباحثهم في هذا المجال معرفة الله تعالى لأنها أول الدين كما يقول الإمام علي بن أبي طالب[2]، وهي المرتبة الأولى من مراتب معرفة التوحيد، إلا أنهم قد اختلفوا فيها على آراء، فذهب كثير من الإمامية ومعتزلة بغداد أنها اكتساب، بينما خالف فيه معتزلة البصرة والمجبرة والحشوية من أصحاب الحديث[3]. وعلى الرغم من اتفاق متكلمي المسلمين على وجوب معرفة الله تعالى إلا أنهم قد اختلفوا في مدرك هذا الوجوب، فالإمامية والمعتزلة والزيدية قالوا: أنه العقل[4]، أي من خلال العلم الحاصل بسبب النظر والاستدلال، بينما قال الأشعرية: إنه السمع[5].

وبعد ذلك ساقوا أدلة على وجود الله سبحانه وتعالى، فالذين يقولون بمدرك الوجوب العقلي يرون أن العقل قد دل على أن أوضح سبل المعرفة وأقرب أساليب الدعوة إلى منطق العقل في إقامة الدليل على وجود الله هو القرآن الكريم -كمعجز وبرهان- ووافقهم في ذلك الأشعرية[6]، وبقية أهل السنة[7].

---

(١) ظ: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، د. محمد عمارة/ ٤٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١/ ٧٢.

(٣) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ٦٨.

(٤) ظ: الشافي، المرتضى، ٦١+ الاقتصاد، الشيخ الطوسي، ٤٢+ شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٨٨.

(٥) احقاق الحق، العلامة الحلي، ١/ ٣٨، ٤٠.

(٦) اللمع، أبو الحسن الأشعري، ١٧-١٩.

(٧) ظ: تفسير سورة الاخلاص، ابن تيمية، ٢٢-٢٣.

ثم دليل الجوهر الفرد[1]، وبعده دليل الحدوث الذي اعتمده معظم المتكلمين وخاصة الاشعرية[2]، ودليل آخر يسمى ببرهان التمانع وهو مزج بين البرهان العقلي القاطع على وجوده من خلال دليل الحدوث وبين ما ورد في القرآن الكريم من آيات تدل على وجوده تبارك وتعالى[3].

إن التمازج غير القابل للفصل بين الدليل العقلي البرهاني وبين ما ورد في القرآن الكريم حافزاً له وموجهاً لمساراته ومنبهاً لقدراته في الالتفات إلى المظاهر الكونية المتسقة، جعل قضية الدليل النقلي صورة متطابقة تماماً مع منتجات الدليل العقلي، لكن الذي وقع فيه الخلاف ليس مفهوم التوحيد على اجماله إنما تفصيلات الصفات في أقسامها واختلافهم في كونها خارج الذات[4]، أو هي عين الذات[5].

إن هذه الجزئيات بعد أن تخطت الأجمال لم تستند فقط إلى الدليل العقلي لأنها مجتمعة بعد أن آمنت بأن القرآن الكريم موحى به من عند الله تعالى ظلت تبحث في أسانيد آرائها في ثنايا النص القرآني مستفيدة من معنى أولي مباشر أو معنى ثانوي غير مباشر، كما هو حال الخلاف في الرؤية المستفادة مما يوهم التعارض في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[6] وبين قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[7]. إن تعدد المناهج في الجمع بين ما يوهم التعارض هو السبب في اختلاف علماء الأمة الإسلامية في المنتج الذي ساهم في إغناء الفكر العربي الإسلامي بتقديم رؤى متعددة للقضية الواحدة بعد أن جعل هذا المنتج العقل العربي الإسلامي عقلاً منظماً ذا منهجية قائمة على أسس متينة

---

(١) أصول الدين، البغدادي، ٣٦+ الفصل، ابن حزم، ٥/ ٩٢.

(٢) ظ: التمهيد، الباقلاني، ٤١ـ ٤٤+ الارشاد، الجويني، ١٧ وما بعدها+ كشف المراد، العلامة الحلي، ١٧٢.

(٣) ظ: استحسان الخوض في علم الكلام، الاشعري، ١٨٩+ التمهيد، الباقلاني، ٢٥+ شرح العقائد النسفية، التفتازاني، ٧٩+ كنز الفوائد، الكراجكي، ١٨٢.

(٤) ظ: نهاية الاقدام، الشهرستاني،١٨١.

(٥) الاقتصاد، الشيخ الطوسي، ٧٨+ كشف المراد: العلامة الحلي، ١٨١ـ ١٨٢.

(٦) القيامة/ ٢٣.

(٧) الشورى/ ١١.

في التفكير والانتاج ، وما قدمناه يعد نموذجاً لما سنعرضه من آراء وجهود للإمام الباقر في مثل هذه المسائل من قضايا التوحيد في إطار الروايات التفسيرية الواردة عنه والتي سيتبين أثرها لاحقاً على علماء الأمة الإسلامية ، والتي سنختار نماذج منها للاستدلال على تلك الآثار والاسهامات :

أولاً : في قوله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ وَالَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1] فقد روى محمد بن يعقوب بسند صحيح عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال : كاتبته -يقصد الإمام الباقر- : جعلني فداك ، نعبد الرحيم ، الواحد ، الأحد ، الصمد؟ قال أبو جعفر الباقر : من عبد الاسم دون المسمى بالأسماء فقد أشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً ، إن الأسماء صفات وصف الله بها نفسه[2] .

قال الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) : كان المشركون معتقدين ربوبيتين : ربوبية الله ، وربوبية آلهتهم ، فإن خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والأرض والالهة التي كانوا يسمونها أرباباً[3] .

وقال ابن كثير الدمشقي : وشرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية الوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده باخراجهم من العدم إلى الوجود واسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة . . . ثم قال : فبهذا يستحق أن يعبده وحده لا شريك به غيره[4] .

وقد اختلف المفسرون في المعني في ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ، فمنهم من قال : المشركون ، ومن قال : كافة الناس ، ومن قال : المنافقون والمذبذبون[5] . غير أن تفسيرهم كان في سياق واحد لهذه الآية الكريمة جاعلين أهم صفة من صفاته هي الخلق والابداع .

---

(١) البقرة/ ٢١.
(٢) اصول الكافي، الكليني، ١/ ٩٦+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٢٢.
(٣) الكشاف، الزمخشري، ١/ ٩٠.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٩٩ـ ١٠٠.
(٥) ظ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/ ١٩٤ـ ١٩٥+ زاد المسير، ابن الجوزي، ١/ ٤٧ـ ٤٨+ فتح القدير، الشوكاني، ١/ ٣٧ـ ٣٨+ روح المعاني، الالوسي، ١/ ١٨١ـ ١٨٥.

ويظهر من النص المتقدم عن الإمام الباقر أنه كان يريد أن يوجه الأمة في عصر انشغلت فيه بمباحث الصفات إلى صرف ماهية العبادة إلى الذات الالهية، تحجيماً لتلك التيارات من أن تخوض في الصفات فيؤثر ذلك الخوض على طبيعة العبادة التي أجمع المسلمون على أنها الغاية من الخلق، ويؤيده في ذلك قوله تعالى ﴿قُلْ ادْعُواْ اللهَ أَوْ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَياً مَا تَدْعُواْ فَلَه الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ فكان تفسير الإمام الباقر تأكيداً على العبادة قبل كل شيء، وكذلك بالنسبة للمفسرين فقد جاءت تفاسيرهم للآية المتقدمة لتؤكد صحة ما ذهب إليه الإمام أبو جعفر الباقر.

ثانياً: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ﴾[1]، فقد روي عن الإمام الباقر أنه قال: أي وسع علمه السموات والأرض[2].

قال البخاري عن سعيد بن جبير: كرسيه أي علمه[3]، ونقل الطبري اختلاف أهل التأويل فيه فقال: ذهب ابن عباس إلى أنه علم الله تعالى، حيث أسند الطبري هذه الرواية عن أبي كريب وسلمة بن جنادة عن مطرف عن جعفر بن المغيرة عن ابن عباس[4]. ثم عرض إلى الروايات الأخريات من قبيل موضع القدمين وأسند ذلك إلى الأشعري أبي موسى، وذكر القول الثالث بأن معنى الكرسي: هو العرش نفسه مسنداً ذلك إلى الحسن البصري، ولكن الطبري قال: ولكل هذه الأقوال وجه، وصوب قول ابن عباس وسعيد والإمام الباقر فقال: ويؤيده ظاهر القرآن لقوله: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ﴾ أي لا يؤوده حفظ ما علم وأحاط به فاصل الكرسي العلم وأثبت ذلك بشواهد شعرية أيضاً[5].

وذهب الزمخشري إلى القول: في تفسير الكرسي أربعة أوجه، أحدها: تصوير لعظمته، والثاني: علمه، والثالث: ملكه، والرابع: قدرته، ورجح الوجه الأول وهو ما يتفق مع منهجه الاعتزالي في التأويل[6].

---

(١) البقرة/ ٢٥٥.
(٢) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٢/ ٢٥٤+ مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٦٢.
(٣) صحيح البخاري، ٦/ ٣٨.
(٤) جامع البيان، الطبري، ٣/ ٧.
(٥) المصدر نفسه، ٣/٧-٨.
(٦) الكشاف، الزمخشري، ١/ ٢٩٩.

وذهب الرازي (ت: ٦٠٦هـ) إلى حمل هذا اللفظ على ظاهره على الرغم من أنه نقل آراء المؤولين ونقل في ما سماه الأخبار الصحيحة أنه جسم تحت العرش وفوق السماء السابعة[١]، وظاهر كلام القرطبي (ت: ٦٦٧هـ) التعويل على ظاهر معنى الكرسي[٢].

أما الطبرسي فقد نقل عن الحسن البصري: أنه العرش هو هو، وفي غيره أنه الملك والسلطان والقدرة، ونقل رواية ضعيفة عن الصادق وعطاء أنه سرير دون العرش، وضعفها يظهر من أنه علم الله تعالى[٣].

إن هذه الآية الكريمة من المتشابه القرآني، أسهم الإمام الباقر في تأكيد رفع التشابه بانضمام رأيه إلى رأي ابن عباس وسعيد بن جبير، وفي ذلك جزم بصحة تفسيره[٤].

ثالثاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ...﴾[٥]، روي بسند عن سدير الصيرفي قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عزَّ وجلَّ) ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ فقال أبو جعفر: إن الله (عزَّ وجلَّ) ابتدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السموات والأرض ولم يكن قبلهن سموات ولا أرضون، أما تسمع لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾[٦][٧].

قال الطبرسي: أي مبدعها ومنشؤها بعلمه ابتداء لا من شيء ولا على مثال سبق، وقال: وهو المروي عن أبي جعفر الباقر[٨].

---

(١) التفسير الكبير، الرازي، ٧/ ١٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣/ ٢٧٦.
(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٦٢.
(٤) انظر للتفاصيل: تفسير آيات الصفات بين المفوضة والمؤولة، مخطوط، استاذنا الدكتور محسن عبد الحميد، ٣١-٣٣.
(٥) البقرة/ ١١٧.
(٦) هود/ ٧.
(٧) الشافي في شرح أصول الكافي، الشيخ عبد الحسين المظفر، ٧/ ٢٢٧+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ٤٥+ مجمع البيان، الطبرسي، ٤/ ٣٤٣.
(٨) مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ١٩٢.

وذهب الزمخشري إلى حمل اللفظة على ظاهرها ولم يضف شيئاً، فقد قال: أي بديع سمواته وأرضه[1] ومال ابن كثير في تفسيره إلى قول الإمام الباقر حينما قال: أي خالقهما على غير مثال سبق بعد أن نقل قول مجاهد والسدي حيث قالا وهو مقتضى اللغة ونقل أيضاً قول الطبري: أي مبدعهما[2].

وكذلك القرطبي ذهب إلى القول: أي منشئهما وموجدهما ومبدعهما على غير حد ولا مثال[3]، وكذلك ابن الجوزي في قوله: أنه فطر الخلق مخترعاً له لا على مثال سبق[4].

وذهب الشوكاني والالوسي إلى القول: أي هو بديع سمواته وأرضه أبدع الشيء أنشأه لا عن مثال، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له مبدع[5].

إذن من خلال هذا الاستعراض لأقوال جملة من المفسرين على اختلاف مناهجهم تبين أن أقوالهم في تفسير الآية الكريمة كانت امتداداً طبيعياً لرأي الإمام الباقر وقوله، ومستفيدة منه أشد ما تكون الاستفادة بحيث أنهم قد أعرضوا عن باقي الأقوال مكتفين بما تنبؤه من رأيه الذي كان يمثل اعتدالاً واضحاً في فهم النصوص القرآنية المراد معالجتها وفق منظور إسلامي واع.

رابعاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[6] فقد وردت عدة روايات عن الإمام الباقر في معنى الآية مفادها جميعاً عن زرارة بن أعين عنه أنه قال: شرك طاعة وليس شرك عبادة، في المعاصي التي يرتكبون فهي شرك طاعة وليس باشراك عبادة أن يعبدوا غيره معه[7].

قال الطبرسي: إن المراد بالاشراك شرك طاعة لا شرك العبادة، أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبون مما أوجب الله عليها النار فأشركوا بالله في طاعة

---

(١) الكشاف، الزمخشري، ١/ ١٨١.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٢٨١ـ ٢٨٢.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/ ٧٨.
(٤) زاد المسير، ابن الجوزي، ١/ ١٣٦.
(٥) فتح القدير، الشوكاني، ١/ ١١٤+ روح المعاني، الالوسي، ١/ ٣٦٧ـ ٣٦٨.
(٦) يوسف/ ١٠٧.
(٧) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ١٩٩ـ ٢٠٠+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٢٧٤+ بحار الأنوار، المجلسي، ١٥/ ٦+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ٨٦٠.

ولم يشركوا بالله شرك عبادة فيعبدون معه غيره، ونقل مضمون الرواية أعلاه عن الإمام الباقر[1].

ونقل الزمخشري أقوال المفسرين فقال: عن الحسن: هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم الذين يشبهون الله بخلقه، ومال هو إلى القول: أن أحداً لا يؤمن في اقراره بالله وأنه خلق السموات والأرض[2].

وقال صاحب زاد المسير: أن في الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم المشركون لأنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به، وهو أحد قولي ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة أو أنها نزلت في تلبية مشركي العرب قبل الإسلام وهذا القول في أنها تعني المشركين -وهو ما رجحه على بقية الأقوال- والثاني: أنهم النصارى، والثالث: أنهم المنافقون. واحتج إلى ما ذهب إليه بقوله أنه ليس المراد به حقيقة الإيمان وإنما المعنى: إن أكثرهم مع إظهارهم الإيمان بألستهم مشركون[3].

ومال ابن كثير إلى قول الإمام الباقر بعد استعراض أقوال غيره من أن هذا الشرك شرك طاعة وليس بشرك عبادة في قوله: وثم شرك آخر خفي لا يشعر به غالباً فاعله، وساق أحاديث وروايات كثيرة للاستدلال على ما ذهب إليه[4].

وقد استعرض القرطبي جميع الأقوال في هذه الآية وبعد أن قال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ أي باللسان إلا وهو كافر بقلبه عن الحسن، وقال عطاء: هذا في الدعاء وذلك أن الكفار ينسون ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم بلاء أخلصوا في الدعاء، وقيل: معناها أنهم يدعون الله أن ينجيهم من الهلكة فإذا أنجاهم قال قائلهم: لولا فلان ما نجونا، فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان... قلت: قد يقع في هذا القول والذي قبله كثير من عوام المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[5].

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ٥/ ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٥٠٨.

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٢٩٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٥٥-٥٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/ ٢٧٢-٢٧٣.

يشعر هذا القول من القرطبي بأنه مع الاتجاه القائل بأن هذا الشرك هو شرك طاعة لا شرك عبادة في قوله الأخير بأنه يقع فيه كثير من عوام المسلمين، بالرغم من ايراده لبقية الأقوال.

ويذهب الشوكاني إلى: أن الآية مختصة بالمشركين من العرب والنصارى[1]، وبعد أن استعرض أبو الثناء الالوسي جميع الأقوال في الآية الكريمة ذهب إلى القول: أنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته وكان مرتكبا ما يعد شركاً كيفما كان[2].

وبهذا يكون قول الألوسي أيضاً مندرجاً تحت قول الإمام الباقر من أنه عنى بالآية عامة شرك الطاعة وليس شرك عبادة.

وبهذا يتبين لنا أن الإمام أسهم إسهاماً فعالاً في معرفة وفهم الآية، تأصيلاً لقاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إذا ما قال بعض المفسرين أنها نزلت في كذا، باعتبار أن الخطاب القرآني شامل إلى يوم الدين وقد أخذ عن الإمام هذا المعنى جملة من كبار المفسرين كما اتضح في أعلاه.

خامساً: في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[3]، روى الطبرسي عن الإمام الباقر قال: قال في تفسير هاتين الآيتين: الله المعبود الذي له الخلق وممن عجز عن إدراك ماهيته والاحاطة بكيفيته، والأحد: الفرد المتفرد، والصمد: الدائم الذي لم يزل ولا يزال[4]. ونقل الفيض الكاشاني عنه أنه قال في ﴿الصَّمَدُ﴾: هو السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر ولا ناه[5].

واحتج النسفي لابطال وجود الهين لتدبير هذا العالم بالبرهان العقلي القاطع، وأكد مسألة واجب الوجود، بعد أن قرر أن معنى الأحد: أي الواحد، والواحد هو المتفرد، بعد أن أبطل جميع الاحتمالات، وقال: معنى الصمد هو السيد المصمود إليه في الحوائج، والمعنى: هو الله الذي تعرفون وتقرون بأنه خالق

---

(١) فتح القدير، الشوكاني، ٣/ ٥٥ـ ٥٦.
(٢) روح المعاني، الالوسي، ٣/ ٦٦ـ ٦٧.
(٣) الاخلاص/ ١-٢.
(٤) مجمع البيان، الطبرسي/ ١٠/ ١٢٢.
(٥) الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٩٠٦.

السموات والأرض وخالقكم وهو واحد لا شريك له وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق ولا يستغنون عنه وهو الغني عنهم[1].

وكذلك بالنسبة لابن جزي فإنه بعد أن عرض أقوال العلماء في (أحد) اختار القول بأن معناه الواحد، الفرد، وبالنسبة للصمد أيضاً فإنه رجح القول بأنه: السيد المطاع المفتقر إليه الخلق[2].

أما ابن الجوزي فقد ذكر ثلاثة أقوال في سبب نزول سورة الاخلاص الأول عن أبي بن كعب[3] والثاني عن ابن عباس[4] والثالث عن قتادة والضحاك[5] وفي كل واحد منها سؤال يوجه إلى النبي (ﷺ) في وصف الله سبحانه وتعالى، وأما في تفسير الآيات فإنه ينقل قول الخطابي -وهو قريب من قول الإمام الباقر- في معنى (أحد) ويتبناه فيقول: الأحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد، ثم يستعرض أقوال العلماء في (الصمد) ويقسمها إلى أربعة أقوال:

١-أنه السيد المطاع الذي يصمد إليه في الحوائج، قاله ابن عباس.

٢-أنه الذي لا جوف له، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وابن جبير والضحاك وقتادة والسدي.

٣-أنه الدائم.

٤-الباقي بعد فناء الخلق، حكاه أبو سليمان الخطابي. وقد اختار هو القول الأول[6]. ومن خلال هذا العرض يتضح أنه قد أخذ بقول الإمام الباقر المروي عنه في الصافي المأخوذ عن ابن عباس.

ومال القرطبي إلى أحد قولي الإمام الباقر في معنى ﴿الصَّمَدُ﴾ بعد أن فسّر ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بقوله: أي الواحد، الوتر الذي لا شبيه له ولا نظير، ولا صاحبة، ولا ولد، ولا شريك[7] وبعد أن عرض باقي الأقوال قال: قال أهل

(١) مدارك التنزيل، النسفي، ٤/ ٢٨٣- ٢٨٤.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٤/ ٢٢٣- ٢٢٤.
(٣) ظ: المسند، الإمام أحمد بن حنبل، ٥/ ١٣٣+ سنن الترمذي، ٢/ ١٧٢+ جامع البيان، ٣٠/ ٣٤٢.
(٤) ظ: تفسير البغوي والخازن.
(٥) ظ: جامع البيان، الطبري، ٣٠/ ٣٤٣+ الدر المنثور، السيوطي، ٦/ ٤١٠.
(٦) زاد المسير، ابن الجوزي، ٩/ ٢٦٤- ٢٦٨.
(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠/ ٢٤٤.

اللغة: الصمد السيد الذي يصمد إليه في النوازل والحوائج وقال قوم: الصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال، واختار القول الأول[1]، وهو اختيار البيضاوي أيضاً[2].

سادساً: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾[3] فعن زياد بن المنذر عن الإمام الباقر في تفسير ﴿قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ قال: يعني جوراً على الله أن قلنا له شريك[4].

وخلص ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية إلى القول: بأنهم لا يجورون على الله بل قاموا في قومهم فدعوهم إلى التوحيد[5]، وكذلك النسفي ذهب إلى نفس المعنى وقال: إن الشطط هو الإفراط بالظلم[6].

ومال ابن جزي صراحة إلى قول الإمام الباقر في تفسيره للآية فقال: أي لو دَعَونا من دونه إلهاً لقلنا قولاً شططاً، والشطط الجور والتعدي[7].

وبعد أن استعرض القرطبي أقوال العلماء في قيامهم في قومهم اختار قول الإمام الباقر في قوله: لئن دعونا إلهاً غيره فقد قلنا إذن جوراً ومحالاً[8]. وهو ما ذهب إليه البيضاوي[9].

سابعاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[10] فعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر قال: يفنى كل شيء ويبقى وجه الله أعظم من أن يوصف، لا، ولكن معناها: كل شيء هالك إلا دينه[11].

---

(١) المصدر نفسه، ٢٠/ ٢٤٥.

(٢) انوار التنزيل واسرار التأويل، البيضاوي، ٤/ ٢٦٩.

(٣) الكهف/ ١٤.

(٤) البرهان في تفسير القرآن، ٢/ ٢٤٦.

(٥) زاد المسير، ابن الجوزي، ١١٥/٥.

(٦) مدارك التنزيل، النسفي، ٣/ ٤.

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٢/ ١٨٣.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٣٦٦.

(٩) انوار التنزيل، البيضاوي، ٣/ ١٣٥.

(١٠) القصص/ ٨٨.

(١١) البرهان في تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٨٧.

قال ابن الجوزي فيه قولان: الأول: إلا ما أريد به وجهه، عطاء عن ابن عباس وبه قال الثوري.

والثاني: إلا هو، قاله الضحاك وأبو عبيدة[1]. ولم يرجح أحد القولين.

وقال الزمخشري: ﴿إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ إلا إياه، والوجه يعبر به عن الذات[2]، وكذلك النسفي نص على هذا التفسير وزاد: قال مجاهد: يعني علم العلماء إذا أريد به وجه الله[3].

وقال ابن كثير: اخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق ولا يموت، فعبر بالوجه عن الذات وهكذا قوله ههنا (الآية) أي إلا إياه، وقال مجاهد والثوري: أي: إلا ما أريد به وجهه، وقد وفق بين القولين توفيقاً رائعاً بقوله: وهذا القول لا ينافي القول الأول فإن هذا اخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصاحة المطابقة للشريعة[4].

واستعرض القرطبي أقوال العلماء بدون أن يرجح واحداً منها، قال: قال مجاهد: إلا هو، وقال الصادق: دينه، وقال أبو العالية وسفيان: أي: إلا ما أريد به وجهه أي ما يقصد إليه بالقربة، وعن الثوري: إلا جاهه[5].

وذهب البيضاوي إلى القول: إلا ذاته فإنما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدود[6]، وهو بهذا يميل إلى ترجيح قول من قال إلا هو.

ويذهب الآلوسي إلى هذا المعنى أيضاً أي أن وجهه ذاته المقدسة تبارك وتعالى ويستدل على ما ذهب إليه بالبراهين العقلية الدالة على ما يريد أن يوجه الآية إليه[7].

ويتبين من خلال استعراض هذه النصوص في معنى (الوجه) قد انقسمت إلى قولين، الأول: هو ذاته سبحانه وتعالى، والثاني: هو دينه بالتصريح في

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٦/ ٢٥٢.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٣/ ٤٣٧.

(٣) مدارك التنزيل، النسفي، ٣/ ٢٤٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٣٠٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/ ٣٢٢.

(٦) انوار التنزيل، البيضاوي، ٤/ ١٣.

(٧) روح المعاني، الآلوسي، ٢٠/ ١٣١ـ ١٣٢.

اللفظ كما ورد عن الباقر والصادق أو بقولهم: إلا ما أريد به وجهه من عمل صالح -وما هذا إلا من الدين- ولم يشذ واحد منهم عن هذا التفسير تنزيهاً له سبحانه وتعالى عن الجسمية التي أصبحت بعد عصر الإمام الباقر من أبرز المشاكل الفكرية التي ساهمت في إذكاء حدة الصراع بين الفرق الإسلامية القائلة بها والنافية لها.

وقد أشرنا من قبل أن التوحيد كان رائد المسلمين في أول الأمر ثم ما لبثوا أن افترقوا فريقين، الأول: شبه الباري تبارك وتعالى ومال إلى التجسيم وهم الكرامية[1]. والثاني: نزهه تعالى عن الجسمية وهم الأشعرية[2]، والإمامية[3]، والزيدية[4]، والمعتزلة[5].

ثامناً: وفي نفي مشابهة الحوادث، ورد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[6] في حوار مع جابر بن يزيد الجعفي حيث قال له الإمام الباقر: يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذه مصلى، يا جابر أن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيه، تعالى عن صفة الواصفين، وجل عن أوهام المتوهمين، واحتجب عن عين الناظرين لا يزول مع الزائلين ولا يأفل مع الأفلين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[7][8].
يستفاد من هذه الرواية، أن مقدمات شبهات المجسمين كانت منتشرة في زمن الإمام الباقر وتشير إلى أن مراكز تركز مذهب التجسيم كان في الشام وأنها تستند

---

(١) مناهج الأدلة، ابن رشد، ١٧١+ احقاق الحق، العلامة الحلي، ١/ ٤٣.
(٢) ظ: الانصاف، الباقلاني، ١٨٨+ التمهيد، الباقلاني، ١٩١+ اللمع، الأشعري، ٢٣- ٢٤.
(٣) ظ: الاقتصاد، الشيخ الطوسي، ٧٤+ التوحيد، الصدوق، ٨١.
(٤) ظ: الحور العين، الحميري، ١٤٧.
(٥) ظ: الانتصار، الخياط، ١٥- ٨٠+ شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٢١٦.
(٦) البقرة/ ١٢٥.
(٧) الشورى/ ١١.
(٨) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٥٩+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ١٥٥.

إلى مقدمات ضعيفة ربما ترتكز في ذلك على الإسرائيليات، فقد جاء في هذه الرواية رد على من يرى أن الله تعالى وضع قدمه على صخرة بيت المقدس واعتمد الرد في آلياته على ما يسمى بقياس الأولوية، فقد أجاب الباقر: أن عبداً من عباده وضع قدمه على حجر فأمرنا أن نتخذه مصلى فكيف إن كان هو إنكاراً لزعم المجسمة، ثم يصرح الإمام في ذلك موجهاً أنظار الأمة إلى أن الله تعالى لا نظير له ولا شبيه.

ويلاحظ من الرواية أنها نهجت بتفسير القرآن بالقرآن لاستدلالها بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وأن هذه الحوارية تكشف لنا عن الدور الفاعل والكبير الذي أداه الإمام الباقر مقابل تيارات التجسيم التي برزت في العالم الإسلامي ثم حوربت هذه التيارات الفاسدة من قبل المسلمين دولة وفقهاء.

تاسعاً: وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ﴾[1] فعن محمد بن مسلم الطائفي عن الإمام الباقر قال: أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه فكيف بأبصار العيون[2].

لقد اختلفت الفرق الإسلامية في مسألة الرؤية على قولين مشهورين:

الأول: جوازها من غير تكييف ولا إحاطة[3]، واستدلو بأدلة كلها غير قاطعة الدلالة لكن فيها وجه[4]. وفسرت هذه الآية أن الاستدلال بها إنما جاء في سياق التمدح[5].

الثاني: عدم الجواز لقوله تعالى: ﴿...لَنْ تَرانِي...﴾[6] وقيل أن (لن) هنا تفيد التأبيد ورتبوا عليها استحالة الرؤية[7]. ولأنه لو كان تعالى مرئياً لكان في جهة وحيز.

---

(١) الأنعام/ ١٠٣.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٩٦+ مقتنيات الدرر، الحائري، ٣/ ١٦.

(٣) الباجوري على الجوهرة، ٢/ ١٩+ الدردير شرح الخريدة، ١٠٠.

(٤) ظ: العقائد العضدية، الايجي، ٢/ ١٧٦+ الطحاوية، ١٤٤+ المواقف، الايجي، ٥٤.

(٥) التذكرة، القرطبي، ٤٩٢.

(٦) الأعراف/ ١٤٣.

(٧) اوائل المقالات، الشيخ المفيد، ٦٢+ شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٢٣٣.

أما المفسرون فقد نقل الطبري اختلاف أهل العلم وقال: فقال بعضهم: لا تحيط به الأبصار عن ابن عباس، وعن سعيد عن قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار[1]، وواضح أن هذه العبارة بنصها عن الإمام الباقر، ونقل الطبري أيضاً بسنده عن عطية العوفي أنه قال: لا تحيط أبصارهم به من عظمته وهو من رأي السدي[2].

وحجة القائلين بالجواز أنه بغير كيف لا تتوافق مع نص القرآن الكريم وهي الاحاطة الكاملة الشاملة، وأيد الزمخشري مذهب عدم جواز الرؤية، واعتبر المعتزلة أن الآية محكمة[3].

أما الفخر الرازي فقد عقد لتفسير هذه الآية فصلاً لغوياً، أصولياً، كلامياً طويلاً، وعرض وجهات النظر وأدلة الطرفين وما نوقشت به وانتهى إلى مناصرة مذهب أصحابه الأشاعرة[4].

وقال الطبرسي في تفسير الآية: أي لا تراه العيون لأن الإدراك متى قرن بالبصر لم تفهم منه إلا الرؤية، وقال: وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لأن منها ما يرى ويُرى كالإنسان وما يرى ولا يُرى، وما لا يرى ولا يرى كغير المدرك من المخلوقات، وقد تفرد الله بالآية فإنه لا يُرى ويرى غيره[5]. وإلى هذا أشار الإمام الباقر فكان مع الذين قالوا باستحالة الرؤية وعدم جوازها وتابعه على ذلك بعض المفسرين كما وضحنا.

ولعل في هذه الشواهد كفاية في توضيح جهود الإمام الباقر في تفسير بعض الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بالتوحيد ونفي الصفات.

ومما تقدم تظهر لنا حقيقتان واضحتان، الأولى: أن عصر الإمام الباقر لم يكن عصراً كالعصور التي سبقته في وحدة التوجهات الفكرية، بل كان عصراً

---

(١) جامع البيان، الطبري، ٧/ ٢٠٠.
(٢) المصدر نفسه، ٧/ ١٩٩.
(٣) الكشاف، الزمخشري، ١/ ٣٢٢.
(٤) التفسير الكبير، الرازي، ١٣/ ١٢٤.
(٥) مجمع البيان، الطبرسي، ٤/ ٣٤٤.

تموج فيه مجموعة من التيارات الدخيلة والمدخلة على الوسط الثقافي الإسلامي، فلم يكن دور الإمام في تفسيره لآيات التوحيد دور الموضح والكاشف عن المعاني إنما إلى جنب ذلك كان دوراً يصح التعبير عنه أنه المصحح والموجه والكاشف عن مكامن الزيغ والضلال، وإذا تتبعنا أقوال المفسرين ولا سيما المتقدمين منهم سنكتشف أن للإمام الباقر دوراً فاعلاً في تحديد المنهج الذي ينبغي السير عليه في فهم آيات الله تعالى.

إن عصر الإمام الباقر لم يكن العصر الذي تفهم فيه آيات الله على ظاهرها، وأن منهج التفويض لم يثبت أنه قد أمر به رسول الله (ﷺ)، أما سكوت الصحابة عن تفسير هذه الآيات فلأنهم فهموها على ضوء سليقتهم ولعدم وجود المداخلات الدخيلة على ثقافتهم القرآنية، وقد ورد التأويل عن ابن عباس رضي الله عنه في كثير من المواضع.

ويظهر لي أن معظم ما ينقل عن الإمام الباقر له علاقة فيما نقل عن آبائه الكرام وعن بعض الصحابة الميامين وهذا يجرنا إلى القول أن تقسيم العصور إلى سلف وخلف تقسيم ضعيف، فهذا الطبري ينقل لنا في تفسير رأي المؤولين بنزاهة إلى جانب رأي المفوضين، وهذا مجاهد الذي يقول عنه ابن تيمية: إمام المفسرين[1]، ويقول عنه الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به[2]، وهو يجنح إلى التأويل ناقلاً له عن بعض الصحابة[3].

ونحن إذا راجعنا تفاسير بعض آيات التوحيد وحكمنا الضوابط التي فسرت في ضوئها نجدها مأخوذة عن تفسير الباقر وغيره، كضابط تفسير القرآن بالقرآن وضابط تفسير القرآن بقواطع العقل.

إن ضرورة اتباع هذه الضوابط جاءت نتيجة لتغير ظروف العصر -زمن الإمام الباقر- وظهور الشبهات مع بواكير اختلاط المسلمين بغيرهم من أهل

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة، الاتقان، السيوطي، ٢/ ٢١٠.

(٣) ظ: محاضرات في تفسير آيات الصفات بين المفوضة والمؤولة، استاذنا الدكتور محسن عبد الحميد.

الكتاب، ونلحظ أيضاً تأثير الإمام في تأويل بعض الآيات في أقوال غيره من التابعين من أمثال سعيد وقتادة وعطاء وسفيان الثوري وغيرهم.

الحقيقة الثانية: إن هذه النماذج التي عرضناها تمثل الاتجاه المدافع عن الحقيقة القرآنية كما في قبالة تلك التيارات التي أرادت أن تخلق مجموعة من الفهم المضلل للقرآن الكريم، لأن الفهم الصحيح لمسائل العقيدة لا بد أن يستند إلى القرآن الكريم وإلى قواعد العقل ولا بد له من إحالة المتشابه على المحكم ولا بد أن تكون مخلصة في مجابهتها لتيارات التمزق والفرقة، ولقد كان الإمام الباقر علماً بارزاً كأحد أعلام هذه الأمة في تأصيل هذا المنهج وتعميم الأخذ به، وقد ظهر ذلك واضحاً من هذه الأمثلة والنماذج التي سقناها على سبيل المثال، وإلا فإن أحصاءها والكشف عن مقاصدها وآثارها في مسيرة الفكر العربي الإسلامي يتطلب مني التوسع الكثير الذي لا تتسع له صفحات هذه الرسالة.

المبحث الثاني

النبوة والوحي

اتفقت المذاهب الإسلامية وهي تدرس نظرية المعرفة على عدم الاقتصار على المعارف العقلية وقرروا حاجة العقل الإنساني إلى ما يستعين به لتحديد الأعمال وتعيين الاعتقادات، وذلك المعين أو المحدد هو النبي ووافقهم في ذلك كل الفلاسفة وجميع المؤمنين بالشرائع السماوية[1].

إن أحوال الكون ومراتب الأخلاق ويقينيات الآخرة لا يمكن للعقل البشري أن يصل إليها لوحده إلا بالاستعانة بما يحقق الاتصال بالله تعالى وهم الأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[2].

---

(١) أصول الدين الإسلامي، د. قحطان الدوري، ٢٠٠.

(٢) آل عمران/ ١٦٤.

وللنبوة في اللغة عدة معان منها :

١-الخبر : فهي من النبأ وهو الخبر ، فالنبي من أنبأ عن الله تعالى[١] .

٢-الارتفاع : من النبوة وكذلك النباوة ، والنبي على هذا هو الرفيع المنزلة عند الله[٢] .

٣-الطريق : باعتبار أنها وسيلة إلى الله تعالى ويقال للرسل عن الله تعالى أنبياء لكونهم طريق الهداية[٣] .

وفي الاصطلاح فقد استقر تعريفها عند العلماء بتفضل من الله تعالى على من اختصه بكرامته لعلمه بحميد عاقبته واجتماع الخلال الموجبة في الحكمة بنبوته في الفضل عمن سواه[٤] .

وإن مباحث النبوة التي استهدى علماء الكلام للوصول إليها بآيات القرآن الكريم عززت بايضاحات أئمة المسلمين وهم يكشفون النقاب عن مراميها ومقاصدها ، وقد كان للإمام الباقر دور بارز في هذا الكشف من خلال أقواله وآرائه في الآيات ذات الصلة بمبحث النبوة ، فهي على كثرتها حيث بلغت سبعاً وعشرين رواية فإننا سنختار وفقاً لتسلسل ورودها في ترتيب المصحف الشريف ما نعتبره نموذجاً كاشفاً عن جهود الإمام في هذا المجال وأثره فيه :

أولاً: قبل أن نقف على تلك الروايات يجب علينا ونحن في هذا المبحث أن نوضح الفرق بين النبي والرسول ونكشف عن رأي الإمام الباقر في هذه المسألة فنقول : اختلف العلماء في بيان الفرق بين النبي والرسول على قولين :

الأول : هو ما ذهب إليه جمهور المعتزلة : من أنه لا يوجد فرق بينهما ، فالنبي رسول والرسول نبي[٥] .

ومن أدلتهم على ذلك :

---

(١) الصحاح، الجوهري، ١/ ٧٤ـ ٧٥+ شرح المقاصد، التفتازاني، ٢/ ١٢٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ١٥/ ٣٠١ـ ٣٠٢+ شرح مطالع الأنظار، الاصفهاني، ١٩٨.

(٣) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٥٦٧.

(٤) اوائل المقالات، الشيخ المفيد، ٧٤ـ ٧٥.

(٥) اعلام النبوة، الماوردي، ٣٧ـ ٣٨+ شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ٥٦٧ـ ٥٦٨.

أ-قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾[1]، وجه الدلالة: دلت الآية على أن معنى النبي والرسول واحد وأنهما لا فرق بينهما[2].

ب-قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[3]، وجه الدلالة: قد جعلت الآية كل من الرسول والنبي مرسلاً من عند الله (فلا يكون النبي إلا رسولاً ولا الرسول إلا نبياً)[4].

القول الثاني: ما ذهب إليه متكلموا الأشعرية والإمامية وهو أنه يوجد فرق بين النبي والرسول مستدلين على ذلك بأدلة منها:

أ-قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾[5]، وجه الدلالة: دلت الآية على ثبوت التغاير بين الرسول والنبي، وهو عطف عام على خاص ويقتضي المغايرة[6].

ب-إن من أنبياء الله كانوا حفظة لشرائع الرسل وخلفائهم في المقام[7]. وإن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات[8]. بدليل قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾[9] وفي ذلك دلالة على الفرق بينهما[10].

وقد أوضح الإمام الباقر الفرق بين النبي والرسول مع البواكير الأولى لظهور هذه الفرق الكلامية الإسلامية وحتى قبل ظهور بعض منها، وذهب إلى أن هناك فرقاً بينهما حيث قال: الرسول الذي تأتيه الملائكة ويعاينهم وتبلغه عن الله تعالى، والنبي: الذي يرى في منامه، فما رأى كما رأى[11].

---

(١) مريم/٥٤.
(٢) الكستلي على النسفية، ٣٦+ حاشية المرجاني، ١/ ١٢.
(٣) الحج/ ٥٢.
(٤) الشفا، القاضي عياض، ١/ ٢٥٠.
(٥) الحج/ ٥٢.
(٦) الأساس لعقائد الأكياس، القاسم، ١٣٨.
(٧) أوائل المقالات، الشيخ المفيد، ٤٩.
(٨) أعلام النبوة، الماوردي، ٣٨.
(٩) مريم/ ٥١.
(١٠) العقيدة الإسلامية، الميداني، ٢/ ٤٢.
(١١) الكافي، الكليني، ١/ ١٧٧+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٤٧.

وقد كانت هذه الرواية من الأدلة الخاصة بالإمامية، وهي تكشف أيضاً عن مدى اهتمام المسلمين بمثل هذه القضايا زمن الإمام الباقر من جهة وتوضح الدور الفعال الذي كان يقوم به الإمام في بلورة فهم إسلامي صميم مستنداً على القرآن الكريم والسنة المطهرة من جهة أخرى في الخوض بمباحث النبوة وما يتصل بها.

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾[1]، روي بسند صحيح عن عبد الرحيم القصير قال: قال الإمام أبو جعفر (عليه السلام): كشط الله له عن الأرضين حتى رآهن وما تحتهن وعن السموات حتى رآهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش[2].

ونقل ابن الجوزي أقوال المفسرين في هذه الآية، فعن مجاهد: ملكوت السموات والأرض: آياتها، تفرجت له السموات السبع حتى العرش فنظر فيهن، وتفرجت له الأرضون السبع فنظر فيهن، وقال قتادة: ملكوت السموات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار، وقال السدي: أقيم على صخرة، وفتحت له السموات والأرض فنظر إلى ملك الله (عزَّ وجلَّ)، حتى نظر إلى العرش وإلى منزله من الجنة، وفتحت له الأرضون السبع حتى نظر إلى الصخرة التي عليها الأرضون[3].

يتضح مما نقله أبو الفرج إن قول مجاهد وكذلك السدي كان قريباً من قول الإمام الباقر في هذه الآية وحصر قتادة لملكوت السماوات والأرض بتلك المسميات فقط دعوى بلا دليل.

ولم ينقل الزمخشري أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين في هذه الآية واكتفى بالقول: ملكوت السموات والأرض يعني الربوبية والألوهية، فنوفقه إلى معرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال[4].

---

(١) الأنعام/ ٧٥.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٢٦٣+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ٣٤+ مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٢٢+ مقتنيات الدرر، الحائري، ٤/ ١٩٨.

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي، ٣/ ٢٧٠.

(٤) الكشاف، الزمخشري، ٢/ ٤٠.

ونقل النسفي قول مجاهد المتقدم فقط ولم يعلق عليه ترجيحاً أو تركاً[1]، وأورد القرطبي أربعة أوجه في تفسير الآية فقال: قيل: أراد به ما في السموات من عبادة الملائكة والعجائب وما في الأرض من عصيان بني آدم... روى معناه الإمام علي عن النبي(ﷺ)، وقيل: كشف الله له عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين، وروى ابن جريح عن القاسم عن إبراهيم النخعي قال: فرجت له السموات السبع فنظر إليهن حتى انتهى إلى العرش، وفرجت له الأرضون فنظر إليهن ورأى مكانه في الجنة... عن السدي، وقال الضحاك: أراه من ملكوت السماء ما قصه من الكواكب، ومن ملكوت الأرض البحار والجبال والأشجار ونحو ذلك مما استدل به، وقال بنحوه ابن عباس[2].

إذن القول الثاني مما أورده القرطبي يؤيد ما ذهب إليه الإمام الباقر في تفسير الآية ويعزز ما ذهبنا إليه من أن الله تعالى من مقتضيات لطفه أنه يمكن الأنبياء من العلم بالكون المشاهد تفصيلاً كما يمكنهم من العلم بالكون المقروء.

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿...وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ...﴾[3] روى الطبري وغيره عن الإمام الباقر قال: أي في أصلاب النبيين، نبي بعد نبي، حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم[4] غير أنه لم يرجح قول الإمام الباقر وصوب القول بأن معنى هذه الآية هو: ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك حين تقوم معهم وتركع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه[5]. ويكون بهذا قد أجرى اللفظ على ظاهره.

ونقل ابن الجوزي الأقوال في تفسير هذه الآية بدون أن يرجح واحداً منها فقال: فيه ثلاثة أقوال:

---

(١) مدارك التنزيل، النسفي، ٢/ ١٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/ ٢٣ـ ٢٤.

(٣) الشعراء/ ٢١٩.

(٤) جامع البيان، الطبري، ١١/ ٥٥+ الدر المنثور، السيوطي، ٣/ ٢٩٤-٢٩٥+ مجمع البيان، الطبرسي، ٧/ ٢٠٧+ تفسير فرات، فرات بن إبراهيم الكوفي، ١٠٨.

(٥) جامع البيان، الطبري، ١١/ ٥٦.

أحدها: وتقلبك في أصلاب الأنبياء حتى أخرجك، رواه عكرمة عن ابن عباس.

الثاني: وتقلبك في الركوع والسجود والقيام مع المصلين في الجماعة، وهذا قول الأكثرين منهم قتادة.

الثالث: وتصرفك في ذهابك ومجيئك في أصحابك المؤمنين، قاله الحسن[1].

وذكر الزمخشري القولين الثاني والثالث في أعلاه ولم يذكر القول الأول ولم يرجح واحداً منهما[2]، وأيد النسفي القول الثالث في أعلاه ذاكراً للقول الثاني مع عدم الميل إليه، ولم يذكر القول الأول أيضاً[3].

وأضاف القرطبي لهذه الأقوال الثلاثة قولاً رابعاً غير أنه استبعده وهو: أنك ترى في قلبك في صلاتك من خلفك كما ترى بعينك من قدامك، وكان(عليه السلام) يرى من خلفه كما يرى من بين يديه، وذلك ثابت صحيح وفي تأويل الآية بعيد[4]، غير أنه لم يرجح أحد الأقوال أيضاً.

ويميل الباحث إلى قول ابن عباس رضي الله عنه والإمام الباقر من أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) تقلب في أصلاب الأنبياء، نبي بعد نبي، حتى أخرجه، لأن الصراع بين الفهم التلمودي للإسلام والفهم المحمدي له قائم على أساس أن النبوة منحصرة في إسحق، وقد أسهم القرآن الكريم في دحض هذه الفرية فمدح النبي(صلى الله عليه وآله) في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ ليشير إلى أنه(صلى الله عليه وآله) مولود من أصلاب الأنبياء كذلك مما يلزمهم الإيمان به كما آمنوا بأنبياء بني اسرائيل ويثبت لهم أن اسماعيل(عليه السلام) ممن أوتي النبوة دحضاً لما اعتبر أساساً دينياً عند اليهود بتكذيب نبوة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وبتفسير الإمام الباقر وقبله ابن عباس تتجلى هذه الحقيقة واضحة وتنكشف الفرية اليهودية، فيكون تفسير الإمام من روافد الفهم الإسلامي الصحيح لتدرج النبوات ولمفهوم الاصطفاء لهذه الشريحة الكريمة من البشر.

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٦/ ١٤٨-١٤٩.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٣/ ٣٤١-٣٤٢.

(٣) مدارك التنزيل، النسفي، ٣/ ١٩٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/ ١٤٤.

رابعاً: في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[1] قال الطبرسي: أولوا العزم من الرسل من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه، وهم خمسة، أولهم: نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد (صلى الله عليه وعليهم أجمعين)، عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن الإمام أبي جعفر الباقر[2].

وقال الإمام الباقر: وهم سادة النبيين وعليهم دارت رحى المرسلين[3].

اختلف العلماء في مسميات أولي العزم من الرسل على عشرة أقوال ذكرها جميعاً ابن الجوزي[4] والقرطبي[5] دون أن يرجحا قولاً، واختار الزمخشري[6] والبيضاوي[7] كل واحد منهما قولاً يخالف ما اختاره الآخر غير أنه لم يكن أي منهما موافقاً لقول الإمام الباقر.

وأعرض ابن كثير عن ذلك تلك الأقوال واختار ما قاله الإمام الباقر وما روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء من أن أولي العزم هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد(ﷺ) وقال: قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي الأحزاب والشورى[8].

ويتضح من قول ابن كثير أنه قد رجح ما كان الدليل عليه من القرآن الكريم، ويرجح الباحث ما مال إليه ابن كثير من جهة وأن في الآية تسوية بين النبي محمد(ﷺ) وأولي العزم من جهة أخرى، أوضح فيها الإمام الباقر هذا المصطلح القرآني بأنهم أصحاب الشرائع السماوية والذي جعل من ملازماتها أن كل شريعة لاحقة تنسخ الشريعة السابقة.

---

(١) الأحقاف/ ٣٥.
(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ٩٤.
(٣) مقتنيات الدرر، الحائري، ١٠/ ٤٣٠.
(٤) زاد المسير، ابن الجوزي، ٧/ ٢٩٢-٢٩٣.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٦/ ٢٢٠-٢٢١.
(٦) الكشاف، الزمخشري، ٤/ ٣١٣.
(٧) أنوار التنزيل، البيضاوي، ٤/ ١٤٦.
(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/ ٣٠٧ مشيرا في الآيتين إلى قوله تعالى: ﴿... وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ...﴾ الأحزاب/ ١٧ وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ الشورى/ ١٣.

خامساً: في قوله تعالى: ﴿...إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1] وما رجعنا إلى هذه الآية من سورة البقرة إلا لتعلق الأمر بعصمة الأنبياء وطالما تكلم عليها علماء الفرق الإسلامية وأما أهل اللغة فقالوا العصمة: بمعنى الحفظ أو المنع[2]، أما في الاصطلاح فهي اللطف الذي يفعله الله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح[3].

وقد اختلف العلماء في عصمة الأنبياء قبل البعثة أو بعدها عن الصغائر أو الكبائر مما جعلها من مباحث علم الكلام، فمن أراد الاستزادة منها فليراجعها في مظانها[4].

وعلى أية حال، فإن الإمام الباقر فسر الآية أعلاه برواية جابر الجعفي عنه أنه قال: إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً واتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً واتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، فلما جمع له هذه الأشياء وقبض يده قال له: يا إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾، فمن عظمها في عين إبراهيم قال: يا رب ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾؟ قال: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[5].

وفي هذا التفسير دلالة على أن مفهوم الاصطفاء يستلزم الانصياع المطلق لله تعالى وفيه إشارة إلى أن الأنبياء معصومون قبل البعثة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فالظالم لفظ مشتق يتحقق التلبس بمتعلقه متى حصل منه ظلم، فلو حصل قبل البعثة عد ظالماً ووجب تكذيب الخبر وحيث اللازم باطل بطل الملزوم.

وذهب لهذا المعنى النسفي في قوله: سأل أن يكون ولده نبياً كما كان هو فأخبر أن الظالم لا يكون نبياً، بعد أن عرض القول الأول وهو الإمامة وقال فيه: ولكنا نقول المراد بالظالم الكافر هنا إذ هو الظالم المطلق[6].

---

(١) البقرة/ ١٢٤.

(٢) لسان العرب/ ابن منظور، ١٢/ ٤٠٤+ تاج العروس، الزبيدي، ٨/ ٣٩٩.

(٣) الأمالي، المرتضى، ٢/ ٣٤٧+ شرح عقائد الصدوق، الشيخ المفيد، ٢٥٤.

(٤) ظ: المواقف، الايجي، ٣/ ٢٠٥+ الشفا، القاضي عياض، ٢/ ٢٠٣+ كشف المراد، العلامة الحلي، ٢١٧.

(٥) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٥٦+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٣٦٠.

(٦) مدارك التنزيل، النسفي، ١/ ٧٣.

ومال ابن كثير إلى ما اختاره الطبري عندما نقل عنه اختياره أنه لا ينال عهد الله بالإمامة ظالماً عن مجاهد وغيره[1]، وكذلك بالنسبة إلى ابن الجوزي فقد مال إلى أن العهد هو الإمامة بعدما روى عن السدي أنها تعني النبوة[2].

وعرض القرطبي أقوال العلماء في المسألة وجعل أولها ما رواه أبو صالح عن ابن عباس: أنها النبوة، وبه قال السدي ومجاهد[3]. أي أن الظالم لا يكون نبياً حين تلبسه بالظلم قبل البعثة لأنه ينافي العصمة وهو تفسير الإمام الباقر كما تقدم غير أن القرطبي هنا عرض الأقوال بدون تصويب.

واختار الزمخشري القول بأن الإمامة هي العهد في هذه الآية وأن الله سبحانه وتعالى لا يجعل الظالم إماماً، بل يجب أن يكون عادلاً بريئاً، منزهاً من الظلم وأطال في ضرب الأمثلة لذلك[4].

يتبين مما تقدم من عرض أقوال العلماء في مسألة العصمة ومفهوم الاصطفاء أن منهم من ذهب إلى ما ذهب إليه الإمام الباقر ومنهم من خالفه، رائد الجميع في ذلك هو التوصل لفهم مراد الله تعالى ضمن الإطار العام للفكر الإسلامي.

سادساً: في قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[5]، عن محمد بن مسلم وجابر الجعفي قالا: سئل الإمام أبو جعفر الباقر: أكان عيسى ابن مريم حين تكلم في المهد حجة لله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبياً حجة لله غير مرسل أما تسمع قوله حين قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فقيل: فكان يومئذ حجة له على زكريا في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسى (عليه السلام) في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبر عنها وكان نبياً حجة على من أسمع كلامه في تلك الحال ثم صمت ولم يتكلم حتى مضت له سنتان وكان زكريا الحجة لله تعالى بعد صمت عيسى بسنتين ثم مات زكريا فورثه ابنه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٢٩٣-٢٩٤.
(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ١/ ١٤٠-١٤١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/ ٩٧-١٠٠.
(٤) الكشاف، الزمخشري، ١/ ١٨٤.
(٥) مريم/ ٣٠.

يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير أما تسمع لقوله عز وجل: ﴿يا يَحْيى خُذِ الْكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1] فلما بلغ عيسى (عليه السلام) سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله إليه، فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين[2].

ويؤيد ما ذهب إليه الإمام الباقر النسفي في قوله: أنه كان في المهد نبياً وكلامه معجزته[3]، ولكنه لم يفصل ما فصله الإمام الباقر.

واختار ابن الجوزي القول في معنى الآية أي يؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً إذا بلغت، فحل الماضي محل المستقبل[4]، وهو ما ذهب إليه سفيان الثوري قبله[5].

وأيد القرطبي قول الإمام في أن تكلم عيسى في المهد كان رحمة لأمه مريم وحجة على الناس فإن كان التفسير كذلك فقد خلص القرطبي إلى تصويبه وإن كان خلاف ذلك اعتبر القول الثاني هو الصحيح[6].

وأخيراً فإن في النص المتقدم عن الإمام الباقر تفريقاً بين كون وضع سيدنا عيسى (عليه السلام) حين تكلم في المهد آية -أي معجزة للناس- ورحمة لمريم (عليها السلام) وحجة على من سمع لأنه دعى إلى نفسه مستدلاً على ذلك بالقرآن الكريم بوجوب التمسك بما ورد عن الأنبياء، وفيها من جهة المنهج وجوب تفسير المشكل من بعض الكتاب بالكتاب.

والذي نستشفه أيضاً أن ظاهرة تفسير القرآن بالقرآن في أقوال وآراء الإمام الباقر بارزة، فما أن يشكل الناس على تفسيره بشيء حتى يسند قوله بما يفسر تلك الآية من القرآن نفسه، ومن ذلك نعرف أن سياقات التفسير عند الإمام إشارة بوضوح إلى اعتماد منهج تفسير القرآن بالقرآن كأولى المناهج كما وضحنا في الفصل الرابع في الباب الأول من هذه الرسالة.

---

(١) مريم/ ١٢.

(٢) الصافي في تفسير القرآن، ٢/ ٤٣-٤٤+ الكافي، الكليني، ٤/ ٥٦.

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي، ٥/ ٢٢٩.

(٤) مدارك التنزيل، النسفي، ٣/ ٣٤..

(٥) تفسير القرآن الكريم، سفيان الثوري، ١٤٣. واخرج عبد الرزاق عن عكرمة قال: قضى فيما قضى ان اكون كذلك، ظ: الدر المنثور، السيوطي، ٤/ ٢٧٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ١١/ ١٠٢-١٠٣.

سابعاً: وفي إطار الوحي، فقد كان للإمام الباقر جهد واضح في التفريق بين أنواعه والتمييز بين ألفاظه، فقد ورد عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[1] بسند صحيح عن زرارة بن أعين أن الإمام الباقر سئل عن هذه الآية فقال: الهام[2].

وذهب ابن كثير إلى هذا التفسير في قوله المراد بالوحي هنا: الإلهام والهداية، والإرشاد أن تتخذ من الجبال بيوتاً تأوي إليها[3]، واختار هذا القول أيضاً ابن جزي في قوله: الوحي هنا بمعنى الإلهام، فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحي منام، ووحي الهام[4]، وهو اختيار النسفي أيضاً[5].

وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الآية قولين: أحدهما: أنه الهام، وبه قال مجاهد والضحاك ومقاتل، والثاني: أنه أمر، رواه العوفي عن ابن عباس[6].

وأيد القرطبي تفسير الإمام الباقر للوحي بمعنى الإلهام في قوله: أنه قد يكون بمعنى الإلهام وهو ما يخلقه تعالى في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر[7].

يتبين من تفسير الإمام الباقر وأقوال المفسرين من بعده لهذه الآية أصل لمنهج يتجه لتحديد المصطلح القرآني من خلال الفهم العام للقرآن الكريم، ثم من خلال الاستعانة بالسياق، فللوحي كما هو معروف لغة معاني كثيرة إذا أخذ الأمر على إطلاقه فمنه الإشارة ومنه الكلام الخفي ومنه الأمر، لكنه هنا باعتبار المخاطب فهو الهام ثبت بتفسير الإمام.

ثامناً: وفي رواية أخرى في إطار أنواع الوحي عن زرارة بن أعين عن الإمام أبي جعفر الباقر قال: الأنبياء على خمسة أنواع: منهم من يسمع الصوت مثل

---

(١) النحل/ ٦٨.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٦٣+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٣٧٥+ قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٣١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٢٠٥.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٢/ ١٧٥.

(٥) مدارك التنزيل، النسفي، ٢/ ٢٩٢.

(٦) زاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٤٦٥.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ١٣٣.

صوت السلسلة فيعلم ما عنى به، ومنهم من ينبأ في منامه مثل يوسف وإبراهيم ومنهم من يعاين، ومنهم من ينكت في قلبه، ومنهم من يوقر في أذنه[1].

وفي هذا النموذج إيضاح لأنواع الوحي أخذ به علماء الأمة، والإلهام القذف في القلب أجلى أنواعه لقوله(ﷺ): إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها[2].

وقال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...﴾[3] وأعلم أن كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة وحي إلا أن الله تعالى خصص القسم الأول باسم الوحي لأن ما يقع في القلب على سبيل الإلهام يقع دفعة فتخصيصه به أولى[4].

وهكذا يتبين لنا من هذه العينة المجتزأة من بعض تفسير الإمام الباقر للآيات المتعلقة بالنبوة جهد علمي رفيع في الكشف عن مفاصلها المعرفية من حيث مشاركته في التفريق بين النبي والرسول وأقواله في علم الأنبياء وعصمتهم وأخيراً في الوحي وأقسامه وإشارة إلى بعض المناهج في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الثالث

الإمامة

اختار معظم المسلمين القول بوجوب الإمامة، ولم يخالف هذا الإجماع إلا النجدات من الخوارج والفوطي والأصم[5].

غير أنهم قد اختلفوا في جهة وجوبها، فمنهم من أوجبها عقلاً ومنهم من

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ١٦٦+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٤٦+ بحار الأنوار، المجلسي، ٥/ ١٥.

(٢) الجامع الصغير، السيوطي، ١/ ٩٠.

(٣) الشورى/ ٥١.

(٤) التفسير الكبير، الرازي، ٢٧/ ١٨٧.

(٥) ظ: راي النجدات في: الملل والنحل، الشهرستاني، ٤/ ٧ وراي هشام الفوطي في: أصول الدين الإسلامي، البغدادي، ٢٧١-٢٧٢ وراي الأصم في: مقالات الإسلاميين، الأشعري، ٢/ ١٣٣.

أوجبها سمعاً، فالقائلون بوجوبها عقلاً هم الشيعة الإمامية ومعتزلة بغداد والجاحظ وأبو الحسين من معتزلة البصرة[1].

وانقسم هؤلاء إلى فريقين:

الأول: وهم الإمامية القائلون بوجوبها عقلاً على الله تعالى من حيث كانت لطفاً[2]، وذلك لأنها ضرورية لحفظ الشريعة ودفع المفاسد وإقامة الحدود ونشر الأحكام، ولا يكفي في ذلك نصب الأنبياء واستحالة تصور إمكان قيام مجتمع بدون حاكم، وفي نصب الإمامة استجلاب مصالح ودفع مضار لا تحصى فبه يتم صلاح المعاش والمعاد، والعدالة الإلهية تقتضي ذلك وعناية الله من مستلزماتها أن لا يترك العالم خالياً ممن يدبر أمر الناس[3]، وبه قالت الإسماعيلية[4].

الثاني: وهم معتزلة بغداد الذين قالوا بوجوبها على المكلفين من حيث كان في الرياسة مصالح دنيوية ودفع مضار دنيوية[5].

وأما القائلون بوجوبها سمعاً فهم معتزلة البصرة والجبائيان -أبو علي وأبو هاشم-، وجمهور أهل السنة[6]، مستدلين بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[7].

ويرى العلامة الحلي أنه لكي تكون الإمامة لطفاً فلا بد من النص عليه باسمه ونسبه، ولذلك يذهب الإمامية إلى أنه من منتجات نظرية اللطف أن ينصب الله تعالى للناس إماماً في نص صريح بآياته وبأمر منه إلى النبي(ﷺ) وقد استدلوا بأدلة كثيرة نجد بعض تفسيرها منقولاً عن الإمام الباقر ومن تلك الروايات:

-في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[8] برواية بريد بن معاوية العجلي قال: قلت له: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾؟ فقال

---

(١) تلخيص الشافي، الشيخ الطوسي، ١/ ٦٨+ شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ٢/ ٣٠٨.
(٢) كشف المراد، العلامة الحلي، ٣٢٥+ تجريد العقائد، المحقق الطوسي، ٩٣.
(٣) أصول المعارف، محمد الكاظمي، ٨٢+ الألفين، العلامة الحلي، ١٥.
(٤) المواقف، الايجي، ٨/ ٣٤٥.
(٥) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ٢/ ٣٠٨.
(٦) المغني، القاضي عبد الجبار، ٢٠/ ق١/ ١٦+ أصول الدين الإسلامي، البغدادي، ٧٧١.
(٧) النساء/ ٥٩.
(٨) البقرة/ ١٤٣.

أبو جعفر الباقر: نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء لله على خلقه وحجته في أرضه[1].

ورواية أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر يقول: نحن نمط الحجاز، فقلت: وما نمط الحجاز؟ قال: أوسط الأنماط، إن الله يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: ثم قال: إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر[2].

وأخرج القرطبي عن الإمام علي في تفسير الآية قوله: عليكم بالنمط الأوسط فإليه ينزل الغالي وإليه يرتفع النازل[3].

واستدل الإمامية بأدلة عقلية كثيرة ليس هنا المجال لعرضها طالما نحن في مجال الروايات التفسيرية المتعلقة بمبحث الإمامة والمنقولة عن الإمام الباقر فقط، فمن أراد الاطلاع والاستزادة فعليه مراجعتها في مظانها[4].

وقد اقترن بنظرية الإمامة عند الشيعة الإمامية مفهوم عصمة الإمام، ويعرفها الشيخ المفيد بأنها: الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح فهي ليست مانعة من جهة القدرة[5]، وقد استدلوا عليها أيضاً بأدلة نقلية وعقلية كثيرة، ومن أدلتهم النقلية المأخوذة من روايات تفسيرية عن الإمام الباقر ما يأتي:

١- في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[6] فقد وردت روايتان بطريقين مختلفين في تفسير هذه الآية عن الإمام الباقر، كما يأتي:

- عن جابر الجعفي قال: سألته عن هذه الآية -يقصد الإمام الباقر- فقال: الأوصياء.

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١، ٦٢+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ١٦٠.

(٢) البرهان في تفسير القرآن، القمي، ١/ ١٦٠+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ١١٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/ ١٥٤.

(٤) ظ: الألفين، العلامة الحلي، ١٢٠-١٢٤+ الشيعة والإمامة، محمد رضا المظفر+ نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، د. صبحي محمود وغيرها.

(٥) اوائل المقالات، الشيخ المفيد، ٣/ ٩٧.

(٦) النساء/ ٥٩.

- وفي رواية عبد الله بن عجلان عنه قال: هي في علي وفي الأئمة الذين جعلهم الله في مواضع الأنبياء غير أنهم لا يحلون شيئاً ولا يحرمونه[1].

٢-في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ﴾[2] نفس التفسير للآيات المتقدمة في أعلاه، وغيرها من الآيات ذات الصلة.

وتبين للباحث خلال الجهد الاستقرائي الذي قام به في البحث عن روايات تفسيرية منقولة عن الإمام الباقر في مصادر الحديث والتفسير عند كلا الفريقين في مبحث الإمامة وجد أن أكثرها بل كلها في مصادر الشيعة الإمامية، وقد وصلت إلى خمس وخمسين رواية حصراً، غير أننا سنختار بعضاً منها دون مقارنتها بأقوال المفسرين الآخرين لأننا وجدنا أن تفسير معظم هذه الآيات يختلف اختلافاً كلياً عمّا ورد عن الإمام الباقر من أثر، ولنتابع بعض تلك الروايات بما يشير إلى هذا الاتجاه -يعني الإمامة- ووجوبها.

أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[3] عن سعد بن طريف قال: سألت الإمام أبا جعفر الباقر عن هذه الآية قال: آل محمد (ﷺ) أبواب الله وسبيله والدعاة إلى الجنة والقادة إليها والإدلاء عليها إلى يوم القيامة[4].

وفي تفسير العياشي عنه قال: يعني أن يأتي الأمر من وجهه، أي الأمور كان[5].

وقد روى الطبري عن البراء في سبب نزول هذه الآية: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية آتوا البيت من ظهره فأنزل الله هذه الآية[6]، وفي الدر المثور عن ابن عباس مثله[7].

---

(١) مجمع البيان الطبرسي، ٣/ ٦٤، ٨٢+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٢٤٩+ اثبات الهداة، الحر العاملي، ٣/ ٤٧.

(٢) النساء/ ٨٣.

(٣) البقرة/ ١٨٩.

(٤) تفسير القرآن، القمي، ١/ ١٨٩+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ١٧١.

(٥) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ١٥٢.

(٦) جامع البيان، الطبري، ١/ ١٠٥.

(٧) الدر المثور، السيوطي، ١/ ٢٠٤.

وقلنا في موضع آخر بأن مفاد القاعدة الأصوليه التي تقول العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب تجعل سبب النزول الذي ذكره الطبري والسيوطي لا ينحصر معنى الآية فيه، فلذلك ما ورد عن الإمام الباقر من روايتين في تفسير هذه الآية يعد من بعض مصاديقها.

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿...وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾[1] روى الفضيل بن يسار عن الإمام الباقر قال: نحن نعلمه[2].

ثالثاً: عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر الباقر عن قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ﴾[3] قال الإمام الباقر: وأما أولوا العلم الأنبياء والأوصياء وهم قيام بالقسط والقسط العدل[4].

حصر الإمام الباقر (أولي العلم) بهاتين الشريحتين فقط في حين أن بعض المفسرين ذهب إلى حمل اللفظ على اطلاقه فقال: والمراد بأولي العلم هنا علماء الكتاب والسنة وما يتوصل به إلى معرفتهما إذ لا اعتداد بعلم لا مدخل له في العلم الذي اشتمل عليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة[5].

إذن يمكن حمل قول الإمام الباقر على أن آل البيت(عليهم السلام) هم من علماء الأمة الإسلامية ومن أعلم الناس بالقرآن الكريم والسنة الشريفة.

رابعاً: وعن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر الباقر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ﴾[6] قال الإمام الباقر: نحن منهم، ونحن بقية تلك العترة[7].

---

(١) آل عمران/ ٧.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٤١٠+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ١٦٤+ تفسير القرآن، القمي، ١/ ٧١.

(٣) آل عمران/ ١٨.

(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ١٦٥+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٢٦٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/ ٢٩٥.

(٦) آل عمران/ ٣٣.

(٧) تفسير فرات، فرات الكوفي، ٢٠+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ١٦٨- بحار الأنوار، المجلسي، ٧/ ٤٦.

ونقل القرطبي والشوكاني عن ابن عباس قوله: آل إبراهيم وآل عمران: المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد يقول الله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1][2].

خامساً: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3]، روى بريد بن معاوية عن الإمام الباقر عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين علي قال: فينا نزلت هذه الآية، قال رسول الله(ﷺ): أنا المنذر وأنت الهادي[4].

وفي هذا الصدد مجموعة من الروايات المروية بطرق متعددة منها عن عبد الرحيم القصير وحنان بن سدير ومسعدة بن صدقة وجابر الجعفي[5].

وروى الطبري بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: وضع رسول الله(ﷺ) يده على صدره وقال: أنا المنذر، وأومأ بيده إلى منكب علي فقال: أنت الهادي، يا علي بك يهتدى من بعدي[6]، وقد ضعف هذا الحديث كل من الطبري وابن الجوزي[7]، وقال ابن كثير: وهذا الحديث فيه نكارة شديدة، غير أنه نقل قول الجنيد: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخرج عن ابن أبي حاتم قوله: وروي عن ابن عباس في إحدى الروايات وعن أبي جعفر محمد بن علي نحو ذلك[8].

سادساً: في قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[9] عن محمد بن مسلم وجابر الجعفي قالا: قلنا له: من عندنا يزعم أن قول الله ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ أنهم اليهود والنصارى، فقال أبو جعفر الباقر: إذن

---

(١) آل عمران/ ٦٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/ ٦٢+ فتح القدير، الشوكاني، ١/ ٣٠٣.

(٣) الرعد/ ٧.

(٤) تفسير العياشي، محمدبن مسعود، ٢/ ٢٠٣+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٢٨١.

(٥) ظ: تفسير فرات، فرات الكوفي، ٧٢+ اثبات الهداة، الحر العاملي، ٣/ ٥٤٦-٥٤٨.

(٦) جامع البيان، الطبري، ١٣/ ١٠٨.

(٧) المصدر نفسه، ١٣/ ١٠٨+ زاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٣٠٧.

(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٧٠.

(٩) وردت نفس الآية في النحل/ ٤٣ والأنبياء/ ٧.

يدعونكم إلى دينهم، قالا: ثم قال بيده إلى صدره: نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون، قالا: قال أبو جعفر: الذكر القرآن[1].

خلص ابن كثير في هذه الآية بعد أن أورد تفسير الإمام الباقر إلى القول: أنه صحيح، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السابقة، وعلماء أهل بيت رسول الله (عليهم السلام والرحمة) من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة كعلي وابن عباس وابني علي ومحمد بن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس، وأبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين وجعفر ابنه[2].

وقال الآلوسي: وخصهم بعض الإمامية -أي أهل الذكر- بالأئمة من أهل البيت احتجاجاً بما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر رضي الله عنه أنه قال: نحن أهل الذكر، ثم قال: ولعل ما رواه ابن مردويه موافقاً بظاهره لمن زعم ذلك البعض من الإمامية عن أنس قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أن الرجل ليصلي ويصوم ويحج ويعتمر وأنه لمنافق، قيل يا رسول الله بماذا دخل عليه النفاق؟ قال: يطعن على إمامة من قول الله تعالى في كتابه ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[3]، غير أن الآلوسي لم يصحح هذا الاستدلال وذهب إلى القول: أن أهل الذكر هم أهل القرآن عامة[4].

سابعاً: وردت في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾[5] روايتان بطريقين مختلفين عن الإمام أبي جعفر الباقر:

١- عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عن هذه الآية فقال: يجيء رسول الله (ﷺ) في قومه وعلي في قومه والحسن في قومه والحسين في قومه، وكل من مات بين ظهراني إمام جاء معه[6].

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ٣٦٢، ٧/ ٤٠+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٦٠-٢٦١+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٣٧١+ تفسير فرات، فرات الكوفي، ٨٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٩٧.

(٣) روح المعاني، الآلوسي، ١٤/ ١٤٧.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥) الاسراء/ ٧١.

(٦) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٣٢+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٤٣٠.

٢-عن جابر الجعفي الرواية نفسها[١].

وعن سفيان الثوري عن جابر عن عدي بن ثابت[٢] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الآية قال: إمام هدى أو إمام ضلالة[٣].

وأخرج السيوطي عن ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس التفسير نفسه وفيه (و) بدل (أو)[٤]، ونقل الخازن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الرواية نفسها باختلاف الألفاظ[٥]، ونقل القرطبي عن الإمام علي قوله: بإمام عصرهم[٦].

ثامناً: في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[٧] روى الطبرسي وغيره عن الإمام الباقر أنه قال: نحن باب حطتكم، أن علياً باب حطة التي من دخل في ولايته أمن ونجى[٨].

ونقل الشوكاني عن ابن أبي شيبة عن الإمام علي قوله: إنما مثلنا في هذه الأمة كسفينة نوح وكباب حطة في بني اسرائيل[٩].

تاسعاً: في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾[١٠]، حكى القرطبي عن الإمام الباقر قوله: نحن أصحاب اليمين، وكل من أبغضنا أهل البيت فهم المرتهنون[١١]، ونقله الطبرسي أيضاً[١٢].

وأخيراً بعد أن اكتفينا بهذا القدر من روايات الإمام الباقر في تفسير الآيات المتعلقة بمبحث الإمامة، فإن الأمانة العلمية تحتم علينا أن نقول: إذا كان الأمر كذلك -أمر الإمامة- مما اختلف فيه أهل القبلة بحيث أطلق عليه الأشعري

---

(١) ظ: اثبات الهداة، الحر العاملي، ٢/ ٢٥٥+ بحار الأنوار، المجلسي، ١٤/ ٢٩٤.
(٢) الأنصاري، الكوفي، ثقة، من الرابعة، من رواة الستة. ظ: التقريب، ٣٦٢.
(٣) تفسير القرآن الكريم، سفيان الثوري، ١٣٢.
(٤) الدر المنثور، السيوطي، ٤/ ١٩٤.
(٥) لباب التأويل، الخازن، ٤/ ١٣٩.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٢٩٧+ روح المعاني، الالوسي، ١٥/ ١٢٠-١٢١.
(٧) البقرة/ ٥٨.
(٨) مجمع البيان، الطبرسي، ١/ ١١٩+ تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي، ١/ ٧٠+ مقتنيات الدرر، الحائري، ١/ ١٧٦.
(٩) فتح القدير، الشوكاني، ١/ ٧٥+ تأويلات اهل السنة، السمرقندي، ١٥٠.
(١٠) المدثر/ ٣٨-٣٩.
(١١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٩/ ٨٥.
(١٢) مجمع البيان، الطبرسي، ١٠/ ٣٩١.

القول: بأنها أول قضية كبرى اختلف المسلمون حولها بعد الرسول(ﷺ)[1]، فإن الذي يتفق عليه المسلمون أن محبة أهل البيت مما ثبت في الدين بالضرورة، وأن فضلهم وعلمهم وإخلاصهم للإسلام والمسلمين مما لا يشك فيه أحد وعلى هذا القدر من التفضيل يجتمع المسلمون في العالم الإسلامي سلفهم وخلفهم، ولعل هذا القدر يكفي في توحيد مشاعرهم إزاء تلك الشريحة الطاهرة المطهرة من الرجس بنص الكتاب تكفي قاعدة للتوحد وتقاوم كل بدعة للاختلاف.

أما ما اختلف المسلمون فيه من موضوع وجوب إمامتهم فإن الاستقراء التاريخي يجرنا إلى يقين لا يتطرق إليه شك أنهم لم يحص عليهم حادث واحد أنهم ظلموا أحداً بل كانوا كلهم عطاء في حين شهدت مراحل التاريخ الإسلامي مظالم كثيرة وواضحة ومع ذلك فإن الذي يميل إليه الباحث القول: إن وجوب إمامتهم من أصول المذهب وليس من أصول الدين وعليه لا يكفر القائل بها ولا يكفر المخالف لها.

أما عصمتهم فإن الباحث وهو يصرف النظر عما سيق إليها من أدلة عقلية ونقلية يرى أن الاختلاف فيها لا يشكل خندقاً فاصلاً بين المؤمنين بها وبين المتحفظين عليها، ذلك لأن جمهور المسلمين يرون أن ما صح عنهم صحيح علاوة على أن تتبع سيرتهم الشخصية يكشف عن استقامة مثالية تقترب من مفهوم حفظهم بعناية الله تعالى عن ارتكاب الذنوب، وأياً كان فإن هذين المبحثين أي إمامتهم وعصمتهم من مباحث الكلام، وقد أفاض فيه المتكلمون ولا نداخلهم هنا إلا بالقدر الذي تطلبه البحث ضرورة.

المبحث الرابع

المعاد

المعاد في اللغة: مأخوذ من العود والعود، الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه[2]، وفي الاصطلاح: هو الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء

(١) مقالات الإسلاميين، الأشعري، ١/ ٣٩.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ٣٥١.

البدن إلى الاجتماع بعد التفرق وإلى الحياة بعد الموت والأرواح إلى الأبدان المفارقة[1].

والمعاد أمر أجمعت الشرائع السماوية على تأكيد إثباته، لأن فيه إشعاراً للإنسان بالمسؤولية الدائمة عن كل تصرفاته وإعلامه بأن كل ما يفعله في حياته الدنيا سوف يلقاه في الآخرة لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[2][3]. فالمسلمون يعدون الاعتقاد في ثبوته ركناً من أركان الإيمان ويكفر من لا يؤمن به بالاجماع[4]، بينما أنكره الدهريون والملاحدة فقط[5].

واختلف المثبتون للمعاد في كيفيته فمنهم من قال أنه جسماني[6]، وذهب بعض الفلاسفة الضالين المضلين المنسلخين من الشخصية الإسلامية إلى إنكار الحشر الجسدي فهو عندهم روحاني فقط[7]، ومنهم -وهم أكثر علماء المسلمين- قد أثبتوا أن المعاد جسماني وروحاني معاً واستدلوا بأدلة قاطعة وحجج قارعة دحضت نظرية بعض الفلاسفة الموسومة بالسخف والافتراء وليس هنا محلها[8].

وقد فصل القرآن الكريم والحديث الشريف في إثبات المعاد جملة وتفصيلاً، وفي الحديث عما يتصل، وقد ورد في ذلك من الآيات عدد كبير لا سيما وأن القرآن اتخذه وسيلة من وسائل الهداية والارشاد، ولذلك ورد أن مجموعة من رواة الإمام الباقر سألوه عن معاني بعض هذه الآيات فأجابهم اعتقاداً منهم أن موضوع المعاد من الأمور التي تثبت بالنقل طالما ثبت أن هذا النقل متواتر من عند الخبير اللطيف، لذلك نلاحظ هنا أنَّ تلك الروايات التفسيرية المنقولة بواسطتهم عن الإمام الباقر لم تتجاوز العشر روايات حصراً، ومن تلك الآيات المفسرة فيما يروى من جهة رواة الإمام الباقر بعض النماذج منها:

---

(١) جامع العلوم، الأحمد فكري، ٢٩٣.

(٢) الزلزلة/ ٧-٨.

(٣) ظ: التفسير الكبير، الرازي، ٣٢/ ٦١+ التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ١٠/ ٣٩٤.

(٤) أصول الدين الإسلامي، الخطيب البغدادي، ٢٣٢+ رسالة أضحوية، ابن سينا، ٤٠.

(٥) المصدر نفسه والصفحة+ كشف المراد، العلامة الحلي، ٢٥١.

(٦) رسالة أضحوية، ابن سينا، ٣٨.

(٧) تهافت الفلاسفة، الغزالي، ٢٨٢+ التفسير الكبير، الرازي، ٢١/ ٤٥+ المواقف، الايجي، ٨/ ٢٨٩.

(٨) ظ: الاعتقادات، الشيخ الصدوق، ٧٥+ المواقف، الايجي، ٨/ ٢٩٧.

أولاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿ذلكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ له النَّاسُ﴾[1] عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر قال: فذلك يوم القيامة وهو اليوم الموعود[2].

فسر الإمام الباقر هذه الآية الكريمة إذ استرشد بنص قرآني آخر وهو قوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾[3] باليوم الموعود وهو يوم القيامة.

ومال ابن الجوزي إلى قول الإمام فقال: بأن الخلق يحشرون فيه ويشهده البر والفاجر وأهل السماء والأرض[4]، وقال النسفي: بأن الناس لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب[5].

قال القرطبي: والجمع الحشر، أي يحشرون لذلك اليوم[6]، وقال ابن كثير: أي أولهم وآخرهم[7]، إذن فقد وافقت أقوال المفسرين قول الإمام الباقر ورأيه في تفسير هذه الآية الكريمة وهي تفيد القول بثبوت المعاد ووجوبه.

ونود أن نذكر هنا بأن الإمام الباقر حاول كغيره من مفسري الصحابة والتابعين إرساء قواعد منهج تفسير القرآن بالقرآن وتأصيل طرقه.

ثانياً: عن صالح بن ميثم قال: سألت أبا جعفر الباقر عن معنى ﴿طَوْعاً وَكَرْهاً﴾ في قوله تعالى: ﴿...وَلَه أَسْلَمَ مَن فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾[8] قال الإمام: بهذه الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾[9][10].

---

(1) هود/ ١٠٣.
(2) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ١٥٩+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ٨١٣.
(3) البروج/ ٢.
(4) زاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ١٥٧.
(5) مدارك التنزيل، النسفي، ١/ ٢٠٤.
(6) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/ ٩٦.
(7) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ٥٧٧.
(8) آل عمران/ ٨٣.
(9) النحل/ ٣٨-٣٩.
(10) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٥٩+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٣٩٨.

قال ابن الجوزي: في معنى الطوع والكره ستة أقوال: أحدها: إن إسلام الكل كان يوم الميثاق طوعاً وكرهاً، رواه مجاهد عن ابن عباس والأعمش عن مجاهد وبه قال السدي.

والثاني: أن المؤمن يسجد طائعاً والكافر يسجد ضلة وهو كاره، عن ابن عباس وليث عن مجاهد.

والثالث: أن الكل أقروا له بأنه الخالق، وإن أشرك بعضهم فاقراره بذلك حجة عليه في إشراكه، هذا قول أبي العالية ورواه منصور عن مجاهد.

والرابع: أن المسلم أسلم طائعاً والكافر أسلم مخافة السيف، قول الحسن.

والخامس: أن المؤمن أسلم طائعاً والكافر أسلم حين رأى بأس الله، قول قتادة.

والسادس: انقاد كلهم له، عن الشعبي[1].

ولم يرجح ابن الجوزي واحداً من هذه الأقوال، ويمكننا القول أن الرأي الثالث يطابق ولو من وجه رأي الإمام الباقر أو هو قريب منه، فإنه -أي الإمام الباقر- فسَّرَها بالرجوع إلى آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ وما ذاك إلا قسم المشركين فإنهم أقروا بخالقهم ولكنهم أنكروا البعث والمعاد ولسوف يريهم الله تبارك وتعالى كذب دعواهم يوم يبعثهم والخلائق أجمعين، وبه تتضح معاني الانقياد لله تعالى بأحسن صورها.

ويؤيد صدق ما ذهبنا إليه، تفسير قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ في الآية المتقدمة والتي قال عنها ابن الجوزي: فيها قولان، وذكر الثاني بعد ذكر سبب نزول هذه الآية فقال: أنهم المشركون، يبين لهم بالبعث ما خالفوا المؤمنين به[2].

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ١/ ٤١٧.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٤٤٧.

وأيد ذلك القرطبي في قوله: ووجه التعجيب أنهم يظهرون تعظيم الله فيقسمون به ثم يعجزونه عن بعث الأموات[1]، وهذا ما مال إليه ابن كثير أيضاً[2].

واستدل بعض المفسرين لتفسير الآية المتقدمة بغير ما استدل به الإمام الباقر من أن المشركين يقسمون بالله ويعظمونه ثم ينكرون البعث، بل ذهبوا إلى الاستدلال بمسألة الخلق، فمثلاً قال سفيان الثوري عن مجاهد: هي كقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[3][4].

ومن هذا يتبين من انفراد الإمام الباقر في تفسيره لهذه الآية حيث أنه فسرها بآيتين من سورة أخرى، في الوقت نفسه فيها التنكيل بالقائلين بانكار البعث والمعاد فلم يكن انفراده في اختياره لتلك الآيتين للاستدلال فقط، لأن ذلك كان بمقدور غيره من المفسرين أيضاً بل أنه اختارهما ليبين ضعف ما ذهب إليه الدهرية وبطلانه الذين حاولوا التشويش على عقائد المسلمين في عصر الإمام الباقر، فهو قد شارك في الرد عليهم والوقوف بوجه أفكارهم شأنه شأن علماء الأمة الكرام في عصره والعصور التي تلته.

ثالثاً: وفي تسجيل موقف من مواقف يوم القيامة وما يدور به من أحداث، أكد الإمام الباقر على أن المعاد والبعث يكون روحياً وجسمياً معاً، فقد روى عبد الله بن عطاء المكي قال: سألت أبا جعفر الباقر عن قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[5] فقال الإمام: ينادي مناد يوم القيامة يسمعه الخلايق أنه لا يدخل الجنة إلا مسلم فيود سائر الخلق أنهم كانوا مسلمين[6].

ذكر ابن الجوزي اختلاف المفسرين في متى يقع هذا من الكفار على قولين، أحدهما: أنه في الآخرة على أربعة أقوال: أحدها: أن الله يخرج أهل القبلة من النار بعد أن يسمع مناقشة الكفار لهم في جهنم فيود الذين كفروا أنهم كانوا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ١٠٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٤٩٥.

(٣) الزخرف/ ٨٧.

(٤) تفسير القرآن الكريم، سفيان الثوري، ٣٧+ جامع البيان، الطبري، ٣/ ٢٢١+ الدر المنثور، السيوطي، ٢/ ٤٨.

(٥) الحجر/ ٢.

(٦) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٣٩+ تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٣٢٥.

مسلمين، وهو قول ابن عباس في رواية وأنس ومجاهد وعطاء وأبي العالية وإبراهيم النخعي، واستدل لهذا الرأي بحديث مروي عن أبي موسى الأشعري وصوبه، ثم أورد الأقوال الأخرى.

الثاني: أنه في الدنيا، عن الضحاك[1].

وأخرج القرطبي في حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (ﷺ): أن ناساً من أمتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكون ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم تخالفونا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله من النار، ثم قرأ رسول الله (ﷺ) ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، ونقل عن الحسن قوله: إذا رأى المشركون المسلمين وقد دخلوا الجنة ومأواهم في النار تمنوا أنهم كانوا مسلمين[2].

يتبين من هذا أن الإمام الباقر قد استنار بالحديث النبوي الشريف في تفسيره لهذه الآية التي عالجت موقفاً آخروياً من قضايا يوم القيامة وأن لم يصرح بذلك وهو ما صوبه جمع من المفسرين[3].

وبهذا القدر نكتفي في إعطاء صورة واضحة عن جهد الإمام الباقر الملموس في توضيح بعض المسائل المتعلقة بجوانب معينة من أصل المعاد.

المبحث الخامس

الشفاعة

الشفاعة لغة: هي الوسيلة والطلب، وعرفاً: سؤال الخير للغير، وهي مشتقة من الشفع وهو ضد الوتر، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له[4].

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٤/ ٣٨٠-٣٨١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٢.

(٣) ظ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٥١-١٥٣+ مدارك التنزيل، النسفي، ٢/ ٢٦٨+ التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٢/ ١٤٣-١٤٤+ روح المعاني، الآلوسي، ١٤/ ٣-٧+ تفسير المراغي، ١٤/ ٤-٥.

(٤) لوامع الأنوار البهية، الاسفراييني، ٢/ ٢٠٤.

والشفاعة من المسائل المهمة المتعلقة بالمعاد والتي من خلالها يحول المذنبون من المكلفين على إسقاط بعض العقوبات الآخروية عنهم بوساطة الأنبياء والرسل ومن تبعهم من الأئمة والأولياء -على رأي البعض- أو لرفع الدرجات للصالحين منهم كذلك.

وهي قسمان: مثبتة ومنفية: والمثبتة هي التي أثبتها الله لأهل الاخلاص، ولها شرطان: أحدها: إذن الله للشافع ورضاه لقوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ له الرَّحْمنُ وَرَضِيَ له قَوْلاً**﴾[1] ومن يأذن له الرحمن لا بد أن تكون له وجاهة يستنزل بها رحمة الله تعالى وإحسانه، والثاني: أن يكون المشفوع له من المؤمنين المذنبين.

أما الشفاعة المنفية وهي التي تطلب من غير الله تعالى أو بغير إذنه أو لأهل الشرك فقد نفتها الآيات الكريمة من مثل قوله تعالى: ﴿...**فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشَّافِعينَ**﴾[2].

وقد اتفق علماء الأمة على حصول شفاعة النبي(ﷺ)[3]، إلا أنهم اختلفوا في جواز استحقاق أهل الكبائر لها قبل التوبة فالأشعرية والإمامية والمرجئة قالت بحصول شفاعة النبي لهم[4]، بينما أنكرتها المعتزلة والخوارج[5].

الشفاعة في القرآن الكريم

دلّت على الشفاعة آيات كثيرة منطوقاً ومفهوماً، نفياً وإثباتاً في الدنيا والآخرة وهي على أقسام:

الأول: الآيات التي تدل على انحصار الشفاعة في الله واختصاصها به (عزّ وجلّ) قال تعالى: ﴿**قُلْ لله الشَّفَاعَةُ جَميعاً له مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ**

(١) طـه/ ١٠٩.
(٢) المدثر/ ٤٨.
(٣) المواقف الايجي، ٨/ ٣١٢+ شرح العقيدة الطحاوية، ١٩١-١٩٨+ الاقتصاد، الشيخ الطوسي، ٢٠٦.
(٤) الابانة، الأشعري، ٩٨+ الفصل، ابن حزم، ٤/ ٦٣+ التفسير الكبير، الرازي، ٢١/ ٢٥٣+ اوائل المقالات، الشيخ المفيد، ٥٥٢+ كشف المراد، العلامة الحلي، ٢٦٢.
(٥) أصول الدين الإسلامي، الخطيب البغدادي، ٢٤٤+ الفصل، ابن حزم، ٤/ ٦٣.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾[2].

الثاني: ما تدل على التعميم وثبوتها لغيره (عزّ وجلّ) بإذنه ورضاه، وهي كثيرة منها:

١-قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[3].

٢-قوله تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[4].

٣-قوله تعالى: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً﴾[5].

٤-قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[6].

٥-قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّماوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[7].

الثالث: ما تدل على ثبوت الشفاعة في الدنيا، قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾[8] فإن سياقها يدل على أنها في الدنيا.

الرابع: ما تدل على نفس الشفاعة أما مطلقاً أو في يوم القيامة أو عن طائفة خاصة، ومنها:

١-قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾[9].

٢-قوله تعالى: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[10].

---

(١) الزمر/ ٤٤.
(٢) الأنعام/ ٧٠.
(٣) البقرة/ ٢٥٥.
(٤) الأنبياء/ ٢٨.
(٥) مريم/ ٨٧.
(٦) طه/ ١٠٩.
(٧) النجم/ ٢٦.
(٨) النساء/ ٨٥.
(٩) طه/ ١٠٩.
(١٠) البقرة/ ٢٥٤.

٣-قوله تعالى: ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾[١].

٤-قوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾[٢]، والمراد من الظالمين الكافرين بقرينة قوله تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾.

وهذه الآيات المتقدمة تفيد بمجموعها أن الشفاعة ثابتة لله تعالى أصالة وتكون لغيره تعالى بإذنه ورضاه، وهي لا تكون في يوم القيامة إلا لمن ارتضاه الله تعالى وأذن له بالشفاعة، فتحمل الآيات النافية لها أما على الشفاعة التي يقترحها العباد على الله تعالى أو على وقت دون وقت.

الشفاعة في السنة الشريفة

وردت أخبار وأحاديث متواترة بين المسلمين في الشفاعة وأنها المقام المحمود الذي وعد الله به نبينا الأكرم(ﷺ) يوم القيامة منها:

١-في صحيح مسلم عن أنس عن رسول الله(ﷺ) أنه قال: أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت وأن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد[٣].

٢-أخرج الدارمي في سننه عن صالح بن عطاء عن رسول الله(ﷺ) أنه قال: أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولافخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر[٤].

٣-أخرج البخاري عن أنس عن رسول الله(ﷺ) أنه قال: إن لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وأني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي[٥].

---

(١) الزخرف/ ٨٦.
(٢) غافر/ ١٨.
(٣) صحيح مسلم، ١/ ١٣٠+ ظ: مسند الإمام احمد، شرح أحمد محمد شاكر، ١/ ١٤-١٥.
(٤) سنن الدارمي، ١/ ٢٧+ سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، ٢/ ١٤٤٠.
(٥) صحيح البخاري، ٨/ ٦٧+ صحيح مسلم، ١/ ١٣١+ سنن الدارمي، ٢/ ٣٢٨+ سنن ابن ماجة، ٢/ ١٤٤٠.

٤-وروى الدارمي عن أُبي بن كعب أن النبي(ﷺ) قال: إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر[١].

٥-أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله(ﷺ): أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحل لي المغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة[٢].

وإلى غير ذلك من الروايات المتواترة بين المسلمين في ثبوت الشفاعة لرسول الله(ﷺ) وأما في ثبوت الشفاعة لغيره(ﷺ)، فقد دلت عليها آيات كثيرة كما تقدم، وكذلك أحاديث نبوية شريفة في امكان شفاعة باقي الأنبياء والرسل والعلماء والشهداء والمؤمنين وإليك بعض تلك الأحاديث:

١-أخرج الترمذي وأحمد عن رسول الله أنه قال: وأن الرجل من أمتي ليشفع للفئام من الناس... وإن الرجل ليشفع للقبيلة.... وإن الرجل ليشفع للعصبة.... وإن الرجل ليشفع للثلاثة حتى يدخل الجنة[٣].

٢-أخرج أبو داود عن رسول الله(ﷺ) أنه قال: يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته[٤].

٣-عن عثمان بن عفان قال رسول الله(ﷺ): يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء[٥]. ولعل الترتيب هنا محمول على ترتب مقامهم عند الله (عزَّ وجلَّ).

والجدير بالذكر أن آل البيت الذين عرفوا بإخلاصهم وولائهم واستشهاد بعضهم في سبيل الله وعلمهم وانقطاعهم إليه تبارك وتعالى فإن لهم مقام الشفاعة في الآخرة والنصوص في ذلك متواترة عند المسلمين وقد وردت أربع

---

(١) سنن الدارمي، ١/ ٢٦-٢٧+ سنن ابن ماجة، ٢/ ١٤٤٣.

(٢) صحيح البخاري، ١/ ٩١-٩٢ مطابع الشعب، صحيح مسلم بشرح النووي، ٥/ ٣.

(٣) سنن الترمذي، ٩/ ٢٦٩+ مسند أحمد، ٣/ ٢١٣.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، ٣٩٥.

(٥) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، ٢/ ١٤٤٣ رقم الحديث ٤٣١٣.

روايات تفسيرية فقط عن الإمام الباقر في صدد مبحث الشفاعة تناول بعضها إثباتها لرسول الله(ﷺ) ولغيره من الشفعاء ومن شروط تحققها، وإليك تلك الروايات:

أولاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[1]، عن أبي عباس المكي عن أبي جعفر الباقر قال: أنه ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة رسول الله(ﷺ) يوم القيامة، وللرسول الشفاعة لأمته ولنا الشفاعة[2].

قال ابن الجوزي في تفسير هذه الآية: لا تنفع شفاعة ملك ولا نبي حتى يؤذن لهم في الشفاعة[3]، وقال القرطبي أي شفاعة الملائكة وغيرهم[4].

وقال النسفي: أي: إذن الله له يعني: إلا من وقع الأذن للشفيع لأجله[5]، ومال ابن كثير إلى القول: أنه لا يجترىء أحد أن يشفع عنه تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة واستدل بما ذكرنا من آيات وبما ثبت من حديث رسول الله(ﷺ)[6]، وذهب إلى هذا القول أيضاً الآلوسي في تفسيره[7].

يتبين من خلال هذا العرض لأقوال العلماء في تفسير هذه الآية -بما فيهم قول الإمام الباقر- أنهم قد انقسموا إلى قسمين كان أكثرهم مع قول الإمام أن هذه الآية بصدد تبيين الشافع، وأنه لا يستطيع أحد من الأنبياء أو غيرهم أن يكون شافعاً إلا بإذنه هذا من جهة وأن الإمام الباقر أثبت في تفسيره لهذا النص القرآني شفاعة النبي وشفاعة آل البيت من جهة أخرى، وقد انفرد الإمام هنا بإثباتها لآل البيت.

---

(١) سبأ/ ٢٣.
(٢) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٢٠٢+ الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٣٨٠+ مقتنيات الدرر، الحائري، ٩/ ٢٠.
(٣) زاد المسير، ابن الجوزي، ٦/ ٤٥١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٤/ ٢٩٦٥.
(٥) مدارك التنزيل، النسفي، ٣/ ٣٢٤.
(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٥٤٩.
(٧) روح المعاني، الآلوسي، ٢٢/ ١٣٦-١٣٧.

ثانياً: في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾[1]، روى القمي والعياشي بأسانيد صحيحة عن الإمام الباقر أنه قال: المقام المحمود هو الشفاعة[2].

أورد ابن الجوزي قولين في تفسير هذه الآية. أحدهما: الشفاعة للناس يوم القيامة. قاله ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، والحسن. الثاني: يجلسه على العرش يوم القيامة، رواه الضحاك عن ابن عباس وليث عن مجاهد[3].

وأيد القرطبي القول الأول واستدل عليه بما أخرجه البخاري عن ابن عمر ومسلم عن أنس والترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله(ﷺ) من أن المقام المحمود هو الشفاعة[4].

ونقل ابن كثير قول الطبري وأيده بقوله: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه رسول الله(ﷺ) يوم القيامة للشفاعة للناس[5]، وأخرج جملة من الأحاديث المروية بطرق مختلفة عن رسول الله(ﷺ)[6]، تقدم ذكر أكثرها في أول هذا المبحث.

وبهذا يكون الإمام الباقر في تفسيره للمقام المحمود بأنه الشفاعة واحداً من جملة جمهور الصحابة والتابعين الذين فسروا الآية بهذا المعنى، ويكون أيضاً أنه إذا وجد حديثاً مروياً عن جده رسول الله(ﷺ) في تفسير آية أو معنى قرآني لا يتعدى إلى غيره تأكيداً منه على الرجوع إليهما في تفسير القرآن الكريم.

ثالثاً: ونقل الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾[7] قول

(١) الإسراء/ ٧٩.

(٢) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٤٤+ تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٣١٤.

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي، ٥/ ٧٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٣٠٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٢٣٥.

(٦) المصدر نفسه، ٤/ ٢٣٥-٢٣٩.

(٧) الشعراء/ ١٠٠.

الإمام الباقر: أن المؤمن ليشفع لجاره فيقول: يا رب جاري كان يكف عني الأذى فيشفع فيه[1].

رابعا: وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[2]

نقل ابن كثير عن الإمام الباقر قوله: يعني الشفاعة[3].

قال ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية عن علي والحسن: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى، وساق سبب نزولها عن ابن عباس فقال: عرض على رسول الله (ﷺ) ما يفتح على أمته كفراً كفراً، فسر بذلك، فأنزل الله (عزَّ وجلَّ) ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[4][5].

وقد خلص القرطبي إلى القول بأنها الشفاعة بعد أن أورد بقية الأقوال ونسب هذا التفسير للإمام علي، واحتج بما ورد من أحاديث في الشفاعة[6].

يتبين من خلال ما تقدم من أقوال في تفسير هذه الآية أن الإمام الباقر قد أخذ تفسيرها عن آبائه عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد نقل هذا التفسير وأيده جملة من المفسرين كما تقدم.

وبعد أن انتهيت من الكشف عن جهود الإمام الباقر في تفسير آيات العقائد، تجدر الإشارة هنا -وهذه ظاهرة مستقاة من المصادر- أن جمهور العلماء يرون فيما نسب للإمام الباقر لا سيما ما يختلفون فيه أنه مكذوب عليه بل ويلجأ أصحاب مصنفات علم الرجال إلى تضعيف معظم رواة الإمام بينما يعتقد بعض الإمامية أن كل ما ورد عنه بقضه وقضيضه صحيح، وأخال أن كلا الموقفين بحاجة إلى مراجعة ونقد لا يزج الانتماء فيه.

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ٧/ ١٩٥+ مقتنيات الدرر، الحائري، ٨/ ٥٩.

(٢) الضحى/ ٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ٣١٥.

(٤) الضحى/ ٤-٥.

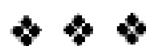
(٥) زاد المسير، ابن الجوزي، ٩/ ١٥٨، وفي سبب نزولها انظر: المستدرك، الحاكم، ٢/ ٥٢٦+ مجمع الزوائد، الهيثمي، ٧/ ١٣٩+ جامع البيان، الطبري، ٣٠/ ٢٣٢+ أسباب النزول، الواحدي، ٣٣٨+ الدر المنثور، السيوطي، ٦/ ٣٦١.

(٦) الجامع للأحكام، القرطبي، ٢٠/ ٩٥-٩٦.

إن علاج هذين الموقفين في الرؤى المعاصرة يكمن في نظرة موضوعية علمية تنزع إلى التوفيق وتبتعد عن التفريق وتشد على المتفق عليه وتسوغ المختلف فيه لأن للإسلام عظمة لا يتناسب معها أن يفهم فهماً واحداً، إذن فلتتسع الصدور إلى الاتجاهات المتعددة ضمن نطاق المشروعية العامة وليكن أن الدراسة الموضوعية ستكشف الكثير من نقاط التوافق وستجلي الدوافع عما أدخل بوصفه نقاط افتراق.

إن هذا الموقف يجعل الباحث متحفظاً على ما ذهب إليه بعض المعاصرين في قوله: إن طابع التشيع غلب على رواية الحديث عن الإمام الباقر، لأن عصره عصر اكتمال التشيع من جهة اكتمال عقائده[1].

وهذا غير صحيح، لما وجدنا في أكثر الروايات المنقولة عن الإمام الباقر في هذا الفصل أنها لم تخرج عن الاطار العام للمفهوم الشمولي للإسلام وعقائده، سوى بعض الروايات في مبحث الإمامة والتي أشرنا في نهايته إلى مبرراته في ما رواه الإمام بشأنها، وما عدا ذلك فهو يتوافق في تفسيره للآيات محل البحث مع باقي المفسرين من صحابة وتابعين وعلماء.



(١) نظرية الإمامة عند الاثني عشرية، د. محمود صبحي، ٩٢.

الفصل الثالث

جهوده وأثرها في تفسير آيات الأحكام



ويتضمن:

* المبحث الأول : العبادات
* المبحث الثاني : المعاملات
* المبحث الثالث : الحدود والجنايات والقضاء


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تمهيد

أن جوهر حركة الفكر الإسلامي يكمن في علمي الفقه وأصوله، ذلك لأنَّ الإسلام نظام متكامل مبني على أصول مستنبطة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه(ﷺ) ومن أعمال الصحابة رضوان الله عليهم وفهمهم للكتاب والسنة ومن فهم المسلمين التابعين وتابعيهم ممن كانوا أهلاً لفهم نصوص الكتاب والسنة و أعمال الصحابة، ولقد بنيت على تلك الأصول القوانين العلمية التي تعرف بعلم الفقه، وهو علم أنجز فيه المسلمون ثروة علمية لم يعرفها المشرعون في قديم ولا في حديث[1].

وقد امتازت آيات الأحكام بأنها تشكل الأصول التشريعية الرئيسة التي قام عليها الفقه الإسلامي برمته، وقد افرد لها العلماء مجموعة من المدونات عرفت فيما بعد بتفاسير آيات الأحكام، وتعد الأحكام العملية ما تنظم أحكام علاقة الإنسان بربه من صلاة وصيام وزكاة وحج وغيرها وقد أحصى البعض آياتها فكانت (١٤٠) آية[2]، أما أحكام المعاملات فقد كان ما يخص الأحوال الشخصية بما يقرب من (٧٠) آية وذات العدد بالنسبة للأحكام المدنية، وأحصيت آيات أحكام الجنايات فكانت نحو (٣٠) آية، أما المرافعات والقضاء وملحقاته فقد كانت (١٣) آية، وفي الأحكام الدستورية (١٠) آيات، وفي الأحكام الدولية (٢٥) آية، أما الأحكام المالية والاقتصادية فقد بلغت عشر آيات[3].

وبالتتبع وجد الباحث أن حشداً كبيراً من الروايات المنقولة عن الإمام الباقر (عليه السلام) أفادت بمجموعها رأياً تفسيرياً في آيات الأحكام، محددة الأحكام المستفادة منها والتي جعلها فقهاء الإمامية أدلة مستفادة لمداركهم الشرعية في استنباط الأحكام، وإطلاق الفتوى، وقد شكلت تلك الروايات التفسيرية

---

(١) عبد الله بن مسعود، د. عبده الراجحي، ٨٦.

(٢) أصول الدين الإسلامي، د. قحطان الدوري، ٣٥٧.

(٣) ظ: علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، ٣٣-٣٥ + الإسلام عقيدة وشريعة، الشيخ محمود شلتوت، ٥٠٠ ـ ١٠٢.

مجموعة ضخمة من الفتاوى والتي عرفت فيما بعد بفقه آل البيت، وتجاوز عددها -خلال البحث والاستقراء- اكثر من نصف مجموعة الروايات التفسيرية المنقولة عن الإمام الباقر جملة فقد بلغت مع المكرر ما يقرب من (٦٨٠) روايه وكانت تلك الروايات المتعلقة بتفسير آيات الأحكام والمأثورة عن الإمام الباقر تتوزع على جميع أبواب الفقه الإسلامي من عبادات ومعاملات، فلا يكاد يخلو باب من أبوابه الموزعة عليها الآيات من رأي تفسيري له، فلو درست جميعاً - بشكل منفرد- مقارنة مع أراء غيره من تابعين وعلماء لشكلت بحثاً أكاديمياً رصيناً مستقلاً.

فلذلك سنتعرف هنا على بعض تلك الروايات المجتزأة من ذلك الكم الهائل من الروايات مقارنين تلك الأقوال بآراء غيره من العلماء ومرجحين في بعض الأحيان بقدر ما يتطلبه هذا البحث ضرورة.



المبحث الأول

العبادات

❖ المطلب الأول: الطهارة:

هي لغة: النزاهة، وعرفت: بأنها ما يستباح بها الدخول في الصلاة، وهي تطلق على إزالة الخبث والحدث، وقد ورد عن الإمام الباقر(عليه السلام) مجموعة من الروايات منها:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[1]. في معنى ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ عدة أقوال ذكرها القرطبي بإسهاب، إلا أنه ركز على قولين رئيسين الأول: لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة، قال به

(١) الواقعة/ ٧٧-٧٩.

سعيد بن جبير، الثاني: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ من الأحداث والنجاسات، قال به قتادة وغيره[1].

وذكر الطبرسي: إنه لا يمسه إلا المطهرون من الاخباث والجنايات، وهو المروي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)[2].

وهو مذهب الشافعي ومالك، وزاد الشافعي حتى الحاشية[3].

وعن أبي حنيفة روايتان، الأولى: إنه يمسه المحدث، والثانية: إنه يمس ظاهره وما لا مكتوب فيه، وأما الكتاب فلا يمسه[4]. وحكي عن داود الظاهري وغيره الجواز[5].

أذن لإخلاف بين العلماء في المنع من مس المصحف على غير وضوء إلا ما شذَّ من رأي الظاهري، وعليه فإن الجملة في مبناها خبري وفي مرادها إنشائي وهو النهي عن مسه، وليس المقصود نفي المس وإلا لزم الكذب، لأن المصحف يمسه من ليس بمطهر.

ثانياً: في قوله تعالى ﴿...وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾[6].

لإخلاف بين الفقهاء من حيث الجملة في وجوب مسح الرأس، وإنما اختلفوا في المقدار الواجب مسحه من الرأس على مذهبين:

المذهب الأول: أن الواجب ما يطلق عليه اسم المسح قل الممسوح أو كثر، وهو قول الشافعي والإمامية والظاهرية[7].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٩/ ٢٢٦ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١/ ٢٧٠ + كنز العرفان في فقه القرآن، المقداد السيوري، ١/ ٣٥.

(٣) رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، الدمشقي، ١٤.

(٤) أحكام القرآن، الجصاص، ٣/ ٥١١ + أحكام القرآن، ابن العربي، ٢/ ٢٣٢ + الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧/ ٢٢٦.

(٥) رحمة الأمة، الدمشقي/ ١٣.

(٦) المائدة/ ٦.

(٧) المجموع شرح المهذب، النووي، ١/ ٤٤٠ + مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة، السيد العاملي، ١/ ٢٤٧ + المحلى، ابن حزم الظاهري، ١/ ٤٠ + ظ: مسائل في الفقه المقارن، استاذنا الدكتور هاشم جميل، ق ١/ ٨٤.

المذهب الثاني: الواجب مسح مقدار الناصية والناصية تقدر بربع الرأس وهو قول أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي، وهي رواية عن أحمد وبه قال مالك وإليه ذهب أكثر الزيدية[(١)]. وقد استدل كل مذهب إلى ما ذهب إليه بأدلة أكثرها فيه نظر، غير إننا نلتزم هنا بالمنهج الذي اتبعناه من ذكر الرواية التفسيرية المنقولة عن الإمام الباقر للآية القرآنية فقط دون التعرض إلى أدلة غيره لان ذلك يخرج البحث عما قدر له، وأياً كان الأمر فاختلاف الفقهاء جاء من اختلافهم من دلالة الباء والتي أوصلها ابن العربي إلى أحد عشر قولاً[(٢)].

نقل عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: يجزي اقل ما يقع عليه اسم المسح[(٣)]، وبه قال الشافعي[(٤)].

وروى زرارة بن أعين أنه سأل الإمام الباقر (عليه السلام) عن وضوء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأجراه له متمثلاً في كل مرحلة ببعض آية الوضوء[(٥)]، وقد سئل عن الكعبين فقال: هما المفصل دون العظم[(٦)].

وروى زرارة أيضاً أنه قال للإمام الباقر: إلا تخبرني من أين علمت وقلت أن المسح ببعض الرأس؟ فضحك الإمام ثم قال: يا زرارة قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونزل به الكتاب، لأن الله يقول ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فعرفنا أن الوجه ينبغي كله أن يغسل ثم قال ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ فعرفنا أن اليد لا تغسل كلها، ثم فصل بين الكلامين وقال ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ فعرفنا أن المسح ببعض الرأس لمكان الباء[(٧)].

---

(١) فتح القدير، ابن الهمام، ١/ ١٠ + المغني، ابن قدامة، ١/١١١ + مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطاب، ١/٢٠٢.

(٢) ظ: أحكام القرآن، ابن العربي، ١/ ٢٣٥.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١/٢٩١-٢٩٢ + كنز العرفان، المقداد السيوري، ١/ ١٩.

(٤) رحمة الأمة، الدمشقي، ١٥.

(٥) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١/٢٧٤ ـــ ٢٧٥ + التهذيب، الشيخ الطوسي، ١/ ١٦ + الاستبصار، الشيخ الطوسي، ١/ ٣٠ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ١٨-١٩.

(٦) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٧) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ١/ ٣٠ + علل الشرايع، الصدوق، ١٠٣ + فروع الكافي، الكليني، ١/١٠ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١/ ٢٩٠-٢٩١.

ومن الجدير بالذكر هنا أن المدونات التفسيرية نقلت بأسانيد صحيحة عن الغالب بن هذيل قال: سألت الإمام أبا جعفر عن المسح على الرجلين: هو الذي نزل به جبرائيل[1].

وقال جماعة من المفسرين: إن المسح مذهب ابن عباس وانس وعكرمة والشعبي والإمام الباقر[2]، وقد حكي عن أحمد والاوزاعي والثوري وابن جرير الطبري جواز مسح القدمين، وقيل أن المرء مخير عندهم بين الغسل والمسح[3].

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿...وَلا جُنُباً إِلاَّ عابِرِي سَبِيلٍ...﴾[4].

فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) بسند صحيح رواه زرارة ومحمد بن مسلم قالا: قلنا له الحائض والجنب يدخلان المسجد أم لا؟ قال: الحائض والجنب لا يدخلان إلا مجتازين، أن الله تبارك وتعالى يقول ﴿وَلا جُنُباً إِلاَّ عابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ ويأخذان من المسجد ولا يضعان فيه شيئاً[5].

وقواه الطبرسي في المجمع لخلوه من التكرار[6]، ومعنى الآية لا تقربوا الصلاة أي مواضع الصلاة إلا عابري سبيل.

وقد اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب بعض الإمامية إلى أن هذا الحمل للآية بعيد، فجواز الاجتياز للجنب مقيد عندهم بما عدا المسجدين وقالوا: وبذلك وردت الروايات وانعقد الإجماع[7].

---

(١) التهذيب، الشيخ الطوسي، ١/ ١٨ + الاستبصار، الشيخ الطوسي، ١/ ٣٣ + مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ١٦٥ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ٢٣.

(٢) جامع البيان، الطبري، ٦/ ٧٣ + تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٢٥ + الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/ ٩٢ + الدر المنثور، السيوطي، ٢/ ٢٦٢ + المغني، ابن قدامه، ١/ ١٣٣ + السنن الكبرى، البيهقي، ١/ ٧١.

(٣) رحمة الأمة، الدمشقي، ١٥.

(٤) النساء/ ٤٣.

(٥) العلل، الصدوق، ١/ ٢٧٢ + مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ٥٢ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ٤٤ + مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ١/ ٧٧.

(٦) مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ٥٢ + جامع أحاديث الشيعة، ١/ ١٦٤.

(٧) زبدة البيان، الاردبيلي، ١٨-١٩ + مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ١/ ٢٢.

أما الشافعية فقد أطلقوا جواز الاجتياز[1]، ومنعتهُ الحنفية والمالكية إلا أن يكون الماء في المسجد أو هو طريق الماء[2].

واستنبط فخر المحققين من هذه الآية عدم جواز الطواف بالبيت للجنب المتيمم لأنه سبحانه علق دخول الجنب إلى المسجد على الإتيان بالغسل لا غير[3].

وهو مذهب سعيد بن المسيب أنه لا يجوز له المكث، ويجوز له العبور سواء له حاجة أو لا[4].

وهذه الأمثلة كافية في بيان تفسير الإمام الباقر (عليه السلام) للآيات المتعلقة بالطهارة، وأثره فيمن بعده من الفقهاء بالأخذ بها والتعويل عليها.

❖ **المطلب الثاني: الصلاة:**

هناك مجموعة من الآيات بلغت خمساً وعشرين آية متعلقة بأحكام الصلاة من وجوب وشرائط وأركان ومتعلقات، وردت سبع وعشرون رواية في تفسيرها عن الإمام الباقر (عليه السلام) واستنباطه للأحكام منها أفاد فقهاء الإمامية وغيرهم في جعلها مدارك شرعية لهم في الوصول إلى الحكم الشرعي المتعلق بموضوع الآية أو الرواية المفسرة لها، وسنعرض نماذج منها:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً﴾[5].

روى زرارة قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام) قول الله ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً﴾؟ قال: يعني كتاباً مفروضاً[6]، وفي رواية أخرى قال: أن للصلاة وقتاً والأمر فيه واسع يقدم مرة ويؤخر مرة إلا الجمعة فإنما هي وقت واحد، وإنما عنى الله كتاباً موقوتاً أي واجباً، يعني بها أنها فريضة[7].

(١) رحمة الأمة، الدمشقي، ١٧.
(٢) عمدة القاري، العيني، ٣/ ٢٢٦ + أحكام القرآن، الجصاص، ٢/ ٢٤٨.
(٣) مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ١/ ٧٨.
(٤) المجموع شرح المهذب، النووي ٢/ ١٦٢.
(٥) النساء/ ١٠٣.
(٦) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢/ ٣ + فروع الكافي، الكليني، ١/ ٧٤ + علل الشرايع، الصدوق، ٢٠١ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ٧٩.
(٧) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ١/ ٦٣ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢/ ١٠١ + مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ١٠٤ + تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٢٧٣.

قال ابن الجوزي: ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ أي فرضاً، وفي (الموقوت) قولان: أحدهما: إنه بمعنى المفروض، قاله ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد. والثاني: إنه الموقت في أوقات معلومة، وهو قول ابن مسعود وقتادة وزيد بن اسلم وابن قتيبة[1].

ومعنى هذين القولين: أن الصلاة فرض مفروض أو هي فرض مؤقت في أوقات معلومة، وقال القرطبي: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ أي مؤقتة مفروضة[2].

وبعد أن ذكر الجصاص هذين القولين ذهب إلى اختيار الثاني في قوله: إنه مفروضة في أوقات معلومة معينة[3].

أما الاردبيلي (ت: ٩٩٢ هـ) فقال: مفروضة أو مؤقتة فلا تضيعوها ولا تخلوا بشرائطها وأوقاتها[4]، وذهب إلى هذا الاختيار السيوري قبله[5].

ويظهر أن الإمام الباقر (عليه السلام) قد قرر أن للصلاة وقتاً مؤقتة به لكنه أراد أن ينفي أن يكون هذا الوقت مضيقاً بحيث لو جاز بعضه لم تكن الصلاة مؤداة، فيكون من هذه الناحية قوله مطابقاً لما اختاره غيره من العلماء.

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾[6].

روى زرارة بن أعين عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في الصلاة الوسطى: هي صلاة الظهر وهي أول صلاة صلاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي وسط، ووسط الصلاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر[7].

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ١٨٨.

(٢) الجامع لأحكام القران، القرطبي، ٥/ ٣٧٤.

(٣) أحكام القران، الجصاص، ٢/ ٣٢٤.

(٤) زبدة البيان، الاردبيلي، ٤٩.

(٥) كنز العرفان، المقداد السيوري، ١/ ٥٨-٥٩.

(٦) البقرة/ ٢٣٨.

(٧) علل الشرايع، الصدوق، ١٢٥ + مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٢٣ + الدر المنثور، السيوطي، ١/ ٣٠٢ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٢/ ٥-٦ + الميزان في تفسير القران، الطباطبائي، ٢/ ٥٩.

وقد اختلف العلماء فيها على ثمانية عشر قولاً، أوردها الشوكاني مع أدلة كل فريق من الأحاديث الشريفة وغيرها[1]، وكذلك البهو بودي بدون ذكر الأدلة[2].

وفي الدر المنثور أخرج أحمد وابن منيع والنسائي وابن جرير وغيرهم من طريق الزبرقان: أن رهطاً من قريش مرّ بهم زيد بن ثابت وهم مجتمعون فأرسلوا إليه غلامين لهم يسألانه عن الصلاة الوسطى؟ فقال: هي الظهر ثم انصرفا إلى أسامة بن زيد فسألاه فقال: هي الظهر، أن رسول الله (ﷺ) كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان، والناس في قائلتهم وتجارتهم، فانزل الله تعالى: ﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَوٰاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى وَقُومُوا للهِ قانِتِينَ﴾ فقال رسول الله (ﷺ): لينتهين رجال أو لا حرقن بيوتهم[3]، ونقل بأنها الظهر أيضاً عن أبي سعيد الخدري وعائشة وعلي رضوان الله عليهم[4].

ويمكن أن نرجح هذا القول بالاستشهاد له بقوله تعالى ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ﴾[5] إنه تعالى لم يذكر الصلاة الوسطى بين الطرفين وخصوصاً بعد الأمر في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾[6]، المتفق بين المسلمين على أنها صلاة الظهر المعبرة في لسان علي (عليه السلام) بـ (صلاة الأوابين) – والله اعلم..

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿.. وَإِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ...﴾[7].

روي بأسانيد صحيحة عن زرارة ومحمد بن مسلم أنهما قالا: قلنا لأبي جعفر (عليه السلام): ما تقول في الصلاة في السفر، كيف هي وكم هي؟ قال: أن الله

---

(١) نيل الأوطار، الشوكاني، ١/ ٣٣٥-٣٣٦.

(٢) هامش (١) من: كنز العرفان، المقداد السيوري، ١/ ٦٢-٦٣.

(٣) الدر المنثور، السيوطي، ١/ ٢٩٨.

(٤) نيل الأوطار، الشوكاني، ١/ ٣٣٥.

(٥) هود/ ١١٥.

(٦) الإسراء/ ٧٨.

(٧) النساء/ ١٠٠.

يقول ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ...﴾ فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر. قالا: قلنا: إنما قال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ولم يقل افعلوا، فكيف أوجب الله ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟ قال: أو ليس قد قال الله في الصفا والمروة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[1]، ألا تريا أن الطواف واجب مفروض لان الله ذكرهما في كتابه وصنعهما نبيه(ﷺ) وكذلك التقصير في السفر شي صنعه النبي(ﷺ) وذكره الله في كتابه. قالا: قلنا: فمن صلى في السفر أربعاً أيعيد أم لا؟ قال: إن كانت قرأت عليه آية التقصير وفسرت له فصلى أربعاً أعاد، وإن لم يكن قرأت عليه ولم يعلمها فلا إعادة عليه والصلاة في السفر كلها فريضة ركعتان كل الصلاة إلا المغرب فأنها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله(ﷺ) في السفر والحضر ثلاث ركعات[2].

وقد اتفق الفقهاء على مشروعية قصر الرباعية في السفر، لكنهم اختلفوا في وصف هذه المشروعية على مذهبين:

الأول: القصر فرض، فلا يجوز للمسافر الإتمام، وإلى ذلك ذهب الإمامية لما ورود في أعلاه من دليل -اعني الرواية المتقدمة- وأبو حنيفة والظاهرية، وبعض الزيدية، وهو قول لمالك[3].

الثاني: القصر رخصة، وعليه فانه يجوز للمسافر القصر والإتمام، إلا أن القصر أفضل، وبذلك قال أحمد، وهو المشهور من مذهب مالك واصح قولي الشافعي[4].

---

(١) البقرة/ ١٥٨.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ١/ ١٤٥ + التهذيب، الشيخ الطوسي، ١/ ٣١٨ + بحار الأنوار، المجلسي، ١٨/ ٩٤ + البرهان في تفسير القرآن، القمي، ١/ ٤١٠.

(٣) مفتاح الكرامة، السيد العاملي، ٢/ ٤٩٠ + البحر الرائق في شرح كنز الدقائق، ابن نجيم، ٢/ ١٤٠ + المحلى، ابن حزم الظاهري، ٢/ ١٠١ + ظ: مسائل في الفقه المقارن، أستاذنا الدكتور هاشم جميل، ق ١/ ١٧٠.

(٤) المغني، ابن قدامه، ٢/ ١٠٧ + شرح الدردير، ١/ ٣٥٨ + المجموع، شرح المهذب، النووي، ٤/ ٢٢٣ + ظ: المسائل الدكتور هاشم جميل، ق ١/ ١٧٠.

ونقل صاحب المجمع والعاملي هذا الاختلاف بعد أن أورد كل واحد منهما الرواية في أعلاه[١].

وقال البيضاوي: أن نفي الجناح يدل على الجواز دون الوجوب[٢]، وفيه نظر لأنّ هذا صحيح، ولكن لا دلالة فيه على المطلوب، لأنّ الجواز أعم من الوجوب فإذا استفيد الوجوب من أدلة خارجية لا يتعارض ذلك مع الجواز.

أما الأحاديث التي رويت بمؤدى أن النبي(ﷺ) أتم في السفر فهي ضعيفة[٣]، وظاهر الآية: أن القصر مشروط بالخوف، وليس كذلك بل الخوف خرج مخرج الغالب لحديث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته، ولما صح عن الإمام الباقر(عليه السلام) أيضاً: إنه سئل عن صلاة الخوف وصلاة السفر أتقصران جميعاً؟ فقال: نعم، وصلاة الخوف أحق أن تقصر من صلاة السفر الذي ليس فيه خوف[٤].

ويرى السيوري: أن الجناح في الآية الإثم، ونفي الجناح يستعمل في رفع الإثم وهو الواجب والندب والمباح وهو أهم من التخيير المحض، إذ يلتمس الدليل التفصيلي على الوجوب من أدلة خارج الآية وهو فعل النبي(ﷺ) وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم[٥].

ويقول الكاظمي: أن نفي الجناح في اكثر الآيات التي وردت فيها مجمل يبين بالأخبار[٦].

ولذلك فان رواية الإمام الباقر(عليه السلام) في تفسير آية التقصير كان يؤكد فيها على صنع رسول الله(ﷺ) أي فعله المبين للمجمل القرآني، فمن ذاك استفاد

(١) مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ١٠١ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٣/ ٥٣١.
(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي، ١٢٤ المطبعة العثمانية.
(٣) ظ: المحلى، ابن حزم الظاهري، ٤/ ٤٥٣ + السنن الكبرى، البيهقي، ٣/ ١٤١.
(٤) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ١/ ٢٩٤ + الحدائق الناظرة، يوسف البحراني، ١١/ ٢٦٦ + منتقى الجمان، الشهيد الثاني، ١/ ٥٦٣.
(٥) كنز العرفان، المقداد السيوري، ١/ ١٥٠.
(٦) مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ١/ ٢٧٦.

القائلون بوجوب القصر أدلتهم التي احتجوا بها -ومما يبدو- كانت أقوى من حجة أدلة القائلين بأن القصر رخصة.

❖ المطلب الثالث: الزكاة:

هي لغة: تطلق على معنيين: أحدهما: الطهارة، والآخر: النماء لقوله تعالى: ﴿ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[1] أي إنما، وإلا كان تأكيداً، والتأسيس أولى من التأكيد فضلاً عن أن الواو تقتضي المغايرة.

وشرعاً: هي اسم لحق مالي لله يجب في المال المصروف للفقراء، ويعتبر في وجوبه شروط منها: ما هو مندوب ومنها ما هو واجب.

وقد وردت عن الإمام الباقر (عليه السلام) أربع روايات تفسيرية للآيات المتضمنة للزكاة أو أركانها أو مصارفها سنختار اثنتين منها:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿...وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ...﴾[2].

إن إقام الصلاة هو عبارة عن الإتيان بها تامة الأفعال والشروط، والظاهر من إيتاء الزكاة أن المراد بها المفروضة المعروفة، ويشعر بذلك اقترانها بالصلاة، فيكون ذكرها بعد آتيان المال من قبيل ذكر الخاص بعد العام لشدة الاهتمام والربط بالصلاة.

فقد روى معروف بن خربوذ عن الإمام أبي جعفر الباقر أنه قال: إن الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ﴾[3] فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلم يقم الصلاة[4].

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾[5].

---

(١) البقرة/ ٢٣٢.
(٢) البقرة/ ١٧٧.
(٣) النور/ ٥٦.
(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٤/ ١١ + من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ٤١/١ + فروع الكافي، الكليني، ٣/ ٥٠٦ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ١/ ٢٦٣.
(٥) التوبة/ ٣٤.

روي عن زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم وأبي بصير وبريد بن معاوية العجلي والفضيل بن يسار كلهم عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) قال: فرض الله (عزّ وجلّ) الزكاة مع الصلاة في الأموال وسنها رسول الله(صلى الله عليه وآله) في تسعة أشياء وعفا رسول الله(صلى الله عليه وآله) عما سواهن: في الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والتمر والزبيب وعفا رسول الله(صلى الله عليه وآله) عما سوى ذلك[1].

واستدل الإمامية أيضاً بأصالة البراءة وعموم قوله تعالى ﴿وَلا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ﴾[2] يعمان كل مال فيخرج منه ما وقع الإجماع عليه عندهم ويبقى الباقي على اصله[3]، ولذلك كان وجوب الزكاة عندهم في تسعة أصناف.

أما باقي الفقهاء فيرون أن الذهب والفضة إذا بلغا نصاباً وكانا مسكوكين بسكة المعاملة، أو غير مسكوكين على قول واستوفيا شرط الحول فتجب فيهما الزكاة[4]، مع تفصيلات مذكورة في مظانها في الكتب الفقهية.

❖ **المطلب الرابع: الخمس:**

في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5]. روي عن الإمام أبي جعفر الباقر بعدة طرق صحيحة أنه سُئل عن الخمس: أعلى جميع ما يستفيد الرجل من قليل وكثير من جميع الضروب والصناع؟ وكيف ذلك؟ فقال: الخمس مما يفضل من مؤونته[6].

---

(١) التهذيب، الشيخ الطوسي، ١/ ٣٢٨ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٤/ ٣٤ + فروع الكافي، الكليني، ١/ ١٤٣.

(٢) محمد/ ٣٦.

(٣) كنز العرفان، المقداد السيوري، ١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٤) أحكام القران، الجصاص، ٣/ ١٣٠ + أحكام القران، ابن العربي، ١/ ٣٨٠-٣٨١ + الجامع لأحكام القران، القرطبي، ٨/ ١٢٤-١٢٥ + كنز العرفان، السيوري، ١/ ٢٢٤.

(٥) الأنفال/ ٤١.

(٦) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٤/ ٣٤٨ + التهذيب، الشيخ الطوسي، ١/ ٣٨٤.

فلذلك يرى الإمامية أن الآية الكريمة دلت على خضوع مطلق الفائدة في إخراج حق الخمس، وذلك للقرائن الآتية:

١- لان الغنيمة في الأصل هي مطلق الفائدة المكتسبة، وإنها جعلت مقصورة بإنما وهذا هو قصر الحكم على الموضوع.

٢- ودل على عموم خضوع الغنيمة للخمس قوله تعالى: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ لذلك يرون أن الخمس يجب في جميع ما يستفاد من أرباح التجارة والصناعة والزراعة إذا زاد على مؤنه السنة.

أما المذاهب الإسلامية الأخرى فقد اختلفوا عن الإمامية في فهم المستند وما يترتب عليه من أحكام، فهم يذهبون إلى أن الغنيمة في عرف الشرع هي ما أخذت من دار الحرب[1]، مستدلين بالسياق وهو ليس حجة عند الإمامية، ومع ذلك يرى بعض الفقهاء انه يجب في الكنوز وبعض المعادن والغوص وأياً كان فان اللفظة لبيان الإمام الباقر (عليه السلام) يعني العموم.

أما في مصارف الخمس فكان للفقهاء عدة أقوال نذكرها باختصار:

١- جعله الإمامية على قسمين: قسم سمي بحق الإمام يتصرف به لمصلحة المسلمين مما يشمل سهم الله وسهم الرسول وسهم الإمام المعبر بـ ﴿ذِي الْقُرْبَى﴾، أما القسم الثاني: فهو سهم بني هاشم الذي أشير إليه بـ ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾[2]، فقد روى زرارة عن الصادق عن أبيه الإمام الباقر (عليه السلام) قال: لو كان العدل ما احتاج هاشمي ولا مطلبي إلى صدقة، أن الله جعل لهم في كتابه ما كان فيه سعتهم[3].

٢- عند مالك: الخمس لا يستحق لصنف دون صنف، وإنما هو موكول إلى نظر الإمام يصرفه فيما يراه مصلحة للمسلمين[4].

٣- وعند أبي حنيفة يصرف للثلاثة من عامة المسلمين[5].

---

(١) مسائل في الفقه المقارن، استاذنا الدكتور هاشم جميل، ١/ ٢٠٩.

(٢) شرائع الإسلام، المحقق الحلي، ١/ ١٨٢ + فقه الإمام الصادق، محمد جواد مغنية، ٢/ ١٢٢.

(٣) التهذيب، الشيخ الطوسي ٤/ ٥٩ + الاستبصار، الشيخ الطوسي، ٢/ ٣٦.

(٤) القوانين الفقهية، ابن جزي، ١٣٠ + التفسير الكبير، الرازي، ١٥/ ١٦١.

(٥) الهداية، المرغيناني، ٢/ ١٠٨، ١١٠.

٤- وقال الشافعي وأحمد والظاهرية: يقسم إلى خمسة أقسام: يصرف سهم الرسول (ﷺ) في مصالح المسلمين وسهم ذوي القربى هو للموجود منهم - أي بني هاشم وبني المطلب- والأسهم الثلاثة الباقية لعامة يتامى ومساكين وأبناء سبيل المسلمين[١].

٥- قال الزيدية: يقسم إلى ستة أقسام كما هو ظاهر الآية، فسهم الله لمصالح المسلمين وسهم الرسول للإمام وسهم ذوي القربى للموجود من بني هاشم فقط، والثلاثة الباقية قالوا بها بمثل ما قاله الشافعي[٢].

هذه هي آراء الفقهاء بالجملة في مصارف الخمس وبعض أحكام الآية المتقدمة ذكرناها هنا لتعلق بعض منها بما ورد عن الإمام الباقر من روايات في تفسير هذه الآية المتضمنة تلك الأحكام.

❖ **المطلب الخامس: الصوم:**

وردت فيه مجموعة من الآيات نقل تفسيرها عن الإمام الباقر (ع) منها:

في قوله تعالى: ﴿...وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر (ع) قال: الشيخ الكبير والذي يأخذه العطاش لا حرج عليهما أن يفطرا ويتصدق كل واحد منهما في كل يوم بمد من طعام ولا قضاء عليهما فإن لم يقدرا فلا شيء عليهما[٤].

معنى ذلك: أن الذين كانوا يطيقون الصوم فأصابهم كبر أو عطاش فعليهم لكل يوم مد، والمراد بهم: الشيوخ وذو العطاش ونحوهم مما دلت عليه الرواية الصحيحة المتقدمة.

---

(١) المهذب، الشيرازي، ٢/ ٢٦١، ٢٦٣ + المغني، ابن قدامة، ١/ ٤٤٣ + المحلى، ابن حزم الظاهري، ٧/ ٣٢٧.

(٢) البحر الزخار، ابن المرتضى، ٣/ ٢١٤، ٢٢٤.

(٣) البقرة/ ١٨٤.

(٤) التهذيب، الشيخ الطوسي – ٤، ٢٣٧ + مرآة العقول، المجلسي، ٣/ ٢٢٨ + منتقى الجمان، الشهيد الثاني، ٢/ ٢٠٢ + مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ١/ ٣٢١ + الكافي، الكليني، ١٠/ ١٩٤ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري ١/ ٣٤٩.

وتوضحه الرواية الصحيحة الأخرى عند محمد بن مسلم أيضاً قال: سمعت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) يقول الحامل المقرب، والمرضع القلية اللبن لا حرج عليها أن تفطر في شهر رمضان لأنها لا تطيق الصوم، وعليها أن تتصدق في كل يوم تفطر فيه بمد، ثم عليها قضاء ما افطرته[1].

وعلى هذه الرواية فان الشيخ لو لم يطق أصلاً لم تجب عليه الفدية وعلى هذا يفتي الشيخ المفيد والمرتضى وسالار وابن إدريس والعلامة، قال في المختلف هو قول اكثر علمائنا[2].

أما الشيخ الطوسي فيرى أن الفدية تجب عليه، قال في التهذيب: إن التفصيل الذي ذهب إليه المفيد لم أجد فيه حديثاً مفصلاً[3]، لكن العلامة الحلي احتج للمفيد بظاهر الآية فإنه دلَّ على سقوط الفدية على الذي لا يطيقه ولأنَّ الأصل براءة الذمة[4]، لكن الشيخ الطوسي يقول: ومع ذلك لا يستبعد إيجاب الفدية[5].

أما متأخروا الإمامية، فقد قال في المسالك الذي أظن أن قول الشيخ الطوسي بوجوب الفدية مطلقاً لا يخلو من قوة، واستدلال العلامة الحلي على خلافه بمفهوم الوصف وهو غير حجة عند محققي الإمامية وحينئذ لا مانع من ثبوت الفدية[6].

وكذلك اتفقت المذاهب الإسلامية الأخرى أن المريض الذي لا يرجى برأه والشيخ الكبير أو عطش مستمر كلما صام بحيث لا يرجى قدرته على الصوم في المستقبل يجوز له الإفطار بلا خلاف، ولكن اختلفوا في عجز هؤلاء عن دفع الفدية على قولين:

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٤/ ١٥٣ + التهذيب، الشيخ الطوسي، ١/ ٤٢٠ + من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ١/ ٤٦.
(٢) المختلف، العلامة الحلي، ٢/ ٦٤.
(٣) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٤/ ٢٣٨.
(٤) المختلف، العلامة الحلي، ٢/ ٦٥.
(٥) التهذيب، الشيخ الطوسي ٤/ ٢٣٧.
(٦) مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ١/ ٣٢٣.

الأول: هؤلاء لا شيء عليهم وقد سقط الصوم عنهم، وهو قول مالك والظاهرية وهو قول للشافعي وقول للإمامية[1].

الثاني: ونسب ابن قدامة إلى من سماهم جمهور العلماء: أن الواجب عليهم هو الفدية، إطعام مسكين عن كل يوم[2].

واختلف العلماء في مقدار الفدية: ذهب أبو حنيفة إلى أنها نصف صاع من بر أو صاع من شعير وعن الشافعي قوله: عن كل يوم مد، أما أحمد فقال: يطعم نصف صاع من تمر أو شعير أو مداً من بر[3].

❖ المطلب السادس: الحج:

هو القصد إلى بيت الله تعالى لأداء المناسك المخصوصة، وحيث أن الحج من اعظم أركان الإسلام قد ورد في وجوبه ضرورة مجموعة من الآيات نقل تفسير بعض منها الإمام الباقر منها:

في قوله تعالى: ﴿.. وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً..﴾[4].

فقد فسر السبيل والاستطاعة بالزاد والراحلة للأحاديث الواردة في هذا المعنى[5]، ونفقة الذهاب والإياب فاضلة عن حوائجه الأصلية[6].

واشترط البعض في العود إلى كفاية من مال أو صناعة أو حرفة ومستنده ما رواه أبو الربيع الشامي عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: سئل الإمام الباقر(عليه السلام) هل الاستطاعة الزاد والراحلة حصراً؟ فقال: هلك الناس أذن، إذا كان من له زاد وراحلة لا يملك غيرهما مما يمون به عياله ويستغني عن الناس يجب عليه الحج

---

(١) المدونة الكبرى، سحنون، ١/ ٢١١ + المحلى، ابن حزم الظاهري، ٦/ ٢٦٣ + مغني المحتاج الشربيني، ٣/ ٧٧ + شرائع الإسلام، المحقق الحلي، ١/ ٢٢١.

(٢) المغني، ابن قدامة، ١/ ٤٤٨.

(٣) رحمة الأمة، الدمشقي، ٩٠.

(٤) آل عمران/ ٩٧.

(٥) ظ: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/ ١٤٦-١٤٧.

(٦) كنز العرفان، المقداد السيوري، ١/ ٢٦٤.

ثم يرجع فيسأل الناس بكفه فقد هلك أذن، فقيل له: ما لسبيل عندك يا بن رسول الله(ﷺ)؟ فقال: السعة في المال وهو أن يكون له ما يحج ببعضه ويبقي بعضاً يمون به عياله، ثم قال: أليس قد فرض الله الزكاة فلم يجعلها إلا على من ملك مئتي درهم[1].

ويرى صاحب المسالك: أن هذه الرواية غير معلومة الصحة لجهالة الراوي وهو أبو ربيع الشامي، فلو سلم فلا دلالة فيها إلى ما ذهبوا إليه ومقتضاه أن كانت زيادة على نفقة الحج ومعارضة لعموم القرآن وصحاح الأخبار[2].

أن مقتضى الآية وجوب الحج على المستطيع بالزاد والراحلة وهو اعم من أن يكون مالكاً لهما، فلو بذل له هل يجب عليه؟ أكثر الفقهاء من الإمامية على الوجوب، فقد روي عن الصادق عن أبيه الإمام الباقر(عليه السلام) أنه سئل: فإن عُرِضَ عليه الحج فاستحى؟ قال هو ممن يستطيع، ولم يستحي! ولو على حمار اجدع[3].

أما المذاهب الإسلامية الأخرى فقالوا: وشرط وجوب الحج الاستطاعة أما بنفسه للقادر، أو بغيره للمعضوب، فشرط الاستطاعة في حق من يحج بنفسه وجود الزاد والراحلة ومن لم يجدهما وقدر على المشي وله صنعة يكتسب بها ما يكفيه للنفقة استحب له الحج بالاتفاق، وإن احتاج إلى مسألة الناس كره له الحج... ومن غصب مالاً فحج به أو دابة فحج عليها صح حجه وإن كان عاصياً عند أبي حنيفة ومالك والشافعي[4].

❖ المطلب السابع: الجهاد:

الجهاد من الجهد وهو المشقة البالغة، وشرعاً هو بذل النفس والمال لإعلاء كلمة الإسلام و إقامة الشعائر فيدخل فيه قتال الكفار والبغاة[5].

---

(١) المصدر نفسه والصفحة + مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ٢/ ١٠٩.

(٢) مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ٢/ ١١٠.

(٣) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٥/ ٣+ الاستبصار، الشيخ الطوسي، ٢/ ١٤٠ + منتقى الجمان، الشهيد الثاني، ٢/ ٢٨٧.

(٤) رحمة الأمة، الدمشقي، ٩٩ + الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/ ١٤٨-١٤٩.

(٥) كنز العرفان، المقداد السيوري، ٢/ ٣.

وهو واجب على الكفاية على الأشهر، وعلى الأعيان في المرجوح عند الفقهاء، ولكن الراجح عندي أنه قد يصير واجباً بحسب الأحوال على الأعيان، أما لقصور القائمين به أو تعيين ولي الأمر.

وقد وردت مجموعة من الآيات تحث عليه وتفرضه، وقد أثر تفسير بعضها عن الإمام الباقر(عليه السلام)، سنعرض جملة منها:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ...﴾[1].

نقل الطبرسي عن الإمام الباقر(عليه السلام) قوله: الحذر هو السلاح، ثم رجحه على بقية الأقوال مستدلاً بأنه أوفق بقياس اللغة، لأنه من باب حذف المضاف أي آلات حذركم[2].

وقال السيوري: وفي هذا القول -أي قول الطبرسي- نظر لأنّ الحذر معطوف على السلاح والعطف يقتضي المغايرة فلزم أن يكون غير السلاح، واعتباره من باب حذف المضاف خروج عن الظاهر، ولو قال إنه سمى السلاح حذراً لم يحصل به الحذر فذلك أصوب[3].

وذكر هذا القول القرطبي في تفسيره: وقيل خذوا السلاح حذراً، لأنّ به الحذر[4].

وعموماً فان الآية مستند صريح في وجوب الجهاد والتأهب لقتال الكفار والإلتزام بمجانبة الغفلة[5].

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[6].

الخطاب في الآية للنبي(صلى الله عليه وآله) وتدخل فيه أمته من بعده[7]، قال ابن عباس: هو أمر بجهاد الكفار بالسيف[8]، أما المنافقون فقد اختلف فيه فالمأثور عن الإمام

(١) النساء/ ٧١.
(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ٧٢-٧٣.
(٣) كنز العرفان، المقداد السيوري، ٢/ ١١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ٢٧٣.
(٥) قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ١٣٨.
(٦) التوبة/ ٧٣.
(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/ ٢٠٤.
(٨) المصدر نفسه والصفحة.

الباقر (عليه السلام) أنه قال في تفسير هذه الآية: إنه أمر بجهاد الكفار، والمنافقين بالزامهم الفرائض[1].

ونقل عن ابن عباس: بأنَّ المراد بجهاد المنافقين باللسان، أي: بإقامة الحجة عليهم والوعظ لهم وقد اختاره الجبائي. ونقل عن الحسن وقتادة: أن جهاد المنافقين هو بإقامة الحدود عليهم[2].

وفي هذين القولين نظر لأن إقامة الحجة عليهم والوعظ لهم يتطلب من غير النبي (صلى الله عليه وآله) معرفتهم والنفاق أمر باطن فالرأي غير عملي من الناحية التطبيقية، أما إقامة الحدود في ما اختاره قتادة فقد جرى مجرى الأغلب، ولذلك رده ابن العربي فقال: أما تفسير جهادهم -أي المنافقين- بإقامة الحدود عليهم لاعتبار أنهم اكثر إصابة لمقتضاه فدعوى لا برهان عليها لأن مرتكب ما يوجب الحد عاصي، وليس العاصي مطلقاً منافقاً فبينهما عموم وخصوص من وجه[3]، وذكر أن المنافق إنما يكون النفاق في قلبه كامناً فلا تلتبس به الجوارح ظاهراً[4].

فظهر منه أن الراجح هو قول الإمام الباقر (عليه السلام) إذ إلزامهم بالفرائض هو المطلوب لأن التعامل مع المنافقين عمدته الظاهر.

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾[5].

استدل بهذه الآية على استحباب المرابطة في الثغور حذراً من العدو، لما رواه الطبرسي عن محمد بن مسلم وزرارة عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: الرباط ثلاثة أيام وأكثره أربعون يوماً فإذا جاوز ذلك فهو جهاد[6].

ويعضده قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا...﴾[7].

---

(١) كنز العرفان، المقداد السيوري، ٢/ ٣٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/ ٢٠٤.
(٣) احكام القرآن، ابن العربي، ٢/ ٨٧١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/ ٢٠٥.
(٥) الأنفال/ ٦٠.
(٦) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٢/ ٤٢ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٦/ ١٨.
(٧) آل عمران/ ٢٠٠.

والمرابطة لفظ مشترك بين التصبر على العبادة والتصبر على حراسة الثغور ولم يتعرض القرطبي إلى حكم المرابطة عند تفسيره لهذه الآية بل صرفها إلى تسخير الخيل تبرعاً للجهاد فقال: يستدل بهذه الآية على جواز وقف الخيل، ومنع منه أبو حنيفة، وبالصحة قال الشافعي؛ قال القرطبي: وهو اصح، لأنه مال ينتفع به في وجه القربة وهو معلل بأن يرهب به عدو الله[1].

وقد أكد ابن العربي على قول الإمام الباقر (عليه السلام) فقال: الرباط هو حبس النفس في سبيل الله حراسة للثغور مستنداً إلى ما رواه البخاري أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وكذلك الترمذي، وأشار إلى رباط الخيل فيما له فضل عظيم، ولم يتعرض للخلاف لكنه أكد استحبابه لتعليل النص[2].

وما تقدم في سورة آل عمران من الأمر بالمرابطة دليل على رجحان تفسير الإمام الباقر (عليه السلام) وخاصة إذا ما عضد ذلك التفسير مجموعة من الأحاديث الشريفة، فقد روى أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: رباط ليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه[3]. وذلك كله للدلالة على استحباب المرابطة[4].

❖ **المطلب الثامن: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

هو واجب شرعي ثبت بأكثر من آية للحث على الفعل الراجح وترك القبيح، قال الرازي: أوجبه الله على كل الأمة لان آل (من) في آية وجوبه ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[5] ليست للتبعيض لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[6] ولأن في المنكر ضرر فيجب دفع

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/ ٣٨.
(٢) أحكام القرآن، ابن العربي، ٢/ ٨٧٤.
(٣) ظ: الدر المنثور، السيوطي، ٢/ ١١٣ فيما يرويه عن احمد ومسلم والترمذي والنسائي.
(٤) مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ٢/ ٢٦٠.
(٥) آل عمران/ ١٠٤.
(٦) آل عمران/ ١١٠.

الضرر عن النفس على كل أحد[1] وقيل: إن (من) للتبعيض مراعاة لمن لا يقدر على الأمر بالمعروف مثل المرضى والعاجزين، وقيل: هو مختص بالعلماء لأن الواجب مشروط بأن يعلم الآمر بالمعروف بحقيقته والناهي عن المنكر بحقيقته، ولقيام الإجماع على أنه على سبيل الكفاية لكان ذلك إيجاباً على البعض لا على الكل[2].

ومن الآيات الدالة على هذا الوجوب بما ورد الأثر عن الإمام الباقر في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[3].

أخرج الشيخ الطوسي بسند صحيح عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]، وعن جابر الجعفي عن الباقر (عليه السلام) أنه اخبر عن قوم آخر الزمان لا يمتثلون لأمر هذه الآية إلا إذا أمنوا الضرر فيغضب الله عليهم فيعمهم عقابه[5].

واختلف الإمامية في الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر بموجب الآية، قد وجب شرعاً أم عقلاً أم بهما معاً؟ نقل صاحب المسالك ذلك الاختلاف بقوله: ذهب الشيخ الطوسي بأنه واجب عقلاً، لكونه لطف وكل لطف واجب، ومنع المرتضى منه بحجة أنه يلزم منه أن يكون كل معروف واقعاً وكل منكر مرتفعاً وإلا فالناس جميعاً مخلين بالواجب[6]، وفي استدلاله هذا نظر.

وقال صاحب المسالك: أما القول بوجوبه عقلاً والشرع مؤكد، كما ذهب إليه جمع غفير واضح إذ ليس في العقل ما يدل على الوجوب مطلقاً إلا على سبيل دفع الضرر كما تقدم[7].

---

(١) التفسير الكبير، الرازي، ٨/ ١٧٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) آل عمران/ ١٠٤.

(٤) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٢/ ٥٧ + فروع الكافي، الكليني، ١/ ٣٤٣ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٦/ ٣٩٣.

(٥) المصدر نفسه، ٢/ ٥٨ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٦/ ٣٩٤.

(٦) مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ٢/ ٣٧٣.

(٧) المصدر نفسه والصفحة.

فهذه المسألة من متعلقات التحسين والتقبيح العقليين وهي محل خلاف كما هو واضح، وفي تفسير الإمام للآية ترغيب في فعله وترهيب من تركه، وقد نقل الرازي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: إنه افضل الجهاد[1].

وفي فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحكام كثيرة مستفادة من روايات تفسيرية للإمام الباقر (عليه السلام) وغيره من أئمة آل البيت وغيرهم من العلماء تراجع في مضانها.

المبحث الثاني

المعاملات

❖ المطلب الأول: المكاسب:

تقدم أن الفقه الإسلامي هو عبادات ومعاملات وإنّ لب المعاملات ما يطلق عليه في الفقه المكاسب والتجارات وما يقابله بالقانون (المدني والتجاري)، والتكسب ضروري لإبقاء النوع فمن جهة الأصل يجب السعي في تحصيله على القادر عليه وجوباً عقلياً وشرعياً، وقد وردت في الاكتساب مجموعة من الآيات أثر فيها تفسير للإمام الباقر (عليه السلام) نورد بعضها مورد المثال:

أولاً: ورد عن الشيخ المفيد عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) بسند معتبر أنه قال في تفسير الآية: ﴿.. وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[2]: إذ العرش تمثال لجميع ما خلق الله[3]، فظهر منها كون الأرض محل المعاش والارتزاق. ومن فقه الآية يستفاد إباحة الانتفاع والتصرف بها إلا ما دل الدليل على المنع[4]، وإنما جمع (خزائن) لأن مقدورات الله تبارك وتعالى غير متناهية، وإنما دل الدليل على المنع فعلى حسب المصالح والمفاسد[5].

---

(١) التفسير الكبير، الرازي، ٨/ ١٧٩.

(٢) الحجر/ ٢١.

(٣) روضة الواعظين، الفتال، ٤٢ + قلائد الدرر الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ٢٠٩.

(٤) قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ٢١٠.

(٥) كنز العرفان، المقداد السيوري، ٢/ ٨٨.

ثانياً: في قوله تعالى: ﴿.. سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[1].

روي عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أبا جعفر عن الغلول؟ فقال: كل شيء غل من الإمام فهو سحت وأكل مال اليتيم سحت وشبهه سحت، والسحت أنواع كثيرة منها أجور الفواحش وثمن الخمر والنبيذ والمسكر والربا بعد البينة، وأما الرشا في الحكم فان ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله(ﷺ)[2].

وتضمنت الآية تحريم أكل الحرام مطلقاً ويدخل فيه الاكتساب بعون الظالم، وفي الآية حكم تكليفي وحكم وضعي، فالحكم التكليفي قد تقدم (الحرمة) والوضعي هو المنع من ترتب الأثر فلا تتحقق الملكية بالثمن السحت فمن اخذ مال من قطع طريق أو سرقة فلا يمتلك، ما يشتري به، وقد قال الإمام الباقر(عليه السلام): لا خير في شيء اصله حرام ولا يحل استعماله[3].

وهناك آيتين ورد تفسيرهما عن الإمام الباقر وهما: الملك/ ١٥ والنور/ ٣٣[4].



❖ المطلب الثاني: الشهادة في الحقوق:

في قوله تعالى في آية الدين: ﴿.. وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ...﴾[5].

السين للطلب، وفي الآية حكم باشتراط الاثنينية في الشهادة، فدلت على عدم قبول شهادة الواحد، وقد اختلف الفقهاء بالنسبة للحقوق في القضاء فيها بشاهدين أو بشاهد ويمين.

ذهب اكثر الفقهاء إلى القضاء بالشاهد واليمين، وقد روي ذلك عن الخلفاء الأربعة، وفقهاء المدينة السبعة وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد والظاهرية واستدلوا بقضاء النبي(ﷺ) فيما رووه بالشاهد واليمين[6].

---

(١) المائدة/ ٤٢.

(٢) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٢/ ١١٠ + فروع الكافي، الكليني، ١/ ٣٦٣ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٦/ ٦١ -٦٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ٢/ ٣٣٧.

(٤) قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ٢١١-٢١٨.

(٥) البقرة/ ٢٨٢.

(٦) ظ: المدونة، سحنون، ١٣/ ٣٣ + بداية المجتهد، ابن رشد، ٢/ ٥٠٧ + مغني المحتاج، الشربيني، ٤/ ٤٤٣ + المحلى، ابن قدامة، ٩/ ٤٠٤ + نيل الأوطار، الشوكاني، ٨/ ٢٩٥.

وكذلك بالنسبة للإمامية واستدلوا بما رووه عن الإمام الباقر (عليه السلام)، فقد روى عبد الرحمن بن الحجاج قال: دخل الحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل على أبي جعفر الباقر (عليه السلام) فسألاه عن شاهد ويمين فقال: قضى به رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقضى به علي (عليه السلام) عندكم بالكوفة، فقالا: هذا خلاف القرآن، فقال: أين وجدتموه خلاف القرآن: قالا: أن الله يقول: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ...﴾[1] فقال: قول الله ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ هو لا تقبلوا شهادة واحد ويميناً!؟ ثم نقل حكاية الإمام علي مع شريح القاضي في درع طلحة[2].

وقد روى الدار قطني بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه الإمام الباقر (عليه السلام) مثله[3]، وكذلك البيهقي[4].

وذهب بعض الفقهاء إلى: أنه لا يقضي بالشاهد واليمين في شيء من الحقوق، ذهب إلى ذلك أبو حنيفة وأصحابه[5].

واحتج أبو حنيفة بظاهر الآية، لكون ثبوته بدليل خارج الآية كالإجماع والأخبار[6].

والذي أراه: أن قبول الشاهد مع اليمين ليس مخالفاً لظاهر الآية لأن في الآية أمراً لأصحاب الحقوق أن يحفظوا حقوقهم بشاهدين وليس أمراً للحكام، وطريق الحكم بالحق شيء وطريق حفظ الحق شيء آخر فلا قياس ولا تلازم.

واحتج الحنفية بأن الحكم بالشاهد واليمين زيادة على نص الآية، والزيادة على النص نسخ، والنسخ بأخبار الآحاد لا يجوز على مسلكهم.

ويناقش هذا المدرك أن النسخ هو الرفعُ الإزالة، والزيادة تقرير لا رفع، فالحكم بالشاهد واليمين لا يمنع الحكم بالشاهدين[7].

---

(١) الطلاق/ ٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ٣/ ٦٣ + التهذيب، الشيخ الطوسي، ٤/ ٢٧٣ +فروع الكافي، الكليني، ٧/ ٣٨٥ + الاستبصار الشيخ الطوسي، ٣/ ٣٤ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٨/ ١٩٤.

(٣) ظ: سنن الدار قطني، ٤/ ٢١٢ وما بعدها.

(٤) ظ: السنن الكبرى، البيهقي، ١٠/ ١٧٠ وما بعدها ظ: المسائل، د. هاشم جميل، ق ٢/ ٢٠٢.

(٥) رحمة الأمة الدمشقي، ٣٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ٣٣٥.

(٧) نظام القضاء في الإسلام، عبد الكريم زيدان، ١٩٠.

❖ **المطلب الثالث: الرهن :**

في قوله تعالى: ﴿.. وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ...﴾[1].

في الآية اشتراط القبض فإن لم يقبض لم ينعقد الرهن بإجماع الإمامية[2]، واكثر فقهاء المسلمين، قال الدمشقي: قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد من صحة شرط الرهن القبض فلا يلزم إلا بالقبض، ونقل عن مالك أنه يلزم وإن لم يقبض لكن الراهن يجبر على التسليم[3].

وما ذهب إليه اكثر الفقهاء هو ماد لت عليه رواية الشيخ الطوسي عن محمد بن قيس عن أبي جعفر الباقر قال: لا رهن إلا مقبوضاً[4].

فصيغة النفي والحصر بالاستثناء دال على اشتراط القبض، لكن ابن إدريس الحلي يرى عدم الاشتراط ويميل إليه العلامة في المختلف والشهيد في المسالك[5]، وبذلك تكون دعوى الإجماع في أعلاه محل نظر، مستندين إلى عموم قوله تعالى: ﴿...أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾[6].

ويذهب ابن إدريس الحلي إلى أن الرواية المتقدمة عن الإمام الباقر (عليه السلام) ضعيفة، لسببين: لجهالة محمد بن قيس في سندها ولاشتراكه[7]، وقد تقدم في فصل من روى عن الإمام في رسالتنا أنه غير مجهول لأنه الأسدي الثقة، وبالجملة فالسند قوي ومعتبر ومتن الرواية مطابق للقرآن الكريم، لكن من جهة الدلالة أن خبر (لا) النافية للجنس استحبابي أي لا رهن كاملاً، وعموم المسألة محل نقاش بين علماء الإمامية.

---

(١) البقرة/ ٢٨٣.

(٢) قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ٢٩٥.

(٣) رحمة الأمة، الدمشقي، ١٤٧.

(٤) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٢/ ١٦٦ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٦/ ١٢٣.

(٥) ظ: المختلف، العلامة الحلي، ٢/ ٤٦ + السرائر، ابن إدريس، ٢/ ١١٣ + مسالك الإفهام، الشهيد الثاني، ٢/ ١٣٢.

(٦) المائدة/ ١.

(٧) السرائر، ابن إدريس، ٢/ ١١٣.

ولكن الذي يبدو لي –والله اعلم– أن القبض شرط للزوم لا شرط للصحة، أي أنه لو لم يقع لكان الرهن صحيحاً لكنه ليس بلازم.

❖ المطلب الرابع: الوصية:

هناك الكثير من الروايات المنقولة عن الإمام الباقر (عليه السلام) في الوصية وأحكامها والتي اتخذت فيما بعد كأدلة لاستنباط الأحكام الشرعية المتعلقة بالوصية عند فقهاء الإمامية ولكن الذي يهمنا منها رواياته التفسيرية فقط، ومنها في قوله تعالى: ﴿...إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[1].

هناك روايتان متعارضتان عن الإمام الباقر (عليه السلام) في جواز الوصية لوارث أو عدمه:

الأولى: عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن الوصية للوارث؟ فقال: تجوز ثم تلا هذه الآية: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[2].

الثانية: عن عمرو بن شمر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول في الدين والوصية: أن الدين قبل الوصية ثم الوصية على أثر الدين ثم الميراث، ولا وصية لوارث[3].

رجح فقهاء الإمامية الرواية الأولى لتضافر الأدلة لديهم على ترجيحها، ومنها: أن الرواية الأولى هي برواية محمد بن مسلم وهو من عرفت في إجماع العلماء على توثيقه وتعديله والثانية ضعيفة بضعف عمرو بن شمر الجعفي، والسبب الآخر أن الرواية الأولى يعضدها جمع من الروايات الصادرة عن كثير من أئمة آل البيت[4] ولإجماع العلماء عندهم على أن الوصية للوارث صحيحة

---

(١) البقرة/ ١٨٠.

(٢) الوافي، الفيض الكاشاني، ١٣/ ١٧.

(٣) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٢٢٦ + بحار الأنوار، المجلسي، ٢٤/ ١٢٩.

(٤) ظ: البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ٣١٨.

إذا لم تكن اكثر من الثلث، فإن كانت اكثر من الثلث ردت إليه[1]، وبه قال بعض الزيدية[2].

وأما المالكية ففي المشهور من مذهبهم وهو قول للشافعية ورواية عن الحنابلة وبه قال الظاهرية من أن الوصية للوارث باطلة، وإذا أجازها الورثة فإجازتهم تعتبر ابتداء هبة منهم للموصى له، وليس تنفيذاً لوصية مورثهم فيعتبر فيها ما يعتبر في الهبة، فلابد من إيجاب من الورثة وقبول وقبض من الموصى له[3].

وقال جمهور العلماء وإليه ذهب الحنفية وبعض المالكية وهو قول للشافعي والصحيح من مذهب الحنابلة وهو المذهب عند الزيدية: إن صحة الوصية للوارث متوقف على إجازة الورثة، فإذا أجازوها صحت وكانت إجازتهم تنفيذاً لوصية الموصي، وإذا أجازها بعضهم ورد بعض آخر جازت في حق المجيز بقدر نفسه وإن لم يجيزوها بطلت[4].

ولكل من هذين القولين أدلة استدل بها على ما ذهب إليه من حكم فقهي بخصوص الوصية للوارث غير أن أدلة هذه الأقوال الثلاثة ومن ضمنهم الإمامية مناقش في استدلالهم فيها وقد تكلفت الموسوعات الفقهية في بيان أوجه الاختلاف وطرق الاستدلال بما فيه الكفاية لمستزيد.

❖ المطلب الخامس: الحجر:

أثرت عن الإمام الباقر (عليه السلام) عدة روايات تفسيرية في الآيات القرآنية ذات الصلة نذكر منها مثالاً واحداً:

في قوله تعالى: ﴿...وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ...﴾[5]، فقد روى زياد بن المنذر عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: السفهاء النساء والولد، إذا علم الرجل أن

---

(١) الخلاف، الشيخ الطوسي، ٢/ ٨٩.

(٢) البحر الزخار، ابن المرتضى، ٦/ ٣٠٨.

(٣) المهذب، النووي، ١٥/ ٤٢٠ + المغني، ابن قدامة، ٦/ ٤١٩ + البحر الزخار، ابن المرتضى، ٦/ ٣٠٨ + المحلى، ابن حزم، ٩/ ٣١٦.

(٤) الهداية متن تكملة فتح القدير، ٩/ ٣٤٨ + المهذب، النووي، ١٥/ ٤٢٠ + المغني، ابن قدامة، ٦/ ٤١٩ + البحر الزخار، ابن المرتضى، ٦/ ٣٠٨.

(٥) النساء/ ٥.

امرأته سفيهة مفسدة وولده سفيه مفسد لم ينبغ له أن يسلط واحداً منهما على ماله الذي جعل الله له قياماً[1].

قال القرطبي: باسطاً اختلاف العلماء في (السفهاء) فنقل: عن سعيد بن جبير أنه قال: إنهم اليتامى وعقب عليه بعبارة النحاس في قوله: وهذا احسن ما قيل في الآية، وروى عن أبي مالك أنه قال: الأولاد الصغار، وعن مجاهد النساء، قال النحاس: وهذا القول لا يصح، ويقال: لا تدفع للكفار وقال أبو موسى الاشعري (رضي الله عنه): السفهاء هنا كل من يستحق الحجر وعلق عليه القرطبي بقوله: وهذا جامع[2].

ثم يعرض آراء الفقهاء وبعدها يورد قولاً لابن عباس وهو: لا تدفع مالك الذي هو سبب معيشتك إلى امرأتك وابنك وتبقى فقيراً تنظر إليهم وإلى ما في أيديهم بل كن أنت الذي تنفق عليهم[3].

فالسفهاء على هذا القول هم النساء والصبيان، فيكون الإمام الباقر (عليه السلام) قد أخذ بتفسير ابن عباس وخرّج عليه.

ونسب الرازي هذا القول إضافة لابن عباس إلى الحسن وقتادة وسعيد بن جبير في أحد قوليه، وقد مال هو إلى قول آخر وهو: أن السفهاء كل من لم يكن له عقل يفي بحفظ المال ويدخل فيه النساء والصبيان والأيتام وكل من كان موصوفاً بهذه الصفة، وهذا القول أولى لأنّ التخصيص بغير دليل لا يجوز[4].

وهذا الرأي هو قول أبي موسى الاشعري المتقدم والذي ذكره القرطبي في تفسيره، ونحن نرجح ما ذهب إليه الرازي لأن التخصيص بلا دليل غير جائز قطعاً إلا إذا قامت قرائن على ذلك.

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ١٥٩ + تفسير القرآن، القمي، ١/ ٨٩.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ١٤.
(٣) المصدر نفسه، ٥/ ١٦.
(٤) التفسير الكبير، الرازي ٣/ ٢١٠.

❖ المطلب السادس: اليمين وكفارته :

فصل الفقهاء في أحكام اليمين، وما ينعقد منها وما لا ينعقد واستندوا فيها على مجموعة من الآيات الكريمة التي ورد تفسير بعض منها عن الإمام الباقر (عليه السلام):

أولاً: في قوله تعالى: ﴿.. وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ...﴾[1].

عن زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: يعني: الرجل يحلف أن لا يكلم أخاه وما أشبه ذلك[2].

وفي تفسيره هذا بيان للماهية من خلال المثال، واعتبر هذا اليمين لغواً لأن العرضة بمعنى المانع من ارتكاب فعل الخير، فلا تجب به الكفارة[3]، خلافاً لبعض الفقهاء.

قال ابن رشد: الإيمان منها لغو، ومنها منعقد، وذهب مالك وأبو حنيفة إلى أن إيمان اللغو هو يمين على شيء يظن الرجل أنه على يقين منه فيخرج الأمر على خلاف ذلك، وقال الشافعي: لغو اليمين ما لم تنعقد عليه النية مثل ما جرت به العادة من غير أن يعتقد لزومه وهذا القول رواه مالك في الموطأ عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وقيل عن بعض أصحاب مالك أن اليمين على المعصية يمين لغو[4].

وترى الإمامية: أن اليمين لا ينعقد إلا بالنية -وهو قول الشافعية كما هو واضح في ما تقدم- وهذا اليمين هنا حلف من غير نية ولذلك يسمونه يمين اللغو[5].

ويرى السيوري: أن متى تضمن اليمين ترك بر وتقوى وإصلاح فأنها باطلة لا يجب العمل بمضمونها[6].

---

(١) البقرة/ ٢٢٤.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ١١٢ + بحار الأنوار، المجلسي، ٢٣/ ٤٦ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ١٢.

(٣) قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ١٢.

(٤) بداية المجتهد، ابن رشد، ١/ ٣٩٥.

(٥) شرايع الإسلام، المحقق الحلي، ٣/ ١٧٠.

(٦) كنز العرفان، المقداد السيوري، ٢/ ٢٠١.

ويفهم من الآية إيضاً أبعاد الناس عن الإيمان، كما وردت في رواية سدير الصيرفي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: من حلف بالله صادقاً فقد أثم[1].

ثانياً: أما في كفارته فقد ورد تفسير الإمام الباقر (عليه السلام) لقوله تعالى: ﴿...فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ...﴾[2] عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن أوسط ما تطعمون أهليكم؟ فقال: ما تعولون به عيالكم من أوسط ذلك، قلت: وما أوسط ذلك؟ فقال: الخل والزيت والتمر والخبز يشبعهم به مرة واحدة[3].

ويترتب عليها أن الإطعام يصدق أما بالتسليم أو التمكين، واختلف في قدر ما يعطى المسكين، فقال أبو حنيفة: نصف صاع من الحنطة أو صاع من غيره، بينما ذهب الإمامية والشافعية إلى: أنه لكل مسكين مد -ثلاثة أرباع الكيلو غرام-[4]، وهو قول مالك وأهل المدينة[5].

ويرى مالك تبعاً لرأي الإمام الباقر: أن المد خاص بأهل المدينة فقط لضيق معايشهم، أما سائر المدن فيعطون من الوسط من نفقتهم لقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ والوسط من الادام: الزيت واللبن والسمن والتمر[6].

❖ المطلب السابع: النكاح:

في هذا المطلب مسائل كثيرة دلت عليها آيات قرآنية كريمة وأحاديث شريفة، وقد فرع عليها الفقهاء فروعاً وأحكاماً كثيرة، وقد وردت روايات تفسيرية عن الإمام الباقر (عليه السلام) تتناول العديد من قضاياه، وسنكتفي بأمثلة مجتزأة منها:

أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ...﴾[7]. الأيم: الخلية التي لا زوج لها.

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ١١٤ + تفسير القرآن، القمي، ١/ ٢١٧.

(٢) المائدة/ ٨٩.

(٣) قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٢٣.

(٤) كنز العرفان، المقداد السيوري، ٢/ ٢٠٥.

(٥) بداية المجتهد، ابن رشد، ١/ ٤٠٤.

(٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٧) النور/ ٣٢.

واختلف الفقهاء في حاجة عقد النكاح إلى أذن الولي على أقوال:

ذهب الإمامية في مشهورهم إلى أنه لا يعد أذن الولي شرطاً على وجه الوجوب ومدرك ذلك روايتان عن الإمام الباقر (عليه السلام):

الأولى: عن زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: إذا كانت المرأة مالكة أمرها تبيع وتشتري وتعتق وتشهد وتعطي من مالها ما شاءت، فان أمرها جائز تتزوج إن شاءت بغير أذن وليها، وإن لم تكن كذلك فلا يجوز تزويجها إلا بأمر وليها[1].

الثانية: عن أبي بصير وحمران ومحمد بن مسلم عن الإمام الباقر (عليه السلام) انه قال: المرأة التي ملكت غير السفيهة ولا المولى عليها أن تزويجها بغير ولي جائز[2].

وأما ما هو خلاف المشهور عندهم فمدركه روايتان أخريان عن الإمام الباقر (عليه السلام) أيضاً:

الأولى: عن منصور بن حازم عن الإمام أنه قال: تستأمر البكر وغيرها[3].

الثانية: عن زرارة عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: لا ينقض النكاح إلا بالأب[4].

وحينئذ فالمجتهد وخبرته في الترجيح بين المتعارض هو الذي يجعله يختار ما يراه صحيحاً.

وممن قال بشرط الولاية مالك والشافعي وأحمد والزيدية[5]، وأجاز أبو حنيفة بغير ولي وزفر والشعبي والزهري لا سيما إذا كان كفؤاً[6]، وفرق

---

(١) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٢/ ٢٢١ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٧/ ٢١٥ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٤٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ٢/ ١٢٧ + التهذيب، الشيخ الطوسي، ٢/ ٢٢٠ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٧/ ٢٠١.

(٣) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٢، ٢٢١ + الوسائل الشيعة، الحر العاملي، ٧/ ٢٠٣.

(٤) الاستبصار، الشيخ الطوسي، ٤/ ٢٣٥ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٧/ ٢٠٥.

(٥) شرح الدردير مع حاشية الدسوقي، أحمد بن الدردير، ٣/ ٢٢٦ + المغني، ابن قدامة ٧ م/ ٣٣٧ + مغني المحتاج، الشربيني، ٣/ ١٣٧ + البحر الزخار، ابن المرتضى، ٤/ ٢٣.

(٦) الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود الموصلي، ٣/ ١٢٨ + فتح القدير، ابن الهمام، ٢/ ٢٩١.

الظاهرية بين البكر والثيب[1]، وعلى رواية ابن القاسم عن مالك القول الرابع: أن اشتراط الولاية سنة لا فرض[2].

وكان لكل واحد من هذه الأقوال أدلته المستفاد منها هذه الأحكام الشرعية، وقد افاض الفقهاء في مناقشتها وذكرها وترجيح بعضها على بعض في موسوعاتهم الفقهية.

ثانياً: في مباحث النكاح يتعرض العلماء إلى محرماته، ومن محرماته الرضيعات لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ...﴾[3].

اختلف الفقهاء في مقدار الرضاع الناشر للحرمة، فذهب الإمامية إلى أنه إما خمسة عشر رضعه أو رضاع يوم وليلة لتضافر روايات آل البيت على ذلك[4]، ومنها ما رواه محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر الباقر (عليه السلام): هل للرضاع حد يؤخذ به؟ فقال: لا يحرم الرضاع اقل من رضاع يوم وليلة أو خمس عشرة رضعه متواليات من امرأة واحدة من لبن فحل واحد لم يفصل بينهما رضاع امرأة غيرها، فلو أن امرأة أرضعت غلاماً أو جارية عشر رضعات من لبن فحل واحد وأرضعتها امرأة أخرى من لبن فحل آخر عشر رضعات لم يحرم نكاحهما[5].

وذهب مالك وأبو حنيفة والزيدية إلى: أن قليله وكثيره ناشر للحرمة، فمتى وصل شيء إلى جوف الرضيع ثبت حكم الرضاع في نشر الحرمة، ودليله قوله (صلى الله عليه وآله): يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب[6].

---

(١) المحلى، ابن حزم الظاهري، ٩/ ٤٥٥.

(٢) بداية المجتهد، ابن رشد، ٢/ ٨.

(٣) النساء/ ٢٣.

(٤) ظ: للتفاصيل: كنز العرفان، المقداد السيوري، ٣/ ٤٢ + الكافي، الكليني، ٥/ ٤٣٨.

(٥) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٢/ ٢٠٦ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٧/ ٢٨٢ + الاستبصار، الشيخ الطوسي، ٣/ ١٩٣ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٩٦.

(٦) الموطأ مع الزرقاني، ٣/ ٢٤٠ + فتح القدير، ابن الهمام، ٣/ ٢ + البحر الزخار، ابن المرتضى، ٤/ ٢٦٤.

وذهب الشافعي وأحمد وابن حزم إلى: خمس رضعات وصاعداً ناشرة للحرمة، ودليله رواية أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)[1].

ولكل فريق من الفقهاء أدلته، ونحن لا يهمنا هنا سوى عرض ما نقل عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسيره لبعض آيات الأحكام حتى يتسنى لنا إظهار مدى مشاركة الإمام في ترصين الجهود الفكرية والفقهية دون التعرض إلى أدلة باقي الفقهاء الذين سبقوه أو تأخروا عنه لأن ذلك يخرج هذه الدراسة عما قدر لها ويوسمها بطابع فقهي لم تقم على أساسه.

ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

الايلاء هو الحلف على ترك الوطء أربعة اشهر فما فوق، وقد كان طلاقاً في الجاهلية فنسخ الله ذلك واثبت له حكماً آخر[3].

نقل بكير بن أعين وبريد بن معاوية في هاتين الآيتين أن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: إذا آلى الرجل أن لا يقرب امرأته فليس لها قول ولا حق في الأربعة أشهر ولا أثم عليه في كفه عنها في الأربعة أشهر، فإن مضت الأربعة الأشهر قبل أن يمسها فسكتت ورضيت فهو في حل وسعة، فإن رفعت أمرها قيل له: أما أن تفيء فتمسها، أما أن تطلق، وعزم الطلاق أن يخلي عنها فإذا حاضت وطهرت طلقها وهو أحق برجعتها ما لم تمض ثلاث قروء، فهذا الايلاء الذي أنزله الله تعالى في كتابه وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله)[4].

وقال ابن رشد: وفيه خلاف أساسه، هل تطلق المرأة بعد الأربعة أشهر بعد الترافع، ذهب مالك والشافعي وأحمد وأبو ثور والليث وداود إلى: أنه يوقف بعد انقضاء الأربعة أشهر، فأما يفيء وأما يطلق وهو

---

(١) المهذب، النووي، ٢/ ١١٦ + المغني، ابن قدامة، ٩/ ١٩٢ + المحلى، ابن حزم الظاهري، ١٠/ ٩١.

(٢) البقرة/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٣٧٩.

(٤) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٧/ ٥٢٦ + فروع الكافي، الكليني، ٢/ ١٢١.

قول علي وابن عمر، أما أبو حنيفة فإنه يرى أن الطلاق يقع بانقضاء الأربعة أشهر إلا إذا فاء فيها[1].

ونرى أن تفسير الإمام الباقر(عليه السلام) هنا مطابق لمذهب مالك والشافعي واحمد وداود.

المبحث الثالث

الحدود والجنايات والقضاء

❖ **المطلب الأول: الحدود:**

وهي عقوبات قدرها الشارع على الجناة والذين يرتكبون المعاصي المقررة شرعاً[2]، وفيها مجموعة من الآيات الكريمة ورد تفسيرها عن الإمام الباقر(عليه السلام)، وإليك بعضها:

أولاً: في حد الزنا

قال تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ...**﴾[3].

فقد بيّن الإمام أبو جعفر الباقر(عليه السلام) طريقة استيفاء الحد برواية زرارة عنه فقال: يضرب الرجل قائماً والمرأة قاعدة ويضرب على كل عضو ويترك الوجه والمذاكير[4].

وفي رواية أخرى عنه قال: يفرق على الجسد كله ويتقى الفرج والوجه ويضرب بين الضربين[5]، ولا أعلم خلافاً بين الفقهاء في هذه الطريقة في استيفاء الحد.

---

(١) بداية المجتهد، ابن رشد، ٢/ ٩٨.

(٢) شرايع الإسلام، المحقق الحلي، ٤/ ٢١.

(٣) النور/ ٢.

(٤) التهذيب، الشيخ الطوسي، ١٠/ ٣١ + من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ٤/ ٢٠ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٨/ ٣٦٩.

(٥) التهذيب، الشيخ الطوسي، ١٠/ ٣١ +وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٨/ ٣٧٠ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٣٦١.

ثانياً: في حد السرقة

قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

بين الإمام الباقر (عليه السلام) في إحدى الروايات عنه مسقطات العقوبة، فأجاب عن سؤال وجه إليه عن الابن يسرق من منزل أبيه فقال: لا يقطع لأن ابن الرجل لا يحجب عن الدخول إلى منزل أبيه هذا خائن[2] وبه قالت الإمامية.

وذهب مالك إلى: أنه لا يقطع الأب فيما سرق من مال الابن فقط ويقطع ما سواه من القرابات، أما الشافعي فذهب إلى أنه لا يقطع عمود النسب الأعلى والأسفل، أما أبو حنيفة فذهب إلى أنه لا يقطع ذو الرحم المحرمة[3].

❖ المطلب الثاني: الجنايات:

وردت في الجنايات مجموعة من الآيات المفسرة برواية الإمام الباقر (عليه السلام) في قتل المؤمن عمداً قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[4].

فقد فسر العمد بالتعدي وبما يكشف عنه مثل آلة القتل، فقد ورد عن جميل بن دراج عن الإمام الباقر أنه قال: العمد كل ما عمد فيه الضرب[5]، وفيه قصاص، فقد نقل عن أبي عبيدة الحذاء عن الإمام الباقر في رجل قتل أمه، قال: يقتل بها صاغراً ولا أظن قتله بها كفارة له ولا يرثها[6].

والأظهر عند الإمامية أن الحد لا يسقط العقاب الأخروي إلا بعد التوبة، وقيل أن إقامة الحد بمثابة التوبة، وتوبة القاتل عمداً: الندم

---

(١) المائدة/ ٣٨.

(٢) التهذيب، الشيخ الطوسي، ١٠/ ١١٠ + فروع الكافي، الكليني، ٧/ ٢٢٨ +وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٨/ ٥٩٨-٥٠٩.

(٣) بداية المجتهد، ابن رشد، ٢/ ٢٤٢.

(٤) النساء/ ٩٣.

(٥) قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٣٩٨.

(٦) من لا يحضره الفقيه، الصدوق، ٤/ ٨٠ - التهذيب، الشيخ الطوسي، ١٠/ ٢٣٧ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٩/ ٥٧.

الخالص والكفارة الجامعة للخصال الثلاثة والانقياد لأولياء الدم قصاصاً أودية أو عفواً[1].

❖ المطلب الثالث: القضاء :

أما في فقه القضاء فقد وردت رواية تفسيرية واحدة عن الإمام الباقر (عليه السلام) - في حدود ما اطلعت عليه- أوردها هنا استكمالاً للموضوع وهي:

في قوله تعالى: ﴿...فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[2].

فعن أبي بصير عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: إن الحاكم إذا أتاه أهل التوراة وأهل الإنجيل يتحاكمون إليه، كان ذلك إليه إن شاء حكم بينهم وإن شاء تركهم[3].

وللعلماء في هذه الآية قولان: الأول: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾[4].

فلزمه الحكم وزال التخيير، وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي[5].

قال النحاس: وهو الصحيح من قول الشافعي لقوله: ولا خيار له إذا تحاكما إليه لقوله تعالى: ﴿...حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[6]، وهذا من أصلح الاحتجاجات[7]، وهو مذهب أبي حنيفة وزفر وأبي يوسف[8].

القول الثاني: أنها محكمة، فيكون ذلك للإمام إن شاء حكم بينهم وإن شاء أعرض عنهم، وهو المروي عن الشعبي والنخعي والزهري وبه قال أحمد ومالك

---

(١) كنز العرفان، المقداد السيوري، ٤/ ٥٦ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٣٩٩.
(٢) المائدة/ ٤٢.
(٣) التهذيب، الشيخ الطوسي، ٦/ ٣٠٠ + وسائل الشيعة، الحر العاملي، ١٨/ ٢١٨ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٣/ ٤٢٩.
(٤) المائدة/ ٤٩.
(٥) زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ٣٦١.
(٦) التوبة/ ٢٩.
(٧) الناسخ والمنسوخ، النحاس، ١٢٩.
(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/ ١٨٥.

ابن انس ذكر ذلك أبو جعفر عنهم[1]، ومال إليه وصوبه الطبري الذي احتج بعدم التعارض بين الآيتين لأنه لم يصح به خبر عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولم يجمع عليه علماء المسلمين[2]، وكذلك ابن الجوزي وعده صحيحاً[3]، والقرطبي[4] وقدمنا أن هذا القول كان اختيار الإمام الباقر المتقدم زمناً على بعض أولئك الأعلام.

وأخيراً كان الإمام الباقر من فقهاء المدينة البارزين، ومن الطبقة الثالثة من التابعين، ولا بد أن تكون له منهجية يسلكها عند إصداره للفتوى ليصل بها إلى النتائج التي هي ثمرات علمه، والإمام فقيه كان له المنزلة العالية في منهجه العلمي الذي سلكه، ومن خلال ما تقدم من عرض أقواله وأرائه في تفسير آيات الأحكام يمكن أن نستخلص أهم مميزات منهجه الفقهي فيها، وهي:

١- تعويله على القرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع الصحابة أولاً واحتكامه إليها، وهذه أول قاعدة أصولية يبني عليها الفقه الإسلامي فهو ممن يتشدد في الآخذ بالأثر ويتمسك به.

٢- تعمقه في المحاورات الفقهية وبيان وجهة استدلاله، أن كانت من القرآن الكريم، أو السنة الشريفة أو من غيرهما، وأوضح ما يكون ذلك في مناظراته الفقهية.

٣- التيسير في الأحكام واستيعابه لأحوال الناس عند إصدار الفتوى، لأنه كان يدرك بأن الإسلام ليس مجموعة من النظم والقوانين التي توقع المسلم في الحرج والضيق، بل هو تنظيم الهي متكامل يهدف إلى تشييد حياة إنسانية فاضلة.

٤- دعمه وتشجيعه لاجتهادات الآخرين في حدود المشروعية الفقهية أن كانت مخالفة لآرائه أو موافقة لها وكان يشجع من يجد فيه قدرة على الإفتاء، فقد قال مرة لأحد تلامذته: اجلس في مسجد المدينة وافت الناس[5].

---

(١) الناسخ والمنسوخ، النحاس، ١٢٩.

(٢) جامع البيان، الطبري، ١٠/ ٣٣٠.

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ٣٦١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/ ١٨٤.

(٥) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١/ ٢١-٢٢.

٥- ضربه المثل عملياً أثناء بيان مسألة فقهية بحركات جسمه أو يديه وخير دليل على ذلك محاكاته لوضوء رسول الله(ﷺ) عندما طلب منه ذلك.

٦- وأخيراً له انفرادات فقهية تدل على سعة علمه وتميز شخصيته الفقهية بمسائل توصل إليها دون أقرانه واستفاد منها الآخرون مما شكل ثروة فقهية اشتملت عليها الموسوعات الفقهية عند الإمامية خاصة سميت منضمة إليها فتاوى وأحكام باقي آل البيت شكلت فيما بعد ثروة فقهية لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال.



الفصل الرابع

الجانب التربوي والأخلاقي

في تفسير الإمام الباقر

[عليه السلام]



تعد التربية الإسلامية مجموعة مترابطة من المفاهيم والقيم المتفاعلة، الأساس فيها التصور الكوني الذي عرضه القرآن الكريم فالإنسان مخلوق على الفطرة ويؤمن بأن الله سبحانه وتعالى يراه ويسمعه في كل آن، وأن مسؤوليته على نواياه وأفعاله مسؤولية كاملة يلزم بها المعاد، وقد نقل عن الإمام أبي جعفر الباقر في هذا الصدد عنه تفسيره لقوله تعالى ﴿.. وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ...﴾[1] فعن فضيل بن يسار عنه قال: يا فضيل بلغ من لقيت من موالينا عنا السلام وقل لهم إني أقول: إني لا أغني عنكم من الله شيئاً إلا بورع فاحفظوا ألسنتكم وكفوا أيديكم، وعليكم بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين[2].

وفي حالات استعصاء تحصيل مراد الإنسان يستريح ضمير الفرد المسلم تحت مفهوم التوكل على الله والتضامن مع إخوانه المسلمين والصبر على الشدائد، ويعد أيضاً مفهوم التوبة المسلك الذي يجذب دائماً إلى الفضيلة.

إن علماء المسلمين بجهودهم المعرفة بأركان الإسلام حبوا الإنسان المسلم ثروة تربوية ضخمة جداً من مدرسة الصحابة والتابعين وأئمة أهل البيت إلى الفقهاء النابغين والأولياء الصالحين والدعاة المربين الذين ساروا بإحسان على مناهج الأولين.

وكان الإمام الباقر الذي عاش شطراً من حياته موجهاً للأمة وتربوياً عظيماً لمن يأخذ عنه فهو في سلوكه قدوة وفي تصرفاته منار، فلم يثبت في التاريخ أنه تعرض لنقد من قبل علماء الأمة، ولم يتحدث أحد عنه باقتراف كبيرة أو صغيرة[3].

وعلى الرغم من طبيعة عصر الإمام الباقر وانشغال الدولة آنذاك بالفتن وانقسام الناس إلى فئات وعلى الرغم من حركة العمران والاختلاط فقد كان على الرغم من

---

(١) البقرة/ ٤٥.

(٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٦٨ + تفسير نور الثقلين، الحويزي، ١/ ١١٩.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ٢/ ٥١١.

كل هذه الظروف واحداً من أعلام المربين والموجهين، ظهرت توجيهاته في الجانب التربوي والأخلاقي وأثرت عنه في هذا المجال مجموعة ضخمة من الروايات والأقوال ذكرنا بعضاً منها في الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الرسالة.

أما الروايات المتعلقة بتفسير آيات القرآن الكريم والتي يستنبط منها أحكام الجانب التربوي والأخلاقي فقد كانت قليلة جداً بحيث لم ترب على (١٥) رواية تفسيرية، سنعرضها وفق تسلسل الآيات في السور والسور في المصحف الشريف وهو منهج التزمنا به في كل فصول هذه الرسالة، وإليك تلك الروايات:

أولاً: في الحلم وكظم الغيظ

وهما ضبط النفس إزاء مثيرات الغضب، وهما أشرف السجايا وأعز الخصال ودليلان على سمو النفس وكرم الأخلاق.

وقد مدح الله الحلماء والكاظمين الغيظ، و أثنى عليهم في قوله تعالى: ﴿...وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[1] وفي قوله تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وعلى هذا النسق جاءت توجيهات الإمام الباقر (عليه السلام)، فقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[3] عن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله تبارك وتعالى يبغض اللعان، السباب، الطعان على المؤمنين، المتفحش، السائل الملحف ويحب الحيي، الحليم، المتعفف[4].

وايد الرازي المتوفى (٦٠٦هـ) بقاء هذه الآية على عمومها وأنه لا حاجة إلى التخصيص وعده هو القول الأقوى -أي تفسير الإمام الباقر المتقدم- واستدل عليه بما يعضده من آيات قرآنية كريمة أخرى فقال: أن موسى وهارون (عليهما السلام) مع

---

(١) الفرقان/ ٦٣.

(٢) آل عمران/ ١٣٤.

(٣) البقرة/ ٨٣.

(٤) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٤٨ + الصافي في تفسير القرآن، الكاشاني، ١/ ٢٢٧ + بحار الأنوار، المجلسي، ٧/ ١٠٨.

جلال منصبهما أمرا بالرفق واللين مع فرعون، وكذلك رسول الله محمد(ﷺ) مأمور بالرفق وترك الغلظة وكذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[2][3].

ثانياً: في الحث على الصدقة والترغيب فيها

ورد فيها حديث عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عن رسول الله(ﷺ) قال: إن الله ليربي لأحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه، أو فصيله حتى تكون مثل أُحد[4].

قال المنذري: رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له[5].

وذهب الإمام الباقر(عليه السلام) إلى هذا النهج القويم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ...﴾[6] فعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) قال: قال الله وكلت بالأشياء غيري إلا الصدقة، فإني أقبضها بيدي حتى أن الرجل والمرأة يصدق بشقة التمرة فأربيها له كما يربي الرجل منكم فصيله وفلوه، حتى أتركها يوم القيامة أعظم من أُحد[7].

ثالثاً: في الترهيب من منع الزكاة

ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿...سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[8].

عن محمد بن مسلم الطائفي قال: سألت أبا جعفر(عليه السلام) عن هذه الآية فقال: ما من عبد منع زكاة ماله إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعبان من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب[9].

---

(١) النحل/ ١٢٥.

(٢) الأعراف/ ١٩٩.

(٣) التفسير الكبير، الرازي، ٣/ ١٨٠.

(٤) الترغيب والترهيب، المنذري، ٢/ ٤ + الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣/ ٣٦٢ + تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٥٨٤-٥٨٥.

(٥) الترغيب والترهيب، المنذري، ٢/ ٣.

(٦) البقرة/ ٢٧٦.

(٧) تفسير القرآن، القمي، ١/ ٢٥٨ + الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ١/ ٢٣١.

(٨) آل عمران/ ١٨٠.

(٩) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٥٤٦ + تفسير القرآن، القمي، ١/ ٣٢٧.

وذكر ابن الجوزي أربعة أقوال في معنى تطويقهم به وهي:

الأول: أنه يجعل كالحية يطوق بها الإنسان، روى ابن مسعود عن النبي (ﷺ) قال: ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع يفر منه، وهو يتبعه حتى يطوق في عنقه، ثم قرأ رسول الله (ﷺ) ﴿سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ وهذا مذهب ابن مسعود ومقاتل.

الثاني: إنه يجعله طوقاً من نار، رواه منصور عن مجاهد.

الثالث: إن معنى تطويقهم به: تكليفهم أن يأتوا به، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

الرابع: إن معناه: يلزم أعناقهم إثمه، قاله ابن قتيبة[1].

والذي يترجح عندنا هو القول الأول من الأقوال التي ذكرها ابن الجوزي، وذلك لما رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه -يعني شدقيه- يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ...﴾[2]

ولما رواه ابن ماجة بلفظ قريب منه[3]، هذا من جهة ولأنه مطابق لما جاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) من جهة أخرى.

فيكون بهذا أن الإمام الباقر (عليه السلام) قد أفاد من الحديث الشريف المروي عن جده رسول الله (ﷺ) في الترهيب عن منع الزكاة وفي رسم الصورة البشعة التي سيؤول إليها مانع الزكاة.

رابعاً: في الترهيب من أكل مال اليتيم بغير حق

ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً﴾[4].

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ١/ ٥١٣.

(٢) صحيح البخاري، ٨/ ٢٧٣.

(٣) سنن ابن ماجة، ١/ ٥٦٧.

(٤) النساء/ ١٠.

عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): أصلحك الله ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال: من أكل من مال اليتيم درهماً[1].

وقال السدي: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه، وأنفه وعينيه، يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم[2].

وقال القرطبي: دل الكتاب والسنة على أن أكل مال اليتيم من الكبائر[3].

فهو من الموبقات السبع الواردة في الحديث الشريف، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وماهن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات[4].

حذر الإمام الباقر (عليه السلام) من مغبة أكل مال اليتيم في هذه الرواية المنقولة عنه، واعتبر أن أيسر عمل يدخل فيه الإنسان النار هو أكله قليلاً من مال اليتيم ليسد الطريق أمام من تسول له نفسه باقتراف هذا الذنب العظيم من جهة وليشعر الناس بأن الله تبارك وتعالى ما ذكر اليتيم في مواطن متعددة من القرآن الكريم إلا لأهمية هذا الموضوع من حيث التآخي والتآزر وعدم إهمال هذا الصنف من الناس أو التجرؤ على ظلمه والعدوان على ماله من جهة أخرى.

خامساً: في القناعة ومحاسنها

القناعة: هي الاكتفاء من المال بقدر الحاجة والكفاف، وعدم الاهتمام فيما زاد على ذلك[5]. وهي صفة كريمة تعرب عن عزة النفس وشرف الوجدان،

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٢٢٥.

(٢) جامع البيان، الطبري، ٨/ ٢٦ + زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ٢٤ + تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٢١٠-٢١١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ٥٣.

(٤) . صحيح البخاري، كتاب الحدود، ٨/ ١٧٥ + صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ١/ ٦٤ + الترغيب والترهيب، المنذري، ٤/ ٣٥٦.

(٥) ظ: ادب الدنيا والدين، الماوردي، ٢٠٨ + الخلق الكامل، محمد احمد جاد المولى، ٢/ ١٠٣ + موعظة المؤمنين، القاسمي، ٢/ ٢٤٤.

وكرم الأخلاق، قال الإمام الباقر (عليه السلام): من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس[1].

وقال أيضاً في وصاياه الأخلاقية: إياك أن يطمح بصرك إلى من هو فوقك، فكفى بما قال الله تبارك وتعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله): **﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ﴾**[2].

وقال تعالى **﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**[3].

فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإنما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجده[4].

وللقناعة أهمية كبرى وأثر بالغ في حياة الإنسان وتحقيق سعادته النفسية والجسمية، فهي تحرره من عبودية المال، واسترقاق الحرص، والطمع، وعنائهما المرهق، وترسخ فيه روح العزة والكرامة، والعفة والقناعة، وهي بعد كل هذا تمد صاحبها بيقظة روحية، وبصيرة نافذة، وتحفزه على التأهب للآخرة بالأعمال الصالحة وتوفير بواعث السعادة فيه.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: **﴿..وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ..﴾**[5]. عن إبراهيم بن أبي البلاد عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: ليس من نفس إلا وقد فرض الله لها رزقاً حلالاً يأتيها في عافية وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت من الحرام شيئاً قاصها به من الحلال الذي فرض الله لها، وعند الله سواهما فضل كثير[6].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: وهذا يدل على أن الأمر بالسؤال لله تعالى واجب[7]، ونقل قول سعيد بن جبير ومجاهد والسدي في **﴿الفضل﴾** قالوا:

---

(١) الوافي، الفيض الكاشاني، ٣/ ٧٩ + كشكول البهائي، ٣٧١.
(٢) التوبة/ ٥٥.
(٣) الحجر/ ٨٨.
(٤) الوافي، الفيض الكاشاني، ٣/ ٨٧ + سفينة البحار، عباس القمي ١/ ٤٣٦ .
(٥) النساء/ ٣٢.
(٦) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٢٣٩ + بحار الأنوار، المجلسي، ٣/ ٤١.
(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ١٦٤.

العبادة والطاعة ليسا من أمر الدنيا[1]، وقيل: سلوه التوفيق للعمل بما يرضيه[2]، وقال ابن السائب: الرزق[3].

يتضح مما تقدم من عرض لأقوال العلماء في تفسير ﴿الفضل﴾ أن ابن السائب قد أخذ معناه من الإمام الباقر لأنه فسره بالرزق والقناعة فيه من خلال الرواية المتقدمة.

وهو ما نميل إليه ونرجحه لقول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) في تفسير هذه الآية حيث قالت: سلوا ربكم حتى الشبع، فإنه إن لم ييسره الله (عزَّ وجلَّ) لم يتيسر[4]. حيث إن عبارتها تشعر بأن الفضل هو الرزق ووفق الإمام الباقر في التحذير من طلب الرزق إلا عن طريق الحلال باعتبار أن الرزق الحلال مقدر لكل إنسان من قبل الله سبحانه وتعالى فيجب على العبد أن يقنع بما رزقه الله وأن لا يمد نظره لما في أيدي الناس لأن هذا سيولد التباغض والتحاسد، فرغب الإمام هنا بجانب أخلاقي مهم وهو القناعة، وحث عليه لما فيه من المنفعة الكبيرة للفرد والمجتمع.

سادساً: في الرياء: وهو النفاق وأقسامه

الرياء: هو طلب الجاه والرفعة في نفوس الناس، بمراءاة أعمال الخير وهو من أسوء الخصال وأفظع الجرائم[5] وقد تعاضدت الآيات والأخبار على ذمه والتحذير منه، فقد قال تعالى في وصف المنافقين ﴿**يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا**﴾[6] وقال تعالى ﴿**كالذي ينفق ماله رئاء الناس**﴾[7]، ويمكن أن نلخص أقسامه بما يلي:

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ٧٠ + الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ١٦٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ١٦٥ + تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢/ ٢٧١.
(٣) زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ٧٠.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ١٦٥.
(٥) الأخلاق، عبد الله شبر، ١٥٧-١٥٨ + جامع السعادات، النراقي، ٢/ ٣٧٠-٣٧١ + أخلاق أهل البيت، مهدي الصدر، ١٦٤.
(٦) النساء/ ١٤٢.
(٧) البقرة/ ٢٦٤.

١ - الرياء بالعقيدة: بإظهار الإيمان وإسرار الكفر وهذا النوع هو أشد خطراً على المسلمين من غيره.

٢ - الرياء بالعبادة مع صحة العقيدة: وذلك بممارسة العبادات أمام الناس مراءاة لهم وتركها في الخلوة والسر.

٣- الرياء بالأفعال: كالتظاهر بالخشوع، ووسم الجبهة بأثر السجود، وارتداء الملابس الخشنة ونحوه من مظاهر الزهد.

٤ - الرياء بالأقوال: كالتشدق بالحكمة، والمراءاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتذكير بالثواب والعقاب مداجاة وخداعاً[١].

ويمكن أيضاً تلخيص دواعيه بحب الجاه وخوف النقد والطمع والتستر، ولا ريب أن هذه الدواعي من مكائد الشيطان وإشراكه الخطيرة التي يصطاد بها ضعاف الإيمان.

وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في التحذير من الرياء وعده شركاً صريحاً بالله تعالى، في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٢]، في رواية زياد بن المنذر ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: من صلى مراءاة للناس فهو مشرك، ومن زكى مراءاة الناس فهو مشرك، ومن صام مراءاة الناس فهو مشرك ومن حج مراءاة الناس فهو مشرك ومن عمل عملاً مما أمر الله به مراءاة الناس فهو مشرك ولا يقبل الله عمل مراءاة[٣].

والآية الكريمة هي خاتمة سورة الكهف وتلخص غرض البيان فيها وقد جمعت أصول الدين الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد، فالتوحيد في قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، والنبوة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾، والمعاد في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ وورد في سبب نزول هذه الآية عدة أقوال:

---

(١) موعظة المؤمنين، القاسمي، ٢٦٦ + أدب الصحبة والمعاشرة، الغزالي، ١٤٥.
(٢) الكهف/١١٠.
(٣) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ٤٦.

عن ابن عباس: سبب نزولها، أن جندب بن زهير العامري قال لرسول الله(ﷺ): إني أعمل العمل لله تعالى فإذا أطلع عليه سرني، فقال رسول الله(ﷺ) إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، ولا يقبل عمل روئي فيه، فنزلت فيه هذه الآية(1).

- وقال طاووس: جاء رجل إلى رسول الله(ﷺ) فقال: إني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يرى مكاني، فنزلت هذه الآية(2).

- وقال مجاهد: جاء رجل إلى رسول الله(ﷺ) فقال: إني أتصدق، وأصل رحمي، ولا أصنع ذلك إلا لله تعالى، فيذكر ذلك مني وأحمد عليه فيسرني ذلك وأعجب به، فسكت رسول الله(ﷺ)، فنزلت هذه الآية(3).

قال القرطبي: والكل مراد، والآية تعم ذلك كله وغيره من الأعمال(4)، وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى ﴿.. وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي: لا يرائي(5).

وفي الدر المنثور عن ابن أبي حاتم عن سعيد أيضاً في الآية قال النبي(ﷺ): إن ربكم يقول: أنا خير شريك، فمن أشرك معي في عمله أحداً من خلقي تركت العمل كله له، ولم اقبل إلا ما كان لي خالصاً(6).

وقد استفاد الإمام الباقر(عليه السلام) من حديث جده رسول الله(ﷺ) في هذا الصدد بما أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي عن شداد بن أوس قال: سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك، ثم قرأ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(7).

---

(1) أسباب النزول، الواحدي، 172 بدون سند + زاد المسير، ابن الجوزي، 5/202-203.
(2) جامع البيان، الطبري، 16/ 40 + تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 4/ 433 + أسباب النزول الواحدي، 172 بدون سند + الدر المنثور، السيوطي، 4/ 256.
(3) أسباب النزول، الواحدي، 172 بدون سند.
(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 11/ 70.
(5) زاد المسير، ابن الجوزي، 5/ 203.
(6) الدر المنثور، السيوطي، 4/ 257.
(7) المصدر نفسه، 4/ 256.

وفي رواية أخرى للإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، رواها زرارة وحمران ابنا أعين عنه أنه قال: لو أن عبداً عمل عملاً يطلب به رحمة الله والدار الآخرة ثم أدخل فيه رضا أحد من الناس كان مشركاً[1].

فهكذا نرى أن الإمام الباقر (عليه السلام) يوجه أنظار المسلمين إلى ابتغاء مرضاة الله تبارك تعالى في جميع عباداتهم ومعاملاتهم باعتبار أن أي عمل عبادي يدخله شيء من العجب والمراءاة عُدَّ ذلك العمل نفاقاً استوجب صاحبه أن يسمى مشركاً، فنبه الإمام الباقر (عليه السلام) هنا إلى وجوب تجنب مجالات الرياء ومظاهره، ولا يكون ذلك إلا بإخفاء الطاعات والعبادات وسترها عن الملأ من الناس ريثما يثق الإنسان بنفسه ويحرز فيها الإخلاص، ويجب أيضاً زجر الشيطان وطرد هواجسه في المراءاة طرداً حاسماً والاعتماد على ما انطوى عليه قلب المؤمن من حب الإخلاص ومقت الرياء.

والذي يبدو لي أن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية قد رتب على الاعتقاد بالمعاد العمل الصالح وعدم الإشراك بعبادته لأن الإعتقاد بالوحدانية مع الإشراك في العمل متناقضان لا يجتمعان فالله تعالى لما كان واحداً فهو واحد في جميع صفاته ومنها المعبودية لا شريك له فيها.

سابعاً: في النهي عن النجوى

روى زياد بن المنذر عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: إن الله نهى عن القيل والقال وفساد المال وكثرة السؤال، فقيل: يا ابن رسول الله أين هذا من كتاب الله فقال: أن الله تعالى يقول: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[2][3].

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٤٦ + مقتنيات الدرر، سيد مير علي الحائري، ٥/ ١٣٩.

(٢) النساء/ ١١٤.

(٣) الكافي، الكليني، ٤/ ١٦٥ + قلائد الدرر، الشيخ الجزائري، ٢/ ٢٩٩.

قال ابن عباس في سبب نزولها: هم قوم طعمة، وقال مقاتل وكلهم يهود تناجوا في أمر طعمة، وقال مجاهد هو عام في نجوى جميع الناس[1].

وجاء في زاد المسير وغيره في معنى النجوى: ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان سراً كان أو ظاهراً[2].

وقال سيد قطب: لقد تكرر في القرآن النهي عن النجوى، وهي أن تجتمع طائفة بعيداً عن الجماعة الإسلامية، لتبيت أمراً... وكان اتجاه التربية الإسلامية واتجاه التنظيم الإسلامي كذلك أن يأتي كل أناس بمشكلته أو بموضوعه، فيعرضه على النبي (ﷺ) مسارة إن كان أمراً شخصياً لا يريد أن يشيع عنه شيء بين الناس، أو مساءلة علنية أن كان من الموضوعات ذات الصبغة العامة[3].

يقول الشيخ محمود شلتوت: أن هذه الآية تقرر أن اكثر ما يتناجى به الناس فيما يتصل بغيرهم شر لا خير فيه، ذلك بأنَّ النفوس مجبولة على محبة إظهار الخير والتحدث به في الملأ والعلانية ومجبولة على إخفاء الشر وكتمانه، وقلما يكتم الناس حديثاً يتعلق بغيرهم ويكون خيراً كله، وقلما يذيعون حديثاً يتعلق بغيرهم ويكون شراً كله...[4].

وأخيراً عند عرضنا لأراء المفسرين في تفسير الآية تبين أن الإمام الباقر لم يشذ تفسيره عن تفاسيرهم فقد أراد أن يلفت الناس إلى بعض عناصر هذا النوع من النجوى وهو القيل والقال وفساد المال -أي صرفه في غير موضعه- وكثرة السؤال التي تؤدي إلى الخصومة والتنافر بنفي الخير عنها ليعرفوا لما لهذه العناصر من أثار سيئة، ويحذروا من عواقبها الوخيمة ليتسنى للمجتمع أن يرقى إلى مصاف الفضيلة وتقديم الجانب الأخلاقي وصقله عند الفرد المسلم.

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ١٩٨ + الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ٢/ ١٩٨.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/ ٢٢٦.

(٤) تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، الشيخ محمود شلتوت، ٢٢٧-٢٢٨.

ثامناً: في التآخي والتآلف بين المسلمين

كان العصر الجاهلي مسرحاً للمآسي والأرزاء في مختلف مجالاته ونواحيه الفكرية والمادية، وكان من أبشع مآسيه ذلك التسيب الخلقي والفوضى المدمرة مما صيرهم يمارسون التنافر والتناحر والفتك والنهب والسلب.

فلما أشرق نور الإسلام، استطاع بمبادئه الخالدة ودستوره العظيم أن يداوي تلك الأمراض ويكافح تلك الانحرافات في العقيدة والسلوك، فانشأ بعد ذلك ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(1) علماً وأخلاقاً، فتلاشت تلك المفاهيم الجاهلية، وخلفتها المبادئ الإسلامية السامية، وراح رسول الله(ﷺ) يبني أمة مثالية تبز الأمم نظاماً وأخلاقاً وكمالاً.. وكلما سار المسلمون أشواطاً تحت راية القرآن وقيادة الرسول(ﷺ) توغلوا في معارج الكمال حتى حققوا مبدأ المؤاخاة بما لم يشهد له التاريخ الإنساني مثيلاً، وغدا المسلمون أمة واحدة، مرصوصة الصف لا تفرقهم النعرات القبلية والفوارق الاجتماعية، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾(2).

وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(3).

واستلهم الإمام الباقر(عليه السلام) هذه القواعد الأخلاقية والأسس التربوية وصبها في قوالب متعددة، فمرة يوجه أنظار المسلمين لما في التآخي والألفة من تعميق للأواصر الاجتماعية على شكل وصية أخلاقية ومرة أخرى يحذرهم من التنافر والتخاصم على شكل تفسير لآية قرآنية، وإليك هذا النموذج التفسيري:

ورد عن الإمام الباقر(عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿...فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...﴾(4) إنه قال: أن الشيطان يغري بين المؤمنين مالم يرجع أحدهما

---

(1) آل عمران/ 110.
(2) الحجرات/ 13.
(3) الحجرات/ 10.
(4) الأنفال/ 1.

عن ذنبه فإذا فعلا ذلك استلقى على قفاه ومد يديه وقال فزت، فرحم الله امرئ ألف بين ولين لنا، يا معشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا[1].

وعن جابر الجعفي عنه أنه قال: إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً، فانظر إلى قلبك فإذا كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير، والله يحبك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب[2].

ذكر ابن الجوزي في سبب نزول الآية المتقدمة عدة أقوال كلها تتكلم على غنائم بدر، وبعد أن عرج على قوله تعالى: ﴿.. فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[3] قال: في المراد في الكلام قولان: أحدهما: أن يرد القوي على الضعيف، قاله عطاء. والثاني: ترك المنازعة تسليماً لله تعالى ورسوله(ﷺ)[4].

وقال القرطبي: قوله تعالى: ﴿...فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...﴾ أمر بالتقوى والإصلاح، أي: كونوا مجتمعين على أمر الله في الدعاء: اللهم اصلح ذات البين، أي الحالة التي يقع فيها الاجتماع... واتقوا الله في أقوالكم وأفعالكم[5].

ولا يفوتني هنا أن أسجل بعض عبارات سيد قطب في المقام، يقول: ولقد أخذهم الله سبحانه بالتربية الإلهية قولاً وعملاً، نزع أمر الأنفال كله منهم ورده إلى رسول الله(ﷺ) حتى أنزل حكمه في قسمة الغنائم بجملتها، فلم يعد الأمر حقاً لهم يتنازعون عليه، إنما أصبح فضلاً من الله عليهم، يقسمه رسول الله بينهم كما علمه ربه.. وإلى جانب الإجراء التربوي كان التوجيه المستطرد الطويل[6].

فالإمام الباقر (عليه السلام) هنا -كما هو شأن كل من القرطبي وسيد قطب- لم يجعل الآية القرآنية منحصرة في معناها بسبب نزولها وما حصل بين المسلمين في

---

(١) قلائد الدرر الشيخ الجزائري، ٢/ ٢٩٩.
(٢) علل الشرايع، الشيخ الصدوق، ١١٧ــ الوافي، الفيض الكاشاني، ٣/ ٩٠.
(٣) الأنفال/ ١.
(٤) زاد المسير، ابن الجوزي، ٣/ ٣٢٠.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/ ٣٦٤.
(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٩/ ٢٣٤.

أمر الغنائم بل تعدى بها إلى كل صور التخاصم والتناحر التي قد تحصل بين المسلمين فرسم صورة لاستراحة الشيطان بعد جهد مضن في بث روح العداء بينهم، وكثيراً ما كان الإمام موصياً وواعظاً كما أرادت التربية الإلهية والتوجيه الرباني لمعاشر المؤمنين بالتآلف والمحبة في الله فيما بينهم.

وإذا ما أردنا أن نتلمس صورة حية للتآخي الروحي الإسلامي نجده واضحاً جلياً في المسلمين الأوائل من مهاجرين وأنصار، فالرسول الكريم(ﷺ) ومعه تلك الثلة المباركة القليلة العدد في أول الدعوة من صحابته الكرام استطاع بدينه العظيم أن يحطم أسطورة الإمبراطوريتين العالميتين آنذاك، وما كان ذلك ليكون لولا وجود أهم ركيزة من ركائز ذلك الانتصار والزحف المبارك إلا وهو التآخي والمودة الروحيين فما أجدر المسلمين اليوم بأن يتحلوا بهما لتأزم الموقف وخطورة المعطيات.

تاسعاً: في أدب دخول البيوت

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[1] أن القرآن الكريم لم يترك صغيرة وكبيرة تهم الجانب التربوي والأخلاقي إلا وشرع لها حكماً أو أسس لها قاعدة كلية ترك تفريعاتها وجزئياتها للفقهاء الأعلام من هذه الأمة، وها هو في سورة النور يذكر آداب الاستئذان بمعناه العام والخاص ومن جملة تلك الآداب أدب دخول البيوت.

ففي قوله تعالى: ﴿...فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[2] عن أبي الصباح وزياد بن المنذر قالا: سألنا أبا جعفر(عليه السلام) عن قوله تعالى: ﴿...فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ فقال: هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل عليهم ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم، وإن لم يكن فيه أحد فليقل: السلام علينا من ربنا[3].

---

(١) المائدة/ ٣.

(٢) النور/ ٦١.

(٣) تفسير القرآن، القمي، ٢/ ١٠٩ + الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ١٨٣.

وقد اختلف العلماء في تفسير ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ على عدة أقوال: الأول: في الدر المنثور، أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس: إذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أهلها تحية من عند الله، وهو السلام، لأنه اسم الله، وهو تحية أهل الجنة[1].

الثاني: في زاد المسير، عن ابن عباس أيضاً: أنها المساجد، فسلموا على من فيها[2].

الثالث: في الدر المنثور أيضاً، أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن عطاء قال: إذا دخلت على أهلكَ فقل: السلام عليكم تحية من عند الله مباركة طيبة، فإذا لم يكن فيه أحد فقل: السلام علينا من ربنا[3].

هذه هي أهم الأقوال التي وردت في تفسير الآية، وهناك أقوال أخرى لم نذكرها لأنها تؤدي نفس المعنى أو قريبة منه[4].

وبعد أن شرع أبو الثناء الآلوسي بذكر أقوال العلماء في تفسير هذه الآية قال: والتعبير عن أهل تلك البيوت -أي بيوت الغير- بالأنفس لتنزيلهم منزلتها لشدة الاتصال، وفي الانتصاف في التعبير عنهم بذلك تنبيه على السر الذي اقتضى إباحة الأكل من تلك البيوت المعدودة وإن ذلك إنما كان لأنها بالنسبة إلى الداخل كبيت نفسه للقرابة أو نحوها[5].

ويقول سيد قطب: إن الإسلام منهاج حياة متكامل، فهو ينظم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها وفي كل علاقاتها وارتباطها وفي كل حركاتها وسكناتها، ومن ثم يتولى بيان الآداب اليومية الصغيرة، كما يتولى بيان التكاليف العامة الكبيرة، وينسق بينهما جميعاً، ويتجه بها إلى الله في النهاية[6].

---

(١) الدر المنثور، السيوطي، ٥/٥٩.
(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ٦/ ٦٧.
(٣) الدر المنثور، السيوطي، ٥/٥٩.
(٤) ظ: زاد المسير، ابن الجوزي، ٦/ ٦٧.
(٥) روح المعاني، الالوسي، ١٨/ ٢٢٢.
(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٨/ ١٢٢.

ثم يقول في تفسير الآية: وهو تعبير لطيف عن قوة الرابطة، فالذي يسلم منهم على قريبه أو صديقه يسلم على نفسه، والتحية التي يلقيها عليه هي تحية من عند الله، تحمل ذلك الروح وتفوح بذلك العطر، وتربط بينهم بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وهكذا ترتبط قلوب المؤمنين بربهم في الصغيرة والكبيرة[1].

وقال صاحب الميزان: فقوله ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ المراد فسلموا على من كان فيها من أهلها وقد بدل من قوله ﴿على أنفسكم﴾ للدلالة على أن بعضهم من بعض فإن الجميع إنسان وقد خلقهم الله من ذكر وأنثى على أنهم مؤمنون والإيمان يجمعهم ويوحدهم أقوى من الرحم وأي شيء آخر[2].

وبعد أن استعرضنا أقوال جملة من المفسرين قدامى ومحدثين نستطيع أن نرجح تفسير الإمام الباقر (عليه السلام) لسببين، الأول: أن الطبري قد صوبه ومال إليه في قوله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب من قال: معناه: فإذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض، قال: وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لان الله جل ثناؤه قال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً﴾ ولم يخصص من ذلك بيتاً دون بيت، وقال: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ يعني: بعضكم على بعض، فكان معلوماً إذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض أنه معني بها جميعها[3].

والسبب الثاني الذي دعانا إلى ترجيح تفسير الإمام: هو أن جملة من المفسرين المحدثين كما تقدم قد رجحوه ومالوا إليه.

عاشراً: في الأمانة ومحاسنها

الأمانة: هي أداء ما اؤتمن عليه الإنسان من الحقوق، وهي بالضد من الخيانة، وهي من أنبل الصفات واشرف الفضائل، بها يحرز المرء الثقة والإعجاب وينال الشرف والسؤدد[4].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١٨/ ١٢٥.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ١٥/ ١٦٥.

(٣) جامع البيان، الطبري، ١٨/ ١٧٢-١٧٣.

(٤) ظ: أدب الصحبة والمعاشرة، الغزالي، ٢٥٤ + اخلاق اهل البيت، مهدي الصدر، ١١٨-١٢٠.

وكفاها شرفاً أن الله تبارك وتعالى مدح المتحلين بها، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[1] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

ولمبدأ الأمانة أثر بالغ في حياة الأمم والأفراد، فهي نظام أعمالهم وقوام شؤونهم وعماد نبلهم وشرفهم وسبيل رقيهم المادي والأدبي، ومن البدهي أن من تحلى بالأمانة كان مثار التقدير والإعجاب وحاز ثقة الناس واعتزازهم وشاركهم في أموالهم، ويصدق ذلك على الأمم عامة، فإن حياتها لا تسمو ولا تزدهر إلا في محيط تسوده الثقة والأمانة.

وكان رمز الأمانة وعنوانها وحامل لوائها رسول الله(ﷺ) قبل النبوة في تلقيه من قبل عامة الناس بالصادق الأمين، وبعد النبوة في اجتماع خصال الفضل فيه وانحياز النبل إليه، فقد حاربه كفار قريش وعتاتها في مكة وأذاقوا أصحابه أصناف العذاب وأطلقوا عليه سيلاً من الأسماء المفتريات كساحر ومجنون ولكنهم على الرغم من ذلك كله كانوا إذا أرادوا أن يأتمنوا أحداً على أموالهم أودعوها عنده، فكان بحق كما وصفه ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

ومما أثر عن الإمام الباقر(عليه السلام) في هذا المجال، في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾[4] عن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر(عليه السلام) قال: إنها في كل من أؤتمن أمانة من الأمانات، وأمانات الله أوامره ونواهيه وأمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضاً من مال وغيره[5].

ونقل الشيخ الطوسي عن الإمام الباقر(عليه السلام) قوله: إن أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة ويكون الأمر للآمر بأداء الأمانة من الغنائم والصدقات وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية[6].

---

(١) المؤمنون/ ٨، المعارج/ ٣٢.

(٢) الأنفال/ ٢٧.

(٣) القلم/ ٤.

(٤) النساء/ ٥٨.

(٥) مجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ٢٨٩ + تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٤٩.

(٦) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٥/ ٢٣٤.

ونقل القرطبي عن علي بن أبي طالب وزيد بن اسلم وشهر بن حوشب وابن زيد: هذا خطاب لولاة المسلمين خاصة وقال ابن جريج وغيره: ذلك خطاب للنبي (ﷺ) خاصة في أمر مفتاح الكعبة[1].

وبعد أن عرض أقوال العلماء في الآية وفي سبب نزولها خلص القرطبي إلى القول: والأظهر في الآية إنها عامة في جميع الناس فهي تتناول الولاة فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال ورد الظلامات والعدل في الحكومات... وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات ونحوه، والصلاة والزكاة وسائر العبادات أمانة الله تعالى[2].

وهو اختيار الرازي حيث قال: أمر المؤمنين في هذه الآية بأداء الأمانات في جميع الأمور، سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب والديانات، أو من باب الدنيا والمعاملات[3].

وهو المروي عن أُبي بن كعب وابن مسعود والبراء بن عازب والحسن وقتادة[4].

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وهو يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله (عزَّ وجلَّ) على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ومن حقوق العباد بعضهم على بعض وغير ذلك مما يأتمنون به من غير إطلاع بينه على ذلك فأمر الله (عزَّ وجلَّ) بأدائها، فمن فعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة[5].

وعند استعراضا لما كتبه المفسرون المحدثون تبين لنا أن النص التفسيري الذي اختاره الإمام الباقر (عليه السلام) كان هو اختيار بعض الصحابة من قبله وبعض المفسرين من بعده في أن الآية تتناول جميع أنواع الأمانات من حقوق إلهية وحقوق فردية

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ٥/ ٢٥٦.

(٣) التفسير الكبير، الرازي، ١٠/١٣٧.

(٤) ظ: مجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ٢٨٩ + الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥/ ٢٥٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٣٢٠.

شخصية فهي أمانات يجب تأديتها، غير أن هذه النصوص اختلفت في عباراتها ولكنها اتفقت على معناها المتقدم.

فهذا سيد قطب يقول: والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى، الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان... أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه... ومن هذه الأمانة الكبرى، تنبثق سائر الأمانات التي يأمر الله أن تؤدى.

ومن هذه الأمانات، أمانة التعامل مع الناس، ورد أماناتهم إليهم: أمانة المعاملات والودائع المادية، وأمانة النصيحة للراعي والرعية... وسائر ما يجلوه المنهج الرباني من الواجبات والتكاليف في كل مجالي الحياة على وجه الأجمال[1].

ويقول الشيخ شلتوت: تذكر هذه الآية أمرين لهما خطرهما في حفظ حياة الأمم وسعادتها: أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل بين الناس[2].

وقال صاحب الميزان: المراد من الأمانات ما يعم الأمانات المالية وغيرها من المعنويات كالعلوم والمعارف الحقة التي من حقها أن يبلغها حاملوها أهلها من الناس وغيرهم[3].

أذن جاء تفسير الإمام الباقر (عليه السلام) موافق لما اثر عن بعض الصحابة والتابعين حتى حصل شبه إجماع بين المفسرين من قدامى ومحدثين على تفسير الآية المتقدمة بمثل ما فسرها الإمام الباقر (عليه السلام).

الحادي عشر: في بر الوالدين وصلة الرحم

وهذا يلزم من الأبناء النبلاء أن يقدروا فضل آبائهم وأمهاتهم وعظيم إحسانهم، فيقابلونهم بما يستحقونه من حسن الوفاء وجميل التقدير والاحترام ولطف البر والإحسان وسمو الرعاية والتكريم أدبياً ومادياً.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٥/ ١١٨.

(٢) تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، الشيخ محمود شلتوت، ٢١٤.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ٥/ ٣٧٨.

وقد عظم القرآن الكريم شأن الأبوين، وحث على احترامهما وتقديم الرعاية لهما بل وأوجب ذلك، حيث قال: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسانَ بوالدَيْه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ وفصاله في عامَيْنِ أن اشكُرْ لي وَلوالدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ فَلا تُطعْهُما وَصاحِبْهُما في الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّياني صَغِيراً﴾[2].

فقد أعربت هاتان الآيتان عن فضل الوالدين وضرورة مجازاتهما بالشكر والعرفان والبر والإحسان اللائقين بهما، فأمرت الآية الأولى بشكرهما بعد شكر الله وقرنت الثانية الإحسان إليهما بعبادته تبارك وتعالى.

وعلى هدي القرآن وردت عن الإمام الباقر (عليه السلام) رواية نقلها عنه محمد بن مسلم الطائفي قال فيها: ثلاث لم يجعل الله تعالى فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين[3].

وفي طليعة المبادىء الخلقية التي فرضتها الشريعة الإسلامية وأكدت عليها أيضاً صلة الرحم، بالتودد إليهم والعطف عليهم وإسداء العون المادي لهم ودفع المكاره والشرور عنهم ومواساتهم في الأفراح والأحزان، روى زرارة بن أعين عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: صلة الرحم تزكي وتنمي الأموال، وتدفع البلوى وتيسر الحساب[4].

وفي رواية تفسيرية أخرى يجمع الإمام الباقر (عليه السلام) فيها بين بر الوالدين وصلة الرحم ناقلاً لحديث جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد ورد عن

---

(١) لقمان/ ١٤-١٥.

(٢) الإسراء/ ٢٣-٢٤.

(٣) الوافي، الفيض الكاشاني، ٣/ ٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ٣/ ٩٤.

جابر الجعفي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[1].

عن الإمام(عليه السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): بر الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب ثم تلا هذه الآية[2].

والأحاديث الشريفة التي تحمل هذا المعنى كثيرة جداً، منها: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله(صلى الله عليه وآله) أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة في وقتها. قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. رواه البخاري ومسلم[3].

وعن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: من سَرَّهُ أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، فليتق الله، وليصل رحمه. رواه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائده والبزار بإسناد جيد والحاكم[4].

إذن بر الوالدين وصلة الرحم من أهم الجوانب التربوية والخلقية الواجب مراعاتها لما لها من أثر بالغ في إسعاد الأبوين والأقرباء وتكون بذلك مدعاة لحبهم وفخرهم وهي توصل الفرد إلى وفرة من المال وزكاة الأعمال الصالحة في الرصيد الأخروي ومنجاة من صروف الأقدار والبلايا، فإذا ما اتخذ البر والصلة منهجاً تربوياً يومياً سعد بذلك الفرد فالمجتمع وسعادة المجتمع تعني انتشار الفضيلة بين طبقاته ومن ثم الفوز الدنيوي والأخروي بإذن الله تعالى.

الثاني عشر: التوبة

للذنوب إضرار مادية وروحية تفوق ضرر الأمراض الجسمية في فداحتها وأثرها في حياة الفرد والمجتمع، فيجب شرعاً وعقلاً المبادرة إلى تصفية النفس وتطهيرها من أدران الذنوب ودنس الأثام قبل فوات

---

(١) الرعد/ ٢١.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ٢٨٩. لم اجد له رواية عن طريق الجمهور.

(٣) الترغيب والترهيب، المنذري، ٣/ ٣١٤.

(٤) المصدر نفسه، ٣/ ٣٣٥.

الأوان، وما يكـون ذلـك إلا بمعانـاة التوبـة والإنابـة والإقـلاع عـن شـهوات النفـس والهوى ليأمن التـائب أخطارهـا الدنيويـة والأخرويـة.

ولا تتحقق التوبة الصادقة النصوح إلا بيقضة الضمير وشعور المذنـب بـالندم على معصية الله وتعرضه لسخطه وعقابه، وبالإنابـة إلـى الله تبـارك وتعـالى والتصميم على طاعته وعقد العزم على ترك عصيانه، وبتصفية النفس من عوالق الذنوب وتلافي سيئاتها بالأعمال الصالحة الباعثة على زيادة الحسنات.

وللتوبة فضـائل كثيرة، صورهـا القـرآن الكريـم، وأعربـت عنهـا أحـاديث النبي (ﷺ) وقد أبت العناية الإلهية أن تترك العصاة تتخبط في ظلمات الذنوب دون أن يسعهم بعطفه الإلهي وعطفه الكريم، ومهد لهم التوبة فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُـورٌ رَحِيـمٌ﴾(١) وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَـةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٢)

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في التوبة وتجديدها عن محمد بن مسلم عنه أنه قال: يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب عنها مغفورة لـه، فليعمـل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله إنها ليست إلا لأهل الأيمان، قلت: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار في الذنوب، وعاد في التوبة؟ فقال: يا محمد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله تعالى ثم لا يقبل الله توبتـه؟ قلت: فإن فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر؟ فقال: كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وإن الله غفور رحيم، يقبـل التوبـة ويعفـو عـن السيئات، فإياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله تعالى(٣).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(٤).

---

(١) الأنعـام/ ٥٤.
(٢) الزمـر/ ٥٣.
(٣) الـوافي، الفيـض الكاشـاني، ٣/ ١٨٣.
(٤) المطففـين/ ١٤.

أخرج العياشي بسنده عن زرارة عن أبي جعفر قال: ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فإذا تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً وهو قول الله ﴿بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وقد اختلف العلماء في تفسير لفظة (الرين) على أقوال:

١ - عن الحسن ومجاهد: هو الذنب على الذنب، حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت القلب.

٢ - عن مجاهد: القلب كالكف، فإذا أذنب الذنب انقبض، وإذا أذنب ذنباً آخر انقبض ثم يطبع عليه وهو الرين[2].

٣- عن السدي: الذنب على الذنب حتى يسود القلب[3].

وورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه، فإذا تاب ونزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه، فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه ﴿كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ رواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم[4].

قال الرازي في تفسير الآية: إن الإنسان إذا واظب على الإتيان ببعض أنواع الذنوب، حصلت في قلبه ملكة نفسانية على الإتيان بذلك الذنب، ولا معنى للذنب إلا كل ما يشغلك بغير الله، وكل ما يشغلك بغير الله ظلمة، فإذن الذنوب كلها ظلمات وسواد، ولكل واحد من الأعمال السالفة التي أورث مجموعها حصول تلك الملكة أثر في حصولها، فذلك هو المراد من قولهم: كلما أذنب الإنسان حصلت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب، ولما كانت مراتب الملكات في الشدة والضعف مختلفة، لا جرم كانت مراتب هذا السواد والظلمة مختلفة فبعضها يكون ريناً وبعضها طبعاً، وبعضها أقفالاً[5].

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٦٠ + مجمع البيان، الطبرسي، ١٠/ ٤٥٣.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ٣١/ ٩٤ + تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ٥١٥.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٨/ ٤٤١.

(٤) الترغيب والترهيب، المنذري، ٤/ ٩٢ + ذم الهوى، ابن الجوزي، ٦٧.

(٥) التفسير الكبير، الرازي، ٣١/ ٩٥.

وقال سيد قطب: أي: غَطَّى على قلوبهم ما كانوا يكسبون من الآثم والمعصية، والقلب الذي يمرد على المعصية ينطمس ويظلم، ويرين عليه غطاء كثيف يحجب النور عنه ويحجبه عن النور ويفقده الحساسية شيئاً فشيئاً حتى يتبلد ويموت[1].

وقال صاحب الميزان: أي: صار ذلك كسد على جلاء قلوبهم فعمي عليهم معرفة الخير من الشر فكون ما كانوا يكسبون وهو الذنوب رينا على قلوبهم هو حيلولة الذنوب بينهم وبين أن يدرك الحق على ما هو عليه[2].

والمهم من هذا كله أن الإمام الباقر(عليه السلام) قد استلهم الحديث الشريف المروي عن جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) واستطاع أن يصور الرين بأحسن تصوير فيه جانب من رجوع المذنب عن ذنبه وتوبته عن فعله، فإذا عاد، رجع السواد للقلب وهكذا.

وقد أفاض أحمد الشرباصي في ذكر أقوال العارفين والمتصوفة في التوبة ومراتبها وتشديدها، مستوضحاً النص القرآني في جلاء صورها وحقيقتها[3].

وفي ختام الحديث عن التوبة وماكان للإمام الباقر(عليه السلام) من نصيب وافر في بيانها نقول: أن من العوامل المشوقة للتوبة والباعثة عليها هي أن يتذكر المذنب ما صورته الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة من غوائل الذنوب ومآسيها المادية والروحية في الدنيا والآخرة، وما توعد الله تبارك وتعالى عليها من صنوف التأديب وألوان العقاب، وأن يستعرض المذنب أيضاً فضائل التوبة ومآثر التائبين وما حباهم الله به من كريم العفو وسمو العناية واللطف.

الثالث عشر: في البغي

في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ...﴾[4].

في الدر المنثور، أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر(عليه السلام) قال: ما من عبادة افضل من أن تسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء،

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٠/ ٨٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ٣٠/ ٢٣٤.

(٣) ظ: موسوعة أخلاق القرآن، د. احمد الشرباصي، ٢/ ٥٣-٦٤.

(٤) يونس/ ٢٣.

وإن أسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه[1].

قال الرازي في تفسير هذه الآية: أي: لا يتهيأ لكم بغي بعضكم على بعض إلا أياماً قليلة، وهي مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضائها[2].

وقال القرطبي: أي: وباله عائد عليكم، وتم الكلام، وروى سفيان بن عيينة أنه قال: أراد أن البغي متاع الحياة الدنيا، أي عقوبته تعجل لصاحبه في الدنيا[3].

وقال ابن كثير: أي: إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ولا تضرون به أحداً غيركم[4].

ومن المفسرين المحدثين قال سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: سواء كان بغياً على النفس خاصة، بإيرادها موارد التهلكة، والزج بها في ركب الندامة الخاسر بالمعصية، أو كان بغياً على الناس فالناس نفس واحدة، على أن البغاة ومن يرضون منهم البغي يلقون في أنفسهم العاقبة[5].

واقرب هذه الأقوال إلى قول الإمام الباقر (عليه السلام) (وأسرع الشر عقوبة البغي) هو ما نقله القرطبي عن سفيان بن عيينة في تعجيل عقوبة البغي في الحياة الدنيا، فأراد سبحانه وتعالى في هذه الآية أن يقول للناس -والله أعلم- أنا اقرب إليكم وإلى أعمالكم منكم فما تعملونه من عمل تريدون به أن تبغوا علينا وتمكروا بنا فإنما توجد بتقديرنا وتجري بأيدينا فكيف يمكنكم أن تبغوا بها علينا؟ بل هي بغي منكم على أنفسكم فإنها تبعدكم منا وتكتب آثامها في صحائف أعمالكم، فبغيكم على أنفسكم وهو متاع الحياة الدنيا تتمتعون به أياماً قليلة ثم نعاجلكم بالعقوبة على أعمالكم من حيث لا تشعرون.

---

(١) الدر المنثور، السيوطي، ٣/ ٣٠٤ ؛ حلية الأولياء، ابو نعيم الأصفهاني، ٣/ ١٨٢.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ١٧/ ٧٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/ ٣٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٤٩٥.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١/ ٦٨.

والجدير بالذكر أن الذي أثر عن الإمام الباقر (عليه السلام) من وصايا تربوية وأخلاقية تصلح أن تكون منهجاً أخلاقياً فريداً، كثيرة جداً، وكم هائل استفاد منها كثير ممن صنف في علم الأخلاق من علماء الأمة، غير إنني التزمت بالمنهج الذي اتبعته في تقصي روايات الإمام الباقر (عليه السلام) في التفسير حصراً فبعد الاستقراء لم أستطع أن أظفر بأكثر مما ظفرت به من هذه الروايات التفسيرية المتعلقة بالجانب التربوي والأخلاقي، عرضتها مقارناً، ومرجحاً، فإن فاتني منها شيئ فذاك نقص لَحَقَ بالإنسان من أمد بعيد.



الفصل الخامس

قيمة تفسيره وخصائصه

وأثره في غيره



ويتضمن:

* المبحث الأول : قيمة تفسيره ومكانته
* المبحث الثاني : خصائص تفسيره وسماته
* المبحث الثالث : مقارنة أرائه بأراء غيره وانفراداته
* المبحث الرابع : أثره في غيره



المبحث الأول

قيمة تفسيره ومكانته

تبين من خلال ما تقدم من فصول بهذه الرسالة أن للإمام الباقر(عليه السلام) آثاراً وأقوالاً لا يستهان بها بل شكلت ثروة تفسيرية قيمة، ولم يكن هذا القول اعتباطاً أو تخميناً، وإنما استطعنا البرهنة عليه من خلال عرضنا للروايات التفسيرية المنقولة عنه من جهة ومن حيث ما اجتمع في تفسيره من الخصائص ما يؤهله لأن يصبح مرجعاً في تفسير كتاب الله، ومن الصفات ما يجعل لآرائه وأقواله من قيمة بين أقوال غيره من العلماء من جهة أخرى، وسنعرض فيما يأتي لأهم تلك الخصائص والصفات التي يمكن أن تكون عوامل مهمة جداً في جعل تفسيره تفسيراً معتمداً عليه بين المفسرين.

أولاً: عنايته بكتاب الله وتشدده في تفسيره

كان الإمام الباقر(عليه السلام) أحد المقرئين لكتاب الله و أجاد في قراءته فأصبح يعلمه الناس، بل شارك في وضع بعض الضوابط لقراءة القرآن الكريم، فكان يوصي بتلاوته بالصوت الحسن لأنه ينفذ إلى أعماق القلب والوجدان، وكان هو من أحسن الناس صوتاً بقراءته[1].

ومن تلك الضوابط الفنية التي شارك الإمام الباقر(عليه السلام) في وضعها لتلاوة القرآن الكريم هو الترجيع بقراءته فقد روى أبو بصير قال: قلت لأبي جعفر إذا قرأت القرآن فرفعت صوتي جاءني الشيطان فقال: إنما ترائي بهذا أهلك والناس، فقال الإمام: يا أبا محمد اقرأ قراءة بين القراءتين، تسمع أهلك، ورجّع بالقرآن صوتك فإن الله يحب الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعاً[2].

---

(١) البيان في تفسير القرآن، الخوئي، ٢٥ + أصول الكافي، الكليني، ٢/ ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ٢١٠ + الوافي، الفيض الكاشاني، ٣/ ٢٧٤.

وكان الإمام ملماً بأسباب النزول، محيطاً بأقوال المتقدمين من الصحابة والتابعين في معرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، متحرياً لما نقل عنهم في تفسير القرآن الكريم، فالإحاطة بهذه الأمور تكشف للمفسر معاني القرآن الكريم ومقاصده، وتوصله إلى المعنى المراد لأن معرفة ضوابط التفسير وتطبيقها هي مما يجعل النص التفسيري مقبولاً لدى المفسرين.

وقد تشدد الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير القرآن الكريم حيث اعتبر التفسير المعتمد على الرأي والاستحسانات العقلية تفسيراً بعيداً عن المعنى المراد وقد يؤدي بصاحبه إلى الهلكة، فلذلك نهى عنه فقد دخل عليه قتادة بن دعامة فقال له الإمام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال قتادة: هكذا يزعمون. قال الإمام: بلغني أنك تفسر القرآن، قال قتادة نعم.

فأنكر عليه الإمام ذلك قائلاً: يا قتادة إن كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت، وإن كنت قد فسرته من الرجال فقد هلكت و أهلكت، يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به[1].

وعند تحليل هذا النص يتبين أن الإمام الباقر (عليه السلام) قد حصر معرفة تفسير القرآن الكريم بالآخذ ممن خوطب به القرآن وهم: النبي (صلى الله عليه وآله) والصحابة رضوان الله عليهم الذين شهدوا التنزيل، فهم يعرفون المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ وليس عند غيرهم معرفة بذلك.

ثانياً: اهتمامه بالاستعمالات المجازية في القرآن ومعرفة معانيه

كان الاستعمال المجازي شائعاً في كلام العرب، ذائعاً في كثير من جوانب الاستعمال كالإسناد المجازي والمجاز في اللفظة والعبارة، ومنه أيضاً الكنايات التي قيل إنها ابلغ من التصريح ويعتبر ذلك من لطائف هذه اللغة ومحاسنها.

وجاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات المتضمنة للاستعمال المجازي، وقد شارك الإمام الباقر (عليه السلام) في إيضاحه وبيانه، فمما ورد في القرآن الكريم قوله

---

(١) أعيان الشيعة: محسن الأمين، ق ٢/ ٤/ ١٠-١١ + سيرة الأئمة، هاشم معروف الحسني، ٢١٢-٢١٣.

تعالى: ﴿يا إبليسُ ما منَعكَ أنْ تَسجُدَ لما خَلَقتُ بِيَدَيَّ﴾[1]، فإنَّ المعروف من اليد هو العضو المخصوص، ويستحيل ذلك على الله تعالى لاستلزامه التجسيم وهو مما يمتنع عقلاً على الله تعالى، فقد سأل محمد بن مسلم الإمام أبا جعفر الباقر (عليه السلام) فأجابه: اليد في كلام العرب القوة والنعمة، قال تعالى: ﴿واذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الأَيْدِ﴾[2] وقال تعالى: ﴿والسَّماءَ بَنَيْناها بأَيْدٍ...﴾[3] أي بقوة، وقال تعالى: ﴿وأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[4]، ويقال لفلان عندي أيادي كثيرة أي: فواضل وإحسان، وله عندي يد بيضاء أي نعمة[5].

ومعنى هذا أن اليد لم تستعمل هنا في معناها المعروف المخصوص وإنما استعملت في غيره أما مجازاً أو حقيقة بناء على إنها مشتركة اشتراكاً لفظياً في هذه المعاني التي وضحها الإمام.

ولم يكن الإمام ليكتفي بهذا كله دون معرفة ما يعنيه القرآن الكريم ويقصده، بل كان ولوعاً بفهمه ومعرفة معانيه، ولهذا كان يحذر من الذين يرددون ألفاظه بدون فهم ومعرفة لمعانيه، فيكتب في رسالته إلى بعض أصحابه معرضاً وذاماً للذين يؤولون آياته حسب أهوائهم قال فيها: وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية[6].

والرعاية هنا هي معرفة ما يقتضيه الخطاب ويستدعيه البيان، فلا أثر عنده لكثرة قراءة القرآن الكريم وتلاوته دون التدبر في معانيه ومعرفة مراميه، ومما يؤكد اهتمامه بمعرفة المعاني القرآنية هو ورود ذلك الكم الهائل من الروايات التفسيرية المنقولة عنه.

---

(١) ص/ ٧٥.

(٢) ص/ ١٧.

(٣) الذاريات/ ٤٧.

(٤) المجادلة/ ٢٢.

(٥) التوحيد، الشيخ الصدوق، ٣٢ + ناسخ التواريخ، محمد تقي الكاشاني، ١/ ٤٣٤.

(٦) الوافي، الفيض الكاشاني، ٣/ ٢٧٥.

ثالثاً: قدرته وقابليته على استنباط المعاني للآيات

وهب الله سبحانه وتعالى الإمام الباقر (عليه السلام) قدرة فائقة وقابلية واسعة في فهم كتاب الله، وهذا مما لا ييسره سبحانه وتعالى لكل أحد بل هي موهبة منه، وبها يبرز من يبرز من الرجال، ويكون له مقام بين العلماء، وقد اتضح ذلك من خلال ما قدمنا عنه في معرض الحديث عن مصادره في التفسير وبينا كيف يستنبط المعاني ويربط بين الآيات ويجمع الآيات التي تخص موضوعاً بعينه بما يمثل تفسيراً موضوعياً للقرآن الكريم، ويجيب سائليه على ما أشكل فيها، وأحياناً يرفع التعارض الذي قد يحصل فيما بينها موضحاً لهم لما اجمل منها، موجهاً لأنظار المسلمين للتدبر فيها، متخذاً لبعض منها موعظة أخلاقية وإرشاداً تربوياً حتى فيما يتعلق بالقصص القرآني منها، وما كان ذلك إلا حصيلة الفهم الثاقب والرأي السديد من جهة، وأخذه للعلم وتفسير القرآن الكريم عن آبائه الكرام من جهة أخرى مما فتح أمامه آفاق العلم فأشرقت في روحه أنواره وتجلت في قلبه صوره، ساعد ذلك كله ذهن متوقد وذكاء بارع.

هذه أهم الأسباب التي أضفت مكانة مرموقة لأقواله وآرائه عند العلماء، وقد زاد تفسيره قيمة أمر آخر هو:

- ترجيح المفسرين لآرائه أحياناً واعتمادهم عليها.

فقد كانت آراؤه وأقواله أحياناً مرجحة عند المفسرين، و أحياناً أخرى يقدمونها على آراء غيره، وهذا الترجيح لا يكون اعتباطاً إنما هو ناتج من سير الإمام الباقر (عليه السلام) على وفق القواعد والضوابط العامة التي اتفق المفسرون على الاعتماد عليها في تفسير القرآن الكريم وبالتالي ترجيح أو اعتماد آراء و أقوال من يسير عليها، وسنذكر بعض الأمثلة عند التكلم على أقواله وآرائه المعارضة لغيره والتي انفرد بها.

ومن الجدير بالذكر إنني وجدت من خلال تتبعي لآرائه وأقواله في التفسير أن هناك بعض من المفسرين ينقلون أقواله بدون أن ينسبوها إليه، وفي بعض الأحيان ينسبوها إلى الـ (قيل) دون التصريح باسمه، واغلب الظن أن تلك الآراء والأقوال

كانت تصل إليهم بدون نسبة إليه فيرجحون بعضها ويميلون إليها، أو إنها تصل إليهم وفي طريقها بعض الرجال الضعفاء فيربأون بتصانيفهم عن تسجيل هذا السند الضعيف مما يجبرهم على عدم نسبته إلى الإمام أو ينسبونها إلى الـ (قيل)، وقد كان ذلك واضحاً من خلال ما عرضناه من آراء وأقوال في كثير من المواضع في هذه الرسالة لأقوال الصحابة والتابعين مقارنة مع آراء الإمام وأقواله.

المبحث الثاني

خصائص تفسيره وسماته

كان في تفسير الإمام الباقر (عليه السلام) بعض الظواهر البارزة التي أضفت عليه ميزة واضحة، قد ينفرد بها وقد يشاركه فيها غيره من المفسرين، وليس لنا القول أن هذه من خصائص تفسيره وحده بل هي تشكل ملامح عامة يسير عليها جملة من المفسرين، ولكنها برزت بشكل واضح بتفسيره مما أعطته قيمته وإن كان متأثراً بتفسير سابقيه، وهذه بعض تلك الخصائص والسمات:

أولاً: تفسير القران بالقرآن

كان من خصائص تفسير الإمام الباقر (عليه السلام) اعتماده على القرآن الكريم نفسه في بيان ما يشكل فهمه منه، وهو بذلك جدير، لعنايته الشديدة واهتمامه البالغ بالقرآن الكريم حفظاً وقراءة وتفسيراً، فكان يؤكد على جمع الآيات القرآنية إلى نظائرها وضم بعضها إلى بعض حتى يتوصل إلى فهم دقيق للمراد القرآني، مراعياً في ذلك التصور القرآني للموضوع الواحد المراد توضيحه بعد ضم المعاني القرآنية المشتملة على أفراد الموضوع الواحد بعضها إلى بعض، وقد تقدمت أمثلة ذلك في حديثنا عن تفسيره القرآن بالقرآن.

ولئن كان لغيره من المفسرين، من صحابة وتابعين، إسهام في هذا، فإنَّ الإمام الباقر (عليه السلام) كان واحداً من جملة الذين اتخذوا هذا المنهج عماداً في تفسيره.

ثانياً: اهتمامه بالكلمة المفردة والسياق العام

يمكن أن نقسم مفسري الصحابة والتابعين في الاهتمام بالكلمة المفردة والسياق العام إلى فريقين: فأبي بن كعب رضي الله عنه وتلامذته انصب اهتمامه على المعنى العام للآية أو الآيات وسياق الكلمات، وقل اهتمامهم بالكلمة المفردة، وذلك لأن الكلمة المفردة غالباً ما يكون تفسيرها من قبيل المعرفة اللغوية للكلمة.

والفريق الثاني يمثله ابن عباس رضي الله عنه وتلامذته، فقد كان اهتمامهم منصباً على الكلمة المفردة لأن الناس بحاجة إلى بيان الألفاظ اللغوية المفردة لأنها تساعد كثيراً على فهم الآية أو الآيات[1].

وقد اتخذ الإمام الباقر (عليه السلام) محلاً وسطاً بين هذين الفريقين، فنراه أحياناً يعطي المعنى اللغوي لبعض مفردات الآية ليسهل على الذي يسمع تفسيرها أن يفهمها، وتبين ذلك من خلال كلامنا على رجوعه إلى اللغة في التفسير، وأحياناً أخرى يعطي دلالة الآية العامة أو يبين وجه ارتباط الآيات بعضها لبعض، أو يستخرج من الآيات معنى أو يستنبط منها حكماً.

وذلك ما عرف عنه من ملاحظة السياق وتفسير القرآن بالقرآن مما هو ظاهر جداً في تفسيره ومما كون خصيصة واضحة في آرائه وأقواله.

والجدير بالذكر، أن بعض الباحثين ذكر أن أول مدرسة اهتمت بالسياق الجملي أو العام هي مدرسة عبد الرحمن بن زيد بن اسلم (ت: ١٨٢ هـ)[2]، في حين إننا وجدنا أن الإمام الباقر (عليه السلام) قد سبقه بأكثر من نصف قرن وقد اهتم اهتماماً بالغاً به، وقبلهما الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه.

ومهما يكن من أمر، فان الإمام الباقر (عليه السلام) قد جمع بين الطريقتين، ومزج بين المنهجين، وذلك حسب ما يمليه عليه درسه في التفسير أو نوع السؤال الذي يوجه إليه.

---

(١) ظ: ابي بن كعب ومكانته بين مفسري الصحابة، مشعان العيساوي، رسالة دكتوراه، ٤٢٨، مضروبة على الالة الكاتبة، ١٩٩٢ م

(٢) ظ: خصائص مدرسة ابن زيد، أحمد الجنابي، ٢٤.

ثالثاً: خلو تفسيره من الروايات الإسرائيلية

وقف الإمام الباقر (عليه السلام) من أخبار وروايات بني إسرائيل الموقف الذي تعلمه من آبائه الذين تعلموه على يد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأقواله حين قال: إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم[1]، وقال: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[2]. وليس مثل الإمام الباقر (عليه السلام) إذا سمع الناس تحدث عن أهل الكتاب بقاصر -حاشا لله- عن تمييز الخبيث من الطيب وعن الرد والتوجيه لأنه كثيراً ما كان يصحح ويوجه ما ورد عن أهل الكتاب، وإن جاء من ذلك شيء من تفسيره فهو أما ضعيف السند، وأما من وضع الرواة والقصاص، لأن الإمام الباقر كان يترفع في تفسيره من ذكر شيء من روايات أهل الكتاب، وقد كانت هذه السمة واضحة من خلال ما عرضنا من جهوده في القصة القرآنية.



رابعاً: تعرضه للأمور الغيبية وآيات العقائد

فقد تناول في تفسيره عدد غير قليل من الآيات التي تتعلق بالقضايا الغيبية مثل قضية بدء الخلق، واخذ الميثاق، واليوم الآخر، وعدد آخر من الآيات لا يستهان به تناول فيها تفسير آيات التوحيد ونفي الصفات، وما يتعلق بالنبوة والوحي وأقسامه فقدم فيها جهداً علمياً رفيعاً في الكشف عن مفاصلها المعرفية من خلال مشاركته في التفريق بين النبي والرسول، وأقواله في علم الأنبياء وعصمتهم وغير ذلك، وتفسيره أيضاً للآيات المتعلقة بالإمامة والشفاعة.

كان الإمام الباقر (عليه السلام) في ذلك كله موجهاً لأنظار الأمة الإسلامية إلى محاولات بعض الفرق الضالة، المضلة، التغلغل بين المسلمين ونشر أفكارها فيهم، فكون الإمام الباقر وغيره من علماء هذه الأمة الأبرار سداً منيعاً وخندقاً مدافعاً عن عقيدة الإسلام كدين وكمنهج لحياة افضل.

---

(١) صحيح البخاري، ٦/ ٢٥.

(٢) صحيح البخاري، ٤/ ٣٢٨ ؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٤.

خامساً: اهتمامه الشديد في تفسير آيات الأحكام

عندما اتسعت الرقعة الإسلامية، وطالت الفترة الزمنية بين الناس وبين انقطاع الوحي، وظهرت وقائع وأحداث في العالم الإسلامي حتمت على علماء الأمة أن يولوا آيات الأحكام الكثير من عنايتهم واهتمامهم، كان الإمام الباقر (عليه السلام) واحداً من أولئك الأعلام الذي تصدوا لتفسير آيات الأحكام واستنباط ما يمكن استنباطه منها، من حكم شرعي يعالج موضوعاً فقهياً معيناً أو فتوى فقهية تضع حلاً لمشكلة وقعت أو حادثة نزلت، فكانت أبواب الفقه الإسلامي جميعاً تكاد لا تخلو من رأي أو قول للإمام الباقر (عليه السلام) يشارك فيه باستجلاء الحكم المستفاد من تلك الآيات، وشكلت آراؤه تلك ثروة فقهية أغنت الفقه الإسلامي وشاركت في حل الكثير من معضلات الأنام.

وقد صار بذلك تفسيره متسماً بطابع فقهي مميز، جعل العلماء يعدون الإمام الباقر (عليه السلام) من فقهاء التابعين البارزين في المدينة المنورة، وقد وضحنا ذلك في كلامنا على جهوده في تفسير آيات الأحكام.

المبحث الثالث

مقارنة آرائه مع آراء غيره وانفراداته

كانت آراء الإمام الباقر (عليه السلام) في فهم بعض الآيات القرآنية مخالفة لآراء غيره من مفسري الصحابة والتابعين أو موافقة لها، فلذلك سنضرب بعض الأمثلة التي قصدنا فيها إعطاء صورة واضحة عن مدى التوافق والاختلاف بينه وبين غيره في الكشف عن مراد بعض الآيات لنظهر مدى أصالة تفسيره من جهة والمصدر الذي كان يستقي الإمام منه تلك الآراء والأقوال وهم آباؤه الطاهرون والصحابة الكرام من جهة أخرى، مما جعل بعض المفسرين أن يرجحوا ويوافقوا تلك الأقوال المأثورة عنه في التفسير، ولم يكن ترجيحهم ذلك تخمينياً، وإنما جاء لاعتمادهم على قواعد الترجيح وأصوله.

وسيكون تمثيلنا لبعض آرائه التي خالف أو وافق فيها غيره، وكذلك لآرائه التي لم يرد فيها قول من مفسري الصحابة أو التابعين على السواء.

أولاً: الآراء التي خالف فيها غيره، وهي كثيرة منها

١ - في قوله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاس أمَّةً وَاحِدَةً...**﴾[1].

فقد اختلف في المراد بالناس هنا الذين كانوا أمة واحدة ثم اختلفوا بعد ذلك، وما هو الأمر الذي كانوا عليه؟

- قال ابن عباس رضي الله عنه: إن الناس كانوا بين نوح وآدم عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا.

- ذهب أُبي بن كعب رضي الله عنه إلى: أن المراد بالناس: بنو آدم حين أخرجهم الله نسا من ظهر آدم أي: كانوا على الفطرة.

- ذهب الطبري إلى جواز القولين وإمكان الوقتين، لأنه لا دلالة من القرآن، ولا من السنة في تعيين أحد الوقتين، ولكنه صوب أن يكون هذا الذي كانوا عليه هو الدين الحق كما هو رأي أُبي[2].

وفي المجمع عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) إنه قال: كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا معتدين ولا ضلالاً فبعث الله النبيين[3].

معنى ذلك: أنه كانوا على سذاجة الفطرة لا مهتدين بالهداية التشريعية، ولا ضلالاً بضلالة الكفر لعدم إتمام الحجة بالرسل وعدم حوثها بعد، فلما بعث الله الرسل وأتم الحجة بهم اختلفوا وتفرقوا.

٢ - قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[4].

---

(١) البقرة/ ٢١٣.

(٢) جامع البيان، الطبري، ٢/ ٣٣٤ - المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢/ ١٥١ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ١/٣٤٤.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٠٧.

(٤) البقرة/ ١٢٦.

اختلف في قائل هذا القول: هل هو من كلام إبراهيم الخليل (عليه السلام) حيث سأل ربه أن يرزق الكافر أيضاً من الثمرات بالبلد الحرام؟ أم هو من كلام الله تعالى عناية ولطفاً؟.

ذهب ابن عباس رضي الله عنه: إنه من كلام إبراهيم الخليل (عليه السلام) وكان يقرأ (فأمتعه) بفتح الهمزة وسكون الميم ثم (اضطره) بوصل الآلف وفتح الراء.

وذهب الإمام الباقر (عليه السلام) إلى أنه من كلام الرب تعالى ذكره[1]، واختاره الطبري وصوبه غير أنه أخرجه عن أُبي بن كعب[2].

فيكون المعنى على هذا القول: إن الله تبارك وتعالى يترك من كفر وأصر على كفره يتمتع من الدنيا أمداً قليلاً ثم يساق إلى عذاب النار وبئس المرجع والمأوى، وإن متاع الدنيا وإن بلغ ما بلغ فإنه زائل وقليل في مقابل عذاب الآخرة، وقد وقعت هذه الجملة في القرآن الكريم في موردين كلاهما مقرونان بالتشديد والتهويل أحدهما الآية أعلاه، والثاني في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلى عَذابٍ غَلِيظٍ﴾[3].

وهذا الاضطرار إنما حصل باختيارهم العقائد الفاسدة والأعمال السيئة.

٣- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّماواتُ﴾[4].

اختلف في تبديل الأرض على أي صورة يكون؟

ذهب الإمام علي وابن عباس وانس: إنها تبدل أرضاً من فضة.

وذهب ابن مسعود رضي الله عنه إلى أن الأرض في الدنيا تبدل فتصير أرضاً بيضاء كالفضة.

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ١/ ٧٩ + البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ١/ ١٧٦.

(٢) جامع البيان، الطبري، ١/ ٥٤٤-٥٤٥ + الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢/ ١١٩ + تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ١/ ٢٣٩ + روح المعاني، الالوسي، ١/ ٣٣٢.

(٣) لقمان/ ٢٣-٢٤.

(٤) إبراهيم/ ٤٨.

وقال أُبي بن كعب: تبدل الأرض بغيرها، وتصير السموات جناناً والبحر ناراً[1].

وعن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن هذه الآية، فأجاب: تبدل الأرض خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغوا من الحساب، قال الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾[2]، [3].

ورجح الطبري: إن الأرض تبدل بغيرها والسموات، أما شكل ذلك التبديل فلا يعرف لأنه لا خبر في ذلك عندنا، وإن الأولى مادل عليه ظاهر التنزيل مطلقاً[4]. وهو ما يؤيده أيضاً العقل والمنطق السليم.

٤- في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[5]

اختلف في معنى (الكرسي) على أقوال:

- ذهب ابن عباس إلى: أنه علم الله تعالى.
- ونقل عن أبي موسى الاشعري أنه من قبيل موضع القدمين.
- وذهب الحسن البصري إلى: أنه العرش نفسه[6].
- وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: أي: أنه وسع السموات والأرض[7].

قال الطبري: ولكل من هذه الأقوال وجه، ثم مال إلى قول ابن عباس والإمام الباقر (عليه السلام) من أن الكرسي هو العلم فقال: ويؤيده ظاهر القرآن لقوله: ﴿وَلا يَؤُودُهُ﴾ أي لا يؤوده حفظ ما علم وأحاط به فأصل الكرسي العلم، واثبت ذلك بالشواهد الشعرية في معنى الكرسي[8].

---

(١) جامع البيان، الطبري، ١٣/ ٢٥٤.

(٢) الأنبياء/ ٨.

(٣) تفسير القرآن، علي بن إبراهيم القمي، ٢/ ٣٢٣ + تفسير العياشي، محمد بن مسعود، ٢/ ٢٣٧ + الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/ ٣٨٢.

(٤) جامع البيان، الطبري، ١٣/ ٢٥٤.

(٥) البقرة/ ٢٥٥.

(٦) جامع البيان، الطبري، ٣/ ٧.

(٧) مجمع البيان، الطبرسي، ٢/ ٣٦٢.

(٨) جامع البيان، الطبري، ٣/ ٧-٨.

وقد أشبعت هذه المسألة بحثاً في مكان آخر في هذه الرسالة بيّنت خلاله أقوال جملة من المفسرين وآرائهم في معنى الكرسي وصوبنا قول الإمام الباقر (عليه السلام) هناك وقول ابن عباس.

٥- في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾[١]. اختلف في معنى الآية على أقوال:

- عن ابن عباس ومجاهد والثوري: إلا ما أريد به وجهه[٢].
- وفي رواية عن مجاهد إنه: علم العلماء إذا أريد به وجه الله[٣].
- وعن غير واحد: إلا هو[٤]، أي: ذاته المقدسة.
- عن الإمام الباقر (عليه السلام): يعني: كل شيء هالك إلا دينه[٥].

ويؤيد ما ذهب إليه الإمام الباقر (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُله وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٦] وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٨].

وإن الحتميات التاريخية ليس لها سبيل إلا الطريق الاعتقادي، وإلا فإنّ العلم لا يخبر عن المستقبل إلا عن طريق التنبؤ، لكن الطريق الاعتقادي كالقرآن الكريم الذي قام الدليل العقلي على أنه من عند الله العليم بمخلوقاته علماً أزلياً، سرمدياً، يخبرنا بهلاك كل الأفكار والأديان في آخر الزمان إلا ما أريد به وجهه تعالى، وقد دلت الآيات الكريمة على أنه لن ينال رضا الله تبارك وتعالى إلا من آمن بالإسلام وعمل بالأركان ولذلك يؤسس قول الإمام الباقر (عليه السلام) لبنة في نظرية شمولية للحتميات التاريخية المستفادة من القرآن الكريم.

---

(١) القصص/ ٨٨.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ٦/ ٢٥٢ + مدارك التنزيل، النسفي، ٣/ ٢٤٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ٥/ ٣٠٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/ ٣٢٢.

(٥) تفسير القرآن، علي بن إبراهيم القمي، ٢/ ٨٧ + التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، ٧/ ١٦٥.

(٦) التوبة/ ٣٣.

(٧) آل عمران/ ١٩.

(٨) آل عمران/ ٨٥.

وقد نقلنا في مكان آخر أقوال اكثر المفسرين وتصويباتهم في تفسير هذه الآية ورجحنا هناك قول الإمام الباقر (عليه السلام) لما يعضده من آيات قرآنية يفيد ظاهرها المعنى الذي ذهب إليه.

ثانياً: الآراء التي انفرد بها في تفسيره عن غيره

هناك بعض الآيات التي قد فسرها الإمام الباقر (عليه السلام)، ولم نجد لغيره من صحابة وتابعين قولاً فيها، وقد يوافقه بعض المفسرين أو يخالفه، وهذه بعض الأمثلة:

١ - في قوله تعالى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[١].

سئل الإمام الباقر (عليه السلام): أكان عيسى بن مريم حجة لله على أهل زمانه؟ فأجاب: كان يومئذ نبياً حجة لله غير مرسل أما تسمع لقوله تعالى حين قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ قيل: فكان يومئذ حجة لله على زكريا في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسى (عليه السلام) في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبر عنها، وكان نبياً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال، ثم صمت ولن يتكلم حتى مضت له سنتان وكان زكريا الحجة لله تعالى بعد صمت عيسى بسنتين ثم مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير أما تسمع قوله (عزَّ وجلَّ) ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٢]، فلما بلغ عيسى (عليه السلام) سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله إليه، فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين[٣].

لم ينقل عن غير الإمام الباقر (عليه السلام) هذا التفصيل في تفسير الآية وفي توضيح هذه المسألة، عدا ما ذهب إليه سفيان الثوري فقال: معنى الآية يؤتيني الكتاب ويجعلني نبياً إذا بلغت[٤]، وعن عكرمة قال: معنى الآية

---

(١) مريم/ ٣٠.

(٢) مريم/ ١٢.

(٣) الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ٤٣-٤٤.

(٤) تفسير القرآن الكريم، سفيان الثوري، ١٤٣.

قضى فيما قضى أن أكون كذلك[1]، وقد رجح ابن الجوزي قول سفيان وعكرمة[2].

غير أن القرطبي اختار قول الإمام الباقر (عليه السلام) في أن تكلم عيسى في المهد أنه رحمة لأمه مريم وحجة على الناس فإن كان كذلك فقد خلص إلى تأييده، وإن كان خلاف هذا اعتبر الثاني هو الصحيح[3].

٢- في قوله تعالى: ﴿...وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا...﴾[4].

اختلف فيها على أقوال:

- عن ابن عباس يقول: ورحمة من عندنا، وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك وزاد: لا يقدر عليها غيرنا، وزاد قتادة: رحم الله بها زكريا.

- وقال مجاهد: وتعطفاً من ربه عليه.

- وقال عكرمة في رواية أخرى: محبة عليه.

- وقال ابن زيد: أما الحنان فالمحبة[5].

- ونقل عن الطبري قوله: بسنده عن عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس أنه قال: لا والله ما أدري ما حنانا[6].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: معناه تحنن الله عليه كان إذا قال يارب، قال الله: لبيك يا يحيى[7].

وقال ابن كثير: والظاهر من السياق أن قوله ﴿وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا﴾ معطوف على قوله ﴿آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أي وآتيناه الحكم وحنانا وزكاة وجعلناه ذا حنان وزكاة، فالحنان هو المحبة في شفقة وميل[8].

---

(١) الدر المنثور، السيوطي، ٤/ ٢٧٠.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي، ٥/ ٢٢٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١/ ١٠٢-١٠٣.

(٤) مريم/ ١٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٢/ ١١٣.

(٦) ظ: المصدر نفسه والصفحة.

(٧) مجمع البيان، الطبرسي، ٦/ ٥٠٦.

(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ٣/ ١١٣.

ويكون بهذا قد انفرد الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية عن غيره من مفسري الصحابة والتابعين.

٣- وانفرد الإمام الباقر (عليه السلام) بإضافة صنف رابع لخلق الله تعالى، حينما فسر قوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] فقال الإمام الباقر (عليه السلام): ومنهم من يمشي على اكثر من ذلك[٢]. استفاد الإمام في إضافة ما يمشي على اكثر من أربع من قوله تعالى ﴿يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ التي أفادت العموم ولم تختص بخلق معين، ولم نجد في حدود ما اطلعنا عليه على تفسير بهذه الإضافة لغير الإمام الباقر (عليه السلام) من مفسري الصحابة والتابعين.

٤- في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ...﴾[٣].

الخطاب في الآية للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) وتدخل فيه أمته من بعده[٤]، قال ابن عباس هو أمر بجهاد الكفار بالسيف[٥]. أما المنافقين فقد اختلف في معنى جهادهم على أقوال:

- فالمأثور عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: أنه أمر بجهاد الكفار، والمنافقين بالزامهم الفرائض[٦].

- نقل عن ابن عباس: بأن المراد بجهاد المنافقين باللسان أي: بإقامة الحجة عليهم والوعظ لهم، اختاره الجبائي.

- ونقل عن الحسن وقتادة: أن جهاد المنافقين هو بإقامة الحدود عليهم[٧].

---

(١) النور/ ٤٥.
(٢) مجمع البيان، الطبرسي، ٧/ ١٤٨ + الصافي في تفسير القرآن، الفيض الكاشاني، ٢/ ١٧٥.
(٣) التوبة/ ٧٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/ ٢٠٤.
(٥) المصدر نفسه والصفحة.
(٦) كنز العرفان في فقه القرآن، المقداد السيوري، ٢/ ٣٠.
(٧) الجامع لأحكام القرآن القرطبي، ٨/ ٢٠٤.

وبينا فيما سبق أن المفسرين قد صوبوا رأي الإمام الباقر(عليه السلام)، إذ إلزام المنافقين بالفرائض هو المطلوب لأن التعامل معهم عمدته الظاهر، ورجحناه أيضاً لما فيه من بعد نظر وإصابه، وهو يعد من انفراداته في التفسير ولعل في هذا القدر من الأمثلة كفاية في بيان مقارنة آرائه وبيان قوتها ومدى اعتماد المفسرين عليها وترجيحهم لها، وإلا فان معظم ما نقل عنه من أقوال وأراء فسر فيها مثلاً آيات الأحكام يعد مما انفرد به الإمام الباقر(عليه السلام) في التفسير، أكان موافقاً لآراء من جاء بعده أم مخالفاً، وقد عقدت فصلاً مستقلاً لجهوده في تفسير آيات الأحكام فيما تقدم.

المبحث الرابع

أثره في غيره

عرف الإمام الباقر(عليه السلام) بسعة علومه ومعارفه، وذاع صيته بين التابعين وشاع أمره بين الناس، فاقبل بعض المعاصرين له عليه، يروون عنه ويأخذون من علمه، ويستفتونه فيما يحدث بينهم من قضايا ومسائل تحتاج إلى وضع حل أو إصدار فتوى عجز عنها الكثيرون، فرحل إليه طلاب العلم من الأمصار الإسلامية واخذوا عنه علماً غزيراً، وكان من جملة ما اخذوا تفسير القرآن الكريم فقد كانوا يسألونه عن بعض الآيات الكريمة التي غمض عليهم معناها أو أشكل عليهم فهمها، أو يسمعونه يفسر آية أو يشرح كلمة من كتاب الله، وقد انتشر هؤلاء التلاميذ فيما بعد في الأمصار الإسلامية، بعد ما تحملوا عنه تفسير كتاب الله الذي علموه للناس ونشروه بينهم حتى عرف بعضهم به وصار من أئمة التفسير.

عاش الإمام الباقر(عليه السلام) في المدينة المنورة، فلم يخرج منها، وكان يعقد مجالسه العلمية في مسجدها يستفتيه الناس في مسائلهم، ويسألونه عن تفسير القرآن الكريم.

وكان في المدينة المنورة والكوفة اتجاهان في تفسير كتاب الله:

الاتجاه الأول:

ويمكن أن نسميه بالاتجاه العام، الذي نبغ فيه جملة من المفسرين واشتهروا فيه وكانت لهم قدم راسخة في تحصيل مفرداته، وقد بين ابن تيميه مكانة أهل المدينة وأهل الكوفة في ذلك العصر بقوله: كان أعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس... وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود... وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن اسلم الذي اخذ عنه مالك التفسير، وأخذه عنه أيضاً ابنه عبد الرحمن، وعبد الله بن وهب[1].

وقد كان هناك -أي في المدينة- غير زيد بن اسلم مثل: محمد بن كعب القرظي المعروف بالتفسير أيضاً وغيرهما، ممن لهم آراء في التفسير ولكنها قليلة كعروة بن الزبير[2]، وسعيد بن المسيب[3]، والزهري[4]، وأبي الزناد[5].

أما في الكوفة التي قامت مدرستها على الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود (ت: ٣٢ هـ) فقد كان صاحب مصحف معروف، وكان مفسراً للقرآن، وحافظاً له، ومقرئاً فيه، وكان هناك جملة من تلامذته منهم: علقمة بن قيس (ت: ٦١ هـ) ومسروق بن الأجدع (ت: ٦٣ هـ) والأسود بن يزيد (ت: ٧٥هـ) وعامر الشعبي (ت: ١٠٥ هـ) وأمثالهم من المفسرين الأول لنتف من آيات القرآن سائرة في ركاب علم الحديث.

الاتجاه الثاني:

ويمكن أن نسميه بالاتجاه الخاص؛ والذي تمثل بآل البيت وخاصة الإمام علي بن الحسين زين العابدين والإمام محمد بن علي الباقر والإمام جعفر بن محمد الصادق، وكان لهم تلامذتهم الكثيرون، غير إنني سأقتصر على ذكر من تأثر منهم بالإمام الباقر ونقل عنه آراءهُ في التفسير.

---

(١) مقدمة في اصول التفسير، ابن تيمية، ٧١-٧٢.
(٢) ظ: مشاهير علماء الأمصار، البستي، ٦٤.
(٣) ذكره ابن تيمية في المفسرين التابعين، ظ: مقدمة في اصول التفسير، ١٠١.
(٤) وكان موصوفاً بانه عالم بالقرآن والسنة، ظ: تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ١٠٩ + الإمام الزهري واثره في السنة، استاذنا الدكتور حارث سليمان الضاري، ١٦٥-١٦٦.
(٥) ظ: تذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ١٣٤-١٣٥.

وقبل ذلك أود أن أشير إلى حقيقة مهمة هي أن أولئك الذين تأثروا بالإمام الباقر كان جلهم من الكوفة والقليل منهم من الأمصار الإسلامية الأخرى وأظن أن الأسباب في ذلك معروفة لدى الجميع، ويمكن تقسيمهم إلى طبقتين رئيستين، ولا مانع أن يكون أي واحد من كلا الطبقتين مرة من الأولى وأخرى من الطبقة الثانية للتداخل الحاصل بينهما، ويمكن أن نسمي هاتين الطبقتين بـ:

الطبقة الأولى: طبقة المؤلفين، وهم:

١- أبان بن تغلب (ت: ١٤١ هـ)

ولد بالكوفة، ورحل إلى المدينة المنورة، وتتلمذ هناك على الإمام زين العابدين أولاً ثم على الإمام الباقر، وانقطع إليه، واستقر بالمدينة، وكان من ابرز علماء عصره، قال له الإمام الباقر: اجلس في مسجد المدينة وافت الناس فأني أحب أن أرى في شيعتي مثلك[١].

وقال له الإمام الصادق: يا أبان ناظر أهل المدينة، فإني أحب أن يكون مثلك من رواتي ورجالي[٢].

وقد تأثر أبان بالإمام الباقر (عليه السلام)، ونقل عنه آراءه في التفسير، وكان معتمداً عند العلماء وذكر له قراءة مفردة مشهورة بين القراء[٣].

وكان أبان من ثقاة التابعين المشهورين بالتفسير، قال فيه العجلي: إنه ثقة، وقال الذهبي: وثقه أحمد ويحيى وأبو حاتم والنسائي وابن عدي والحاكم، وقال أيضاً: شيعي جلد ولكنه صدوق[٤].

وذكر ابن النديم أن له من الكتب معاني القرآن[٥]، وكتاب غريب القرآن ذكر شواهده من الشعر[٦]، وهذان الكتابان من مفقودات التراث العربي الإسلامي.

---

(١) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ١/ ١٠٨.
(٢) الخلاصة، العلامة الحلي، ٢١.
(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٥ + تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ٣.
(٤) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/٥.
(٥) الفهرست، ابن النديم، ٢٧٦ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ١/ ٢٣.
(٦) معجم رجال الحديث، الخوئي، ١/ ٢٣.

وورد له في فصول هذه الرسالة العديد من الروايات التفسيرية التي كان فيها أثر الإمام الباقر (عليه السلام) واضحاً جلياً.

٢- جابر بن يزيد الجعفي (ت: ١٢٨ هـ)

كان عالماً بالقرآن قارئً، فاضلاً، شديد الحرص على التعلم، وله اهتمام في معرفة معاني القرآن، وقد وثقه شعبة بقوله: كان جابر إذا قال: حدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس، وقال زهير بن معاوية: إنه من أصدق الناس[(١)]، وقال وكيع: مهما شككتم في شيء فلا تشكوا في أن جابر ثقة، وقال سفيان الثوري لشعبة: لان تكلمت في جابر لا تكلمن فيك[(٢)]، وقال فيه أيضاً: ما رأيت في الحديث أورع من جابر الجعفي وهو صدوق في الحديث[(٣)].

أذن كان جابر من أعلام العلماء وثقاتهم ومن أجلّ المفسرين، وكان منقطعاً لأهل البيت وخاصة للإمام الباقر (عليه السلام)، فقد روي إنه حدث عن الإمام الباقر (عليه السلام) بأكثر من سبعين ألف حديث[(٤)]، وإن كان في هذا الرقم من المبالغة الشيء الكثير فهذا لا يمنع من الاستدلال على كثرة ما روى عن الإمام.

وهو إمام في التفسير، أخذه عن الإمام الباقر (عليه السلام) وصنف تفسير القرآن[(٥)]، يقول الشيخ القيسي: وممن اشتهر وصنف في التفسير من التابعين جابر بن يزيد الجعفي (ت: ١٢٨ هـ)[(٦)]، وفي حديثه عن علم طبقات المفسرين قال: وفي المائة الثانية ظهر من تفاسير التابعين جابر بن يزيد الجعفي[(٧)].

غير أن تصنيفه هذا لم يصل إلينا، ولم نعرف له طريقاً سوى نقول متفرقة في كتب الحديث والتفسير عند الفريقين كلها رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام)، يقول صاحب مذاهب التفسير الإسلامي: أن أول كتاب وضع الأساس الشيعي في

---

(١) تهذيب التهذيب، العسقلاني، ٢/ ٤٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) ميزان الاعتدال، الذهبي، ١/ ٣٨٣ + معجم رجال الحديث، الخوئي، ٤/ ٢٤.

(٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥) الشيعة وفنون الإسلام، حسن الصدر ١٥.

(٦) تاريخ التفسير، الشيخ قاسم القيسي، ٥٣.

(٧) المصدر نفسه، ٦٦.

التفسير هو تفسير القرآن الذي وضعه في القرن الثاني للهجرة جابر الجعفي (ت: ١٢٨ هـ) ولكن هذا الكتاب غير موجود ولا يعرف إلا عن طريق نقول متفرقة[١].

٣- السدي (ت: ١٢٧ هـ)

هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد، القرشي، الكوفي، أخرج له الستة إلا البخاري[٢]، وقد اشتهر بالتفسير حتى لقب بالمفسر[٣].

كان عالماً، فقيهاً، مفسراً، فاضلاً قال يحيى القطان: لا بأس به، وقال أحمد: ثقة، وقال ابن عدي: هو عندي صدوق[٤].

وكان من رواة الإمام الباقر (عليه السلام)[٥]، وقد صنف في التفسير كتاباً، قال السيوطي: أمثل التفاسير تفسير إسماعيل السدي، روى عنه الأئمة مثل الثوري وشعبة[٦].

غير أن تفسيره لم يصل إلينا سوى روايات مبثوثة في كتب الحديث والتفسير، وقد نقلنا بعضاً منها فيما نقلناه عن الإمام الباقر (عليه السلام) في علوم القرآن والتفسير توضح فيها أثر الإمام في هذا المفسر المعروف.

٤- زياد بن المنذر = أبو الجارود (ت: ١٢١ هـ)

اشتهر أبو الجارود بالرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) في التفسير وقد اخذ عنه العلماء تلك الروايات ودونوها في تفاسيرهم، وذكر أن له كتاباً في التفسير بإملاء الإمام الباقر (عليه السلام)، قال ابن النديم في تسمية الكتب المصنفة في التفسير: كتاب الباقر (عليه السلام) محمد بن علي (عليه السلام) بن الحسين (عليه السلام) بن علي (عليه السلام) رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية[٧].

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، كولد زيهر، ٣٠٣.

(٢) ظ: التهذيب، العسقلاني، ١/ ١١٣-١١٤ + التقريب، العسقلاني، ١/ ٧١-٧٢ + الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، ٢/ ١٨٤-١٨٥.

(٣) تنقيح المقال، المامقاني، ١/ ١٣٦.

(٤) ميزان الاعتدال، الذهبي، ٧/ ٢٣.

(٥) الخلاصة، العلامة الحلي، ٨.

(٦) الاتقان، السيوطي، ٢/ ١٨٨ + تاريخ التفسير، الشيخ القيسي، ٦٦.

(٧) الفهرست، ابن النديم، ٣٦.

قال حسن الصدر: وقد رواه عنه -أي الكتاب- أيام استقامته جماعة من الثقاة منهم أبي بصير الأسدي[1].

وذكر الشيخ باقر القرشي: أن هذا التفسير حققه أحد الباحثين وهو الأستاذ شاكر الغرباوي إلا أنه لم يقدمه للنشر[2]، وقد أجرينا اتصالاً شخصياً مع هذا الباحث فأكد أنه لم يعثر على هذا التفسير ولكنه كتب بحثاً عن زياد بن المنذر ولم ينشره.

غير إننا وجدنا في تفسير البرهان لعلي بن إبراهيم بن هاشم الاشعري نسباً، والكوفي مولداً ونشأة، والقمي هجرة وشهرة، وهو من علماء التفسير في القرن الرابع في الكوفة، وجدنا روايات عن أبي الجارود عن الإمام الباقر(عليه السلام) بلغت (١٣٦) رواية تفسيرية حصراً.

ووجدنا أيضاً في تفسير، ابن النضر: محمد بن مسعود بن محمد السلمي، الكوفي الذي نقحه علي بن إبراهيم الكوفي المتقدم وهو المعروف بـ(تفسير العياشي) أقول: وجدنا (١٤) رواية فقط لزياد بن المنذر ينقل فيها تفسير الإمام الباقر(عليه السلام) وارائه، ومهما يكن من أمر، فقد بات أثر الإمام الباقر(عليه السلام) فيه واضحاً فهو ممن حمل آراءهُ ونشرها بين الناس، غير إننا توقفنا في قبول تلك الروايات بمجموعها إلا عدد قليل منها عرضتها في ثنايا هذه الرسالة لمطابقتها لروايات جاءت بطرق صحيحة، وكان توقفنا في قبول رواياته بسبب اختلاف علماء الجرح والتعديل من الفريقين في توثيقه.

وممن ذكر أن له كتابا في التفسير أيضاً أبو حمزة الثمالي، فقد قال ابن النديم: كتاب تفسير أبي حمزة الثمالي، واسمه ثابت بن دينار وكنية دينار أبو صفية وكان أبو حمزة من النجباء الثقاة، صحب أبا جعفر[3].

غير أن هذا التفسير لم يصل إلينا كغيره سوى روايات مبثوثة في كتب التفسير والحديث خاصة عند الإمامية فهو ممن اشتهر في التفسير عندهم وآراؤه وأقواله مبثوثة في كتبهم.

---

(١) الشيعة وفنون الإسلام، حسن الصدر، ١٤.
(٢) حياة الإمام الباقر(عليه السلام)، باقر شريف القرشي، ١/ ١٨٢-١٨٣.
(٣) الفهرست، ابن النديم، ٣٦.

وكذلك فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، صاحب التفسير المعروف بـ (تفسير فرات)، المقصور على روايات آل البيت فقط، وقد أحصيت ما رواه في تفسيره عن الإمام الباقر (عليه السلام) فكانت (١٠٧) رواية مع المكرر، وهو من علماء القرن الثالث الهجري[1]، وتفسيره مطبوع وأثر الإمام الباقر (عليه السلام) فيه جلي فالتفسير لا يعدو أن يكون تفسيراً بالمأثور إذا جازلنا أن نسميه بذلك.

الطبقة الثانية: طبقة الرواة

وهم الذين رووا التفسير عن آل البيت وخاصة الإمام الباقر (عليه السلام) حتى أنهم تقيدوا بنقل تلك الآراء والأقوال رواية فقط، وكانوا كثيرين بكثرة ما روي عن الإمام من علوم ومعارف، غير أن من غلب عليه طابع نقل الرواية التفسيرية عدد قليل وقد ذكرناهم جميعاً في الفصل الثالث من الباب الأول، وكان في طليعتهم والبارزين منهم حتى عدوا أعلاماً ومشاهير هم: زرارة وحمران ابنا أعين، ومحمد بن مسلم الطائفي، وبريد بن معاوية العجلي، ومعروف بن خربوذ، وأبو بصير الأسدي الكوفي وغيرهم[2].

كان هؤلاء الرواة الذين تأثروا بالإمام الباقر (عليه السلام) ونقلوا آثاره إلى غيرهم من الناس، يعدون بحق من أوائل المفسرين لكتاب الله من التابعين وأتباعهم، وقد اخذوا عن الإمام مباشرة وكانوا يشدون الرحال إليه، أما إلى المدينة المنورة حيث مكان أقامته أو إلى مكة المكرمة حيث حج البيت وأداء المناسك فيستغلون فرصة وجوده ليسألوه ويأخذوا عنه، وقد امتازت روايتهم بالدقة والضبط والأمانة فهم معروفون بالوثاقة والدراية وحفظ الرواية. وتجدر الإشارة هنا إلى حقيقة أخرى وهي: أن بعض الذي نقل عن الإمام الباقر (عليه السلام) وجدنا أنه منقول أيضاً عن بعض المعاصرين له أمثال: قتادة بن دعامة وطاووس اليماني وعكرمة البربري والحسن البصري وغيرهم.

ويمكن أن نقول: أن هذا الاتفاق في الرأي والقول له وجهان:

---

(١) القرآن في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي، ٦١.

(٢) انظر مصادر ترجمتهم وتوثيقهم في الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الرسالة.

الوجه الأول: أن هؤلاء العلماء الأعلام قد اخذوا التفسير عن الصحابة أمثال أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، وهؤلاء بدورهم قد أخذوه عن رسول الله(ﷺ)، ونحن نعلم أن في طليعة الصحابة ومقدمهم في التفسير هو الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، فقد كان موئلاً للصحابة ومقصداً للناس في السؤال والاستفسار عن المعاني القرآنية المشكلة، فلا مانع أن يكون ذلك التوافق من قبيل أن الجميع كان مصدرهم بعد القرى، نفسه رسول الله(ﷺ) وبعده الإمام علي(عليه السلام)، فإذا كان الأمر كذلك فان آراء وأقوال الإمام الباقر(عليه السلام) مأخوذة عن أبيه عن جده عن الإمام علي(عليه السلام)، فالمصدر واحد بالنسبة للجميع.

الوجه الثاني: قد يكون هذا التوافق بين الآراء من باب التوارد، وهذا ليس مستبعداً بل أن واقع الحال ينطق به فكثيراً ما نجد أقوالا لأحد المفسرين ونجدها بعينها عند مفسر آخر معاصر له ولم يلتق به

أما إذا تحققت اللقيا، مثلما حصل بين الإمام الباقر(عليه السلام) وقتادة وبينه وبين الحسن البصري، وبينه وبين طاووس اليماني، وعثرنا لهؤلاء الأعلام على آراء وأقوال توافق آراءهُ وأقواله نستطيع أن نقول: أنهم اخذوا عن الإمام وتأثروا به وإن لم يصرحوا باسمه.

ومهما يكن من أمر، فأننا نستطيع أن نقول: أن عملية التأثير والتأثر وما ينتج عنهما من اثر هي عملية تشابك وتمازج في الأفكار والطروحات، فمن الصعب أن نحصل على معرفة دقيقة وتعيين علمي موضوعي في من هو المؤثر ومن هو المتأثر لصعوبة الفصل بينهما وخاصة إذا كانا يعيشان في عصر واحد لا يفصل بينهما زمن بعيد.

فالرأي عندي أن الإمام الباقر(عليه السلام) قد أثر في جملة من مفسري التابعين وظهر ذلك في أقوالهم وآرائهم وكذلك بالنسبة للإمام الباقر(عليه السلام) فقد تأثر كل واحد منهما بالآخر، لان كلا الطرفين وليد بيئة مشتركة وثقافة متمازجة ومنهل واحد -القرآن الكريم والسنة الشريفة-

فما نقل عن أحدهم يمثل امتداداً طبيعياً لأقوال غيره، عدا ما نقل عن الإمام الباقر في تفسيره لآيات الأحكام، والسبب واضح في هذا الانفراد إذ أن الإمام الباقر (عليه السلام) كان معروفاً بينهم بفقه متميز، له أدلته الخاصة من القرآن والسنة واجماعات الصحابة، ونفس الشيء بالنسبة لغيره في تحصيل تلك الأدلة، ويبقى التفاوت ملحوظاً بينهم في سعة الاطلاع وقوة الاستنباط والعلم بفتاوى الصحابة واختلافاتهم الفقهية وقديماً قيل: أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس.

وأخيراً: فقد بدا أثر الإمام الباقر (عليه السلام) واضحاً في اتباع التابعين أيضاً وخاصة من ثقاة رجال الشيعة الإمامية الذين حملوا علم من سمع الإمام الباقر وصحبه ونشروا ذلك في الأمصار الإسلامية رائدهم جميعاً خدمة القرآن الكريم.





الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هـذه الرسالة، أود هنا أن أسجل ما استطعت استخلاصه من فصول البحث لتكون نتائج لابد من تسجيلها مجاراة لعرفٍ سارت عليه البحوث الأكاديمية، وأهم تلك النتائج بإيجاز:

١ - أن الإمام الباقر (عليه السلام) شخصية إسلامية من التابعين في الطبقة الثالثة منهم، وهو حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، نشأ في بيت والده علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين، فكان الإمام الباقر (عليه السلام) متأثراً بأبيه أدباً وخلقاً وعلماً، فقد تمتع بخلق رفيع وأدبٍ عالٍ وعلمٍ واسعٍ، ولقب بألقاب عديدة كان أبرزها الباقر (عليه السلام) لتميزه بغزارة العلم وسعة المعارف وانتشار ذلك عنه في الآفاق الإسلامية وهجرة طلاب العلم إليه، فهو صاحب المنزلة الرفيعة والمكانة المتميزة وذلك لتفرده بصفات قلما توجد بواحد مجتمعة فيه غيره، وكيف لا وقد نشأ في بيت الرسالة ومهبط الوحي ومصدر العلم والإشعاع في المدينة المنورة، وفي البيت الهاشمي العلوي، كان جده الإمام الحسين وأبوه يغذيانه بالأخلاق الكريمة ويفيضان عليه سيلاً من الصفات الحميدة، ويعلمانه السلوك النير ويأخذان بيده في الاتجاه السليم فكان لهما ما أرادا وأراد الله سبحانه وتعالى، زاهداً في دنياه، ورعاً في تعامله، واصلاً لرحمه وإخوانه، كثير الصدقات، ظاهر الكرم، حليماً صبوراً، عابداً كثير البكاء من خشيته لله تعالى، راض نفسه الشريفة على تحمل المصاعب والمكارة، وحرمانها من ملاذ الحياة الدنيا، فجاءت وصاياه ومواعظه دروساً في الأخلاق ومنهاجاً للتربية الإسلامية الصحيحة لما تنطوي عليه من إجراءات وقائية وأخرى علاجية تقوم السلوك الإنساني وتجعل منه فياضاً بالخير والفضيلة.

٢ - كانت حياة الإمام الباقر (عليه السلام) حافلة بأعمال جليلة ومآثر عظيمة، فقد فتحت في عصره معاهد العلم وعقدت مجالس البحث لدراسة الفقه والحديث

والتفسير وسائر العلوم الأخرى، وكانت حلقة درسه تنعقد بالمسجد النبوي الشريف تضم كبار التابعين وأعيان الفقهاء من المدينة المنورة وغيرها من الأمصار على حد سواء، وكان له فضل لا يستهان به مع جهود العلماء الآخرين في إنارة مجالس البحث وحلقات الدرس، فكان هو أحد مصادر الوعي والتوجيه في الأمة الإسلامية آنذاك، وظهرت مشاركته في علم الحديث والسيرة والفقه وأصوله، فكان مبرزاً في كل واحد من هذه العلوم فما خاض في أي منها إلا أعطاه حقه وكشف عن مراميه ومقاصده.

٣- ومن المفاخر التي اضطلع بها رجال هذه الأمة هي تحريرهم للنقد العربي الإسلامي من التبعية الأجنبية، وقد شارك الإمام الباقر في ذلك التحرير مشاركة فعالة، واقترح على الخليفة الإسلامي آنذاك أن يضرب السكة في البلاد الإسلامية وأن يصدر أمراً بمنع التداول بغير العملة الإسلامية الجديدة.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الباقر كان من أعلم أهل زمانه وسيد الهاشميين وأفضلهم في عصره ولم يكن ليحيا حياة العزلة أو ينضم في زوايا الخمول، بل كانت له شهرة واسعة ولمدرسته العلمية أثر في توجيه الفكر تخرج منها جملة من أعلام هذه الأمة.

٤- أن روايات الإمام الباقر(عليه السلام) عن جده رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم وإن لم يلتق بهم فهي من حيث الإرسال -إذا سلمنا به- أو الإسناد الذي كشف عنه فهي حجة بلا خلاف على مبنى الإمامية إن صح سندها إليه وإلا فهي تعامل عندهم معاملة بقية الأخبار التي فيها الموثق والضعيف والحسن.

وعلى مبنى جمهور العلماء فأرجو: أن تعامل رواياته تلك كروايات سعيد بن المسيب أو الحسن البصري، لتضييق دائرة الخلاف بين المسلمين وتقريب وجهات النظر بعضها من البعض الآخر حتى يفوت المسلمون على أعدائهم فرصة التغلغل بين صفوفهم.

٥- كان للإمام الباقر معالم واضحة ودلالات بينة في سلوك منهج تفسير القرآن بالقرآن، فقد كان إعتماده عليه واضحاً، فهو يرى الترابط بين أجزاء القرآن، وأن بعضه يفسر بعضاً وكان جديراً بهذا التفسير وربطه الآيات بالآيات وتوضيحه مواضع بعضها بالمواضع الأخرى، ورأينا طريقته في الجمع بين الآيات المتفرقة للوصول إلى معنى مشترك منها ليتوصل إلى فهم دقيق للمراد القرآني.

٦- التزامه التزاماً دقيقاً في اعتماده السنة النبوية الصحيحة الصدور، وكان متمسكاً بسيرة جده رسول الله (ﷺ) اعتقاداً وسلوكاً، وكانت عنده لها من القدسية ما جعله معها مؤرخاً مختصاً بالسيرة النبوية الشريفة.

٧- اللغة هي الأساس في التعبير القرآني، وقد أوصى الإمام الباقر (عليه السلام) بالرجوع إليها في الكثير من الأحيان لبيان بعض المعاني والألفاظ القرآنية، وكان له استنباطات كثيرة بكثرة ما روي عنه في التفسير، فقد كان غواصاً في المعاني مقتنصاً لشوارد المسائل، متلمساً وجه العلة ومناسبة الحكم فأثرت عنه مجموعة من التعليلات الراجحة والتأويلات المقبولة.

٨- أن الإمام الباقر (عليه السلام) لم ينكر صحة صدور حديث الأحرف السبعة عن جده رسول الله (ﷺ)، بل أراد أن يوجه الحديث وجهة أخرى غير ما تعارف عليه جمع من المسلمين آنذاك من أن المقصود بالأحرف السبعة هي القراءات السبع فأراد إزالة الالتباس والتوهم والتفريق بينهما، فلذلك قال: إن القرآن واحد، نزل من عند الواحد، وإنما الاختلاف يجيء من قبل الرواة.

٩- أولى الإمام الباقر (عليه السلام) القصة القرآنية عنايته البالغة واهتمامه الشديد، فإنك تشعر أن روايته القصصية تجعل المرء يعيش أجواء الآيات القرآنية بانسيابية وهدوء دون أثر لدس إسرائيلي أو خبر يهودي يشوه جمال النص القرآني، ونجده أيضاً قد التزم المنهج النبوي في الإستشهاد

بأخبار أهل الكتاب فيسمع ما عند الناس ثم يعرض ذلك على منهج الإسلام فإن وافق النصوص من قرآن أو حديث من غير تضاد أو اضطراب اعتمده، وإن كان لا يوافقه طرحه وتركه، ولمسنا أيضاً في أقواله تفرده في إظهار الجانب التربوي والأخلاقي في القصة القرآنية لمكان العبرة والعظة ملتزماً بالمنهج القرآني والنبوي.

١٠- كان لآيات العقائد حصة وافرة من تفسير الإمام الباقر (عليه السلام)، فقد فسر تلك الآيات المتعلقة بالله تعالى وجوداً وصفة والمتعلقة بالمرسلين والإيمان باليوم الآخر بأسلوب خال من التطرف، مبتعداً عن التعسف فأضاف للعقول الإسلامية ثروة كبرى إذ استنار بآرائه جملة من العلماء، فكان يمثل خير مدافع عن الحقيقة القرآنية كما هي قبالة التيارات الإلحادية المضادة للإسلام التي أرادت خلق فهم مضلل للقرآن الكريم فوقف في وجهها وتصدى لها، وأكد على أن الفهم الصحيح لمسائل العقيدة لابد أن يستند إلى القرآن الكريم وإلى قواطع العقل، ولابد من إحالة المتشابه على المحكم، فكان بذلك علماً بارزاً كأحد أعلام هذه الأمة في تأصيل هذا النهج وتعميم الأخذ به.

١١- التزم الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسيره لآيات الأحكام بالتمسك بالقرآن الكريم والسنة الشريفة وفتاوى الصحابة، فإن لم يجد اجتهد برأيه وغاص في استنباط الحكم الشرعي وفي مقام الاستدلال على مسألة معينة وخاصة في محاوراته الفقهية، وكان يوصل المعلومات في بعض الأحيان بحركات من جسمه إن تطلبت الضرورة ووجدنا ذلك واضحاً في إجرائه لوضوء جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما سئل عن ذلك، وقد شكلت آراؤه وأقواله ثروة فقهية ضخمة كونت فيما بعد فقهاً متميزاً عرف بعد حين بفقه آل البيت.

١٢- عاش الإمام الباقر (عليه السلام) شطراً من حياته موجهاً ومرشداً وناصحاً للامة وتربوياً عظيماً لمن أخذ عنه فقد كان في سلوكه قدوة وفي

تصرفاته مناراً وكيف لا يكون كذلك وهو يحس قبل غيره بعظم المهمة الملقاة على عاتقه وعاتق علماء عصره في التوجيه والإرشاد والدعوة إلى الله، وبعظم المسؤولية وخطورة هذا الموقف فارتقى بنفسه أولا إلى معاني الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة فكان مثار إعجاب الناس عامة والعلماء خاصة، فلذلك يمكن أن نقول إن سلوك الإمام الباقر (عليه السلام) ووصاياه التربوية والأخلاقية وخاصة في إظهار الجانب التربوي والأخلاقي في تفسيره تصلح أن تكون منهجاً أخلاقياً فريداً، استفاد منها فيما بعد من صنف من علماء الأمة في علم الأخلاق والتربية.

١٣ - لقد كان للإمام الباقر (عليه السلام) مكانة في التفسير ولأقواله منزلة، ففيه من الخصائص ما جعلنا نبرزه في هذا العلم وله من الصفات ما جعلته يحتل مكانة مرموقة فيه.

١٤ - قارنت آراءه وأقواله مع آراء غيره، فوجدت في بعضها قوة وصحة ما يذهب إليه في التفسير، وفي بعضها الآخر يخالف غيره مخالفة كلية حتى أنه اشتهر بأقوال في التفسير لم تؤثر عن غيره من مفسري الصحابة والتابعين، وخاصة في مجال التفسير الفقهي.

١٥ - أثر الإمام الباقر (عليه السلام) في التابعين في عصره وخاصة في ثقاة رجال الشيعة الإمامية الذين أمكننا تقسيمهم إلى طبقتين، واحدة للمؤلفين والأخرى للرواة، وتبين هناك أن أثر الإمام كان واضحاً جداً فيهم، وخاصة إنني عرضت لآرائهم على مالدي من رواية لهم في كتب تفسيرية أخرى فوجدتها تطابق آراءهم من حيث المضمون وإن اختلف الأقوال.

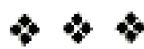
١٦ - ظهر للإمام الباقر (عليه السلام) أثر في كبار المفسرين من التابعين أمثال ابن زيد وقتادة وطاووس والحسن البصري من خلال عرض آرائهم على رأيه وقوله، غير أننا قلنا هناك إن تسمية ذلك بالأثر فيه كثير من التجوز إذ أن العملية كلها لا تعدو أن تكون تأثيراً وأثراً متقابلين وحصر أيهما أسبق لضبط الأثر فيه ضرب من المستحيل.

وفي الختام أرجو أن أكون سجلت بموضوعية وأمانة بعض ملامح شخصية الإمام الباقر التفسيرية كما هي من غير مبالغة أو إفراط أو تفريط ومن غير تعصب أو هوى يخل بالبحث وصاحبه لعدم حاجة الإمام الباقر (عليه السلام) لهذا ولغناه عنه فهو شخصية إسلامية، علمية، شهد بفضله وأكبر مكانته علماء الأمة الأعلام من زمن معاصريه حتى الوقت الحاضر، كما أرجو أن أكون بينت ملامح منهجه التفسيري وأعطيت صورة واضحة لذلك الجهد الذي بذله في الكشف عن مراد الله تعالى.

وأخيرا فمهما يكن من أمر هذا البحث، فإني قد بحثت واجتهدت في استقصاء كل ما ورد عن الإمام الباقر وعرضته وقارنته مع أقوال غيره، ودعوت الله تبارك وتعالى آناء الليل وأطراف النهار ليوفقني فيه ويأخذ بيدي على جادة الحق والصواب، فإن كان الصواب فهو إحدى أجري المجتهد وإن كان الأخرى فتلك طبيعة لازمت النفس الإنسانية لاختصاص الكمال بالله تعالى.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، واجمعنا وإياهم على لا إله إلا الله، محمد رسول الله إنك أنت الرؤوف الرحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

❖ أولا: المخطوطات:

١- تاريخ دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت: ٥٧١ هـ)، من مصورات مكتبة أمير المؤمنين العامة، رقم المخطوطة ٩٤/ ٤/ ١٧ - القطع ٢١ ×٩٦- الجزء ٥١.

٢- الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم: جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي من أعلام القرن السابع، النسخة مكتوبة سنة ٧٣٤ هـ، من مصورات مكتبة أمير المؤمنين العامة؛ رقم المخطوطة ١٥/ ١/ ٧- القطع ٥، ١٧ ×٥، ٢٣.

٣- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: لأبي مظفر يوسف قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي (ت: ٦٤٥ هـ)، من مصورات مكتبة أمير المؤمنين العامة، رقم المخطوطة ٢٢/ ١/ ١٧- القطع ٢٣/ ٥/ ١٧ س. م. الجزء الخامس.

❖ ثانيا: المطبوعات:

(حرف الألف)

١- آلاء الرحمن في تفسير القرآن، البلاغي، الشيخ محمد جواد، ط ١، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م.

٢- الإبانة عن أصول الديانة: الأشعري، لأبي الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٣٣٠ هـ)، مطابع جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٤ هـ.

٣- الإبانة عن معاني القراءات: مكي بن أبي طالب حموش القيسي (ت: ٤٣٧ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مطبعة الرسالة، نشر مكتبة نهضة مصر.

٤- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، تصوير المكتبة العصرية بيروت - ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م
٥- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت: ١١٠٤ هـ)، ط ١، المطبعة العلمية - قم، تصحيح السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ١٣٧٩ هـ.
٦- إثبات الوصية: المسعودي: لأبي الحسن علي بن الحسن (ت: ٣٤٦ هـ)، ط ٤، المطبعة الحيدرية النجف، العراق، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥.
٧- الاحتجاج: الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب (ت: ٦٥٣ هـ)، مطبعة النعمان، النجف، العراق، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.
٨- إحقاق الحق: العلامة الحلي: جمال الدين الحسن بن يوسف (ت: ٧٢٦ هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ١٣٢٦ هـ.
٩- الأحكام في أصول الأحكام: الآمدي: سيف الدين علي بن محمد (ت: ٦٣١ هـ)، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، ١٩٦٨ م.
١٠- أحكام القرآن: ابن العربي: القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله (ت: ٥٤٣ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، دار الفكر، مصر ١٩٢٩ م.
١١- أحكام القرآن: الجصاص: محمد بن علي الرازي (ت: ٣٧٠ هـ)، ط ١، المطبعة البهية، مصر ١٣٤٧ هـ.
١٢- إحياء علوم الدين: الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.
١٣- الأخبار الموفقيات: الزبير بن بكار، تحقيق: د. سامي مكي العاني، بغداد، العراق، ١٩٧٥ م.
١٤- الاختصاص: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق: السيد محمد مهدي الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف، العراق، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

١٥- الاختيار لتعليل المختار: عبد الله بن محمد الموصلي الحنفي (ت: ٦٨٣ هـ)، ط ٣، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٦- الأخلاق: السيد عبدالله شبر، تحقيق: جواد شبر، ط ١، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٣ هـ.

١٧- أخلاق أهل البيت: السيد مهدي الصدر، ط ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م.

١٨- أدب الدنيا والدين: الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد البصري (ت: ٤٥٠ هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، ط ٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م.

١٩- آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق: الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥ هـ)، تحقيق: د. محمد سعود المعيني، ط ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٤ م.

٢٠- الإرشاد: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣ هـ)، ط ٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م.

٢١- الإرشاد إلى قواطع الأدلة: الجويني: عبد الملك بن يوسف (ت: ٤٧٨ هـ)، تحقيق: د. محمد يوسف موسى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٩ هـ/ ١٩٥٠ م.

٢٢- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول: الشوكاني: محمد بن علي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د. ت).

٢٣- الأساس لعقائد الأكياس: القاسم بن محمد بن علي الزيدي العلوي المعتزلي (ت: ١٠٢٩ هـ)، تحقيق: د. البير نصر قادر، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٠ م.

٢٤- أسباب النزول: الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد (ت: ٤٦٨ هـ)، ط ٢، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٥ م.

٢٥- استحسان الخوض في علم الكلام: الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٣٣٠ هـ)، مطبعة حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٢٣ هـ.

٢٦- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار: الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق: السيد حسن الخرسان، ط ٢، مطبعة النجف، العراق، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦ م.

٢٧- الاستنصار: الكراكجي: أبو الفتح محمد بن علي، طبع حجر، قم، ١٣١٩ هـ.

٢٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة نهضة مصر، وأيضا ط ١، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٢٨ هـ (بحاشية الإصابة).

٢٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير: علي بن محمد الجزري (ت: ٦٣٠ هـ)، ط ١ انتشارات إسماعيليان، طهران، (د. ت).

٣٠- أسرار التنزيل وأنوار التأويل: الرازي: فخر الدين (ت: ٦٠٦ هـ) تحقيق: محمود أحمد محمد وجماعته، ط ١، مطبعة دار واسط للطباعة والنشر، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م.

٣١- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: أبو شهبة: محمد، المطابع الأميرية، مصر، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.

٣٢- الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت، ط ٣، دار القلم، القاهرة، مصر، ١٩٦٦ م.

٣٣- الأشراف والتنبيه: المسعودي: علي بن الحسن (ت: ٣٤٦ هـ)، مطبعة دار التراث، بيروت، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م.

٣٤- الإصابة في تمييز الصحابة: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (ت: ٨٥٢ هـ)، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ.

٣٥- أصل الشيعة وأصولها : كاشف الغطاء : الشيخ محمد حسين، ط ٤، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥ هـ.
٣٦- أصول الدين الإسلامي : الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي (ت: ٤٦٣ هـ)، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣١ م.
٣٧- أصول الدين الإسلامي : د. رشدي عليان و. د. قحطان الدوري، ط ٢، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨١ م.
٣٨- أصول الفقه : المظفر : الشيخ محمد رضا، ط ١، مطبعة الآداب، النجف، (د. ت).
٣٩- أصول الفقه : الخضري محمد بيك، ط ٦، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.
٤٠- أصول المعارف : محمد الكاظمي، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٦ م.
٤١- الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار : للحافظ أبي بكر الحازمي : محمد ابن موسى (ت: ٥٨٤ هـ)، تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز، مطبعة مكتبة عاطف، القاهرة (د. ت).
٤٢- الاعتقادات : الشيخ الصدوق : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي (ت: ٣٨١ هـ) مطبوع مع كتاب النافع ليوم الحشر للسيوري، طهران، ١٣٧٠ هـ/ ١٩٥١ م.
٤٣- الأعلاق النفيسة : ابن رستة : أبو علي أحمد بن عمر، طبع ليدن، ١٨٩١ م.
٤٤- الأعلام : خير الدين الزركلي، ط ٤، مطبعة دار الملايين، بيروت، ١٩٧٩ م.
٤٥- أعلام الموقعين عن رب العالمين : ابن قيم الجوزية : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١ هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.

٤٦- أعلام النبوة: الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد (ت: ٤٥٠ هـ)، مصر، ١٩٧١ م.
٤٧- أعلام الورى بأعلام الهدى: الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق: السيد محمد مهدي الخرسان، ط ٣، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.
٤٨- أعيان الشيعة: العاملي: السيد محسن الأمين، ط ١، دمشق، ١٩٣٦ م.
٤٩- الاقتصاد: الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ)، ط ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٩ م.
٥٠- الاقتصاد في الاعتقاد: الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥ هـ)، تقديم: د. عادل العوا، دار الإمامة، بيروت، ١٩٦٩ م - وطبعة كلية الإلهيات، أنقرة، ١٩٦٢ م.
٥١- إكمال الدين وإتمام النعمة: الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ)، طبع حجر، قم، ١٣٢١ هـ.
٥٢- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف والكنى والأنساب: ابن ماكولا: الحافظ أبو نصر علي بن هبة الله (ت: ٤٧٥ هـ)، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦٢ م.
٥٣- الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: العلامة الحلي: جمال الدين الحسن بن يوسف (ت: ٧٢٦ هـ)، ط ٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٨ هـ.
٥٤- الأم: الشافعي: الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤ هـ)، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
٥٥- الأمالي: الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٠ م.

٥٦- الأمالي المعروف بـ (غـرر الفوائد ودرر القلائـد): الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسن (ت: ٤٣٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.
٥٧- الإمام الزهري وأثره في السنة: د. حارث سليمان الضاري، مطابع جامعة الموصل، نشر مكتبة بسام، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
٥٨- الإمام زيد: أبو زهرة: الشيخ محمد، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، (د. ت).
٥٩- الإمام الصادق(عليه السلام): أبو زهرة الشيخ محمد، مطبعة محمد علي صبيح مصر، (د. ت).
٦٠- الإمام الصادق(عليه السلام) والمذاهب الأربعة: أسد حيدر، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٦٩ م.
٦١- أمل الآمل: الحر العاملي: الشيخ محمد بن الحسن (ت: ١١٠٤ هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٥ هـ.
٦٢- الأنبياء في القرآن: الشرقاوي: الشيخ محمود، مطبعة دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.
٦٣- الانتصار والرد علي ابن الراوندي الملحد: الخياط المعتزلي: أبو الحسن عبد الرحيم بن محمد بن عثمان (في حدود الثلاثمائة هجرية)، نقله إلى العربية د. البير ناصر قادر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٧ م.
٦٤- الأنساب: السمعاني: عبد الكريم بن محمد (ت: ٥٦٢ هـ)، طبع ليدن، ١٩١٢ م.
٦٥- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب (ت: ٤٠٣ هـ)، ط ٢، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٢ هـ.
٦٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر (ت: ٧٩١ هـ)، ط ١، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م.

٦٧- أوائل المقالات في المذاهب والمختارات: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣ هـ)، ط ٣، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٣ م.
٦٨- إيضاح الوقف والابتداء: الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨ هـ)، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

(حرف الباء)

٦٩- الباجوري على الجوهرة إبراهيم الباجوري، مطبعة محمد شاهين، مصر، ١٢٧٨ هـ.
٧٠- بحار الأنوار في مختارات الروايات والأخبار: المجلسي: الشيخ محمد باقر (ت: ١١١١ هـ) تصحيح: السيد محمد تقي اليزدي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦ هـ.
٧١- البحر الرائق في شرح كنز الدقائق: ابن نجيم الحنفي وبهامشه الحواشي المسماة بمنحة الخالق على البحر الرائق للسيد محمد أمين الشهير بابن عابدين.
٧٢- البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار: ابن المرتضى: احمد بن يحيى (ت: ٨٤٠ هـ)، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٤٧ م.
٧٣- البحر المحيط: الأندلسي: أبو حيان محمد بن يوسف (ت: ٧٥٤ هـ)، ط ٢، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.
٧٤- البدء والتاريخ: المقدسي البلخي: أبو زيد أحمد بن سهل، ط ١، مدينة باريز، ١٨٩٩ م.
٧٥- البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القريشي (ت: ٧٧٤ هـ)، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة (د. ت).
٧٦- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ابن رشد: محمد بن أحمد (ت: ٦٦٧ هـ)، طبع دار الفكر، بيروت (د. ت).

٧٧- البرهان في تفسير القرآن: القمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم الكوفي (من أعلام القرنين الثالث والرابع الهجري)، تصحيح: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، العراق، ١٣٨٦ هـ.
٧٨- البرهان في تفسير القرآن: البحراني: السيد هاشم بن سلمان بن إسماعيل (ت: ١١٠٧هـ)، تصحيح: السيد محمود جعفر الموسوي، ط ٢، طهران، ١٣٧٥ هـ.
٧٩- البرهان في علوم القرآن: الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله (ت: ٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٨، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م.
٨٠- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد: الصفار: أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت: ٢٩٠هـ)، تحقيق: الميرزا محسن كوجه باغي، ط ٢، مطبعة شركة جاب كتاب، ١٣٨٠ هـ.
٨١- بغية الوعاة: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ هـ)، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٢٦ هـ.
٨٢- البيان والتبيين: الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٣، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م.
٨٣- البيان في تفسير القرآن: الخوئي: السيد أبو القاسم علي اكبر الموسوي، ط ٣، مطبعة مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

(حرف التاء)

٨٤- تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي: محمد مرتضى، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٧ هـ.
٨٥- تاريخ الأئمة: البغدادي: ابن أبي الثلج (ت: ٣٢٥ هـ)، ط ١، مطبعة قم، ١٣٩٨ هـ.
٨٦- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨ هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٩ هـ.

٨٧- تاريخ ابن الوردي: ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (ت: ٧٤٩ هـ)، ط ٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.

٨٨- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت: ٤٦٣ هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣١ م.

٨٩- تاريخ التفسير: القيسي: الشيخ قاسم، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م.

٩٠- تاريخ التمدن الإسلامي: جرجي زيدان، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٠٢ م.

٩١- تاريخ الخلفاء: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، ط ٣، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م.

٩٢- تاريخ الرسل والملوك: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٦٢ م.

٩٣- تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين: الغرابي: علي مصطفى، ط ٢، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م.

٩٤- تاريخ القرآن: د. عبد الصبور شاهين، مطبعة دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦ م.

٩٥- تاريخ القرآن الصغير: د. محمد حسين علي، ط ١، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣ م.

٩٦- التاريخ الكبير: الإمام البخاري: الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦ هـ)، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٦١ هـ.

٩٧- تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، ط ١، دار صادر للطباعة والنشر - ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م.

٩٨- تأويلات أهل السنة: السمر قندي: أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي الحنفي (ت: ٣٣٣ هـ) تحقيق: د. محمد مستفيض الرحمن - وتصحيح

وفهرسة: جاسم محمد الجبوري، سلسلة إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣ م.

٩٩- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين: الاسفراييني: أبو المظفر طاهر بن محمد (ت: ٤٧١ هـ)، مكتبة الخانجي، مصر (د. ت).

١٠٠- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ)، قدم له: المحقق آغا بزرك الطهراني، المطبعة العلمية، النجف، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٥٧ م.

١٠١- التبيان في أقسام القرآن: ابن قيم الجوزية، تصحيح: طه يوسف شاهين، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).

١٠٢- التبيان في علوم القرآن: الصابوني: محمد علي، ط ١، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٠٣- تجريد العقائد: المحقق الطوسي: نصير الدين محمد بن محمد (ت: ٦٧٢ هـ)، طبع حجر، قم، : ١٣٥ هـ.

١٠٤- التحصين: الحلي: أحمد بن فهد (ت: ٨٥٧ هـ)، طبع حجر، قم، ١٣٢٣ هـ.

١٠٥- تحف العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحراني: أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة (من علماء القرن الرابع الهجري)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ١، مطبعة دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٦ هـ - ١٩٧٥ م.

١٠٦- تحفة ذوي الأرب: ابن خطيب الدهشة، طبع ليدن، ١٩٠٥ م.

١٠٧- تذكرة الحفاظ: الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨ هـ)، ط ٣، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٥ هـ.

١٠٨- تذكرة خواص الأمة في معرفة الأئمة: سبط ابن الجوزي: يوسف سبط عبد الرحمن بن الجوزي، طبع حجر، قم ١٢٨٧ هـ.

١٠٩- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: القرطبي: أبو عبد الله الأنصاري (ت: ٦٧١ هـ)، مطابع مدكور وأولاده، القاهرة (د. ت).
١١٠- الترغيب والترهيب في الحديث الشريف: المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي (ت: ٦٥٦ هـ)، صححه: مصطفى محمد عمارة، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م.
١١١- التسهيل في علوم التنزيل: ابن جزي: محمد بن أحمد الكلبي (ت: ٧٤١ هـ)، ط ١، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ١٣٥٥ هـ.
١١٢- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٩٥٦ م.
١١٣- تطور التفسير: د. محسن عبد الحميد، مطبعة دار الكتب، جامعة الموصل، نشر بيت الحكمة ١٩٨٩ م.
١١٤- التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية: البرزنجي: عبد اللطيف عبد العزيز، ط ١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م.
١١٥- تفسير سورة الإخلاص: ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم. (ت: ٧٢٨ هـ)، مطبعة الانتصار، بغداد (د. ت).
١١٦- تفسير العياشي: العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (ت: ٣٠٠ هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، قم، ١٣٧١ هـ.
١١٧- تفسير فرأت: فرأت بن إبراهيم الكوفي (أحد علماء الحديث في القرن الثالث الهجري)، ط ١، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٥٤ هـ.
١١٨- تفسير القاسمي (محاسن التأويل): القاسمي: محمد جمال الدين (ت: ١٨٦٦ م)، تصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧ م.
١١٩- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القريشي (ت: ٧٧٤ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ومطبعة إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٩ م.

١٢٠ - تفسير القرآن الكريم: سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ)، تصحيح: امتياز علي مرعشي، طبع في هندوستان، رامبور، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م.
١٢١ - تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى: شلتوت: الشيخ محمود، ط ٤، مطبعة دار العلم، القاهرة، ١٩٦٦ م.
١٢٢ - التفسير الكبير (مفتاتيح الغيب): الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت: ٦٠٦ هـ) ط ١، المطبعة البهية، مصر، ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م.
١٢٣ - التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨ م.
١٢٤ - تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت: ٥٢٨ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).
١٢٥ تفسير المراغي: أحمد مصطفى، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٥ هـ/ ١٩٦٦ م.
١٢٦ - التفسير والمفسرون: الذهبي: د. محمد حسين، ط ١، دار القلم، بيروت، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.
١٢٧ - تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا، ط ٣، مطبعة دار المنار، مصر، ١٣٦٧ هـ.
١٢٨ - تفسير نور الثقلين: العروسي الحويزي: عبد علي بن جمعة (ت: ١١١٢ هـ)، تصحيح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مطبعة الحكمة، قم، ١٣٨٢ هـ.
١٢٩ - تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧ هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م.
١٣٠ - تقريب التهذيب: العسقلاني: الحافظ أحمد بن علي بن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، مطبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

١٣١- التقرير والتحبير: ابن أمير الحاج: محمد بن محمد، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣١٦ هـ.

١٣٢- تلخيص الشافي: الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق: سيد حسين بحر العلوم، ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م.

١٣٣- التمهيد في الرد الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة: الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب (ت: ٤٠٣ هـ)، المكتبة الشرقية، بيروت، نشر الأب ريتشارد يوسف مكارثي.

١٣٤- التلويح على التوضيح: سعد الدين التفتازاني، ط ١، المطبعة الحيدرية، مصر، ١٣٢٢ هـ.

١٣٥- تنقيح المقال: المامقاني: عبد الله بن محمد حسن (ت: ١٣٥١ هـ)، طبع حجر، المطبعة المرتضوية، النجف، ١٣٥٢ هـ.

١٣٦- تهافت الفلاسفة: الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥ هـ)، تحقيق: د. سليمان دنيا، ط ٥، مطبعة دار التعارف، مصر، ١٩٧٢ م.

١٣٧- تهذيب التهذيب: العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت: ٨٥٢ هـ)، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٢٦ هـ.

١٣٨- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة: الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٩ هـ): تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، ط ٢، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩ م.

١٣٩- تهذيب الأسماء واللغات: النووي: الحافظ أبي زكريا محي الدين بن شرف (ت: ٦٧٦ هـ)، ط ١، إدارة الطباعة المنيرية، مصر (د. ت).

١٤٠- تهذيب اللغة: الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون ومحمد علي النجار، مطبعة الدار المصرية للطباعة والتأليف (د. ت).

١٤١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م. إلى ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨ م.

١٤٢- توجيه النظر إلى أصول الأثر: الجزائري الدمشقي: طاهر بن صالح، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة لصاحبها النمنكاني (د. ت).

١٤٣- التوحيد: الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت: ٣٨١ هـ)، مطبعة دار المعرفة، بيروت (د. ت).

(حرف الثاء)

١٤٤- ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن (ت: ٣٨١ هـ)، طبع حجرقم، ١٣٢٠ هـ.

(حرف الجيم)

١٤٥- جامع أحاديث الشيعة: الطباطبائي: السيد حسين البروجردي، ط ١، مطبعة مهر إستوار، إيران (د. ت).

١٤٦- جامع البيان عن تأويل أي القرآن: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣٠١ هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م - ومطبعة دار المعارف، مصر، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر.

١٤٧- جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر: يوسف النمري القرطبي (ت: ٤٦٣ هـ)، المطبعة المنيرية، مصر، ١٣٤٦ هـ.

١٤٨- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ)، ط ٣ مطبعة دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٧ م.

١٤٩- جامع السعادات: النراقي: محمد مهدي (ت ١٢٠٩ هـ)، تحقيق: الشيخ محمد رضا المظفر ط ٢، مطبعة النجف، العراق، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥ م.

١٥٠- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ هـ)، ط ٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م.

١٥١- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: الأحمد فكري، ط ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

١٥٢- جامع كرامات الأولياء: النبهاني: الشيخ يوسف بن إسماعيل وبهامشه نشر المحاسن الغالية لعبد الله بن أسعد اليافعي، ط ١، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، ١٩٢٩ م.

١٥٣- الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم الرازي: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت: ٣٢٧ هـ)، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند، ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٣ م.

١٥٤- الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصفهاني في رجال البخاري ومسلم ابن القيسراني: الحافظ محمد بن طه بن علي المقدسي (ت: ٥٠٧ هـ)، ط ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد الدكن، الهند، ١٣٣ هـ.

١٥٥- جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف: المنوفي: السيد محمود أبو الفيض الحسين، ط ١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.

١٥٦- جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: البغدادي: محمود بن وهيب، مطبعة الآداب، بغداد، ١٣٢٩ هـ.

(حرف الحاء)

١٥٧- حاشية الكستلي على النسفية مطبوع مع شرح العقائد النسفية للتافتازاني.

١٥٨- حاشية المراجاني على شرح العقائد العضدية: ومعه حاشية الكلنبوي والخلخالي، مطبعة خورشيد، عثمانية.

١٥٩- الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة: البحراني: يوسف بن أحمد (ت: ١١٨٦ هـ) تحقيق: محمد تقي الإيرواني، مطبعة النجف، العراق، ١٣٨٦ هـ - ١٩٥٧ م.

١٦٠- الحور العين: الحميري: أبو سعيد نشوان بن سعيد (ت: ٧٣٤ هـ)، ط ١، مطبعة الخانجي، مصر، ١٣٦٧ هـ.
١٦١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: الأصفهاني: أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت: ٤٣٠ هـ) ط ١ مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م.
١٦٢- حياة الإمام الباقر (عليه السلام): القرشي: الشيخ باقر شريف، ط ١، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.
١٦٣- حياة الحيوان الكبرى: الدميري: كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى (ت: ٨٠٨ هـ)، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م.

(حرف الخاء)

١٦٤- الخرايج والجرايح: قطب الدين الراوندي: سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣ هـ)، ط ١، مطبعة مملك الكتاب، طهران، ١٣٠٦ هـ.
١٦٥- الخصال: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت: ٣٨١ هـ)، تحقيق: السيد محمد مهدي الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
١٦٦- الخلاف: الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق: محمد سرور البهبودي، المطبعة المرتضوية، طهران، ١٣٨٦ هـ.
١٦٧- الخلق الكامل: محمد أحمد جاد المولى بيك، ط ١، المطبعة العثمانية المصرية، ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦ م.

(حرف الدال)

١٦٨- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: محسن الأمين، ط ٢، دار التعارف للمطبوعات بيروت، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م.
١٦٩- دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، ط ٤، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، القاهرة، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧ م.
١٧٠- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: العمري: د. أحمد جمال، ط ١ مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

١٧١- دراسات في التفسير ورجاله: الجبوري: د. أبو اليقظان عطية، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ١٩٧١ م.

١٧٢- الدراية في علم مصطلح الحديث: الشهيد الثاني: زين الدين بن علي بن أحمد الشامي العاملي (ت: ٩٥٩ هـ)، مطبعة النعمان، النجف (د. ت).

١٧٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ هـ)، الناشر محمد أمين دمج، بيروت (د. ت) والمطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٧٧ هـ.

١٧٤- دلائل الإمامة، ابن رستم الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، ط١، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٩ هـ/ ١٩٤٩ م.

١٧٥- دلائل النبوة: البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م.

١٧٦- الدين والإسلام: كاشف الغطاء: الشيخ محمد حسين، ط ١، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٥ م.

(حرف الذال)

١٧٧- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين الطبري: أحمد بن عبد الله (ت: ٦٩٤ هـ)، ط ١، مكتبة المقدسي ومطبعة السعادة ودرة السعادة، القاهرة، ١٣٥٦ هـ.

١٧٨- ذم الهوى: ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن (ت: ٥٩٧ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الرحمن ومراجعة: محمد الغزالي، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦٢ م.

(حرف الراء)

١٧٩- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ)، تحقيق: د. سليم النعيمي، ط١، مطبعة العاني، بغداد (د. ت).

١٨٠- الرجال: ابن داود الحلي: تقي الدين الحسن بن علي، مطبعة دانشكاه، طهران، ١٣٤٢ هـ.

١٨١ - رجال السيد بحر العلوم المعروف بالفوائد الرجالية : الطباطبائي : السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت : ١٢١٢ هـ)، تحقيق : السيد محمد صادق بحر العلوم، ط١ ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م .
١٨٢ - الرجال : العلامة الحلي : الحسن بن يوسف (ت : ٧٢٦ هـ)، ط٢ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م .
١٨٣ - الرجال : الشيخ الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن (ت : ٤٦٠ هـ)، تحقيق : السيد محمد صادق بحر العلوم، ط ١ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١ م .
١٨٤ - الرجال : الكشي : أبو عمرو : محمد بن عمر بن عبد العزيز، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، كربلاء ، ١٣٨٩ هـ .
١٨٥ - الرجال : النجاشي : أحمد بن علي بن أحمد بن العباس (ـ : ٤٥٠ هـ)، ط ١ ، مطبعة مصطفوي طهران (د . ت) .
١٨٦ - رحمة الأمة باختلاف الأئمة : الدمشقي : أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت : ٧٨٠ هـ)، ط ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٤٠ م .
١٨٧ - الرسالة : الإمام الشافعي : محمد بن إدريس (ت : ٢٠٤ هـ)، تحقيق : أحمد شاكر، ط ١ ، مصر ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٠ م .
١٨٨ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام : ابن تيمية : تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت : ٧٢٨هـ)، تحقيق وتعليق : مرشد محمد ، مطبعة الخلود ، بغداد ، ١٩٨٥ م .
١٨٩ - روح المعاني : الالوسي : أبو الثناء شهاب الدين بن محمود (ت : ١٢٧٠ هـ)، المطبعة المنيرية ، مصر ، ١٣٢٣ هـ .
١٩٠ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات : الخوانساري : السيد محمد باقر (ت : ١٣١٣ هـ)، طبع حجر ، قم ، ١٣٠٦ هـ .
١٩١ - روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين : الوتري : الشيخ محمد بن محمد (ت : ٩٠٨ هـ) ط ١ ، المطبعة الخيرية ، الجمالية ، مصر (د . ت) .

١٩٢- روضة الواعظين وبصيرة المتعظين : الفتال النيسابوري الشهيد (ت : ٥٠٨هـ)، تحقيق : السيد محمد مهدي الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.

(حرف الزاي)

١٩٣- زاد المسير : ابن الجوزي : جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت : ٥٩٧ هـ)، ط١، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م.

١٩٤- زاد المعاد في هدى خير العباد : ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١ هـ)، تحقيق : شعيب الارنؤوط، ط ١٤، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ هـ/ ١٠٨٦ م.

١٩٥- زبدة البيان : الاردبيلي : أحمد بن محمد (ت : ٩٩٣ هـ)، تعليق : محمد باقر البهبودي، المطبعة الحيدرية، النجف (د. ت).

(حرف السين)

١٩٦- سر السلسلة العلوية : البخاري : أبو نصر سهل بن عبد الله بن داود (من أعلام القرن الرابع الهجري والذي كان حياً سنة (٣٤١ هـ) : تقديم : السيد محمد صادق بحر العلوم المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م.

١٩٧- السرائر : ابن إدريس الحلي : محمد بن منصور بن أحمد (ت : ٥٩٨ هـ)، طبع حجر، ط٢، المطبعة العلمية، ١٣٩٠هـ.

١٩٨- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار : الشيخ عباس القمي، ط١، المطبعة العلمية، النجف، ١٣٥٢ هـ.

١٩٩- سلم الوصول لعلم الأصول : الشيخ عمر عبد الله، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ١٩٦٩م.

٢٠٠- سنن ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني (ت : ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصر (د. ت).

٢٠١- سنن أبي داود : سليمان بن الاشعث السجستاني (ت : ٢٧٥هـ)، المطبعة التازية، مصر (د. ت).

٢٠٢- سنن الدار قطني: علي بن عمر (ت: ٣٨٥ هـ)، الطباعة الفنية المتحدة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.
٢٠٣- سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت: ٢٥٥ هـ)، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩ هـ.
٢٠٤- السنن الكبرى: البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨ هـ)، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٥٤ هـ.
٢٠٥- سنن النسائي: أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣ هـ)، مطبعة دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م، مع شرح السيوطي وحاشية السندي.
٢٠٦- سير أعلام النبلاء: الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان (ت: ٧٤٨ هـ) تحقيق: شعيب الارنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
٢٠٧- سيرة الأئمة الاثني عشر: الحسني: هاشم معروف، ط١، مطبعة دار التعارف، بيروت، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م.
٢٠٨- السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وجماعته، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٥ هـ/ ١٩٤٦ م.

(حرف الشين)

٢٠٩- الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين (ت: ٤٣٦ هـ)، طبع حجر، إيران، ١٣١٢هـ.
٢١٠- الشافي في شرح أصول الكافي: الشيخ عبد الحسين المظفر، ط١، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧١ م.
٢١١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت: ١٠٩٨ هـ)، مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة، ١٣٥٠ هـ.
٢١٢- الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية: شمس الدين ابن طولون (ت: ٩٥٣هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م.

٢١٣- شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام: المحقق الحلي: أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (ت: ٦٧٦ هـ)، تحقيق: عبد الحسين محمد علي، ط ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.

٢١٤- شرح الأصول الخمسة: القاضي المعتزلي: عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، ط١، مطبعة الاستقامة الكبرى، القاهرة، ١٣٨٤ هـ.

٢١٥- شرح الخريدة البهية: سيدي أحمد الدردير (ت: ١٢٠١ هـ)، وحاشية العلامة الصاوي عليه، مطبعة الاستقامة، مصر (د. ت).

٢١٦- شرح عقائد الصدوق مع أوائل المقالات: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (ت: ٤١٣ هـ)، ط ٣، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٣ م.

٢١٧- شرح العقائد النسفية: التفتازاني، ط١، ١٣٢٦ هـ، تركيا، أعادت مكتبة المثنى طبعه بالاوفيسيت وطبعه دار إحياء الكتب العربية بمصر، وبهامشه حاشية عصام الدين الاسفرائيني، ٢١٨.

٢١٨- شرح العضدي على مختصر ابن الحاجب: القاضي العضدي الايجي، المطبعة الكبرى، بولاق، مصر، ١٢١٦ هـ.

٢١٩- شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز، ط ٣، نشر المكتب الإسلامي بدمشق (د. ت).

٢٢٠- شرح فتح القدير: ابن الهمام الحنفي: كمال الدين محمد بن عبد الواحد (ت: ١٦٨١ م) وهو شرح على الهداية بشرح بداية المبتدئ المرغيناني، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٠ م.

٢٢١- شرح مطالع الأنظار على متن طوالع الأنوار: البيضاوي: شمس الدين بن محمود (ت: ٧٤٧ هـ)، ط ١، مصر، ١٣٢٣ هـ.

٢٢٢- شرح مقاصد الطالبين في علم أصول الدين: التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر الشافعي (ت: ٧٩١ هـ)، دار الطباعة العامرة، الآستانة، ١٢٧٧ هـ.

٢٢٣- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: أبو حامد عبد الحميد بن عبد الله المدائني، ط ١، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة (د. ت).
٢٢٤- شرف الأسباط: القاسمي: محمد جمال الدين الدمشقي، ط١، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٣١ هـ.
٢٢٥- شعب المقال في أحوال الرجال: النراقي: محمد مهدي (ت: ١٢٠٩هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط ٢، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٢ م.
٢٢٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)، المكتبة التجارية، مصر (د. ت).
٢٢٧- الشيعة والإمامة: المظفر: الشيخ محمد رضا، مطبعة الآداب، النجف ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٧ م.
٢٢٨- الشيعة وفنون الإسلام: الصدر: سيد حسن، مطبعة دار المعرفة، بيروت (د. ت).

(حرف الصاد)

٢٢٩- الصافي في تفسير القرآن: الفيض الكاشاني: محمد بن المرتضى المدعو بالمحسن (ت: ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: الميرزا حسن الحسيني اللوساني النجفي، المطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٧٤ هـ.
٢٣٠- صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٤ هـ ومطابع الشعب.
٢٣١- صحيح الترمذي شرح الإمام ابن العربي المالكي: ط ١ المطبعة المصرية بالأزهر مصر، ١٣٥٠ هـ/ ١٩٣١ م.
٢٣٢- صحيح مسلم: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١ هـ)، مطبوعات محمد علي صبيح، ميدان الأزهر، مصر (د. ت).
٢٣٣- الصحاح: الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة دار الكتاب العربي، مصر (د. ت).

٢٣٤- الصفات بين المفوضة والمؤولة : د. محسن عبد الحميد، مخطوط.
٢٣٥- صفوة الصفوة : ابن الجوزي : جمال الدين عبد الرحمن (ت: ٥٩٧ هـ)، ط ١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٥٥ هـ.
٢٣٦- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة : الهيثمي : أحمد بن حجر المكي (ت: ٩٧٤ هـ)، مكتبة الهدى، النجف (د. ت).

(حرف الطاء)

٢٣٧- طبقات الحفاظ : السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.
٢٣٨- طبقات الفقهاء : أبو إسحاق الشيرازي (ت: ٤٧٦ هـ)، مطبعة بغداد، العراق، ١٣٥٦ هـ.
٢٣٩- الطبقات الكبرى : ابن سعد، ط١، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م.
٢٤٠- الطبقات الكبرى (المسماة بلواقح الأنوار من طبقات الأخيار) : عبد الوهاب الشعراني (ت: ٩٧٣ هـ) بهامشه كتاب الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية لنفس المؤلف، ط١، مطبعة عبد الحميد أحمد، القاهرة، ١٣٥٥ هـ.
٢٤١- طبقات المعتزلة : ابن المرتضى : أحمد بن يحيى، تحقيق : سوسنة ديلفد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١ م.
٢٤٢- طبقات المدلسين : العسقلاني : أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت: ٨٥٢ هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٢٢ هـ.

(حرف العين)

٢٤٣- عبد الله بن مسعود : الراجحي : د. عبدة، ط١، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠ م.
٢٤٤- العبر في خبر من غبر : الذهبي : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد، مطبعة دار المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠ م.

٢٤٥- العفو والاقتدار: العبدي: أبو الحسن محمد بن عمران (ت: ٣٥٥ هـ)، تحقيق: د. عبد القدوس أبو صالح، مطابع الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م.

٢٤٦- العقائد العضدية: الايجي: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت: ٧٥٦ هـ) ومعه شرح جلال الدين الدواني الصديقي (ت: ٩٠٨ هـ) ومعه حاشية إسماعيل الكلمبوي (ت: ١٢٠٥ هـ) وبهامشه حاشية المرجاني وحاشية الخلخالي (ت: ١٠١٤ هـ)، دار سعادات، مطبعة عثمانية، ١٣١٦ هـ.

٢٤٧- العقيدة الإسلامية واسسها: الميداني: عبد الرحمن، ط١، مكتبة السعادة، القاهرة، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م.

٢٤٨- عقيدة الشيعة: روايت. م. رونلدس، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م.

٢٤٩- علل الترمذي: ابن رجب الحنبلي.

٢٥٠- علل الشرايع: الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن (ت: ٣٨١ هـ)، مطبعة النجف، العراق (د. ت).

٢٥١- العلل ومعرفة الرجال: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، تحقيق: د. طلعت قوج أنقرة، تركيا، ١٩٦٣ م.

٢٥٢- علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف، ط ٧، القاهرة، ١٩٥٦ م.

٢٥٣- علم أصول الفقه: الشيخ محمد جواد مغنية، ط ١١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥ م.

٢٥٤- علوم القرآن والتفسير: د. محسن عبد الحميد، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩١ م.

٢٥٥- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ابن عنبة الأصغر: جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين (ت: ٨٨٢ هـ)، ط ١، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٥٨ هـ.

٢٥٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: العيني: محمود بن أحمد (ت: ٨٥٥هـ)، طبع إستانبول، ١٣٠٨ هـ.
٢٥٧- عيون الأخبار: ابن قتيبة: عبد الله الدينوري (ت: ٢٧٦ هـ)، ط ٢، مكتبة النجاح، النجف، ١٩٥٧ م.
٢٥٨- عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن الحسين (ت: ٣٨١ هـ)، ط ١ مطبعة دار العلم، قم، ١٣٧٧ هـ.
٢٥٩- غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار: ابن زهرة الحسيني: تاج الدين بن محمد بن حمزة (ت: ٧٥٣ هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط ١، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م.

(حرف الغين)

٢٦٠- غاية المرام في علم الكلام: الآمدي: سيف الدين علي بن محمد (ت: ٦٣١ هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، ١٩٧١ م.
٢٦١- غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري: محمد بن محمد (ت: ٨٣٣ هـ)، عني بنشره: ج برجستراسر، ط١، مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٣٥٢ هـ/ ١٩٣٣ م.

(حرف الفاء)

٢٦٢- فتح القدير: الشوكاني: محمد بن علي (ت: ١٢٥٠ هـ)، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م.
٢٦٣- فتوح البلدان: البلاذري: الإمام أبي الحسن، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩ م.
٢٦٤- فجر الإسلام: أحمد أمين، ط ١٠، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ م.
٢٦٥- فرائد الأصول: الشيخ مرتضى الأنصاري، طبع حجر قم، ١٣٧٤ هـ.
٢٦٦- فرق الشيعة: النوبختي، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩ م.

٢٦٧- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم: البغدادي: عبد القاهر بن طاهر (ت: ٤٤٩ هـ)، مطبعة دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

٢٦٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي، طبع مكتبة المثنى، بغداد، بالأوفسيت.

٢٦٩- الفصول المختارة من العيون والمحاسن: الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين (ت: ٤٣٦ هـ)، ط ٢، المطبعة الحيدرية، النجف (د. ت).

٢٧٠- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة: ابن الصباغ المالكي: علي بن محمد ابن أحمد المكي (ت: ٨٥٥هـ)، ط ٢، مطبعة العدل، النجف (د. ت).

٢٧١- فقه الإمام الصادق: الشيخ محمد جواد مغنية، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٥ م.

٢٧٢- الفهرست: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق، تحقيق: رضا تجدد.

٢٧٣- الفهرست: الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ)، تصحيح: السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧ م.

٢٧٤- في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٥، مطبعة دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٧ م.

(حرف القاف)

٢٧٥- القاموس المحيط: الفيروز ابادي: نجم الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧ هـ)، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، القاهرة (د. ت).

٢٧٦- القوانين المحكمة: الميرزا أبي القاسم القمي، طبع إيران.

٢٧٧- القرآن في الإسلام: الطباطبائي: السيد محمد حسين، تعريب: السيد أحمد الحسيني، ط ٢، بيروت، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

٢٧٨- القرآن المجيد: محمد عزت دروزة، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦ م.

٢٧٩- القرآن، المعجزة الكبرى: أبو زهرة: الشيخ محمد، مطبعة دار الفكر العربي، مصر، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

٢٨٠- قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية: ابن جزيء: محمد بن أحمد الغرناطي المالكي، طبع دار العلم للملايين، بيروت (د. ت).

(حرف الكاف)

٢٨١- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: موسى محمد علي الموشي وصاحبه، مطبعة دار التأليف، الجمالية مصر (د. ت).

٢٨٢- الكافي، الأصول والفروع والروضة: الكليني: محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٨ هـ)، تصحيح: أبو الحسن الشعراني، ط ٢، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٨٦ هـ.

٢٨٣- الكامل في الأدب: المبرد: أبو العباس بن يزيد (ت: ٢٨٥ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة (د. ت).

٢٨٤- الكامل في التاريخ: ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت: ٦٣٠ هـ)، ط ١، المطبعة المنيرية، دمشق، ١٣٥٧ هـ.

٢٨٥- كشف الأسرار على أصول البزدوي: عبد العزيز بن أحمد البخاري، طبع، حسن حلمي الرويزي، دار الخلافة (د. ت).

٢٨٦- كشف الغمة في معرفة الأئمة: الأربلي: أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط١، المطبعة العلمية، قم، ١٣٨١ هـ.

٢٨٧- كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي: جمال الدين الحسن بن يوسف (ت: ٧٢٦ هـ)، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٣٥٢ هـ.

٢٨٨- كفاية الأثر: الخزاز: علي بن محمد: طبع حجر، قم ١٣١٩ هـ.

٢٨٩- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: الكنجي الشافعي: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي (ت: ٦٥٨ هـ)، تحقيق: محمد هادي الأميني، ط ٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.
٢٩٠- الكنى والأسماء: الدولابي: أبو بشير محمد بن أحمد بن حماد (ت: ٣١٠ هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٢٨ هـ.
٢٩١- الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي، ط ٣، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م.
٢٩٢- كنز العرفان في فقه القرآن: المقداد السيوري الحلي (ت: ٨٢٦ هـ)، مطبعة القضاء، النجف (د. ت).
٢٩٣- كنز الفوائد: الكراجكي: أبو الفتح محمد بن علي (ت: ٤٤٩ هـ)، طبع حجر، قم (د. ت).
٢٩٤- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: المناوي: الشيخ عبد الرؤوف (ت: ١٠٢٢ هـ) تحقيق: محمد حسن ربيع، مطبعة الأنوار، مصر، ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م.

(حرف اللام)

٢٩٥- لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن: علي بن محمد (ت: ٧٢٥ هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر (د. ت).
٢٩٦- لباب النقول في أسباب النزول: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ هـ)، ط ١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٧٨ م.
٢٩٧- اللباب في تهذيب الأنساب: ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي كرم الشيباني (ت: ٦٣٠ هـ)، الناشر: مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨ م.
٢٩٨- لسان العرب: ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم (ت: ٧١٩ هـ)، ط ١، المطبعة المنيرية، بولاق، مصر، ١٣٠٠ هـ.
٢٩٩- لسان الميزان: العسقلاني: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٢٩ هـ.

٣٠٠- لطائف الإشارات لفنون القراءات: القسطلاني، تحقيق: د. عبد الصبور شاهين وصاحبه، لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى، القاهرة، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م.

٣٠١- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: ٣٣٠ هـ)، تقديم: د. حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥ م.

٣٠٢- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: الأسفرائيني: محمد بن أحمد، مطابع دار الأصفهاني وشركاؤه، جدة، ١٣٨٠ هـ.

(حرف الميم)

٣٠٣- مباحث في علوم القرآن: الصالح: د. صبحي، ط٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤ م.

٣٠٤- المباديء العامة لتفسير القرآن الكريم: الصغير: د. محمد حسين علي، ط ٢، مطبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

٣٠٥- مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩ هـ.

٣٠٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧ هـ)، ط ٢، دار الكتاب، بيروت، ١٩٦٧ م.

٣٠٧- المجموع شرح المهذب: النووي: أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت: ٦٧٦ هـ)، مطبعة العاصمة، القاهرة، الناشر: زكريا علي يوسف (د. ت).

٣٠٨- المحاسن والمساوئ: البيهقي: إبراهيم بن محمد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة النهضة، مصر، ١٩٦١ م.

٣٠٩- محاضرات في علوم الحديث: د. حارث سليمان الضاري، مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٥ م.

٣١٠- المحبر: ابن أمية البغدادي: أبو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي (ت: ٢٤٥ هـ)، تصحيح: إيلزه ليختن شتيتر، ط ١، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٦١ هـ/ ١٩٤٢ م.
٣١١- المحلى: ابن حزم الظاهري: أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦ هـ)، دار الفكر، بيروت (د. ت).
٣١٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت).
٣١٣- المدونة الكبرى: رواية الإمام سحنون عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك بن أنس، ط ١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٣ هـ. أوفسيت، دار صادر، بيروت.
٣١٤- مذاهب التفسير الإسلامي: المستشرق إجنتسن جولد تسيهر، تحقيق: د. عبد الحليم النجار، ط ٣، دار اقرأ، بيروت، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
٣١٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: اليافعي: الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت: ٧٦٨ هـ)، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠.
٣١٦- مرآة الحرمين: إبراهيم رفعت باشا، ط ١: مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٥ م.
٣١٧- مرآة العقول في علم الأصول: الملقب عماد الإسلام، مطبعة قومي بريس، طبع حجر، ١٣١٨ هـ.
٣١٨- المراسيل في الحديث: ابن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧ هـ)، تقديم: صبحي السامرائي، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٧ م.
٣١٩- مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: العلامة الحلي: جمال الدين الحسن بن يوسف (ت: ٧٢٦ هـ)، طبع حجر، إيران، ١٣٢٣ هـ.
٣٢٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت: ٣٤٦ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م.

٣٢١- مسائل في الفقه المقارن: د. هاشم جميل عبد الله، ط ١، جامعة بغداد، بيت الحكمة، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م.
٣٢٢- مسالك الإفهام شرح شرائع الإسلام: الشهيد الثاني: زين الدين بن أحمد (ت: ٩٥٩ هـ)، طبع حجر، قم، ١٣١٠ هـ.
٣٢٣- المستدرك على الصحيحين في الحديث: الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥ هـ)، الناشر: مكتبة النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية (د. ت).
٣٢٤- المستصفى من علم الأصول: الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥ هـ)، ط ١، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، ١٩٣٧ م.
٣٢٥- مسلم الثبوت: البهاري: محب الله بن عبد الشكور، المطبعة الحسينية، مصر (د. ت).
٣٢٦- المسند: الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، شرح: أحمد محمد شاكر، ط ٢، دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩ م.
٣٢٧- مسند الإمام زيد بن علي بن الحسين (ت: ١٢٣ هـ): ط ١، مطبعة المعارف العلمية مصر (د. ت).
٣٢٨- مشاهد القيامة في القرآن: سيد قطب، دار المعارف، مصر (د. ت).
٣٢٩- مشاهير علماء الأمصار: البستي: محمد بن حبان، عني بتصحيحه: م. فلايشمهر، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م.
٣٣٠- المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي العلوي: الشلي: محمد بن أبي بكر، ط ١، مطبعة العامرة الشرقية، القاهرة، ١٣١٩ هـ.
٣٣١- مصباح الأصول إلى علم الأصول: السيد محمد سرور البهبودي، مطبعة الآداب، النجف، ١٣٨٦ هـ.
٣٣٢- المصنف: ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥ هـ)، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.

٣٣٣- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ابن طلحة الشافعي: كمال الدين بن محمد (ت: ٦٤٥ هـ)، طبع حجر، قم، ١٢٧٨ هـ.
٣٣٤- المعارف: ابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦ هـ)، تحقيق: د. ثروت عكاشة، ط ٢، مطبعة دار المعارف، مصر، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٩ م.
٣٣٥- معالم الدين وملاذ المجتهدين: جمال الدين الحسن بن زين الدين، طبع حجر، المكتبة الإسلامية، طهران (د. ت).
٣٣٦- معالم السنن: الخطابي: أبو سليمان (ت: ٣٨٨ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ١٣٦٩ هـ، مع مختصر سنن أبي داود للمنذري.
٣٣٧- معالم العلماء: ابن شهر آشوب: أبو جعفر محمد بن علي (ت: ٥٨٨ هـ)، عنى بنشره: عباس إقبال، مطبعة فردين، طهران، ١٣٥٣ هـ.
٣٣٨- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن (ت: ٣٨١ هـ)، تصحيح علي أكبر الغفاري، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٩ هـ.
٣٣٩- معاني القرآن: الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد (ت: ٢٠٧ هـ)، ط ٢، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠ م.
٣٤٠- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية: د. محمد عمارة، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٢ م.
٣٤١- المعتمد: البصري المعتزلي: أبو الحسن محمد بن علي، طبع دمشق، ١٩٦٥ م.
٣٤٢- معجم البلدان: ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م.
٣٤٣- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي: أبو القاسم علي اكبر الموسوي، ط ١، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٤ م.

٣٤٤- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات واشهر القراء: د. عبد العال سالم مكرم و د. أحمد مختار عمر، ط ٢، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.
٣٤٥- المعجم الكبير: الطبراني: الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط١، مطبعة الوطن العربي، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
٣٤٦- معرفة علوم الحديث: الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥ هـ)، ط ٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩ م.
٣٤٧- المغني على مختصر الخرقي: ابن قدامة: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد (ت: ٦٢٠ هـ)، منشورات المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ومكتبة المؤيد بالطائف.
٣٤٨- المغني في أبواب العدل والتوحيد: القاضي المعتزلي: عبد الجبار بن أحمد الأسد ابادي (ت: ٤١٥ هـ)، ج ٦ قسم التعديل والتجوير، تحقيق: أحمد فؤاد، ج ٧، تحقيق: إبراهيم الابياري، ج ٨ - ١١، تحققي: عبد الحليم النجار، ج ١٦، تحقيق أمين الخولي، مطبعة القاهرة.
٣٤٩- مغني المحتاج على معرفة ألفاظ المنهاج: الشربيني: محمد بن أحمد الخطيب (ت: ٩٧٧ هـ)، مطبعة دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.
٣٥٠- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة: السيد العاملي: محمد الجواد بن محمد الحسيني، مطبعة الشورى، القاهرة، ١٣٢٦ هـ.
٣٥١- مفتاح الوصول إلى علم الأصول: البهادلي: الشيخ أحمد كاظم، ط ١، مطبعة شركة حسام للطباعة الفنية، بغداد، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.
٣٥٢- مفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني (ت: ٥٦٥ هـ)، مطبعة الانجلو المصرية، ١٩٧٠ م.
٣٥٣- مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦ هـ)، مطبعة الديوان، بغداد، ١٣٥٨ هـ/ ١٩٧٩ م.

٣٥٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : الاشعري : أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت : ٣٣٠ هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٩ هـ.
٣٥٥- المقالات والفرق : الشيخ عباس القمي، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٦ م.
٣٥٦- مقتنيات الدرر ومقتطفات الثمر : الحائري : سيد مير علي المعروف بالمفسر، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٤١ هـ.
٣٥٧- مقدمة في أصول التفسير : ابن تيمية : أحمد بن عبد الحميد (ت : ٧٢٨ هـ)، تحقيق : د. محمود محمد نصار، مطبعة منير، بغداد.
٣٥٨- مكارم الأخلاق : الطبرسي : أبو الفضل علي بن مكي بن أبي طالب (ت : ٧٢١ هـ)، ط ٢، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٧٢ م.
٣٥٩- الملل والنحل : الشهرستاني، تحقيق : عبد العزيز الوكيل، مؤسسة الحلبي، ١٩٦٨ م. مطبوع بهامش الفصل لابن حزم.
٣٦٠- من روائع القرآن : البوطي، محمد سعيد رمضان، ط ٢، دار المعارف للطباعة، مصر، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.
٣٦١- من لا يحضره الفقيه : الشيخ الصدوق : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن (ت : ٣٨١ هـ)، ط ١، مطبعة الآفتاب، طهران، ١٣٧٦ هـ.
٣٦٢- مناقب آل أبي طالب : ابن شهر آشوب : محمد بن علي (ت : ٥٨٨ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٧ هـ/ ١٩٥٦ م.
٣٦٣- مناهج الأدلة في عقائد الملة : ابن رشد، ط ٣، تقديم وتحقيق : د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩ م.
٣٦٤- مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني : محمد عبد العظيم، ط ٣، مطبعة دار الفكر، بيروت (د. ت).
٣٦٥- منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان : جمال الدين الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني (ت : ١٠١١ هـ)، مطبعة جاب جاويد، طهران، ١٣٧٩ هـ.

٣٦٦- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨ هـ) وبهامشه الكتاب المسمى موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ط١، المطبعة المبرى، الأميرية، بولاق، مصر، ١٣٢١ هـ.

٣٦٧- المنية والأمل: ابن المرتضى، ط١، بيروت، ١٩٦١ م.

٣٦٨- مهج الدعوات ومنهج العبادات: ابن طاووس: أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن محمد، طبع حجر، قم (د. ت).

٣٦٩- المهذب في فقه الشافعي: الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي (ت: ٤٧٦ هـ)، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٩ هـ.

٣٧٠- الموافقات: الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت: ٧٩٠ هـ)، ط ٢، ضبطه: محمد عبد الله دراز، مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م.

٣٧١- المواقف: عضد الدين الإيجي مع شرح المواقف للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، طبع بالقسطنطينية، ١٢٨٦ هـ.

٣٧٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥ هـ)، مطبعة السعادة، مصر (د. ت).

٣٧٣- مواهب الجليل إلى شرح مختصر خليل: الحطاب: محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٥٤ هـ)، ط ١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ.

٣٧٤- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السبزواري: السيد عبد الأعلى الموسوي، مطبعة الآداب، النجف، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

٣٧٥- موسوعة أخلاق القرآن: الشرباصي: د. أحمد، ط ١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧١ م.

٣٧٦- الموطأ مع الزرقاني: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ملتزم الطبع: عبد الحميد أحمد حنفي، مصر.

٣٧٧- الميراث عند الجعفرية : أبو زهرة : الشيخ محمد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
٣٧٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد (ت : ٧٤٨ هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١ ، مطبعة عيسى الحلبي ، ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م .
٣٧٩- الميزان في تفسير القرآن : الطباطبائي : السيد محمد حسين ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان (د. ت) .

(حرف النون)

٣٨٠- ناسخ التواريخ : محمد تقي الكاشاني ، طبع حجر ، إيران ، ١٣٢١ هـ .
٣٨١- الناسخ والمنسوخ : هبة الله بن سلامة (ت : ٤١٠ هـ) ، المطبعة الحديثة ، مصر ١٣١٥ هـ بهامشه أسباب النزول للواحدي .
٣٨٢- الناسخ والمنسوخ : النحاس : أبو جعفر ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
٣٨٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغرى بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت : ٨٧٤ هـ) ، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة ، ١٣٧٦هـ .
٣٨٤- نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس : العباس بن علي بن نور الدين المكي ، ط ١ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٧ م .
٣٨٥- النسخ في القرآن : د. مصطفى زيد ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م .
٣٨٦- نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشر : د. محمود أحمد صبحي ، ط١ ، مطبعة دار المعارف ، مصر ١٩٧٦ م .
٣٨٧- نهاية الأرب القلقشندي : أحمد بن علي أبو العباس (ت : ٨٨١ هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

٣٨٨- نهاية الأقدام في علم الكلام: الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت: ٥٤٨ هـ)، صححه الفردجيوم، مطبعة المثنى، بغداد (د. ت).

٣٨٩- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: الشبلنجي الشافعي: مؤمن بن حسن (ت: ١١١٣ هـ)، ط ١، المطبعة المنيرية، القاهرة وبهامشه كتاب إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين تأليف العلامة محمد الصبان.

٣٩٠- نيل الاوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار: الشوكاني: محمد ابن علي بن محمد، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م.

(حرف الهاء)

٣٩١- الهداية شرح بداية المبتدي: المرغيناني: برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل (ت: ٥٩٣هـ)، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأخيرة.

(حرف الواو)

٣٩٢- الوافي: المولى محسن الفيض الكاشاني، طبع حجر، قم، ١٣٢٣ هـ.

٣٩٣- الوافي بالوفيات: الصفدي: صلاح الدين بن ايبك، ط١، ١٩٥٣ م.

٣٩٤- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف: باجودة: د. حسن محمد، مطبعة حسان، القاهرة، ١٩٧٤ م.

٣٩٥- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت: ١١٠٤ هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الرباني، ط ٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١ هـ.

٣٩٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان: أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت: ٦٢١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م.

(حرف الياء)

٣٩٧- ينابيع المودة: القندوزي الحنفي: الحافظ سليمان بن إبراهيم (ت: ١٢٩٤ هـ)، ط ٧، المطبعة الجديدة، النجف (د. ت).

الفهرس

الباب الثاني

آراء الإمام الباقر (ع) وأثرها في علوم القرآن والتفسير

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

University of Baghdad

IMAM AL-BAQQIR AND HIS INFIUENCE ON EXEGESIS

A Thesis Submitted to the Council of the College of Islamic sciences In Fulfilment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy in Islamic sciences



by

Hikmat Ubaid Hussein Ai-Khafaji

Under the Supervision of

Professor Khalid Rasheed Ai-jumaiji, Ph.D

April, 1997

IMAM BAQQIR AND HIS INFLUENCE OF EHEGESIS

This theis is an objective studdy of Imam Al-Baqqir's roles exegeses and holy Qu'ranic studies. The study, being devoid form prejudice. does not understumate the efforts made by others as the one aim of oll is the presentation of anthentic readings and explentatios qurlanic texts.

The study falls into on interductor, two chapter and a conclusion. The first chapter is devoted to the study of Imam Al-Baqqir's biograpty, and it falls into four sections. section one is given to the study of Al-Baqqir's name his birth. and death. A note on his nicfname. family. ehavacter and education has been since, too, besides his preachings and leadings.

Section two is devoted to his career. this ideas in respect of men's quest of knowledge are likewise been discussed. besides his surpassing insights into Tradition. theology and exepreis have been brought into light, too, the section also touches expon what other commutators and plulosphere have said about him.

The third section, hewever, is devoted to the biography of Al-Baqqir's sinforments when have been divided into two groups his forefathers and the prophet's compeniens. Al-Bqqir's students and disciples have likewise been discussed.

Chapter four is siren to Al-Baqqirs sources in exegesis. The Variety of these sources have, indeed, enriched his insights and explanations.

Chapter two, However, is a study of Al-Baqqir's influence on exegesis and is divided into five sections. Section one is given to him ideas on Qu'ranic sciences including the Qu'ranic readings, this efforts in the graces 2 Qu'ran found essentially based on tradition, have likewise been investigated the second section is devoted to him ideas in the explanation of texts dealing with theoloies.

Section three is devoted to Al-Baqqir's ideas in the explanation of texts given to decisions and wprships as well as those devoted to secular relations and dealings.

